

مكتبة الروضة الحيدرية

الرسائل الجامعية

شعرُ أبي طالب دراسة أدبية

د. هناء عباس عليوي كشكول

أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه قدّمتها الدكتورة هناء عباس عليوي كشكول

إلى كلية الآداب / جامعة الكوفة ونالت درجة جيد جداً عال

هوية الكتاب

- الكتاب: شعرُ أبي طالب - دراسة أدبية
- المؤلف: د. هناء عباس عليوي كشكول
- الناشر: مكتبة الروضة الحيدرية - النجف الاشرف
- إخراج فني: نصير شكر
- الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

المقدمة

«سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، الذي نصر

رسوله الامين بعمه الناصر لدين الله أبي طالب والد

أمير المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث فينا رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين
الطاهرين وصحبه ومن والاه الى يوم الدين، وبعد:

زخر زمن البعثة برجال عظام كانوا المثل الاعلى بالايمان العميق بالله، والتضحية في سبيل اعلاء

كلمة الحق، والعمل الصالح لخير البشرية، ففي حياتهم معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والصبر

والايمان، فلم يخفق الزمن اصواتهم على مر العصور، ولم يمح الكلام اثارهم من الاذان على مر

الدهور.

وتراثنا الادبي حافل باولئك المشاهير والشعراء، وفي مقدمتهم أبو طالب بن عبد المطلب (3-85)

ق.هـ)، (٥٤٠ - ٦٢٠م) عم النبي (صلى الله عليه وآله) عاش في الجاهلية بروح الدين الحنيف نابذاً

العادات والتقاليد الذميمة، مهتدياً بروح التوحيد، آمن بالله وبكتبه وبرسله وملانكته واليوم الآخر،

وعندما بزغ فجر الاسلام كان أول من ناصر الدعوة المحمدية، وذاد عنها، وحمى صاحبها، ودافع

عنه، واول من اثبت دعائم اركان الاسلام وصدع صوته مغردا في مسامع الدهر نشيدا ايمانياً صادقاً

خالداً من خلال ايمانه المبكر بنبوة ابن اخيه نور الهدى، فاعز الله الاسلام بعمه أبي طالب اشرف

رجال قريش وحاكم مكة ورئيسها، والبطل في مواقفه للاسلام في صفاء سريرته، وطهارة وجدانه،

وسحر بيانه، ونبل اخلاقه، ولطف انسانيته، وعمق ايمانه.

ومن دواعي دراستنا لشعر أبي طالب أن الادباء لم يولوا شعره كما يستحق من الدراسة الادبية، فلم

نعثر على كتاب ادبي مخصص يعطي صورة صادقة لفن هذا الشاعر، ولم تعط المظان صورة قريبة او

بعيدة عن فن الشعر الاسلامي في زمن البعثة التي واكبت الجهر بالدعوة الاسلامية في قريش وانذار

عشيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) الاقربين، التي امدها عشر سنين لازم فيها أبو طالب ابن أخيه

مؤيدا وناصرًا ومسانداً ومؤازراً ومدافعاً عنه أذى مشركي قريش، في الوقت الذي تعد هذه الحقبة

الزمنية من أقدس حقب الادب الاسلامي في نفوس المسلمين؛ لأنها تمثل مرحلة الوحي، ونشر الدعوة

الاسلامية، ومن المعروف أن الظواهر الادبية لا تتبلور وتكتمل في مرحلة الانتقال من حقبة الى

اخرى مباشرة، ومن المسلم به ان شعراء مكة لم يتباروا في الدخول في زمام معركة شعرية حقيقية

وقتذاك فقد نظروا الى الدعوة بامكانهم اخمادها ووأدها، ولذلك لم تكن في هذه الحقبة حركة ادبية

واضحة، ولكن اصول الظواهر الادبية الاسلامية الجديدة وجذورها وجدت فيها، ولا سيما في شعر أبي

طالب الذي يمثل تأصيل الظواهر الادبية في الادب الاسلامي، فيمثل شعره مرحلة مهمة من ادب تلك

الحقبة، فحدود البحث تمتد لزمان قريب من هجرة الرسول

(صلى الله عليه وآله) الى المدينة.

على أننا لا نغفل أن كثيراً من شعراء المشركين الذين ظهرت أسماؤهم بعد فتح مكة بتسعة عشر عاما

من بعثة الرسول الكريم هاجوا شعراء الرسول

(صلى الله عليه وآله) بيد انهم دخلوا الاسلام، فتخرج الرواة من ذكر اشعارهم التي هاجوا بها الاسلام، فلهذا السبب والاسباب التي ذكرناها آنفا كانت من دواعي إهمال تلك الحقبة المهمة في دراسة الادب العربي الاسلامي؛ لذلك كله وجدتُ فرصة سانحة في دراسة شعر أبي طالب، فحملت نفسي جاهدة على ركاب رحلة ممتعة نقطف من ثمارها دراسة جديّة تأخذ بالحسبان تأصيل الظواهر الادبية على أن أبا طالب شاعر الاسلام الأول، يحفل شعره بالقديم والمتطور والجديد، فوجدتُ أن درسته دراسة أدبية؛ لتوافر المعايير الفنية المؤثرة في المستقبل؛ لاستجلاء قيمتها المتدرجة ضمن شكل تعبيرى تقني معين، والدراسة الأدبية أوسع مجالاً في البحث وأرحب شمولاً لدراسة الظواهر الادبية في شعره، متوخية الدقة والاحاطة والشمول في جميع شعره المتوافر لدي في ديوانه، والمتدافع منه، ومما ظفرت به من المظان؛ لاعطي صورة تقريبية من شعره على المستويين: الموضوع والفن، بما يليق بهذه الشخصية الفذة ناصر الرسول (صلى الله عليه وآله). وقد وقع الاختيار على ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبي هفان المهزبي

البصري(ت٢٥٧هـ) وصنعة علي بن حمزة البصري التميمي(ت٣٧٥هـ)، بتحقيق الشيخ محمد حسن

آل ياسين، وهي طبعة محققة تحقيقاً علمياً تفوق الطبقات الأخرى، واشمل لشعر أبي طالب، وما لم

نجده في هذه الطبعة عُدتُ به الى الطبقات الأخرى، وإذا لم نظفر بما نريده في هذه النسخ المطبوعة

للدیوان راجعتُ الى بطون الكتب في سبيل اتقان عملي.

بلغ عدد الأبيات المدروسة الفأ وتسعة وعشرون بيتاً وشرطاً، واعتمدت في منهج البحث على التحليل

الوصفي والموضوعي اللذين يجنحان الى تحليل النص واستنطاقه وابرار الحقائق فيه وما يرقد

وراءها مراعية أصولاً عقلية مقررّة، وحاولت في دراسة النص تحقيق الصلة التاريخية في عدم

فصله عن ظرفه الذي ولد فيه من خلال الإفادة من الاشارات التاريخية القديمة التي عالجت سيرة

حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) مع عمه أبي

طالب وحرصتُ في منهجي على ابراز الشاهد أو أكثر بحسب ورود الظاهرة، لدعم تثبيت حقيقة كنت قد أشرتُ اليها، ولمعرفة الزيادات الفنية والتطور الذي نهض به شعر أبي طالب في الدراسة، ثم دراسة التفاصيل بحسب أهميتها، وأوردت إحصاء لكل ظاهرة أدبية مدروسة، وحرصت على أن أذكر مقدمة لكل مبحث وأتبع نهايته بخلاصة موجزة.

واستعنت في دراستي بمظان الأدب والبلاغة والنقد واللغة والتأريخ والأخبار والسير، واطلعت على

غير قليل من الدراسات الادبية الحديثة فوجدت أنها تحتوي على آراء متباينة ونافعة.

وفي ضوء هذه المعطيات ومراجعة المادة انتظم البحث في تمهيد، وثمانية فصول: واهم النتائج

التي خلصتُ إليها في خاتمته، وملحقين تابعين لمتطلبات الاطروحة، وقد اقتضت طبيعة موضوع الاطروحة ان امهد له بالحديث عن جانب من جوانب حياة أبي طالب مع مسيرة ابن اخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأن جلَّ شعره في الرسالة وصاحبها، وقد أوجزت في الحديث عن ايمانه، وأومات الى المراجع والدراسات للاطلاع عليها، لكثرة ما كُتب عن عقيدته، بيد أن البحث لم يغفل عن هذه القضية العقائدية التي ترتبط بشعره، ولا سيما في مرحلة مواجهته لطواغيت الشرك من قريش ولو بهذا الاجاز. تكفل الفصل الاول في دراسة مصادر شعر أبي طالب وتوثيقه بسبب ما

زرعه بعض الباحثين المستشرقين ومن تابعهم من الباحثين العرب من شك في شعره مما جعل الباحثين يقفون موقف الحيطة والحذر والتهيب والتردد فعزفوا عن دراسته، فكان من المفيد توثيق شعره. وفي دراسة الموضوع كشف الفصل الثاني: الرثاء والفخر والمديح ابعاد علاقة الفنون الشعرية

الثلاثة، وضمّن الرثاء: الندب والتأبين والعزاء، واتجه الفخر الى سبيلين: الفخر الذاتي والفخر

الجماعي، وسلك المديح مسلكين: المديح النبوي والمديح العام.

ونهض الفصل الثالث: شعر العقيدة بدراسة الابعاد العقائدية: التوحيد والتصديق، ومن دواعي الايمان

بالرسالة المحمدية التصديق بمعجزاته ونصرتة، وعرض موضوع النصرة مباحث جانبية في الحث

على الصبر والنصيحة والوصية تتعلق جميعها بمضامين محتويات هذا الفصل .

وعقد الفصل الرابع: العتاب والتحذير والتهديد والهجاء في بيان العلاقة بين هذه الموضوعات، فبرز

في العتاب نوعان من العتاب: الشخصي والجماعي اللذان قادا الشاعر الى التحذير والتهديد وقد يسلك

سبيل الهجاء في بعض الاحايين.

وفي دراسة الفن عرض الفصل الخامس: البناء الفني في شعره، فتضمنت القصائد ذات المقدمات

وتعدد الاغراض فيها، وبناء القصيدة المباشرة والمقطوعات، وشملت بناء الغرض الواحد وتعددته،

وعلى هذا أسس الرجز

أيضاً.

وتطرق الفصل السادس: لغة شعره الى دراسة الالفاظ المتضمنة اسماء الأعلام: الرجال والنساء

والقبائل، والامكنة، ولا سيما الأماكن الدينية، واتجه مبحث الصياغة الى دراسة الأساليب اللغوية:

النفي والتوكيد والاستفهام والامر والنداء، وألحق في الفصل دراسة أثر الاسلام في لغة شعر أبي

طالب.

وحفل الفصل السابع بدراسة الايقاع في شعره، ومن مظاهره: الوزن والقافية، واهم الظواهر

الايقاعية: التكرار والتدوير والضرائر.

وتكفل الفصل الثامن بالصورة الفنية في شعره ومصادر الصورة المستمدة من روافد ثقافية: تراثية ودينية، ومن البيئة الحضرية في مشاهدات الشاعر اليومية، وفي مصادر الصورة البيانية نطالع الصور التشبيهية والكنائية والاستعارية.

وفي النتائج نصيب وافر في انبلاج الرؤية عن شعر أبي طالب القديم والمتطور والجديد على المستويين: الموضوع والفن.

واتبعت النتائج بلحقين هما من متطلبات الرسالة وثبت بالمصادر والمراجع .

بقي ان اقول: إن عليّ أن أقرّ بفضل جميل أسداه إليّ الدكتور حاكم حبيب الكريطي عندما اقترح العنوان موضوعاً للاطروحة والاشراف عليها ومتابعتها، فاثني عليه بجميل الدعاء، أدامه الله وأبقاه.

وبعد: قصارى ما نتمناه وعرضناه ونقدناه من هذا السفر النفيس لشعر أبي طالب على وفق ما

تخيلناه، نظرنا فيه بعين الانصاف متوخين الحقيقة بدقة وحرص شديدين، وما شاء القار

ئ أن يتخيل صوراً نابضة بالحياة، نسأل الله السداد في التفكير والقول، وأن يلهمنا الصواب والرشاد، ويجنبنا الزلل والعتار، إنه نعم المجيب والحمد لله رب العالمين.
هنا عباس كشكول

النجف الاشرف الاول من غرة رمضان المبارك لسنة ١٤٢٨ هـ

الثالث عشر من ايلول لسنة ٢٠٠٧ م

« التمهيد »

جانب من حياة أبي طالب

من المفيد الايماء الى رئاسة أبي طالب في عمقها التاريخي، فهو ينتسب الى قصي بن كلاب من ذرية

النبي ابراهيم (عليه السلام) الذي استطاع ان يوحد قريش ويبعد خزاعة بعد معركة أريقت فيها دماء

كثيرة، وحاز قصي شرف مكة كلها، فكانت بيده السقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة)

(1)، وهي من أهم المناصب الإدارية في المجتمع المكي(2)، و«كانت قريش وعمامة ولد معد بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت، ويقيمون المناسك ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش، والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت.(3)» وقسم قصي المهام الإدارية بين أولاده من بعده، فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار

والرفادة لعبد العزة وحافتي الوادي لعبد قصي)

(4)، وخلف عبد مناف من بعده هاشما وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وتولى الرئاسة والسقاية والرفادة(5)، ثم تولى عبد المطلب بن هاشم الرئاسة والسقاية والرفادة بعد عمه المطلب، وكان شريفاً في قومه مطاعاً سيداً(6)، و«أحسن قريش وجهها وأمدَّه جسماً واحلمه حلماً واجوده كفاً وابتعد الناس من كل موبقة تُفسد الرجال، ولم يره ملك قط إلا أكرمه وشقَّعه» (7)، وقد اعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً من آبائه، فجدد حفر بئر زمزم الذي كان على عهد نبي الله إبراهيم (عليه السلام) فأكرمه الله بسقاية زمزم (8) وحكمته قريش في أموالها، وأطعم في المحل حتى اطعم الطير والوحوش في الجبال، وكان يقول لابنه أبي طالب: «أي بني: قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر، فانحرها على أبي قبيس حتى يأكلها الطير، والسباع، ففعل أبو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع فقال أبو طالب:

{من الطويل}

ونُطع

مُ حَتَّى تَأْكَلَ الطَيْرُ فَضْنَنَا إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِي الْمَفِضِينَ تَرَعْدُ(9)»
وعبد المطلب «اول من تحنث بحراء.... وكان إذا أهلاً هلال شهر رمضان، دخل بحراء فلم يخرج

حتى ينسلخ الشهر، ويطعم المساكين وكان يعظم الظلم بمكة، ويكثر الطواف بالبيت)»

10).

فقد كان من الموحدين)

(11سنَّ «سنناً نزل القرآن باكثرها، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي: الوفاء بالتذور، ومائة من الابل في الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولا توتي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، والمباهلة، وتحريم الخمر وتحريم الزناء، والحدُّ عليه، والقرعة، وألا يطوف احد في البيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا اذا حجوا إلا من طيب اموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات... فكانت قريش تقول: عبد المطلب ابراهيم الثاني (12) «وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هياة الانبياء وزي الملوك.(13)» وأولاد عبد

المطلب عشرة ومنهم: أبو طالب والزبير وعبدالله والد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وامهم «فاطمة بنت عمرو بن عانذ بن عمران بن مخزوم(14)»، وكان أبو طالب امتداداً للسلالة الرفيعة من اجداد النبي (صلى الله عليه وآله)، والوارث لقيمهم ومواقفهم الاجتماعية والسياسية، ولعلو مقامهم، وعراقة اصلهم، وعظم كرمهم، يفتخر أبوطالب بهم قانلاً:

{من المتقارب}

به العزَّ والخَطَرُ الأعظمُ

فإنا بمكة قديماً لنا

حديثاً فعزَّتْنا الأقدمُ

ومن يك فيها له عزَّة

ن والقاندون ومن يحكمُ

ونحن ببطحانها الرانسو

نجيرُ وكُنَّا بها نُطعمُ

نشأنا فكُنَّا قليلاً بها

إذا عَضَّ أَرْؤُ السنينِ الأنامَ
وَحَبَّ القَتارُ بها المُعَدَمُ
نَمائِي شَنِيئَةُ ساقِي الحَجيجِ
ومجدُ مُنَيَّفِ الدُّرَى مُعَلَمٌ

(١٥)

وأبو طالب عبد مناف تزوج من بنت عمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت

(لهاشمي)

(16)، وقد أنجبت من الذكور طالبا(17)، وبه يكنى أبوه، وعقيلاً وجعفرأً وعلياً، وكان بين واحد واخر عشر سنين(18)، ومن الاناث ام هانيء، وجمانة، وريطة، وكان أبو طالب وسيماً جسيماً عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، فهو شيخ قريش، وسيد البطحاء، ورئيس مكة(19)، كما كان أبوه يلقب بذلك وهو سيد قريش ورئيسها وحاكمها والمطاع فيها حتى هلك.(20) لقد خلف أبو طالب اباه في الزعامة للمزايا التي يتمتع بها من كريم الصفات، فألقت قريش امورها

اليه، لانها رأت فيه شيخاً ذا رأي وعقل وخبرة وحكمة واخلاق وقدر، فهو الذي تلجأ اليه في

مهماتهما، وتعتمد عليه في مللماتها، وهو المطاع الرئيس المهيب مع فقره فلم يسُد في الجاهلية احد إلا

بمال غير أبي طالب)

(21)، وعتبة بن ربيعة(22)، فقد كان أبو طالب «يبيع العطر، وربما باع النبر (23) «في وقت كان ينظر أهل مكة قبل الاسلام الى أن شؤون السيادة بيد الاثرياء، ولكن خُلِقَ أبي طالب، ورجاحة عقله، وكرم نفسه، وعفة ضميره، هيأته لأن يسود ويعلو رأيه اراء الاغنياء، ويخلف اباه في زعامة قريش فعهد اليه عبد المطلب بسقاية حجاج بيت الله الحرام، ثم سلمها أبو طالب الى اخيه العباس بن عبد المطلب (24) و«أبو طالب أول من سنَّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم اثبتتها السُّنة في الاسلام.(25) »
وجمع أبو طالب الى جانب السيادة والحكم والشرف وعراقة النسب: الحلم والادب، ف«لقد قيل ل

أكثم (26) ممن تعلمت الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟ فقال: من حليف الحلم والادب، سيد العجم والعرب أبي طالب بن عبد المطلب.(27) »

إيمان أبي طالب ومسيرته مع رسول الله (صلى الله عليه وآله):

تعرضت شخصية أبي طالب الى التكفير، وكان القصد من هذا التعريض الطعن بشخصية ابنه

أميرالمؤمنين الامام علي

(عليه السلام) من القادة والامراء والولاة الذين ساروا مع ركب السياسة الاموية، واتبع بعض المحدثين والمفسرين والمؤرخين ما خاضته السياسية الاموية بقصد او بغير قصد.(28)
فقد بلغ اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولاسيما في عهد معاوية اوجه،

فلم تنشأ السياسية الاموية في مراحل التدوين ان تدع الثقافة تجري بعيدا عن سلطانها، فرسمت لها مسارا لا تتعداه، ومنها ان تمنع الحديث بسيرة الامام وأهل البيت وفضائلهم، والتبرؤ منهم في خطب

الجمع وقنوت الصلوات، ورويت بذلك أخبار مفتعلة لاحقيقة لها، فذكر «أن معاوية وضع قوما من

الصحابية وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي (عليه السلام) تقتضي الطعن فيه

والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلا يُرَعَّبُ في مثله، فاختلفوا ما أَرْضاه، منهم: ابو هريرة

وعمر

ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير (29) «وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى وألقي الى معلمي الكتاتيب فعلموا صبياتهم، ونساءهم، وخدمهم، واستمر في ذلك الفقهاء والقضاة والقراء والمراؤون والمستضعفون طلبا لرضا الحكام، ولنيل عطاياهم(30)، حتى قال قوم من بني أمية لمعاوية: «إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كفت عن لعن هذا الرجل! {يريدون الامام علي (عليه السلام)} فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً (31)» واستمرت السياسية الأموية في هذا الحال امداً طويلاً.(32)

ثم جاء اهل الحديث والاخبار فوجدوا اخبارا واحاديث فدوّنوها، ومنها قضية تكفير أبي طالب، وعندما

جاء العباسيون وجهاوا هذا الاسلوب نحو اغراضهم السياسية مثلما فعل الامويون.

فهكذا كانت مصادر الثقافة ومادة عقائدها)

(33)، وما جاء بخلاف ما تهوى السلطة السياسية فسوف يثير حفيظتها، فلا غروا ان نقرأ مؤرخاً مثل ابن هشام يتجاوز عن حذف بعض ابيات من قصيدة لأبي طالب فيها اقداح لمشارك، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر انه اورد قصيدة رواها ابن اسحاق لأبي طالب في التعريض بالمطعم بن عدي ومن خذله من بني عبد مناف، ثم عقب عليها بقوله: «تركنا منها بيتين اقدح فيهما(34)»، وربما يكون المتروك قول أبي طالب: {من الطويل}

رجالٌ تماَلوا حاسدينَ وبُغضةً

لأهلِ الغلا فبَيْنَهُمُ أبداً وتَرُ

وَلَيْدٌ أبوهُ كانَ عبداً لجدِّنا

إلى عِلْجَةٍ زرقاءَ جالَ بها السَّحرُ)

(35)

على الرغم مما جاء به التاريخ بشأن الوليد من الكفر، عمد ابن هشام الى حذف هذين البيتين وربما

كان في ذهنه ان أهل العلاء أبا طالب ورهطه يبغضهم الخصوم لعنوا شأنهم، ولاسيما اذا كان المبغض

جده الوليد عبداً لجدهم، فابن هشام يرى أن الوليد يتساوى معهم وإلا فان ابن هشام لم يحذف الابيات

التي فيها هجاء لعبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم وزهرة)

(36)، وهم بطون قريش، وانما خص الابيات التي فيها قذع للوليد فحسب؛ ولاين هشام عذره لانه لا يستطيع ان يثبت حقيقة تصطدم وعقائد الناس وما ترسخت عليه اهاؤهم فوجد نفسه منساقاً وراء اثار الثقافة السياسية العباسية(37)، وهذا الحذف يمثل نقصاً في تحديد الاصول الحقيقية لشعر السيرة وهو ما يعارض ما قصده ابن هشام من توثيق وتحقيق للشعر الذي ورد في سيرة ابن اسحاق مثل ما هو معروف.(38) إن انقاص ذكر الحقائق، ووضع الحديث، وما جاء به من تكفير شيخ الابطح أبي طالب الموحد على

دين آباء عبد المطلب كان يراد به غاية سياسية، وذلك للنيل من ابنه الامام علي (عليه السلام)، فقد

قال أبو طالب مخاطباً بني قصي)

(39) في حصار الشعب مستنكراً بهذا الشأن:

{من المتقارب}

وأهل الديانة بيتَ الحسبِ)

فكيف تُعادونَ ابناهُ

ولا نريد ان نرد في هذا القضية، وذلك لتصدي اعلام المذاهب الاسلامية المختلفة لها، فألفت عشرات

الكتب والبحوث في هذا الموضوع)

(41)؛ واكدوا أن أباطالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) مطهر من ارجاس الجاهلية، ومنزه عن عبادة الاوثان، ومن الرعيل الاول من المؤمنين بالرسالة المحمدية وكان موحداً على دين ابراهيم الخليل(عليه السلام) قبل الاسلام ثم مسلماً وحامياً لابن أخيه ومدافعاً عن الاسلام بالوسائل كلها. وما يهمننا في هذه الصفحات أن شعر أبي طالب كفيل بحل هذه الاشكالية، فهو شعر صريح يقيناً

برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وبنبوته وامانته وصدقه، وما بعث من الحق من ربه، وأنه خاتم النبيين، وسقنا ذلك بالدليل النقلى والعقلى في أن معا من خلال الحديث عن كفالته لابن أخيه ورعايته له وهو صغير وتربيته وهو يافع، والوقوف الى جانبه ومؤازرته ومناصرتة وهو كبير حتى وفاته، وهو يصرح بوصيته بنصرة النبي لاخوته وابنائهم وعشيرته.

فعندما كان عمر النبي (صلى الله عليه وآله) ثماني سنين، تولّى أبو طالب رعاية ابن أخيه الذي حرم من حذب الاب وحنان الام بعد كفالة جده عبدالمطلب له، وقد التزم أبوطالب بكفالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بناء على تكليف عبد المطلب له، فعندما حضرته الوفاة، اوصاه بحفظ رسول الله

وحياطته)

(42)، وخص أبا طالب من دون سائر ابنائه بشرف هذه الكفالة لما عرف من ابنه من محبته وحنانه وعطفه على ابن أخيه، فهذا الحب العظيم دفعه الى رعاية ابن أخيه سواء اكلفه ابوه بهذا الامر ام لا، واشتركت معه زوجته فاطمة بنت اسد فتشاطرت الحنان والعطف والرعاية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) (43) (مع زوجها أبي طالب.

وتشرب النبي محمد(صلى الله عليه وآله) من الاخلاق الكريمة التي نبعث من عبد المطلب وابنه أبي طالب، وكان الله لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتتشنته هذا العم الفاضل الذي «كان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا الى جنبه، ويخرج فيخرج معه وصبَّ به أبو طالب صبابة لم يصب مثله بشيء قط)»

(44)فقال في حبه للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) :
{من الكامل}

إنَّ الامينَ محمداً في قومهِ عندي يفوقُ منازلَ الأولادِ

وكُلِّفَ وجدا بحب ابن أخيه الذي جُبِلَ عليه فقال :

{من الطويل}

لعمري لقد كُلفتُ وجداً بأحمدِ واخوتهِ ذأبَ المُحبِّ المواصِلِ

ي أبو طالب بابن أخيه فكان المربي والراعي والحارس والحافظ لوصية ابيه عبد المطلب، وكان من رقة أبي طالب عند النظر الى ابن أخيه تهمل عيناه شفقة ورحمة فقال:
 {من الكامل}

فأرفض من عيني دمع ذارف راعيتُ مثل الجمان مُفَرَّقِ الأفرادِ وَحَفِظْتُ
 فيه قرابةً موصولةً فيه وصيةً الأجدادِ

ان هذا الموقف يرتبط بيتم النبي(صلى الله عليه وآله) فهو اولى بالعطف والرحمة من غيره، ويبدو

ان عل

ة بكاء عمه تعود الى ان يتمه يذكره بأخيه عبد الله والد النبي.
 فقال :

{من الطويل}

ذُكِرْتُ اِبَاهُ ثُمَّ رَقَرْتُ عِبْرَةً تَجَوَّدُ عَلَى الخَدَّيْنِ ذَاتِ سِجَامِ

وقد هيأت القوة الالهية كفالة أبي طالب لابن أخيه وان يعلم من امر نبوته قبل البعثة وبعدها، فبشرت

به الكتب القديمة والصحف السالفة المدونة عن الانبياء والعلماء من الامم الماضية من صفاته

والبشارة به، وذكره ملوك البلدان: اليمن وفارس والروم وتوقعهم لبعثته وهجرته

(49)، وحصلت آيات باهرة، ومعجز قاهرة للعادة قبل ولادته وبعدها(50)، وبشر سيف بن ذي يزن عبد المطلب بأن له من صلبه نور النبوة(51)، وبشره اهل الكتاب بذلك ايضا، فذكر «أن اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبى الامة (52)» يقصد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) واوصى ابنه أبا طالب قبل وفاته قائلا «يا أبا طالب ان لهذا الغلام لشأنا فاحفظه واستمسك به فانه فرد وحيد وكن له كالاب لا يوصل اليه بشيء يكرهه...يا أبا طالب ان ادركت ايامه فاعلم اني كنت من ابصر الناس ومن اعلم الناس به وان استطعت وان تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه قريب سيسود ويملك ما لم يملك أحد من آبائي.(53)» ولمعرفة أبي طالب ببركة ابن أخيه يخرج به في يوم قحط وجذب، ويطلب منه ان يلصق ظهره

بالكعبة، ويفعل الصبي ما يأمره عمه ويلوذ باصبعه نحو السماء وما فيها آنذاك غيمة، فيهطل المطر،

ويخصب الوادي، وتحيا الارض وتنتعش)

(54)، فقال أبو طالب مستذكرا هذه الصورة بعد بعثة ابن أخيه:

{من الطويل}

وأبيضٌ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه يلوذُ ربيعُ اليتامى عصمة

به الهلاك من آل هاشم للارامل فهم عنده في نعمة

وفواضل(٥٥)

و«لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي طالب - وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها

- يمدح ابن أخيه محمداً، وهو شابٌّ قد ربِّي في حجره وهو يتيمة ومكفولة، وجار مجرى اولاده يمثل قوله:
{من الطويل}

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً وتأي
على ربة من رأس عنقاء عيطل

اليه هاشم، إن هاشمياً

عرانين كعبٍ آخرٌ بعد أول
...فهذا شعر أبي طالب، ذلك الشيخ المبجل العظيم في محمد (صلى الله عليه وآله) وهو شابٌ مستجير

به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاماً وعلى عاتقه طفلاً، وبين يديه شاباً، يأكل من

زاده، ويأوي الى داره، علمت موضع خاصية النبوة وسرها) »

56).

ويعلم أبو طالب من اخبار الرهبان والكهان)

57)، انه سيكون لابن أخيه شأن كبير، وانه سيملاً الدنيا نورا، وانه النبي المبعوث من رب العالمين وخاتم المرسلين، وقد اخبره الراهب بحيرا في سفرته الى الشام وبصحبته ابن أخيه عندما كان عمره اثنتي عشرة سنة، فعرفه بامارات النبوة فيه، وأمره بالرجوع بابن أخيه لانه لا يأمن عليه دسانس الشرك ومكاند اليهود، فانهم إن عرفوا بعلامات نبوته لحقوا به الاذى وقتلوه، فرجع أبو طالب الى مكة حفاظا على ابن أخيه(58)، وكان رجال من اهل الكتاب وهم زبير وتمام ودريس قد رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك السفر الذي كان مع عمه أبي طالب فارادوا ان يغتالوه فردهم بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفته، وانهم ان اجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه، فعرفوا ما قال لهم وصدقوه وتركوا النبي، وانصرفوا عنه(59)، فقال أبو طالب في هذه الحادثة شعرا :
{من الطويل }

شامي الهوى والأصل غير شام

فرحنا مع العير التي راح اهلهما

لنا فوق دور ينظرون جسام

فلما هبطنا ارض بصرى تشرّفوا

لنا بشراب طيب وطعام

وجاء بحيرا عند ذلك حاشداً

فقلنا: جميع نحن غير غلام

فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا

يوقيه حر الشمس ظل غمام

فلما رآه مقبلاً نحو داره

الى نحره والصدر أي ضمام

حتى رأسه شبه السجود وضممه

بحيرا من الأعلام وسط خيام

وأقبل رهط يطلبون الذي رأى

وكانوا ذوي دهي معاً وغرام

فثار اليهم خيفة لغرامهم

زبير، وكل القوم غير كاهم

دريس وتمام وقد كان فيهم

فردهم عنه بحسن خصام

فجاؤوا وقد هموا بقتل محمد

وقال لهم: ما أنتم بطعام

بتأويله التوراة حتى تفرقوا

وليس نهاراً واضح كظلام)

فذلك من اعلامه وبيانه

أورد في هذه الابيات بياناً لهذه الحادثة التي اوردها كتب السير والتاريخ تؤكد معرفة أبي طالب بشأن ابن أخيه، وما قاله الراهب لم يزد أبا طالب ايمانا فحسب، وانما زاده خوفا على ابن أخيه، فأثر الرجوع به الى مكة لهذا السبب، ويبدو من هذه التفاصيل التي اخذها اهل السير والتاريخ من هذا النص الشعري انهم قد زادوا فيها ليقربوها من الجذر التاريخي وليس الشعري.

ويفصح النص ان أبا طالب يتمتع بعقلية عميقة باسرار نبوة ابن أخيه، ويكشف البيت الاخير عن

اليقين الحقيقي لشخصيته المليئة بالايمان.

إنَّ ما زاد أبو طالب في الوصاية والحرص على ابن أخيه هو ما رآه ومن معه في ظل الغمام له،

وميل الشجرة بظلها عليه

(61)، فبلغت عناية أبي طالب بابن أخيه ورعايته له انه كان يصحبه معه في فراشه خوفا عليه، ويمضي ليله ساهرا لنلا يقتله احد(62)، وهكذا «شب رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومعابها.(63)»

وفي اثناء رعاية أبي طالب للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان يعرف مخايل نبوته، وامارات

بركته، فعلى الرغم من ان أبا طالب كان مقلا في المال غمرته بركة ابن أخيه، فمما يذكر انه اذا اكل

عياله فرادى، أو جميعا لم يشبعوا واذا ضمت المائدة النبي(صلى الله عليه وآله)، فانهم يقومون منها

وهم شبعى، وفي الطعام فضل

ة، فكان أبو طالب اذا حضر وقت الطعام يبدأ بابن أخيه ليشرب اللبن من القعب، ثم يسقي اولاده من القعب الواحد جميعهم، فيقول له: انه لمبارك. (64)

إنَّ أبا طالب له علم بنبوة الانبياء ويدرك ما تمر به نبوتهم من مراحل وظهور امارات، وما يظهر من

بركة ابن أخيه، هو من امارات النبوة، وقد

أقر بهذا ايمانا قلبياً، وفعلاً عملياً، وقولاً يقينياً.

ومن الإرهاصات التي سبقت الدعوة الاسلامية للنبي(صلى الله عليه وآله) نبع الماء من الارض لعمه

أبي طالب فقد ذكر ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان مع عمه أبي طالب بذى المجاز وقد عطش أبو

طالب وليس ثمة ما يطفئ لهيب عطشه، فذكر ما ألم به من عطش الى ابن أخيه، فأهوى النبي

(صلى الله عليه وآله) بعقبه الى الارض فتدفق الماء منها، وناول عمه الماء فشرب)

(65).

ولولا ايمان أبي طالب بنبوة ابن أخيه لما طلب منه ما يعجز الحصول عليه، ولهذا كله كان أبو طالب

يشاهد ارهاصات النبوة التي تصدر من ابن أخيه منذ صغره، وانه كان مؤمنا به نبيا مرسلًا، فهو

مؤمن به قبل بعثته، ولهذا يطلب منه أن يدعو الله له بالشفاء عندما كان مريضاً فدعا النبي(صلى الله

عليه وآله) له فشفي وقام نشطا معافى)

(66)، والمتأمل لهذا الامارات واضرابها قبل مبعث النبي يتبين له عمق عقيدة أبي طالب بابن أخيه قبل ان يبعث رسولاً.

ومما يدل على ايمان أبي طالب برسالة ابن أخيه عارفاً بمقامه، الخطبة التي ألقاها عند تزويج السيدة

خديجة (رضي الله عنها) عندما طلب النبي (صلى الله عليه وآله) من عمه أبي طالب أن يعقد على

لسانه رباطه المقدس معها، فقال أبو طالب خاطباً: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية

إسماعيل وجعل لنا بيتاً

محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يُوزن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قلّ فإن المال رزق حائل وظلّ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة وصادق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع. (67)»

وتكشف الخطبة عن التوجه الديني، فأبو طالب وابن أخيه من ذرية خليل الله إبراهيم (عليه السلام)

وعلى منهج التوحيد في اتباع دين الله الحنيف، وأوماً أبو طالب الى بيان قدسية بيت الله الحرام

وتعظيمه فهو رمز للعبادة وكان من فضل الله على قريش انه جعل الرئاسة بأيديهم، والتمس أبو طالب

السمو في اخلاق ابن أخيه محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو لا يساويه أحد من شباب قريش في البر

والفضل والحزم والرأي والنبيل والمجد فافصح أبو طالب من أعماق بصيرته عن الإشادة بالمعايير

الاخلاقية لابن أخيه، وكشف عن قدرته الواعية وإيمانه بهذه القيم التي ستعتمدها الرسالة المحمدية

بوصفها منهجاً اخلاقياً للرجل الذي اصطفاه الله قائداً للامة في المستقبل، وهو يقسم ان له «خطباً

عظيماً ونبأ شائعاً»، وهذا ما اكدته بشارات اهل الكتاب: الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى،

وما تحدث به الكهان من العرب ب

أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل مبعثه لما تقارب زمانه. (68)

ومن بين الادلة التي تحكي ايمان أبي طالب وتصديقه دعوة ابن أخيه ما حكى أن رسول الله

(صلى الله عليه وآله) «قال يوماً لعمه أبي طالب اني ارى في المنام رجلاً يأتييني معه رجلان فيقولان: هو هو، وإذا بلغ فشأتك به والرجل لا يتكلم، فوصف أبو طالب مقالته هذه لبعض اهل العلم، فلما نظر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: هذه الروح الطيبة، هذا والله النبي المنتظر؟

فقال أبو طالب: فاكتم على ابن اخي ولا تغري به قومه، فوالله ان قلت ما

قلت، لعلّي ما قلت، ولقد انبأني عبد المطلب انه النبي المبعوث، وأمرني أن استر ذلك كيلاً تُغرى به

الاعادي. (69)»

ومن هذه المداليل اتخذ أبو طالب قراراً عقلانياً يتناسب مع وعيه الديني في التفكير الموضوعي في

حزم امره، وقوة ارادته ومجاهدة نفسه لمواصلة المسيرة في الوقوف بجانب ابن أخيه ومساندته

ومؤازرته وحمايته ومواجهة اعداء الرسالة في مجتمع تسوده النزعات والزعامات واختلاف الاديان.

فلما بعث ابن أخيه نبيا ورسولا وداعيا الى الخير ومبشرا ونذيرا لهداية الناس الى دين الحق، ونبذ العبادات من دون الله، كانت الدعوة في بدايتها سرية لمدة ثلاث سنين من مبعثه الشريف ثم امره الله ان يصدع بما جاء به، وان ينادي الناس ب

أمره(70)، وكان الامر موجهاً أولاً الى عشيرته الاقربين.(71) فكان لأبي طالب الاثر البارز في ارساء دعائم قيادة الايمان في الاجتماع الذي دعا اليه الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي عين فيه علي بن أبي طالب وصيه وخليفته من بعده، فنهض القوم وهم يقولون: «قد

أمرك ان تسمع لابنك وتطيع(72)»، فقال أبو طالب مخاطبا النبي(صلى الله عليه وآله) يسكن جأشه ويطلب منه اظهار دعوته: {من البسيط}

لا يَمْنَعُكَ مِنْ حَقِّ تَقْوَمَ بِهِ فِدْوَنَ نَفْسِكَ
إِبْرَاقُ أَيْدٍ وَلَا إِرْعَادُ أَصْوَاتِ
نَفْسِي مُتَنَبِّ
وَدُونَ كَفَّكَ كَفِي فِي الْمَلَمَّاتِ

(73)

ان ما يدل على ايمان أبي طالب وانعقاد قلبه بالاسلام تشجيعة لابن أخيه (صلى الله عليه وآله) في دعوته، وفداء نفسه دونه، ومعاضدته في معانقة كفه بكف النبي، وادل من ذلك ترغيب اولاده علي وجعفر لموازرة ابن عمهما محمد (صلى الله عليه وآله)، فذكر انه «قال لعلي: أي بُني، ما هذا الدين الذي انت عليه؟ فقال: يا ابتِ آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصلّيت معه لله

واتبعته... قال {أبو طالب} له: اما إنه لم يُدْعِك إِلَّا الى خَيْرٍ فالزُمه)»

(74) وانشد:
{من الكامل}

إِنَّ الوثِيقَةَ فِي لَزُومِ مُحَمَّدٍ
فَاشْدُدْ بِصَحْبَتِهِ عَلَيَّ يَدَيَاكَ

(75)

و

أمر أبو طالب ابنه جعفر أن يصلي مع النبي عندما كانا مارين في طريقهما ورأى النبي (صلى الله عليه وآله) وعلياً (عليه السلام) يصليان، فقال أبو طالب لجعفر «صل جناح ابن عمك، فجاء جعفر فصلّى مع النبي (صلى الله عليه وآله) فلما قضى صلاته قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا جعفر وصلت جناح ابن عمك إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة(76)»، فانشد أبوطالب مسروراً: {من المنسرح}

عند احتدام الأمور والكرب	إن علياً وجعفرأ ثقتي
أخي ابن أُمي من بينهم وأبي	لا تخذلاً وانصراً ابن عمكما
....
يخذله من بني ذو حَسَب	والله لا اخذلُ النبي ولا
....
نضربُ عنه الاعداء كالشُّهْبِ)	نحنُ وهذا النبي أُسْرَتُهُ

(٧٧)

ويحض أبو طالب أخاه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) على اتباع دين رسول الله (صلى الله عليه وآله) والصبر على طاعته، والثبات على دينه:

{من الطويل}

وكنُ مُظهِراً وفقتَ صابراً	اصبرُ ابا يعل
بصدقٍ وحقٍّ لا تكنَ حمزاً كافراً	ي على دينِ احمدٍ وخطُ من أتى بالدينِ من عندِ ربِّه
فكنُ لرسولِ الله في الله ناصراً	فقد سرّني أن قلتَ إنك مُسلمٌ
جهاراً وقُل:	وبادِ قريشاً بالذي قد أتيتُهُ

ما كان احمدُ ساحراً (٧٨)

فليس أدل على ايمان أبي طالب من حثه ولديه: علياً وجعفرأ

(عليهما السلام) على موازرة ابن عمهما والصلاة معه، وحث أخيه حمزة على اتباع دين النبي، وسروره باسلامه، ثم تصريحه بنبوة ابن أخيه «لا اخذلُ النبي»، «وهذا النبي»، وهو وجود بنفسه دونه تارة، وتصريحه بلفظ رسول الله «فكن لرسول الله في الله ناصراً» «طالباً من أخيه حمزة نصره ابن أخيه ودينه تارة اخرى.

سبق ان قلنا ان النبي (صلى الله عليه وآله) انذر عشيرته الاقربين بعد تعيين ابن عمه علي بن أبي

طالب اميراً ووصياً)

(79)، وبعد صعود النبي جبل الصفا واعلانه امام الملائكة للنبا العظيم(80)، فاحيطت قريش باخبار النبي ورسالته.

ساعدت هذه الاحداث الجديدة على نشوء مرحلة جديدة في مواجهة مشركي قريش، فوقف أبو طالب في صدارة هذه المواجهة؛ لاثبات دعائم الاسلام في المرحلة العلنية للدعوة، فكان يستقبل وفود بطون

قريش، ويسمع لمطالبهم، وينقل رد النبي محمد(صلى الله عليه وآله) اليهم برفق وكلام جميل)

(81)، ثم يهون الامر على ابن أخيه قائلا: «امض على امرك وافعل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابداء» (82) ثم قال ابوطالب:

{من الكامل}

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
امض لامرك ما عليك غضاضة	أبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح	فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بانه	من خير اديان البرية ديننا
لولا الملامة أو أحاذر سبة	لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً (٨٣)

في هذا الشعر دليل على تصديق أبي طالب بالرسول واقاراره بان دينه «خير اديان البرية» واعترافه

بانه «ناصر» وقوله «صدقت»، وبما اجابه وامره «امض ل

أمرك ما عليك غضاضة»، المستمدة من دلالة ألفاظ التعبير القرآني «فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ (84)»، وهذا اوضح شاهد على ايمانه برسول الله (صلى الله عليه وآله) التي بينتها ألفاظ شعره. والبيت الاخير يوضح أن أبا طالب لم يصرح ب

إيمانه خوف الملامة والسببة، وإلا لصار إسلامه ظاهراً بيئاً. وقد علل الشيخ المفيد ذلك بقوله: «إنَّ أبا طالب رحمه الله لم يمتنع من الايمان برسول الله (صلى الله عليه وآله) في الباطن والإقرار بحقه من طريق الديانة، وانما امتنع من اظهار ذلك لنلا تسفهه قريش وتذهب رئاسته ويخرج منها من كان متبعاً له عن طاعته وتخرق هيئته عندهم فلا يسمع له قول ولا يمثل له امر، فيحول ذلك بينه وبين مراده من نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يتمكن من عرضه في الذب عنه فاستتر الايمان واظهر منه ما كان يمكنه اظهاره على وجه الاستصلاح ليصل بذلك الى بناء الاسلام وقوام الدعوة، واستقامة امر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان في ذلك كمؤمني اهل الكهف الذين ابطنوا الايمان واظهروا ضدهم للتقية والاستصلاح فأثامهم الله اجرهم مرتين، والدليل على ما ذكرناه في امر أبي طالب رحمه الله قوله في هذا الشعر بعينه :

ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

فشهد بصدقه واعترف بنبوته وافر بنصحه وهذا محض الايمان) »

(85)، فهو يعلن ايمانه عندما يخاطب الرسول الكريم، ويخفي ايمانه عندما يخاطب رؤوس الشرك، وكان هذا الامر في بداية الدعوة الاسلامية.

وهكذا منع الله من قريش رسوله بعمه أبي طالب، واخذ أبو طالب على نفسه ارساء التأييد والحماية من بني هاشم وبني عبد المطلب، واعلان هذين البطنين حمايتهما لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فحين «رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني عبدالمطلب، دعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والقيام دونه، فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوا الى ما دعاهم اليه

من دفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ما كان من أبي

لهب وهو يحرض بني هاشم (86) «فقال أبو طالب :
{من السريع}

يا هاشماً والقومُ في جَحْفَلِ	حَتَّى مَتَى نَحْنُ عَلَى فِتْرَةٍ
مَنَّا لَدَى الْخَوْفِ وَفِي مَعْرَلِ	تَدْعُونَ بِالْخَيْلِ عَلَى رَقَبَةٍ
سُرْعَانَهَا فِي سَبَبِ مُجْهَلِ	كَالرَّجُلَةِ السَّوْدَاءِ تَغْلُو بِهَا
مِثْلَ الْقَطَا الْقَارِبِ لِلْمَنْهَلِ	عَلَيْهِمُ التَّرْكُ عَلَى رَعْلَةٍ
بِكَلِّ مِقْصَالٍ عَلَى مُسْبِلِ	يَا قَوْمُ دُودُوا عَن جَمَاهِيرِكُمْ
مَارِثُ الْإِفْضَلِ لِلْإِفْضَلِ	حَدِيدِ خَمْسٍ لَهْزِ خُدَّةِ
يُصَانُ بِالتَّنْذِيقِ فِي مَجْدَلِ	عَرِيضُ سَتِّ لَهَبٍ خَصْرَهُ
عِنْدَ الْوَعْيِ فِي عَثِيرِ الْقَسَطَلِ	كَمْ قَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي فِتْيَةٍ
وَفِي هِيَاجِ الْحَرْبِ كَالْأَشْبَلِ (٨٧)	لَا مُتَنَحِّينَ إِذَا جَنَّتَهُمْ

«فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى ان قد امتنع بهم وأن قريشاً لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعداوة ونصب لهم الحرب) »

(88)فأنشد:
{من المتقارب}

بَبِيضٍ تَلَأَلَا لَمْعُ الْبُرُوقِ	مَنْعَنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِيكِ
جِدَارَ الْوَتَائِرِ وَالْخُنْفَقِيكِ	بِضَرْبِ يَدَيْهِ دُونَ النَّهَابِ
حِمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفَقِيكِ	أَدَبٌ وَاحِمِي رَسُولَ الْمَلِيكِ
دَبِيبِ الْبِكَارِ جِدَارَ الْفَنَاقِيكِ	وَمَا أَنْ أَدَبٌ لِأَعْدَانِهِ
كَمَا زَارَ لَيْثٌ بَغِيلَ مَضْيِقِ	وَلَكِنْ أَزِيرُ لَهُمْ سَامَتاً

(٨٩)

والمتمامل لشعر أبي طالب في حث بن

ي هاشم وعبد المطلب على نصره رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلان حمايته له، والدود عنه، وتصريحه بلفظ «رسول المليك» يجد أن هذه مداليل كلها تنص على ايمان أبي طالب بما جاء به ابن أخيه من الحق تبارك وتعالى، فالقطعة القافية كفيلة بصحة اسلام أبي طالب فذكر ان الخليفة المأمون العباسي حين سمعها قال: «اسلم أبو طالب والله بقوله... {الابيات. (90) } » وكان أبو طالب في غاية الحنو فيما يحامي به رسول الله (صلى الله عليه وآله) واصحابه كما يتبين ذلك في صنائعه وسجاياه، فقد تألب الملا من قريش على رسول الله واصحابه، واجتمعوا بعمه أبي

طالب و عرضوا عليه عمارة بن الوليد بن المغيرة ان يكون ابنا له ويترك ابن أخيه محمدا لهم،

ليقتلوه بعد شكواهم منه بانه سفه احلامهم وسب

ألتهتهم.(91)

فقال أبو طالب «والله بنس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغدوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون ابدا... فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك،... فحقب

الأمر، وحميت الحرب، وتناذب القوم، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك

- يعرض بالمطعم بن عدي - ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سأله، وما تباعد من أمرهم:(92) »
{من الطويل }

يُرْشُ عَلَى السَّاقِيْنَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ

إِذَا مَا عَلَا الْفِيَاءَ تَحْسِبُهُ وَبَسْرُ

إِذَا سُنَّلا قَالَا: إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ

كَمَا رُجِمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِي الْفَلْقِ الصَّخْرُ

فَقَدْ أَصْبَحَتْ كَفَّاهَا وَهِيَ صَفْرُ

هُمَا نَبْدَانَا مِثْلَمَا يُنْبَدُ الْجَمْرُ

يُحَادِرُنَا مَا دَامَ مِنْ نَسَلِنَا شَفْرُ

مَنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَ لَهُ نِكْرُ

إِلَى عُلْجَةٍ زَرْقَاءَ جَاشَ بِهَا الْبَحْرُ

وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا ابْتُغِيَ النَّصْرُ

وَكَانُوا كَجَفْرِ شَرُّ مَا ضَعَطَتْ جَفْرُ

أَلَا لَيْتَ

حَظِّي مِنْ حِيَاطَتِكُمْ بَكْرُ
مَنْ الْجَوْنُ حَبَابَ كَثِيرٍ رِغَاوُهُ

تَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأَمْنَا

بَلَى لِهَمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَرَجَّمَا

هُمَا عَمَزَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوَيْهِمَا

أَخْصُ خُصُوصاً عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوقِلاً

فَأَقْسَمْتُ لَا يَنْفُكُ مِنْكُمْ مُحَاذِرُ

هُمَا أَشْرَكَمَا فِي الْمَجْدِ مِنْ لَا كُفَى بِهِ

وَلِيداً أَبَوْهُ كَانَ عَبْدًا لَجِدْنَا وَتَيْمٌ وَمَخْرُومٌ

وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ

فَقَدْ سَفَهْتُ أَحْلَامَهُمْ وَعَقُولَهُمْ

(٩٣)

وعندما رأى أبو طالب من بني هاشم وعبد المطلب من جدهم معه، و

أجابوه الى ما دعاهم اليه مدحهم وذكر قديم فضائلهم، وما وقفوا من الحذب والنصرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وذكر فضله فيهم، ومكاتبته منهم، ليشد بهم رأيهم فيه، وليحدبوا معه على امره(94)، فقال أبو طالب مادحا ومفاخرًا :

{من الطويل }

فَعَبْدُ مَنْأَفِ سِرِّهَا وَصَمِيمُهَا	إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قَرِيشٌ لِمَفْخِرٍ
فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا	وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ كُلِّ قَبِيلَةٍ
هُوَ الْمَصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا	وَإِنْ فَخَرْتُ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا
عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حَلُومُهَا	تَدَاعَتْ قَرِيشٌ عَثُّهَا وَسَمِيمُهَا
إِذَا مَا تَنَوَّا صُعَرَ الْخُدُودِ نَقِيمُهَا	وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُفِرُّ ظُلَامَةً
وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مِنْ يَرُومُهَا	وَنَحْمِي حَمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ
بِأَكْنَفِنَا تَنْدَى وَتَنْمِي أَرُومُهَا	بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الدَّوِيُّ وَإِنَّمَا
لَهُمْ صَرْمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ قُرُومُهَا	هَمُّ السَّادَةِ الْإِعْلُونَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَيُكْرِمُهُمْ مَلَأَرْضٍ عِنْدِي اِدِيمُهَا)	يَدِينُ لَهُمْ كُلُّ الْبَرِيَّةِ طَاعَةً

(٩٥)

وفي يوم طرقت مسامع أبي طالب خير مقتل النبي (صلى الله عليه وآله)، فعزم على قتل سادات قريش، فلما حضر النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، أعلن أبو طالب تفاصيل خطته، فوقف «على اندية قريش، ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبون، فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم احد حتى نتفانى نحن وانتم، فانكسر القوم)»

(96، فأنشد:

{من المتقارب}

فَأَتَى وَمَنْ حَجَّ مِنْ رَاكِبٍ	وَكَعْبَةَ مَكَّةَ ذَاتِ الْحُجُبِ
تَنَالُونَ أَحْمَدًا أَوْ تُصْطَلُوا	ظُبَابَةَ الرَّمَاحِ وَحَدَّ الْقُصْبِ
وَتَعْتَرِفُوا بَيْنَ أَبْيَاتِكُمْ	صُدُورَ الْعَوَالِي وَخَيْلًا غُصَبِ
إِذِ الْخَيْلُ تَمْرَعُ فِي جَرِيهَا	بَسِيرِ الْعَنِيقِ وَحَثِّ الْخَبَبِ

....

....

هم الأنجبون مع المنتجب (٩٧)

عليها رجال بني هاشم

ولما مضى أبو طالب على

أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) اجتمعت قريش على عدوانه وخلافه، فبث أبو طالب مما طوته نفسه من الاحزان في اخر الليل بما يحلم به مشركو قريش من قتل النبي سفاهة وجهالة

وظلما(98)، فتو عدهم بالحرب، وبذل نفسه وقومه دون النبي على آخرهم، ونصرته وموازرتة والدفاع عنه
فقال:

{من الطويل}

يُرْجَوْنَ أَنْ نَسْخِيَ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ	وَلَمْ تَحْتَضِبْ سُمُرَ الْعَوَالِي مِنَ الدَّمِ
يُرْجَوْنَ مَنَا خُطَّةً دُونَ نَيْلِهَا	ضِرَابٍ وَطَعْنَ بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ
كَذِبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ حَتَّى تَعْرِفُوا	جَمَاعِمَ تُقْفَى بِالْحَطِيمِ وَرَمَزِمِ
وَتُقَطَّعَ أَرْحَامٌ وَتُنْسَى حَلِيلَةٌ	حَلِيلًا وَيُعْشَى مُحْرَمٌ بَعْدَ مُحْرَمِ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ الْيَكْمِ	يَذُودُونَ عَنْ
فِيَا لِبَنِي فَهْرٍ أَفِيقُوا وَلَمْ تَقُمْ	أَحْسَابِهِمْ كُلَّ مُجْرِمِ
عَلَى مَا	نَوَاحٍ قَتَلَى تَدْعِي بِالتَّنَائِدِ
مَضَى مِنْ بُغْضِكُمْ وَعُقُوبِكُمْ	وَعُشْيَانِكُمْ فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ مَأْتِمِ
وَوَظَلَّمَ نَبِيًّا جَاءَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى	وَأَمْرٍ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ قِيمِ
فَلَا تَحْسَبُونَا مُسْلِمِيهِ وَمِثْلُهُ	إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ فَلَيْسَ بِمُسْلِمِ
فَهْذِي مُعَادِيرُ وَتَقْدِمَةٌ لَكُمْ	لِكَيْلَا يَكُونَ الْحَرْبُ قَبْلَ التَّقْدِمِ (٩٩)

إنَّ جَدَّ أَبِي طَالِبٍ دُونَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمَوَازِرْتَهُ وَنَصْرَتَهُ وَحَمَايَتَهُ لَهُ، وَالْإِعْتِرَافَ

بِنُبُوَّتِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنَ الْهُدَى، وَشَهَادَتَهُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ يَصْرَحُ:

«وَوَظَلَّمَ نَبِيًّا جَاءَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى وَأَمْرٍ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ قِيمِ»

وَهَذَا الْقَوْلُ دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلَى

إِيمَانِهِ.

وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الَّتِي يَتَبَيَّنُ مِنْهَا حُنُوُّ أَبِي طَالِبٍ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَحُبِّهِ لَهُ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ، وَتَفْدِيَتِهِ بِنَفْسِهِ، وَتَصَدِيقِهِ بِهِ فِيمَا يَرُوى أَنَّ قَرِيْشًا لَمَّا رَأَتْ أَنَّ رَسُوْلَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا يَعْجَبُ بِمَعَارَضَتِهِمْ آيَاهُ، انْكَرُوا عَلَيْهِ عَيْبَهُ لِأَلِهَتِهِمْ، فَطَفِقَ الْمُشْرِكُونَ يَضْطَهَدُونَهُ، وَمَنْ يُوَازِرُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانُوا يُوَكِّلُونَ بِهِ صَبِيَّاتِهِمْ وَعَبِيدَهُمْ، فَيَلْقَوْنَهُ بِمَا لَا يَجِبُ، وَمَنْ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ حَمَلَ السُّلَى وَالْفَرثَ وَوَضَعَهُ عَلَى كَتْفِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَظَهَرَهُ، وَهُوَ سَاجِدٌ يَصْلِي، فَاتَّصَرَفَ رَسُوْلُ اللَّهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ شَاكِيًا لَهُ بِالْأَمْرِ، فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ غَاضِبًا لِابْنِ أَخِيهِ (100)، وَمَهْدِدًا سَادَاتِ قَرِيْشٍ مِنَ الْمَشْرِكِينَ قَائِلًا: «وَرَبُّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ لَا يَقُوْمُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا جَلَلْتَهُ بِالسِّيفِ... ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ سَأَلْتَنِي مَنْ أَنْتَ، ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ: يَوْمِيءَ بِيَدِهِ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ }

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

قَرْمٌ اعَزَّ مُسْوَدٌ

لِمُسَوِّدِينَ أَكَارِمِ

طَابُوا وَطَابَ الْمَوْلُدُ

...

...

أَتَى تَضَامٌ وَلَمْ أُمَّتٌ وَأَنَا الشَّجَاعُ الْعَرِيدُ
وَبطاح مكة لا يرى فيها نجيع أسود
وبنو ابيك كأنهم أسد العرين توقد
ولقد عهدتكَ صادقاً في القول لا تتزيّد
ما زلتَ تنطقُ بالصّوا ب وأنتَ طفلٌ امرؤ

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي(صلى الله عليه وآله) الى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر فدعا أبو طالب فوجأ انفه حتى ادماه، ثم امر بالفرث، والدم، فأمر على رؤوس الملائم، ثم قال: يا ابن اخ أرضيت؟. ثم قال: سألتني من انت؟ انت محمد بن عبد الله... انت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفونني) »

101).

إن لجوء النبي محمد(صلى الله عليه وآله) الى عمه أبي طالب ؛ لانه هو الحامي والمؤازر والناصر له ولدينه، وهذا ما يتبين من غضبه وصولته وحميته لنبي الله ولدينه، فأشاد «انت النبي محمد» وبين عراقة ارومته، وهو يتصدى لسادات الشرك، فلا يردعه رادع عن الحق شيئاً قائلًا «أنى تضام ولم أمت»، فهو المتصدي لكل ما تتعرض له الرسالة، كما نلمح في النص سطوة أبي طالب وسيادته، وعظم قدره، وجلالة مكانته في قريش، لذلك لم يجرو أحد من قريش على مواجهته وهكذا اعز الله الاسلام ورسوله بناصر الدين أبي طالب .

ولما كان أبو طالب المجير لنبي الله، فهو مجير من اسلم من أصحاب النبي أيضاً، فكان ممن دخل في

جواره عثمان بن مظعون)

102)وابو سلمة بن عبد الاسد.(103)

فأما اجارة أبي طالب لعثمان بن مظعون فكانت بسبب إباء عثمان اجارة الوليد بن المغيرة، لما رأى ما في المسلمين من البلاء، وهو يروح ويغدو في امان الوليد، فردّ عليه جواره، وحدثت مشاجرة بعد

ذلك بينه وبين احد قريش، فلطمه في عينه، ف

أصابها(104)، فغضب أبو طالب لعثمان وقال:
{من البسيط }

أصبحت مُكتنباً تبكي كَمَحزُونٍ؟
يَعْشَوْنَ بِالظلمِ من يدعو الى الدِّينِ؟
والعُذْرُ فيهم سبيلٌ غير

مأمون
إِنَّا غَضَبْنَا لِعِثْمَانَ بنِ مَظْعُونِ؟
طَغْنَا دِرَاكاً وَضَرْباً غيرَ مَرهُونِ
كَيْلاً بِكَيْلِ جِزَاءٍ غيرِ مَغْبُونِ
فيه وَيَرْضَوْنَ مَنَّا بَعْدَ البُدُونِ
بِكُلِّ مُطْرَدٍ فِي الكَفِّ مَسْنُونِ
يُشْفَى بِهَا الدَّاءُ من هَامِ المَجَانِينِ
بَعْدَ الصَّعُوبَةِ بِالإِسْمَاحِ وَالثَّنِينِ
عَلَى نَبِيِّ كَمُوسَى او كَذِي الثَّنُونِ
كَمَا تَبَيَّنَ فِي آيَاتِ يَاسِينِ (١٠٥)

أَمِنْ تَذَكَّرِ دَهْرٍ غيرِ مَأمُونِ
أَمْ مِنْ تَذَكَّرِ اقْوَامٍ ذَوِي سَفَهٍ
لَا يَنْتَهُونَ عَنِ الفَحْشَاءِ مَا أَمَرُوا
أَلَا يَرُونَ - أَذَلَّ اللهُ جَمْعَهُمْ
أَذْ يَلْطَمُونَ - وَلَا يَخْشَوْنَ - مُقَلَّتَهُ
فَسَوْفَ نَجْزِيهِمْ - إِنْ لَمْ يَمُتْ - عَجْلاً
او يَنْتَهُونَ عَنِ الأَمْرِ الَّذِي وَقَفُوا
وَنَمْنَعُ الضَّيْمَ مِنْ يَبْغِي مَضَامِنَنَا
وَمَرْهَفَاتِ كَأَنَّ المَلْحَ خَالِطَهَا
حَتَّى تُقَرَّ رِجَالٌ لَا حُلُومَ لَهَا
او يُؤْمِنُوا بِكِتَابِ مُنْزَلِ عَجَبٍ
يَأْتِي بِأَمْرِ جَلِيٍّ غيرِ ذِي عَوْجٍ

إنَّ من إِمَارَاتِ صِحَّةِ إِيْمَانِ سَيِّدِ البِطْحَاءِ أَبِي طَالِبٍ مَنَعَهُ لِلضَّيْمِ الَّذِي أَصَابَ عِثْمَانَ بنِ مَظْعُونِ
الصَّحَابِي فِسْرَتَهَا إِبْيَاتَهُ الشَّعْرِيَّةَ فِي اسْتِذْكَارِهِ ظَلَمَ مُشْرِكِي قَرِيشٍ فِي الحَاقِقِ الأَذَى بِهِ، وَالى مِنْ
يَدْعُو إِلَى الدِّينِ الجَدِيدِ وإِيْمَانِ أَبِي طَالِبٍ بِالأَنْبِيَاءِ وَالرَّسْلِ وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الهُدَى وَمِنْهُمْ النَّبِيِّينَ:
مُوسَى وَذِي النُّونِ ٨ وَبِمَا أُنْزِلَ مِنَ القُرْآنِ المَجِيدِ مِنَ الاسْتِقَامَةِ الَّتِي بَيَّنَّتْهَا آيَاتُ يَاسِينِ وَبِمَا اسْتَمَدَهُ
مِنَ التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ مِنَ لَفْظٍ وَدَلَالَةٍ وَضَمْنِهَا فِي شِعْرِهِ نَحْوَ قَوْلِ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى «... إِنَّا سَمِعْنَا
قُرْآنًا عَجَبًا»

(106)، وَقَوْلُهُ «قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ (107)»... الَّتِي تَقْرَعُ أَسْمَاعَ المُسْلِمِينَ لِكَيْ يَزِدَادُوا هُدًى وَغَيْرِ
المُسْلِمِينَ لِيَهْتَدُوا إِلَى الحَقِّ فَهَذِهِ مَدَالِيلُ كُلِّهَا عَلَى صِحَّةِ عَقِيدَةِ أَبِي طَالِبٍ .
وَعِنْدَمَا رَأَى أَبُو سَلْمَةَ عَبْدَ اللهِ المَخْزُومِي تَعْدِيْبَ مُشْرِكِي قَرِيشٍ وَمَا أَرَادُوا أَنْ يَفْتَنُوهُ عَنِ دِينِهِ، فَلَمْ
يَرْمِزْ لَهُ سِوَى خَالَهِ أَبِي طَالِبٍ يَسْتَجِيرُ بِهِ، فَمَشَى إِلَيْهِ نَفْرًا مِنْ رِجَالِ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالَ لَهُمْ:
«يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ مِنَّا ابْنَ أُخِيكَ مُحَمَّدًا، فَمَا لَكَ وَلصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ مِنَّا؟ قَالَ: إِنَّهُ اسْتَجَارَ بِي، وَهُوَ
ابْنُ أُخْتِي، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْنَعِ ابْنَ أُخْتِي لَمْ أَمْنَعِ ابْنَ أُخِي »

(108). وَهَكَذَا كَانَ عَمِيدُ بَنِي هَاشِمٍ وَعَبْدُ المَطْلَبِ وَوَلِيًّا وَنَاصِرًا لِرَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِهِ.

إزاء تعذيب المشركين للمسلمين واضطهادهم كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحث أصحابه الصبر على تحمل الأذى ورباطة الجأش على الصمود حتى يأذن الله بنصره، وقد أذن الرسول لأتباعه بالهجرة الى الحبشة، لتوافر الامن والحماية لهم في ظل ملك الحبشة وايد أبو طالب رأي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسانده، فبعث ابياتا شعرية لنجاشي الحبشة يحثه على اكرام المهاجرين المضطهدين والدفاع عنهم(109)، فقال :

{من الطويل }

ولا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ	وزيدٌ واعداءُ العدا والأقاربُ
وهل نال معروفُ النجاشيَّ جعفرًا	وأصحابه أمْ غاله عنه شاغِبٌ
تَعَلَّمْ بأنَّ الله زادك بسطةً	وأَسبابَ خيرٍ كُلتها بك لا زِبُ
وأَنَّكَ سَيِّبٌ	يعشُّ بجدواك الطريدُ المصاقِبُ
وَأَنَّكَ عَزٌّ - والملوكُ أدلَّةٌ -	كريمٌ فلا يشقى لَدَيْكَ المُجانِبُ

(١١٠)

وما كان أبو طالب يطلب من النجاشي هذا الامر إلا لانه ذو سمعة وشرف ومكانة

ة يعلم بها النجاشي، وعندما وصلت هذه الابيات الى النجاشي احسن جوار المهاجرين، واجاد في ضيافتهم، مما اغرى أبا طالب ان يبعث برسالة اخرى يدعو فيها النجاشي الى الدخول في الدين الاسلامي الذي جاء به رسول الهدى فقال:

{من الطويل}

تَعَلَّمْ مَلِيكَ الحَبَشِ أَنْ مُحَمَّدًا	وَزَيْرٌ كَموسى وَالْمَسِيحِ بْنِ مَرِيَمِ
أَتَى بِهِدَى مِثْلَ الَّذِي أَتَى بِهِ	فَكُلُّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ
وَإِنكُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ	بِصَدَقِ حَدِيثٍ لَا حَدِيثِ التَّرْجُمِ
وَإِنَّكَ مَا يَأْتِيكَ مَنَّا عَصَابَةٌ	لِفَضْلِكَ أَلَا أَرْجِعُوا بِالتَّكْرُمِ
بَذَلْتُمْ لَهُمْ عُرْفًا وَلَمْ تَبِغْ عَنْهُمْ	فَنَلْتُمْ بِهَا حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْئَلُ	فَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظَلِّ

م (١١١)

موا

ولا يخفى أن ما يصدر من شيخ البطحاء أبي طالب من النصرة لنبي الله، واطهار دينه في دعوة النجاشي الى التوحيد، وحماية اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعلمه برسالات السماء وما نزل فيها مداليل كلها على ايمان أبي طالب بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالاسلام ديناً، وأن شعر أبي طالب كان له اثره البالغ في نفس النجاشي، فاسلم على اثره، وحسن اسلامه)

(112)، وبعد فشل مشركي قريش في اطفاء نور الاسلام، ثارت حفيظتهم حقدا ونارا ضد الدعوة وصاحبها، فاجتمع رؤوساء الشرك وعزموا رأيهم ان لم يخل أبو طالب بين قريش وابن أخيه، فعلى بطون قريش ان تقاطع بني هاشم وبني عبد المطلب، ولما كان أبو طالب مؤمنا بدعوة ابن أخيه، فإنه لم يستجب لمطالبهم، ولم يعبا بارانهم، وانما اصرَّ على اعلان حمايته بنفسه، فلما رأت قريش رد أبي طالب، وأن اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نزلوا الحبيشة واصابوا بها امناً وسلاماً وقراراً في ظل ملكها النجاشي، وفضى الاسلام في القبائل، تحالفوا على مقاطعة بني هاشم في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله (صلى الله عليه وآله).

فجمع أبو طالب قومه من بني هاشم وعبد المطلب، وامرهم ان يدخلوا رسول الله شعبه، وأن يمنعوه

ممن ارادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله ايمانا ويقينا ومنهم من فعله

حمية

(113)، واعلن أبو طالب امام بطون قريش بانها اذا قتلت محمدا فان الهاشميين والمطلبيين سيقاتلون حتى الفناء، وقال يمدح النبي وينذر قومه عاقبة عدوانهم، ويحذرهم الحرب، وقطع صلة الرحم، وبنهاهم عن اتباع السفهاء، ويعلمهم استمراره في موازرة النبي (صلى الله عليه وآله) وينبهم على فضله، ويضرب لهم المثل بناقة صالح، ويذكر امر الصحيفة، فقال :

{من الطويل }

ألا أبلغا عني على ذات بيننا	لؤياً وخصاً من لوي بني كعب
ألم تعلموا أننا وجدنا محمدا	نبياً كموسى خط في اول الك
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب
وإن الذي نمقتم في كتابكم	لكم كائن نحساً كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل ان يحفر الثرى	ويصيح من لم يجن ذنباً كذي الذنب
ولا تتبعوا امر الغواة وتق	أواصرنا بعد المودة والقرب
ا وتستجلبوا حرباً عواناً وربما	أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا - وبيت الله - نسلم احمداً	لعزاء من نكب الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سوائف	وأيد اترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضنك ترى قصد القنا	به والنسور الطهم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته	ومغمعة الأبطال معركة الحرب
أليس ابونا هاشم شد أزره	وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا	ولا نشكي مما نلاقي من النكب
ولكننا أهل الحفاظ والنهي	إذا طار أرواح الكماة من الرعب (١١٤)

طعو

والأبيات افصح من أن نعلق عليها في ايمان سيد بني هاشم وعبد المطلب، فيقين أبي طالب أن محمداً نبياً كموسى خط في اول الكتب، وايمانه بكتاب الله المنزل على نبيه موسى (عليه السلام)، وقوله: «ولا خير ممن خصه الله بالحب» أي بما اختار محمد واصطفاه بالنبوة (صلى الله عليه وآله). وبلغت عناية أبي طالب للنبي وحبه اياه أن يبذل نفسه واولاده واخوته وبني عمه دونه لحمايته وفي سبيل تقويم دينه، فاذا اضطجع ابن أخيه على فراشه، يأمر ابنه علياً ان يأخذ مكانه، خشية على حياة النبي من اعدائه)

(115)، وفي ذلك قال أبو طالب :
{من الخفيف }

لِفِدَاءِ النَّجِيبِ وَابْنِ النَّجِيبِ
قَبِّ وَالْبَاعِ وَالْفَنَاءِ الرَّحِيبِ
فَمُصِيبٍ مِنْهَا وَغَيْرِ مُصِيبِ
أَخَذَ مِنْ سِهَامِهَا بِذُنُوبِ)
قَدِ بَدَلْنَاكَ
- وَالْبَلَاءِ عَسِيرٍ -
لِفِدَاءِ الْأَعْرَ ذِي الْحَسَبِ النَّأِ
إِنْ تُصَبِّكَ الْمَنُونُ فَالْنَبْلُ يُبْرَى
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَمَلَّأَ عَيْشًا

116)

وهكذا استمر الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنين، ودخل الاسلام مرحلة جديدة من الكفاح والامتحان، وحين اشتد العسر والاذى جاء الفرج ودخل النصر الالهي فارسل الله حشرة الارضة على الصحيفة، فاكلت منها ما كتب فيها عدا ما كان فيها اسم الله، وتلقى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هذا النصر والمعجزة الدامغة على صدق نبوته، وتأييد الله له، فاخبر عمه أبا طالب وما حدث للصحيفة الظالمة، وهو لايشك في قوله، فتوجه أبو طالب والنبي وبنو هاشم الى البيت الحرام؛ ليحدثوا مشركي قريش بما أخبر به رب العزة؛ وليؤكدوا لهم بدليل اخر نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) واطلاعه على الغيب، فاجتمع الملائكة من قريش، فقال لهم أبو طالب: «إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله، وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال قد تبين لكم أولى بالظلم والقطيعة فنكسوا رؤوسهم»

(117) فقال أبو طالب في شأن الصحيفة وما فيها من ظلم وقطيعة رحم:
{من الطويل }

وما ذنبُ مَنْ يدعو الى البرِّ والتقى
وقد جرَّبوا فيما مضى غِبَّ أمرهم
وقد كانَ في أمرِ الصحيفةِ عِبْرَةً
محا اللهُ منها كفرَهم وغفوقَهم
فاصبحَ ما قالوا من الإفكِ باطلاً
فامسى ابنُ عبدِ اللهِ فينا مُصدِّقاً
فلا تحسبونا مُسلمينَ محمداً
س
تمنعه منا يدُ هاشميَّة
ألا والذي تَخدي له كلُّ نِصوةٍ
يميناُ صدقنا اللهُ فيها ولم نكنْ
نُفارقُهُ حتَّى نُقتلُ حوله

وإنْ يستطعُ أنْ يرأبَ الشَّعبَ يرأب
وما عالمٌ امراً كَمَنْ لم يُجرَّبِ
متى ما تُخبَّرَ غائبِ القومِ يَعجِب
وما نقموا من صادقِ القولِ مُنجِب
ومن يخلُقُ ما ليسَ بالحقِّ يُكذِّب
على سَخَطٍ من قومنا غيرِ مُعتَبِ
لدى عُربةٍ منا ولا مُتَقَرَّبِ
مُرَكَّبُها في الناسِ خيرٌ مُرَكَّبِ
طلانحِ جُنْبى نَخْلَةٍ والمُحَصَّبِ
لنحلفَ بطلاً بالعتيقِ المُحجَّبِ
وما نالَ اسلامَ النبيِّ المُقَرَّبِ)

(١١٨)

إنَّ أبا طالب كان الدعامة الأساس، والقوى المؤثرة في توجيه مسار احداث الرسالة في نصرة صاحب الرسالة ومحاماته، بكل ما أوتي من قوة وعقيدة صحيحة افصحت عنها ابياته الشعرية، وهو يستنكر فعل طغاة الشرك في معاداة رسول الهدى (صلى الله عليه وآله) مخاطبا اياهم «وما ذنب من يدعو الى البرِّ والتقى»، وتصديقه الطافح بالايمان بما جاء به «فامسى ابن عبد الله فينا مصدقاً» فيما مضى

والآن، وعلمه بغيب السماء، ومصدقا

بمعجزة الصحيفة:

«يمين

ا صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بطلا بالعتيق المحجَّب»
ولهذا يجدد عهده له وللأسماع بأنه ماضٍ على نصرة نبي الله حتى فناء

آخر واحد من قومه:

«نف

ارقه حتى نُصرَّع حوله وما بال تكذيب النبي المقرب»
وهو مؤكد نبوته.

وعاد أبو طالب ومن معه الى مكة بعد انتهاء الحصار في شعب أبي طالب وفرج الله عن المسلمين

والحامين لرسوله الكريم.

وبقي شيخ البطحاء و سيدها وعميد الهاشميين والمطلبين والناصر لدين الله ورسوله يحضُّ على نصره رسول الله في كلِّ وقت وعلى مساعدته في كل حين لكسب الصفوف الى جانبه، وبقي ناصرًا قولاً وفعلًا حتى الساعات الاخيرة من عمره وهو يصرح بوصيته الى ابنائه واخوته تارة ولوجهاء قريش تارة اخرى.

فمن وصاياه الخاصة وصيته لولده طالب بموازرة ابن عمه النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، فقال :

{من الكامل}

أُبْنِيَّ طَالِبُ إِنَّ شَيْخَكَ نَاصِحٌ	فيما يقولُ مُسَدِّدٌ لَكَ رَاتِقُ
فَاضْرِبْ بِسَيْفِكَ مَنْ ارَادَ مَسَاءَةً	حَتَّى تَكُونَ لَدَى الْمَنِيَةِ ذَانِقُ
هَذَا رَجَانِي فِيكَ بَعْدَ مَنِيَّتِي	لَا زِلْتُ فِيكَ بِكُلِّ رَشِدٍ وَاثِقُ
فَاعْضُدْ قَوَاهِ يَابُنِّيَّ وَك	إِنِّي بِجَدِّكَ لَا مَحَالَةَ لِأَحِقُ

(١١٩)

سُنُّ لَهُ

وقال يوصي ولده واخوته بنصرة النبي (صلى الله عليه وآله) :

{من البسيط}

أوصي بِنَصْرِ أَمِينِ اللَّهِ مَشْهَدُهُ	بِعْدِي : عَلِيًّا وَصِنُوا الْخَيْرِ عَبَّاسَا
وَحِمَزَةَ الْأَسَدِ الْمَخْشَى صَوْلَتُهُ	وَجَعْفَرًا أَنْ يَذُودُوا دُونَهُ النَّاسَا

كُونُوا - فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ - من دون احمد عند الرُّوع أتراسا (١٢٠)

إنَّ وصية أبي طالب لاولاده طالب وعلي وجعفر واخويه حمزة والعباس (رضي الله عنهم) تعطي

صورة واضحة عن ايمانه برسالة ابن أخيه، فلا شك في أن أبا طالب كان الركن الاساس لبنية الدعوة

الاسلامية، ينظر بعين الرجل الخبير الفاحص بان النجا

ح والنصر حليف هذه الدعوة، وهو يصرح بوصيته العامة لاولاده واخوته وعشيرته واحلافه :فقال: «...أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأنني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤوساً قريش وصناديدهم أذناباً ودورها خراباً، وضعفوا أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد مَحَضَّتْهُ الْعَرَبُ وَدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فَوَادَهَا، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا دُونَكُمْ يَا مَعْشَرَ قَرِيْشِ ابْنِ أَبِيكُمْ، كُونُوا لَهُ وَوَلَاةً وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً وَاللَّهِ لَا يَسْلُوكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهُ، إِلَّا رَشِدٌ وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهَيْدِهِ إِلَّا سَعْدٌ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مَدَّةٌ وَلِأَجْلِي تَأْخِيرٌ، لَكَفَفْتُ الْهَزَاهُزَ، وَلِدَافَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِي. (121) » في هذه الوصية

أرجأ أبو طالب «تصديقه باللسان الى هذه الاونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه، المؤدّي الى ضعف المنة وتفكك القوة فلا يتسنى له حينئذ الذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله) وان كان الايمان به مستقرا في الجنان من أول يومه لكنه لما شعر بأزوف الاجل وفوت الغاية المذكورة ابدى ما اجنته اضالعه فأوصي بالنبي (صلى الله عليه وآله). (122)»
وما برح ابو ط

الب يوصي قومه بابن أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففي اتباعه الخير والفلاح والرشاد (123) حتى توفي.
مات أبو طالب في السنة العاشرة للبعث

ة(124)، بعد ان كفل النبي وعضده ومنعه وقاوم رؤوس الشرك ضده، ووقف بجانبه زهاء اثنين واربعين عاما، وشعر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخسارة عمه، وفقد به نصيرا يفديه بنفسه واولاده، مدافعا عنه اذى قريش، وملجأ حصينا يلوذ به من المشركين المستبدين، فقال: «ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب. (125)»

إن شعور الحزن الذي غزا قلب رسول الله بوفاة عمه تفسره اواصر اسباب الخير بين رسول الله

وعمه الناصر لدين الله وإلا فان رسول الله واثق من نصرة رسالته مهما تألب عليه اعداؤها.

وما تقدم يتبين: إن الصلة الحميمة بين أبي طالب وابن أخيه غدت قريحته بقول الشعر في الاسلام، و

أملت عليه لونا جديداً لم يكن معهوداً من قبله وهو شعر نصرة الدعوة الاسلامية وصاحبها.

الهوامش:

(1) ظ: الكامل في التاريخ: ١٣/٢، تاريخ ابن خلدون: ٣٣٥/٢.

(2) ظ: ادارة مكة قبل الاسلام (بحث): ١٥١-١٥٧.

(3) تاريخ اليعقوبي: ٢١٧/١.

(4) تاريخ اليعقوبي: ١/٢٠٦.

(5) ظ: الكامل في التاريخ: ١٠/٢.

(6) السيرة النبوية لابن هشام: ١٤٢/١.

(7) الطبقات الكبرى: ٨٥/١.

(8) السيرة النبوية لابن كثير: ١٦٧/١-١٧٤، (ذكر تجديد حفر زمزم).

(9) تاريخ اليعقوبي: ١/٢١٤.

(10) انساب الاشراف: ٨٤/١ .

(11) ظ: بلوغ المآرب في نجاته ابائه (صلى الله عليه وآله) وعمه أبو طالب: ١٢٩-١٣٢ .

(12) تاريخ اليعقوبي: ٨/٢ .

(13) م.ن: ١٠/٢ ، ظ: الكافي: ١/١ - ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(14) السيرة النبوية لابن كثير: ١٠٣/١ .

(15) الديوان: ٩٤ ، القطار: دخان الطعام المطبوخ.

(16) فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت الرسول (صلى الله عليه وآله) من النساء، وأسلمت بعد عشرة من المسلمين، وهاجرت الى المدينة، وماتت في دار الهجرة، وألبسها رسول الله قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه المرأة فقال: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ منها، إني انما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها في قبرها ليُهَوَّنَ عليها»، ظ: مقاتل الطالبين 27- 29 :، الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ٣٨٢/٤، الاصابة في تمييز الصحابة:

٣٨٠/٤

(17) كان طالبُ عالما بانساب العرب وايام قريش أخرجه المشركون الى بدر مكرها، فلما انهزم المشركون، لم يعثر عليه لا في القتلى ولا في الأسرى، ولم يرجع الى مكة، ولم يعرف ما حاله ، وليس له عقب، ظ: الطبقات الكبرى: ١٢١/١، تذكرة الخواص: ١٣- ١٤ ، عمدة الطالب في انساب

آل أبي طالب: ٣١

(18) ظ: المعارف: ٢٠٣ .

(19) ظ: المحبر: ١٣٢-١٣٣ ، ١٦٤-١٦٥ ، شرح نهج البلاغة: ٢٩/١ .

(20) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١٤٢/١ ، تاريخ اليعقوبي: ٢١٠/١ - ٢١٦ - ٢٢٠ .

(21) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٠/٢ ، شرح نهج البلاغة: ٢٩/١ .

(22) ظ: الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣٢١/١ .

(23) المعارف: ٥٧٥ .

(24) ظ: أنساب الاشراف: ٥٧/١ ، الكامل في التاريخ: ١٤/٢ .

(25) شرح نهج البلاغة: ٢١٩/١٥ ، ظ: المحبر: ٣٣٧ (مفهوم القسامة) ، صحيح البخاري:

٩٣٢/٢ ، رقم الحديث: ٣٨٤٥ (القسامة في الجاهلية).

(26) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، احد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين، ادرك الاسلام وقصد المدينة عام ٩ هـ فمات في الطريق، ظ: جمهرة انساب العرب: ٢١٠/١ .

(27) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٣٤ .

(28) ظ: ليالي ببشاور: ٩١٤ - ٩١٥ ، أبو طالب شيخ الابطح - حسين الشاكري: ٢٢ - ٢٨ .

(29) شرح نهج البلاغة: ٦٣/٤ .

(30) ظ: شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٥ ، ظ: تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي: ١١١ - ١١٢ .

(31) شرح نهج البلاغة: ٥٧/٤ .

(32) ظ: م.ن: ٤٤/١١ .

(33) ظ: تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي: ١١٢ .

(34) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٨/١ .

(35) الديوان: ١٠٧ ، تمالوا: تمالوا (مخففة): أي اجتمعوا وتشاوروا، العلجة: مذكرها العلج، وهو

الكافر من أهل الروم.

(36) ظ: م.ن: ١٠٧ .

(37) ظ: تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث): ٣٦٠ .

(38) ظ: الفصل الاول (توثيق شعر أبي طالب) في الاطروحة: ٤٥ - ٤٨ ، والفصل الرابع: ١٥٥ ،

مزيد من التفاصيل.

(39) ظ: الديوان: ١١٥ .

(40) الديوان: ١١٦ .

(41) جاء في كتاب النكت الاعتقادية ووسائل اخرى (إيمان أبي طالب) : ٥ - ١٣ ، سردا باسماء

الكتب المؤلفة في ايمان أبي طالب وفضائله والرد على ما لفق من حديث التكفير بلغ عددها سبعة وثلاثين كتابا، وفي كتاب مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (عليه السلام): ١٢ -

١٩ ، ذكر المحقق ما ألف من الكتب بهذا الامر في اللغة العربية والفارسية والتركية والاردية، فضم

الثبت الذي عمله واحدا وسبعين مؤلفا من كتاب وديوان وبحث.

واستدركتُ على ما لم يذكر في الكتابين المذكورين آنفا مما ظفرت من المظان القديمة والحديثة بين طياتها، او في كتاب مستقل، او ما جاء في دراسات منشورة في مجلات علمية بثلاثين مرجعا،ظ:

الملحق رقم (واحد) في الاطروحة.

(42)ظ: الطبقات الكبرى: ١١٨ /١.

(43)ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٠/٢.

(44)الطبقات الكبرى: ١١٩ /١.

(45)الديوان: ١٣٠.

(46)م.ن: ٨٣.

(47)م.ن: ١٦٤ - ١٦٥.

(48)م.ن: ١٦٦.

(49)ظ: دلائل النبوة لابي نعيم: ٣٢ - ٥٢، البشارات والمقارنات: ١٣٩/١ - ١٤٦، ١٦٢ - ١٦٥،

اهل البيت (عليهم السلام) في الكتاب المقدس: ٧١ - ١٠٠.

(50)ظ: الانوار المحمدية من المواهب اللدنية: ١٣ - ٢٣.

(51)ظ: الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٥٠/١.

(52)الطبقات الكبرى: ١١٨/١.

(53)إعلام الوري بأعلام الهدى: ١٤.

(54)ظ: الخصائص الكبرى: ٨٦/١.

(55)الديوان: ٧٥.

(56)شرح نهج البلاغة: ٦٣/١٤، ظ: الديوان: ٢١٤ - ٢١٥، والعيطل: الطويلة العنق ولكن في

حسن.

(57)ظ: السيرة النبوية والاثار المحمدية: ١٢٥/١.

(58)ظ: البدء والتاريخ: ١٣٤/٤.

(59)ظ: التاريخ الكبير: ٢٧٠/١ - ٢٧١.

(60)الديوان: ١٦٦ - ١٦٧، بحيرا: واسمه جرجيس، وقيل: سرجيس من عبد القيس انتهى اليه

علم النصرانية، وقيل حبر من احبار تيماء، ابنتى له صومعة على طريق القوافل، يدعو اهلها الى

التوحيد، وكان من المترقبين لبعثة النبي (صلى الله عليه وآله)، ظ: الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٥/١ - ٢٠٦ ، شرح المواهب اللدنية: ١٩٤/١ ، السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون: ١٣١/١ .

(61)ظ: امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع:

.١٥/١

(62)ظ: السيرة النبوية والاثار المحمدية: ٩٢/١ .

(63)الطبقات الكبرى: ١٢١/١ .

(64)ظ: الطبقات الكبرى: ١٦٨/١ ، امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الاحوال

والاموال والحفدة والمتاع: ٩٩/٤ ، السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الامين والمأمون :

1/128، السيرة النبوية والاثار المحمدية: ٩٢/١ .

(65)ظ: صفة الصفوة: ٣٧ /١ - ٣٨ ، تذكرة الخواص: ٩ ، الخصائص الكبرى: ١٤٢/١ ، ذو

المجاز: سوق كان لهم على فرسخ من عرفة بناحية كعب، ظ: معجم البلدان: ٥٦/٥ .

(66)ظ: الخصائص الكبرى: ١٢٤/١ .

(67)تاريخ اليعقوبي: ١ /١٤ ، ظ: اعجاز القرآن: ٢٣٤ ، صفة الصفوة: ٣٧/١ .

(68)ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٨٦ - ٣١٣ .

(69)امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الاحوال والاموال والحفدة

والمتاع: ١٠١/٤ ، ظ: تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس: 261.١ /

(70)الحجر/٩٤ .

(71)الشعراء/٢١٤ .

(72)الكامل في التاريخ: ٢ /٤٢ ، السيرة النبوية لابن كثير: ١ /٤٥٩ .

(73)الديوان: ٢٠٨ ، الآتاب: الاستحياء.

(74)السيرة النبوية لابن هشام: ١ /٢٤٧ ، ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤ /١١٦ .

(75)الديوان: ١٧٠ .

(76)الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٥٠ .

(77)الديوان: ١٧١ - ١٧٢ .

(78) م.ن: ٢٥٣- ٢٥٤ ، عجز البيت الاول غير مستقيم.

(79) ظ: كفاية الطالب في مناقب أبي طالب: ٢٠٥- ٢٠٦.

(80) ظ: تاريخ الرسل والملوك: ٣١٩ / ٢.

(81) ظ: السير والمغازي: ١٤٧- ١٤٨.

(82) البداية والنهاية في التاريخ: ٤٢ / ٣.

(83) الديوان: ١٨٩.

(84) الحجر/ ٩٤.

(85) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٥- ٢٨٦ ، ظ: شرح نهج البلاغة: ٧٠ / ١٤ ،

الديوان: ١٨٩ ، اختلاف رواية البيت الثالث «... فلقد صدقت وكنت قبل أميناً.»

(86) السير والمغازي: ١٤٨.

(87) الديوان: ١٠٩- ١١٠ ، في الاصل (هاشما) ، الترك: مفردها التريكة، وهي بيضة الحديد التي

يضعها المحارب على رأسه، الرعلة: القطعة القليلة من الخيل او ظليعتها، المقصال: السيف القاطع،

المسبل: صفة للفرس المسبل الذيل، حديد خمس: القوي من الخيل والخمس منها: الطرف والقلب

والاذن والكعب والوظيف (ما فوق الرسغ) ، الهز: الضامر، اللهب: الغبار المثار، التزليق: تنحيف

الجواد وتضعيفه، المجدل: القصر، القسطل: غبار الحرب.

(88) السير والمغازي: ١٤٨- ١٤٩.

(89) الديوان: ١١١- ١١٢ ، النَّهَاب: الغنّام، والخنْفِيق: الداهية، البِكار: مفردها البكرة وهي

الانثى من الابل، الفنيق: الفحل المكرم عنه اهله، الغيل: عرين الاسد.

(90) شرح نهج البلاغة: ٧٤ / ١٤ .

(91) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٧/١ ، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام -1/87 :

88 ، البداية والنهاية في التاريخ: ٤٧/٣ .

(92) م.ن : السابقة الذكر.

(93) الديوان: ١٨٦- ١٨٧ ، الحجاب: الصغير ، الوبر: الدابة، شفر: أي احد، الرَّسُّ: الذَّكْرُ

الخفيُّ، عبدشمس ونوفل: اخوان لهاشم بن عبدمناف عميد النسب النبوي ولذلك قال أبوطالب (اخوينا

من ابينا وامنا) ، ظ: انساب الاشراف: ٦١/١ ، والوليد بن المغيرة من بني مخزوم، وتيم بن مرة بن

كعب ومخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وزهرة بن كلاب بن مرة بن كعب لؤي بن غالب بن فهر
وهذه البطون الثلاثة من قريش تدخل في عمود النسب النبوي أيضاً، ظ: جمهرة انساب العرب:
٤٦٤/٢.

(94) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٩/١ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٤٩/٣.

(95) ديوان أبي طالب: ١١٣ - ١١٤ ، ملأرض: لهجة عربية تدمج من الجارة بمجوررها.

(96) الطبقات الكبرى: ٢٠٣/١ .

(97) الديوان: ١١٦ ، صدود العوالي: سنة الرماح، العصب: الجماعة، تمزغ: تسرع وتعدو عدوا
خفيفاً، العنيق: اشد السير، الخيب: ضرب من العدو.

(98) م.ن: ٢١٦ .

(99) الديوان: ٢١٦ - ٢١٧ ، الوشيح: شجر الرماح، الحطيم: جدار حجر مكة، بني فهر: قريش.

(100) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٧/٢ ، ثمرات الاوراق في المحاضرات: ٣/٢ - ٤.

(101) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٤٧ - ٣٤٨ ، الابيات في الديوان: ٣٣٣.

(102) عثمان بن مظعون: ابو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح بن
عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، اسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر الى المدينة، توفي في السنة
الثانية للهجرة ودفن في المدينة بالبقيع، ظ: الاستيعاب في معرفة الاصحاب: 85٣ /، وأسد الغابة في
معرفة الصحابة: ٥٨٩/٣، والاصابة في تمييز الصحابة: ٤٦٤/٢.

(103) ابو سلمة: عبد الله بن الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من السابقين الاولين
الى الاسلام، واخ النبي (صلى الله عليه وآله) بالرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب، مات في
المدينة بعد معركة بدر، ظ: التبيين في انساب القريشيين: ٣٤١ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة:

٢٩٥/٣، والاصابة في تمييز الصحابة: ٣٣٥/٢

(104) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٦٠/٢ - ٦١، البداية والنهاية في التاريخ: ٩٢/٣ - ٩٣ .

(105) الديوان (التونجي): ٩٤ - ٩٥ .

(106) الجن / ١ .

(107) الزمر / ٢٨ .

(108) السيرة النبوية لابن هشام: ١٥ / ٢ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٩٣ / ٣ .

(109) ظ: السير والمغازي: ٢٢١.

(110) الديوان: ٢٤٧ ، جعفر بن أبي طالب، وزيد بن الحارثة، المصاقب: المجاور.

(111) م.ن: ٢٥٩ ، في البيت الثاني إقواء.

(112) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤١/١.

(113) ظ: السيرة النبوية لابن هشام 351-350/1 : ، البدء والتاريخ: ١٥٣/٤ ، وامتاع الاسماع

بما للنبي) صلى الله عليه وآله من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/٤٣ - ٤٤ .

(114) الديوان: ٢١١ - ٢١٣ ، السقب: ولد الناقة، أترت: قطعت، القساسية: سيوف تنسب الى جبل

قساس في ارمينية، الحفانظ: مفردها الحفيظة وهي الحمية والغضب لما يلزم ذلك.

(115) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٨٤/٣.

(116) الديوان: ٢٢٠ - ٢٢١.

(117) الكامل في التاريخ: ٦١/٢.

(118) الديوان: ٢٢٩ - ٢٣٠ ، رأب: اصلاح الفساد، تخذي: تسرع، الطلائح: الهزيل، جنبنا نخلة :

واديان قرب مكة، ظ: معجم البلدان: ٢٧٧/٥ ، المَحْصَب: موضع رمي الجمار بمنى، معجم البلدان:

٦٢/٥.

(119) الديوان: ٣٤٠.

(120) م.ن: ٢٤٦.

(121) الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٢٧/٢ ، ظ: ثمرات الاوراق في

المحاضرات: ١٤/٢ - ١٥ ، بحار الانوار: ٩٠ /٣٥ ، الشنآن: البغض، الهزاهر: الفتن.

(122) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٣٦٨/٧.

(123) ظ: الطبقات الكبرى: ١٢٣/١ ، الخصائص الكبرى: ٨٧/١.

(124) ظ: انساب الاشراف: ٢٣٦ /١.

(125) السيرة النبوية لابن هشام: ٤٦ /٢.

الفصل الأول

مصادر شعره وتوثيقه

مفتتح الفصل

النَّحْلُ والوضع في الشعر

اقتترنت ظاهرة الشك بقضية الوضع والنحل، وهي من الظواهر العامة التي عرفها تراثنا الشعري في الحقب التاريخية المختلفة قبل الاسلام وبعده مع تباين في درجة وجودها تبعاً لاختلاف العوامل والظروف التي أدت الى ظهورها، وهي ليست ظاهرة في الادب العربي فحسب، وانما وجدت في آداب الأمم الاخرى التي لها نتاج أدبي

(1)، ان مرد شيوع هذه الظاهرة في ادبنا العربي القديم يعود الى الوضع القبلي الواضح في نحل الاشعار، والرواة الوضّاعين(2)، والرواية الشفوية، وعدم التدوين والبعد الزمني الذي قطعته هذا النتاج الضخم من التراث الادبي، واختلاف الاجيال التي تناقلته بوسائلها المتنوعة. فظاهرة الوضع والانتحال في الشعر ظاهرة طبيعية ليس بوسع المرء ان ينكرها، وأمرها ليس خافياً

على الدارسين)

(3)للشعر العربي ولاسيما القديم، فقد نهبوا عليها، ووقفوا امام الاشعار، وعقبوا عليها بالنقد تارة، وبالتحقيق تارة اخرى، وأبدوا رأيهم في الاشعار التي ارتابوا فيها، واذا كانت هناك بعض الاشعار موضع الشك في صحتها، ونحلها، فهي لاتقاس على الكم الكبير الاشعار السليمة، فهي لا تشكل خطراً يجعل الدارسين يعزفون عن دراستها.

وقد يتفرع من ظاهرة النحل والوضع، ظاهرة اخرى وهي الخلط والتداخل في الاشعار المتنازعة

النسبة الى قائلها، لمشابهة الموضوع الذي قيلت فيه ومناسبتها، وتشابه الوزن والقافية لقصيدة، او

مقطوعة لشاعرين مختلفين، ولتضمن احد الشعراء شعر غيره الى غير ذلك من هذه الامور، وهذا

لايخل في صحة الاشعار واصالتها، وهي اشعار سليمة صدرت من افواه قائلها من الشعراء.

واذا كانت قضية النحل والوضع، وما يتفرع منها من خلط للاشعار وتداخلها في الشعر الجاهلي

والاسلامي قد شغلت الباحثين من العرب والمستشرقين

- الذين سنتطرق اليهم بالدراسة - فان شعر أبي طالب نال حظاً من عنايتهم في إطار بحثهم هذه القضية المرتبطة بشعر سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي له مزية خاصة تحمل ملامح التطور والتغير والتجدد في الشعر على المستويين: الموضوع والفن، فحريٌّ بالبحث ان يناقش هذه الظاهرة من خلال دراسة مصادر شعر أبي طالب وتوثيقه.

ديوان أبي طالب:

إن رواية الشعر اصل قائم بذاته، وجدت عند العرب قبل الاسلام، فكان العلماء المعنيون برواية الشعر

والاخبار قبل الاسلام وممن ادرك الاسلام يأخذون علمهم ممن تقدمهم أو عاصروهم

(4)، وتوميء الاخبار والروايات الى ان أهل بيت أبي طالب واصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا يتناقلون شعر أبي طالب بعد وفاته، فكانوا يحملون شعره ويروونه استجابةً للروح الجهادية لمرحلة عهد النبوة. فقد رو

ي في حديث الاستسقاء ، بعد أن استسقى الرسول (صلى الله عليه وآله) لاهل المدينة، قال « لله درُّ أبي طالب ! ... من يُنشد قوله؟ فقام علي: فقال: يارسول الله ، لعلك أردت: «وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه»، قال: اجل، فأنشده ابياتا من هذه القصيدة(5) «، فالامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) راو لشعر ابيه. وتذاكر شعر أبي طالب أيضاً ابن أخيه عبدة بن الحارث بن المطلب (ت ٢هـ) يوم بدر، فورد في

السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣هـ) ما نصّه : «لما أصيب رجلٌ عبدة قال : أما والله لو ادرك أبو

طالب هذا اليوم لعلم أني احق منه بما قال حين يقول:

{من الطويل}

ولما نطاعن دونه ونناضل وندهل

كذبتم وبيت الله يُبزي محمد ون

عن ابناننا والحلائل

سُليمه حتى نصرع حوله

وهذان البيتان في قصيدة أبي طالب) «

6).

ومما ساعد على رواية شعره أنه كان يوثق السيرة النبوية إذ اورد في هذا الشعر ما واجه رسول الله

(صلى الله عليه وآله) في فجر الدعوة الاسلامية حتى ساعة احتضاره، فمدحت السيدة فاطمة ابنته

(عليها السلام) اباهما بشعر أبي طالب، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا بنية هذا قول عمك أبي طالب(7)»، وهكذا استمرت رواية شعر أبي طالب في عهد الخلافة الراشدة، فقد روي النويري (ت 733هـ) في نهاية الارب في فنون الادب عن السيدة عائشة، قال : «لما حضرت ابا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاة، قالت عائشة رضي الله عنها وهو يغمض: وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه....{البيت} فنظر اليها وقال: ذاك رسول الله (صلى الله عليه وآله). (8)» وكان «ابن عمّر يتمثل بشعر أبي طالب) «

9، وكذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.(10)

إن الشواهد التي ذكرناها تدل على ان شعر أبي طالب كان يتناقل في عهد النبي (صلى الله عليه وآله)

، وبعده شأنه شأن غيره من الشعر العربي حتى جاء عهد التدوين في نهاية القرن الاول، وبداية

القرن الثاني للهجرة فجهد اصحاب السير والتاريخ في نقل شعر أبي طالب، لان حياة النبي (صلى الله عليه وآله) في سيرته كانت ملازمة لعمه أبي طالب، فجمع اصحاب السير اشعارا لا يُستهان بها، وكان ضمن هذه الرحلة العلمية رحلة علماء العربية الذين يتنقلون بين القبائل لينقلوا عنها اللغة والشعر ، ويجمعوا شعر شعراء القبائل، ولاهمية شعر أبي طالب تصدى لجمعه وتصحيحه وشرحه اثنان من العلماء وهما : أبو هفان المهزومي البصري (ت ٢٥٧هـ)، وعلي بن حمزة البصري التميمي (ت ٣٥٧هـ).

وقد اورد اصحاب المظان اشارات عنهما في صحة نسبة الديوان الى صانعيه، ومنها ما رواه ابو العباس احمد بن علي النجاشي (ت ٤٥٠هـ) في رجاله عن ديوان أبي

طالب صنعة أبي هفان، قال: «لعبد الله كتاب شعر أبي طالب بن عبد المطلب وأخباره(11)»، وعقب على ما ذكر من كتب أبي هفان - ومنها شعر أبي طالب - عن مؤلفها بسنتين اثنتين.
الأول: عن ابي احمد عبد السلام بن الحسين الاديب البصري (ت

405هـ(12)) عن أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد المرزباني(ت ٣٨٤هـ(13))، عن أبي احمد يحيى بن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم (ت ٣٠٠هـ(14)) عن ابيه (ت ٢٧٥هـ(15)) عن أبي هفان.

الثاني: عن ابي الحسن بن الجندي أحمد بن محمد بن عمران (ت ٣٩٦هـ)

16) عن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الانباري النحوي اللغوي (ت ٣٢٨هـ(17)) عن أبي هفان.(18)

وهذان السندان الجيدان المرفوعان عن أبي هفان من علماء رواة القرنين الثالث والرابع يوثقان شعر

أبي طالب تماما

ومما يزيد في توثيقه ما أورده البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) من أشارات ثلاث في خزانة الادب عن ديوان

أبي طالب، ذكر الاولى عندما سرد الأصول والدواوين التي اعتمدها في تصنيف كتابه من دون ان

يوميء الى اسم صانع الديوان، فذكر «ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله)»

19) فحسب، ويبدو ان البغدادي اعتمد في كتابه على ديوان أبي طالب - صنعة أبي هفان - لتبين هذا الامر من تعليقاته على احد قصائد أبي طالب في شرحها ، قال: «وقال أبو هفان: نُباله عرضٌ من اعراض مكة ...

(20) «وقوله: «قال أبو هفان: المولى : ابن العم.(21)» ...
والاشارة الثانية، خص بها صانع الديوان، فقال وهو يعلق على قصيدة أبي

طالب النونية: «واما على رواية أبي هفان عبد الله بن احمد المهزومي، فإن بعده} ... البيت.(22)»
واما الاشارة الثالثة، فذكر اسم صانع الديوان حمزة نقلا عن ابن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، قال:

«قال ابن حجر: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب)»

وقد وصلت هاتان الروايتان الينا، وقضية نسبتها الى صانعها من الامور المسلم بها لا تحتاج الى

مزيد من البحث.

رواة الديوان:

سبق ان ذكرنا ان ديوان أبي طالب دُون بروائيتين:

الاولى:

حملت اسم صانعها « عبدالله بن احمد بن حرب بن مِهْزَم بن خالد (24) » المعروف بكنيته أبي هفان وهو «راوية عالم بالشعر والغريب (25) » و«من النحاة اللغويين الادباء(26) »، وهو «في جملة شعراء المحدثين وكان اخباريا راوية مصنفا(27) »، له سبعة مصنفات(28)، اخذ عن رواة عصره شعر أبي طالب(29)، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت فيما بين سنتي ٢٠٩-213هـ) وعبدالملك بن قريش الاصمعي(ت ٢١٦هـ) وعمه خالد بن حرب المهزومي(30)، وأبو محلم محمد بن سعد (ت ٢٤٨هـ- (31). اما الرواية الثانية: فحملت اسم صانعها الاديب اللغوي ابي القاسم علي بن حمزة البصري التميمي

(32)، وهو من «اعيان اهل اللغة الفضلاء المتحقيقين العارفين بصحيحها من سقيمها(33) »، ذكر له ثمانية مصنفات(34)، اخذ عن رواة عصره شعر أبي طالب(35)، ومنهم : أبو رياش احمد بن ابراهيم القيسي (ت ٣٤٩هـ)

(36)، وأبو بشر احمد بن ابراهيم بن معلى بن اسد (ت بعد ٣٥٠هـ(37)، وأبو احمد عبد العزيز بن يحيى بن احمد بن عيسى الجلودي (ت ٣٣٠هـ(38)، وأبو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت ٣٨٥هـ(39))

جمع شعره:

قام بجمع شعر أبي طالب مجموعة من المعنيين بالدراسة مما وقع بأيديهم من شعره في عدد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وكان مما ظفرنا به سبع نسخ من ديوان أبي طالب، او ما شابه هذا العنوان، تحمل بين طياتها تصحيح الديوان ، او جمع وشرح الديوان، او جمع وتحقيق، لمحققين عدة، وقد وقفنا على ذكر هذه النسخ واهم من حققها وعلق عليها، وهي على النحو الاتي بحسب سنة

الطبع:

1- ديوان شيخ الاباطح أبي طالب - جمع أبي هفان عبد الله بن احمد المهزومي رواية عفيف ابن اسعد عن عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، صححه وعلق عليه العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم طبع

في مطبعة الحيدرية في النجف سنة 1356هـ - ١٩٣٦م.

2- غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) لجامعه وشارحه محمد

خليل الخطيب طبع في مطابع طنطا في مصر سنة 1371هـ - ١٩٥١م.

3- شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه للاديب اللغوي أبي هفان عبدالله ابن احمد المهزومي،

تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة في قم - ايران سنة ١٤١٤ هـ.

4- ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) جمعه وشرحه الدكتور محمد التونجي الصادر

عن دار الكتاب العربي في بيروت عام ١٤١٨ هـ - 1998م.

5- ديوان أبي طالب - صنعة أبي هفان، حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين (د.ت).

6- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب لصانعه علي بن حمزة البصري التميمي، حققه الشيخ محمد

حسن آل ياسين، في بغداد لسنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

7- وقد جمع المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين النسختين المذكورتين في نسخة واحدة بعنوان

ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبو هفان، وصنعة علي بن حمزة، الصادر عن دار الهلال

للطباعة والنشر في بيروت لسنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

وهذه النسخ المذكورة جاءت بروايتين:

الأولى: سمى أبو هفان صدر نسخته «شعر أبي طالب عم الرسول (صلى الله عليه وآله)»، واحتوت

هذه النسخة على ثلاثين نصا اقل هذه النصوص بيتان، واكثرها مائة واحد عشر بيتا، وضم الديوان

اربعمائة وثلاثة وعشرين بيتا، وبيتين مكررين.

طبعت هذه الرواية بعنوان «ديوان شيخ الاباطح أبي طالب» صححه وعلق عليه السيد محمد صادق

آل بحر العلوم في العراق بمطابع الحيدرية في النجف الاشرف لسنة ١٣٥٦ هـ - 1936م، في اربعين

صفحة.

ثم أعيد نشر رواية أبي هفان للديوان باسم «غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي

(صلى الله عليه وآله)» (لجامعه وشارحه: محمد خليل الخطيب، في مصر لسنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥١م،

في مائة وخمس وثمانين صفحة، احتوى الديوان على ستة وخمسين نصا، وضم خمسمائة وثمانية

وخمسين بيتا، أي بزيادة على النسخة التي نشرها السيد محمد صادق بحر العلوم بمائة وثلاثة

وثلاثين بيتا، وقد اهدى محمد خليل الخطيب، وصديقه السيد احمد صقر بدار الكتب المصرية الى

قصاد لأبي طالب عم النبي لأبي هفان عن نسخة بخط ابي الفتح عثمان بن جني دونها عنه محمد

محمود الشنقيطي، فضلا عما عثر عليه من مظان اللغة والادب والسير، حتى تهيأ له الاستدراك على

ما وجده في دار الكتب المصرية من شعر أبي طالب(40)، وصدر الديوان بالمقدمة التي ضمَّنها ترجمة عن الشاعر.

ثم صدرت هذه الرواية بعنوان «شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه» لصانعه أبي هفان عن نسخة بخط ابي الفتح عثمان بن جني، حققه مجموعة من المحققين في قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة التابعة الى قم في ايران لسنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٢ م، وقد اوماً المحققون (41) الى ان الطبعة نقلت عن رواية أبي هفان ونسخة ثانية بخط ابي الفتح عثمان بن جني وثلاثة برواية علي بن حمزة التميمي، فضلا عن الطبعتين السابقتي الذكر، وهما: ديوان شيخ الاباطح أبي طالب، وغاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب.

ويبدو أن المحققين قد غضوا الطرف عن مقابلة الرواية التي ذكرت لأبي هفان مع رواية علي بن حمزة، ولم يستدرك عليها شيئا اطلاقاً(42)، بخلاف ما ذكروه في اعتمادها في مقدمة الديوان. فقد فحصنا الديوان صنعة علي بن حمزة، فلم نعثر على النصوص المذكورة بأرقامها (٢٧، 41، 42) ، اما ما ورد في نصوص المستدرك فقد خُرِّجَتْ من المضان وليس من الرواية المذكورة. وبلغ عدد ابیات الديوان خمسمائة وتسعين بيتا مع المستدرك، أي بزيادة اثنين وثلاثين بيتا عن الطبعة الثانية.

ووقف الدكتور محمد التونجي على هذه الرواية وصدرها بعنوان «ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله)» الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت لسنة ١٤١٨ هـ - 1998م، فكان مجموع الديوان ستمائة وبيتين اثنين مع ما استدرکه من ابیات لم تذكر في رواية أبي هفان(43)، وبلغ عددها مائة وتسعة وسبعين بيتا، وبزيادة على ما استدرکته مؤسسة البعثة باثني عشر بيتا. وكان الدافع لعمل الدكتور محمد التونجي ما سوغه من قول: «رأيت ان شعره متفرق بين كتب اللغة والنحو والادب، والتاريخ، ثم عثرت على كتاب (غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب) للشيخ الازهري محمد خليل الخطيب، فرأيتَه ضمَّ جزءا كبيرا من شعره إلا أن النقص باٍ فيه، ثم ان الروايات تختلف كما أنَّ عرض الشعر الذي اتبعه الخطيب ينقصه المنهج العلمي ناهيك عن أنَّه طُبِعَ منذ حوالي خمسين سنة.(44)»

وتكفل الدكتور محمد التونجي بذكر مقدمة بترجمة موجزة عن الشاعر، واورد الشعر المستدرك في ثنايا الديوان مع ترتيب حروف روي نسخة أبي هفان.

اما الرواية الثانية: فهي رواية علي بن حمزة التميمي فسمى صدر نسخته «ديوان جمع فيه شعر أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله)» احتوت هذه الرواية على اربعة وخمسين نصا اقل النصوص بيت واحد واكثرها مائة وخمسة عشر بيتا، وضم الديوان خمسمائة وثلاثة وتسعين بيتا، بزيادة على ابیات رواية أبي هفان مائة وثمانية وستين بيتا.

وقد وقف الشيخ محمد حسن آل ياسين على الروایتين المذكورتين ونشرهما، كل رواية مفصولة عن الاخرى بعنوان «ديوان أبي طالب بن عبد المطلب»، ثم ضم الروایتين الى بعضهما في كتاب واحد وبالعنوان نفسه على نحو اصل رواية أبي هفان، واصل رواية علي بن حمزة، وصدر المحقق الديوان بمقدمة طويلة تضم ترجمة عن الشاعر وترجمة عن صانعي الديوان واصفا منهجه في «تحرير النص وتصويبه واخرجه اقرب ما يكون الى اصل مؤلفه، بعيدا عن الشروح والتعليقات التفصيلية التي لا تدخل في صلب عملية التحقيق، باستثناء شرح بعض الكلمات الغريبة والمفردات الغامضة التي لم يفسرها الصانعان. (45)»

وجعل المحقق لكل نص رقما خاصا به، ولكل بيت في النص مثل ذلك ، ثم ألحق في الديوان

التخریجات لرواية علي بن حمزة مع الاشارة الى الاختلاف عن رواية أبي هفان، وبيّن الاصل

والمصادر الاخرى.

وبما أن المحقق

الشيخ محمد حسن آل ياسين ضم رواية أبي هفان وعدد ابیاتها اربعمائة وثلاثة وعشرون بيتا الى رواية علي بن حمزة وعدد ابیاتها خمسمائة وثلاثة وتسعون بيتا، فكان عدد ابیات الروایتين ألفاً وستة عشر بيتا، فاذا حذفنا الابيات المشتركة بين الروایتين وعددها مائة وستة وسبعون بيتا، فإنه يبقى من الابيات ثمانمائة واربعون بيتا، واستدرك المحقق على الروایتين مائة وواحداً وعشرين بيتا، فكان مجموع ابیات الديوان تسعمائة وواحداً وستين بيتا وهذا الجهد عمل قيم لا يستهان به موازنة مع جهود سابقيه. ويبدو أن المحقق لم يطلع على نسختي الخطيب والتونجي، فلم يشر الى هاتين النسختين

(46)؛ وبذلك كله لاحظنا أن هذا الديوان تضافرت على جمعه جهود كبيرة استعان اصحابها بما توافر لديهم من مصادر.

اما ما استدركته على الديوان فواحد وستون بيتا ومشطورا)

(47)، يخرج منها بيتان مذكوران في القصيدة القافية في الديوان ويضاف الى العدد اربعة ابیات ما استدركت عليه مؤسسة البعثة، وخمسة ابیات في نسخة محمد التونجي لم يذكرها محمد حسن آل ياسين، فيصبح شعر أبي طالب الذي ظفرنا به ألفاً وتسعة وعشرين بيتاً وشطراً.

ومع هذه الجهود كلها التي تضافرت في جمع شعر أبي طالب والاستدراك عليه، يبقى قسم منه

ضائعا، فاذا كان العدد الاكبر يمثل شعره الديني، فلا بد من أن اشعاره في الاغراض الاخرى كثيرة،

وان ما عُثر عليه من ابیات متفرقة من الكتب ما هي سوى اجزاء متفرقة من قصائد ضائعة، لا ريب

في أنها كانت تامة فلم يبقَ منها إلا هذه الابيات المعدودة، وعسى ان تجود المظان التي لم تقع بين ايدينا والمظان غير المحققة بما يعثر الباحثون عليها لاعادة جمع شعر أبي طالب بصورة افضل مما سبق.

تعددت المصادر التي حملت الينا شعر أبي طالب نتيجة لتنوع موضوعاتها واتجاهاتها واهدافها، وبحسب الاتجاه العلمي الذي اختطه اصحاب هذه المصادر وهي أدبية ولغوية وتاريخية ودينية.

ذكرنا أنفا ان هناك جهودا ح

ثيثة تضافرت لجمع شعر أبي طالب تمثلت بصنعتين : صنعة أبي هفان ، وصنعة علي بن حمزة، وقام جماعة من المعنيين بالشعر بالاستدراك على هاتين الصنعتين لديوان أبي طالب من المصادر. ومن الطبيعي ان تحفل مصادر الادب بمادة شعر أبي طالب إلى جانب النظرة الادبية والنقدية المتفحصة التي تلقي بعض الاضواء في هذا الشعر وتساعد على توثيقه، ومنها البيان والتبيين

للجاظ (ت ٢٥٥هـ) فقد اورد بيتا واحدا

(48)، وفي كتابه الاخر (البرصان والعرجان والعميان والحولان) اورد ستة أبيات(49)، وجاء في العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) بيتٌ واحدٌ(50)، ولا شك في أن هذه الأبيات القليلة هي أبيات مختارة من نصوص سواء أكانت قصيدة أو مقطوعة وكل مصدر من هذه المصادر ينفرد عن الآخر بهذه الأبيات، فليس ثمة تشابه بينها مما يمنحها الجديد ضمن الشعر المجموع. ومن كتب الادب العامة التي حفلت بكثير من اشعار أبي طالب كتاب خزانة الادب للبغدادي فقد بلغ عدد

الابيات الواردة فيه مائة وثلاثة ابيات)

(51)، وعلى الرغم من أن البغدادي متأخر، أفاد - بما لديه من خبره وعلم ودراية واسعة - بما قدمه من شروح للابيات الشعرية التي اوردتها، ولا سيما فيما يتعلق بظاهرة توثيق شعر أبي طالب وانتحاله. ومن المصادر الادبية العامة التي ترجمت عن الشعراء، كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام

(ت ٢٣١هـ) الذي قسم كتابه على شعراء جاهليين واسلاميين وترجم لشعراء المدن، ومنهم أبو طالب

في مكة فائتى عليه ببراعة شعره وجودته ولكنه ذكر بيتا واحدا)

(52) من القصيدة اللامية لاستشهاد في التنبيه على قضية زيادة شعره وهو يحاور الاصمعي. ومن التراجم الادبية الاكثر شهرة كتاب الاغانى لابي

الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) فقد حوى كتابه سبعة ابيات (53) لشعر أبي طالب. اما دواوين الشعر التي تضمنت شعر أبي طالب فمنها كتاب الحماسة البصرية لصدر الدين البصري

(ت ٦٥٩هـ) الذي اورد ستة ابيات)

54).

ولا

ضير من الإشارة إلى الدواوين الخاصة التي ضمت شعر أبي طالب ومنها شعر ابنه طالب فقد تمثل في شعر أبي طالب ضمن قصيدته البائية بستة ابيات(55)، وضمن شعر حسان بن ثابت الانصاري بيتا واحدا(56)، وسنتحدث عن هذا الامر في توثيق شعره.

وتشترك المصادر النحوية واللغوية بعنايتها بشعر أبي طالب وغالبا ما يكون الاستشهاد بنيف أو بضعة أبياتٍ ونادرا ما تزيد عليها، وأقدم مصادر النحو هو الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ)، وقد أورد فيه

ثلاثة شواهد شعرية

(57)، وذكر في المقتضب لابي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) شاهدان اثنان(58)، وفي تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب لابي الحجاج الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) ثلاثة أبيات(59)، وفي سمط اللآلي لابي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) بيت واحد(60)، وفي الامالي الشجرية لابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) بيتان اثنان(61)، وفي شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ) بيتان اثنان (62) ايضا، وفي شرح جمل الزجاجي لابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) بيت واحد(63)، وفي معني اللبيب عن كتب الاعاريب للمؤلف نفسه خمسة أبيات(64)، وفي شرح شواهد المعني للسيوطي (ت ٩١١هـ) اثنا عشر بيتا.(65) وافادت كتب اللغة والمعجمات من تفسير الالفاظ بالاستشهاد بابيات منفردة من شعر أبي طالب لأنها

تابعة لمنهجها وموضوعاتها في بيان دلالة الالفاظ التي تقتضي الاستشهاد، ومنها كتاب المعاني

الكبير لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) الذي أورد بيتا واحدا)

(66)، والاشتقاق لابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) أورد ثمانية أبيات(67)، والزاهر في معاني كلمات الناس لابي بكر الاتباري (ت ٣٢٨هـ) أورد سبعة أبيات(68)، والبارع في اللغة لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) أورد بيتين اثنين(69)، وديوان المعاني لابي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) اورد بيتا واحدا (70) الى اخره . ويرتبط شعر أبي طالب بسيرة ابن أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) ارتباطا وثيقا ويعد شعره وثيقة

لدعم الأحداث التاريخية، وقد احتوت هذه المصادر مادة غزيرة من شعر أبي

طالب؛ لأنه يحمل سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) من كفالة عمه أبي طالب له وتربيته ورعايته وحمايته وحياطته ونصرته وموازرتة الى وفاته.

فشعر أبي طالب في سيرة النبي تمثل الحقبة التاريخية لتاريخ الاسلام منذ بزوغ فجره الى ما قبل

الهجرة بقليل، واهم المصادر التاريخية التي ضمنت شعر أبي طالب السير والمغازي لابن اسحاق

(ت ١٥١هـ) فأورد في سيرته مائتين وثلاثة وعشرين بيتا)

(71)، ونحن امام هذا الشعر في حذر، غير ان ابن هشام (ت ٢١٣هـ) يبدد الحيطة والحذر، لأنه نظر الى الشعر الوارد في سيرة ابن اسحاق وفحصه وعرضه على رواة اللغة واثبته من غير أن يشكك في شعر أبي طالب الوارد في سيرة ابن اسحاق، فأورد بحسب محل الاستشهاد في السيرة النبوية بمائتين وثمانية عشر بيتا.(72)

ومن المصادر التي عنيت بشعر السيرة النبوية، ولا سيما شعر أبي طالب، الروض الأنف في تفسير

السيرة النبوية لابن هشام للسّهيلي (ت ٥٨١هـ) فبذل السّهيلي جهداً قيماً في شرح اشعار أبي طالب

الواردة في السيرة من الفاظ استغلق فهمها واغضى اعرابها)

73).

وتلت سيرة ابن هشام كتب أخرى عيال عليها ومنها السيرة النبوية لأبي

الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) فأورد مائة وسبعة وستين بيتا(74)، وفي البداية والنهاية في التاريخ للمؤلف نفسه ذكر مائة واربعة وخمسين بيتا.(75)

ومن المصادر التاريخية كتب التراجم التي حفلت بشعر أبي طالب، فورد في أنساب الأشراف للبلاذري

(ت ٢٧٩هـ) اثنان وثلاثون بيتا)

(76)، وفي الاصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني (ت ٨٥٢هـ) أربعة ابيات. (77)
وحفلت مصادر العقائد التي تبحث عن موضوعات دينية تتصل بعقيدة أبي

طالب بشعر وفير، ومنها النكت الاعتقادية (في ايمان أبي طالب) للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) ذكر تسعة وستين بيتا(78)، وفي كتابه الفصول المختارة أورد ثلاثة وعشرين بيتا(79)، وفي كنز الفوائد للكرجكي (ت ٤٤٩هـ) اورد تسعة واربعين بيتا(80)، وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) اورد مائة وستة عشر بيتا(81)، وفي الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب للسيد فخار الموسوي (ت ٦٣٠هـ) أورد مائتين وثلاثة واربعين بيتا(82)، وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ) أورد مائة وثمانية وخمسين بيتا. (83)
وما يبعث

على الاطمئنان في هذه النصوص انها جاءت متواترة ومتشابهة، وقد اوما ابن ابي الحديد الى هذا الامر فقال: «فكل هذه الاشعار قد جاءت مجيء التواتر؛ لأنه إن لم تكن آحادها متواترة، فمجموعها يدل على امر واحد مشترك، وهو تصديق محمد (صلى الله عليه وآله) ومجموعها متواتر كما أن كل واحدة من قتلات علي (عليه السلام) الفرسان منقولة آحادا، ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الصروري بشجاعته. (84) » ...
ومن هذا كله فلا بد من توثيق شعر أبي طالب قبل دراسته.

توثيق شعره:

في دراستنا لتوثيق شعر أبي طالب تبين لنا امران اثنان :

الأول:

وجود اشارتين إلى الوضع في المظان القديمة: السيرة النبوية لابن هشام وطبقات فحول الشعراء لابن سلام وهاتان الاشارتان لا تشمل الوضع في شعر أبي طالب وانما خصتا القصيدة اللامية فحسب. ونجد في الكتب الحديثة اشارات الوضع والنحل في شعره، للمستشرقين بلاشير وكارل بروكلمان

واتبعهما كاتبان من كتّاب العرب وهما محمد السيد كيلاني والنجار.

الامر الثاني: انتحال عدد من المقطعات والأبيات في شعر أبي طالب.

إن أقدم اشارة وصلت الينا من مظان علماء القرن الثالث الهجري في الوضع الذي اصاب احدي

قصاد أبي طالب

- وليس شعره - أو في نسبة ابيات القصيدة، هي إشارة ابن هشام، فقد ذكر ما صح له من القصيدة اللامية، وعزف عن ذكر ما لم يصح لديه منها واردف بما يضعف درجة هذه الصحة في تعقيبه على القصيدة بعد ان أورد منها أربعة وتسعين بيتا، قال: «هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها » (85).

فيتضح من عبارة ابن هشام انه حصر الشك والانتكار في «بعض اهل العلم بالشعر» بخلاف أكثر

علماء الشعر الذين لا ينكرونها، ولا يشككون في صحة نسبتها إلى أبي طالب، وكلام ابن هشام هذا

يقلل الشك ولا يقطع به، ولم يذكر ابن هشام أسماء هؤلاء القلة من علماء الشعر الذين استرشد

اراءهم في حكمه على القصيدة، واكتفى بتعميم قوله: «وبعض اهل العلم ... » وربما عزف عن ذكر

أسمانهم للاختصار، أو لأنه لم يجد داعيا لهذا الأمر، لأن ما يهمله ذكر أرائهم فحسب، ولو صرح بأسمانهم؛ لساعدنا على معرفة مكاتهم العلمية للوصول إلى مسوغات لرائهم التي تجد طريقها في الحكم الصائب والدقيق بهذا الشأن.

ومما يضيق دائرة الشك ويحصرها، ان هؤلاء القلة من علماء الشعر لم يذكروا قائلًا آخر لنص القصيدة اللامية في الوقت الذي يقتضي منهم معرفتهم بقائلها ماداموا لا يقرون صحة نسبتها، وهذا يجعل انكارهم ضيقًا.

وربما ما صح عند ابن هشام صح عند غيره، وما انكره هو انكره بعض أهل العلم بالشعر، فتكون القصيدة الموجودة موثقة عنده وعند غيره وما تركه منها تركه لأنه لم يصح، ولأن بعضهم انكره لذلك كله، فمن المرجح أن تكون القصيدة طويلة جدا، ولعلها تقترب من الملحمة التي تؤرخ معارضة زعماء قريش للإسلام.

إن تعليق ابن هشام بالشك في أبيات من القصيدة اللامية لا في نسبة قائلها في قوله: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها» من غير ان يردف بقوله «له» مما يجعل الإنكار ينسحب إلى أبيات القصيدة ولا يقتصر على نسبتها إلى أبي طالب وهذا ما يؤمىء إلى أن هذه الأبيات موضع الشك هي من صنع الواضعين، وضعت لأسباب سياسية، ولا سيما ان في القصيدة تعريضا ببعض شخصيات زعماء قريش الذين كان لابنائهم فيما بعد اثرهم السياسي في تولية دفة الحكم في العهدين: الأموي والعباسي.

فكان هؤلاء القلة من أهل العلم اسقطوا الأبيات الشعرية من القصيدة اللامية التي تسيء إلى مسامح السلطة الحاكمة، فحكموا عليها بالوضع فيها، وجاء من بعدهم تبع قال بقولهم، لما لهذا القصيدة من وضع خاص يعرفه ابن هشام وغيره.

وقد حرص ابن هشام على ذكر رأي بعض أهل العلم للأمانة العلمية وإن كان يخالف رأيه وقد خفف من حدة الشك إلى أقل قدر ممكن، فاثبت ما اعتقد بصحته، وإن خالفهم، وهذا الأمر يدل على ان الشك في أبيات من القصيدة ضعيف لا تؤيده أدلة قاطعة، على أن ابن هشام ابقى الشك بدرجة ترجيحية، ليتيح الفرصة أمام الباحثين بأن يأتوا بأدلة غائبة عنه تمكنهم من محوه أو تثبيته. وهذا يحملنا على البحث في المصادر الأخرى التي وردت فيها القصيدة اللامية لمعرفة سندها وصحته، لنصل إلى الحكم السليم.

فقد حددت القصيدة في الديوان صنعة أبي هفان المهزومي البصري بسند صحيح قال: «انشدني عمي

خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب

- رضوان الله عليهم - (86) «وأورد القصيدة في مائة واحد عشر بيتا(87)، واختلفت الاراء في سبب انشائها، فمنهم من قال إنه «لما خشي أبو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة ومكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يهلك دونه (88) «ومنهم من يقول انه قالها في الشعب وفي بعض أبياتها ما يؤكد ذلك(89)، وهي صحيحة والزيادة في القصيدة لاتعني الشك في بعض أبياتها، وقد عقب ابن أبي الحديد في معرض حديثه عن أشعار أبي طالب التي تدل على ايمانه فقال: «فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر... ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة «قفا نبك» وإن جاز الشك فيها او في شيء من أبياتها جاز الشك في «قفا نبك» وفي بعض أبياتها.(90) » وعرف ابن كثير ما آلت اليه القصيدة من تشكيك ابن هشام فذكرها في السيرة النبوية

(91)، والبداية والنهاية في التاريخ(92)، فأورد ثلاثة وثمانين بيتا، وعقب عليها بعدما ذكر نص ابن هشام قال: «قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع قولها إلا من نُسبت اليه، وهي أفضل من المعلقات السبع! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعها، وقد أوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات اخر والله أعلم.(93) » إن في السيرة النبوية لابن هشام زيادة في أبيات القصيدة اللامية على ما أورد ابن كثير، فقد زاد ابن

كثير بيتا واحدا رقم (77) ، وقدم واخر في ترتيب الابيات (78، 79، 80، 81، 82، 83)

(94)وهذا يعني ان ابن كثير لم يأخذ القصيدة عن ابن هشام، ولكنه نظر الى ما دونه ابن هشام، والى من قبله من مدونتي السيرة ومنهم الاموي (95)مدون مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأخذ ما يتناسب من محل الاستشهاد، وهو يعقب على كلام ابن هشام على صحة القصيدة على الرغم مما ورد فيها من زيادة أنه «لا يستطيع قولها إلا من نُسبت اليه»؛ لبراعتها وبلاغتها في تأدية المعنى المقصود في الأبيات جميعها، ولهذا فضلها؛ لأنها أفضل من المعلقات السبع.

وما ذكر ابن كثير من الزيادات للقصيدة في مغازي الاموي، لا يقصد بها انه يشكك في بعض أبياتها،

وانما أراد أنها وردت في روايات اخرى بعدد أكثر من الأبيات التي أوردها، وانتخب منها ما يناسب

الاستشهاد.

واتفق بعض العلماء على أن عدد أبيات القصيدة اللامية بلغ مائة وعشرة ابيات، فقد أورد العيني

(ت ٨٥٥هـ) قوله : «قصيدة طنانة من بحر الطويل وهي مائة بيت وعشرة اولها:

{من الطويل }

بصغواء في حق ولا عند باطل

خليلي ما أدني لأول عادلي

وأخرها قوله:

ومعليه في الدنيا ويوم التجادل

ولاشك أن الله رافع امره

ووالده رؤياهما غير آفل»)

كما قد أري في اليوم والامس جدّه

وذكر القسطلاني (ت ٩٩٣هـ) في ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري عن القصيدة اللامية قوله :
«قصيدة جلييلة بليغة من بحر الطويل و عدة اببياتها مائة بيت وعشرة أبيات قالها لما تمالأ قريش على
النبي (صلى الله عليه وآله) ونفروا عنه من يريد الاسلام)»

97).

إن اتفاق بعض العلماء على عدد أبيات القصيدة اللامية وخاتمها يجعلنا مطمئنين الى ان ما ورد من
عدها في الديوان صنعة أبي هفان، اما البيت الزائد فلا يشكل كبير اهمية لصحة ما مثبت من عددها
فضلا عن أنها موثقة.

أما ماورد من ذكر أبيات القصيدة في مظان الأدب واللغة والتاريخ وغيرها بغير هذا العدد، فاصحابها
غير معنيين بايرادها كاملة، فمن حقهم ان يأخذوا محل الشاهد وترك ما لا يعينهم منها، ولذلك نجد
اللغوي السهيلي في كتابه: الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوة لابن هشام يعلق لغويا على أبيات
القصيدة اللامية التي تستدعي التعليق، ويعزف عن الأبيات التي لا تحتاج الى تعليق)

98)، وعبد القادر البغدادي وهو متخصص بالأدب واللغة والنحو في كتابه خزانة الأدب ولبّ لباب لسان
العرب انتخب من القصيدة اللامية أربعة وأربعين بيتا شارحا إياها وعزف عن بقية أبيات القصيدة؛ لأنه لا
يلتمس فيها صعوبة لتوضيحها؛ والتعليق عليها. (99)
اما الإشارة الثانية، فهي التي وردت لابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء، وربما اطلع ابن سلام
على رأي ابن هشام وهو بصري النشأة)

100)، واديب اخباري نسابه(101)، وابن سلام من انمة أهل الادب البصريين، وله علم بالشعر
والاخبار(102)، فكلاهما بصري، فذكر له رأيه وعاضده ابن سلام وزاد عليه قائلا: «وكان أبو طالب شاعرا
جيد الكلام، ابرع ما قاله قصيدته التي مدح فيها النبي(صلى الله عليه وآله):
{من الطويل }

وابيضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بوجهه ربيعُ اليتامى عصمة للأرامل

وقد زيد فيها وطوّلت ورأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة، وقد علمت ان
قد زاد الناس فيها، ولا ادري أين منتهاها وسألني الاصمعي عنها فقلت :صحيحةٌ جيّدةٌ؛ قال: أتدري
اين مُنتهاها؟ فقلت: لا) « !

103).

لاحظ ابن سلام أن القصيدة اللامية «قد زيد فيها وطوّلت» نظرا لما قرأه من كتاب يوسف بن سعد
قبل مائة سنة ثم عقب عليه انه علم «ان قد زاد الناس فيها»، فالكتاب الذي اطلع عليه ابن سلام قبل
مائة سنة، اقرب الى عهد بداية التدوين وهذا التقادم في زمن الرواية يجعلنا

- في اقل تقدير مطمئنين إلى صحة الروايات التي دونها يوسف بن سعد «وهو اقدم جدا من ابن سلام»
(104) التي أخذها من أفواه الرواة، ومن اصولها الأولى، وهذه الروايات بطبيعة الحال متعددة، فيها زيادات

وبعض الاحايين فيها نقصان بحسب ما تروى اليه من ابيات وبالضرورة ان ماوجده ابن سلام في الكتاب المذكور زيادة في بعض المرويّات فعلق عليها ، ولكن هذه الزيادات لم تكن دخلية على شعر أبي طالب فقال ابن سلام بزيادتها في المصدر الذي بين يديه، ولم يقل انها حملت على قصيدة أبي طالب وهي ليست له، بدليل انه لم يذكر عدد أبيات القصيدة، والسبب في هذا يسير فهو في حيرة من امره غير متيقن من عددها، لذلك يصرح: «ولا أدري أين مُنتهاها.»

أما قوله: «رأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة»، فإننا إذا استبعدنا مقصد

ابن سلام ان يوسف بن سعد جمحي مثله، ففي النص شيء غامض، فليس من المعقول أن يصاحب

ابن سلام رجلا ألف كتابا منذ أكثر من مائة سنة، وعمره اثنتان وتسعون سنة)

105).

وابن سلام لا يشك في صحة القصيدة، وهذا ما يؤكد للأصمعي حينما سأله عن القصيدة المذكورة

فاجابه: «فقلت: صحيحة جيّدة»، وهذا يعني أن الاصمعي قد عرضها عليه، فأكد ابن سلام صحتها ثم

سأله : اين منتهاها ؟ فأجابه بعدم معرفته بمنتهاها، مما يؤكد انه لم يشكك في بعض أبيات القصيدة،

وانما لم يعرف اين تنتهي شأنه شأن الاصمعي.

وربما أن طول القصيدة غير المؤلف في الشعر القرشي بما انماز به من قصائد قصيرة ومتوسطة

الطول ومقطعات)

106)، هو ما جعل العلماء يتساءلون عن منتهاها ولا سيما الاصمعي.

اما ما جاء في كتب الأدب الحديثة حول ظاهرة الوضع والنحل في شعر أبي طالب ما رده بلاشير في

كتابه تاريخ الأدب العربي، فقد ارتاب من شعر مؤسس الاسلام والناصر لدين الله والحامي لرسوله،

لأن موافقه البطولية موافقة لقطع شعرية مرتبطة بظرف الموقف نفسه فقال: «يبدو أبو طالب في

كتب السيرة التي تروي حياة مؤسس الاسلام حاميا للدين الجديد، ولا يستغرب أن تكون الأخبار التي

تصف موافقه مفصولة من قطع شعرية مرتبطة بالظروف الموصوفة.

ان تلك القطع الشعرية ذات الاسلوب غير الموفق مدعاة للشك في نظر أكثر من مؤرخ شرقي، وهي

في الواقع تشبه إلى حد بعيد القطع الماثلة في اقوال القصّاص، وبما أن اغلبها وارد في اخبار السيرة

لابن اسحاق (المتوفى حوالي ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) فهي اذن سابقة لهذا التاريخ ومندمجة بصورة

طبيعية في حركة فكرية مناصرة للعلوية التي من شأنها الصعود إلى ابعد ما يمكن في الماضي

بالتضالعية الحتمية لعلي وأبيه في سبيل انتصار الاسلام، ولا يسعنا الاحتفاظ بهذه القطع في سبيل

استحضار الشعر في مكة في اوائل القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي) »

107).

ركز بلاشير على النحل في كتب السيرة النبوية التي تروي حياة أبي طالب احد ركانز الاسلام، والرامي لدين الله، لان تاريخه مرتبط بتاريخ ابن أخيه النبي محمد(صلى الله عليه وآله) منذ كفالته ورعايته وتربيته له وهو صغير، وتنشأته وعمله بالتجارة وتزويجه، وهو مازال يافعا شابا، الى بعثته نبيا وهو كبير، فكان من البديهي ان تذكر مظان السير سيرة أبي طالب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت بالضرورة أن تقف على اشعاره التي ترتبط بظروفها؛ لأن الأدب ولا سيما الشعر يستعين بالتاريخ لمعرفة الظرف الذي ولد فيه النص الشعري الابداعي، وهذا الامر يضعف من انكار بلاشير وارتياجه حول القطع الشعرية المرهونة بظرفها الموصوف في عدم صحتها لديه، واذا لم تكن هذه القطع المشار اليها صحيحة، فبلاشير لم يذكر اسم قائلها، لأنه يعرف أنها منسوبة، فبالضرورة يعرف اصحابها، وهذا يضعف من انكاره وشكها فيها.

ويقدم بلاشير دليلا وهنا اخر يضعف من درجة انكاره وانكار اكثر من مؤرخ شرقي كما يدعي «ان تلك القطع الشعرية ذات الاسلوب غير الموفق مدعاة للشك في نظر اكثر من مؤرخ شرقي.»
إنّ كلام بلاشير غير دقيق؛ لأنّه لم يقدم أي نموذج شعري يمكن من خلاله ان نلتمس منه الاسلوب غير الموفق في نظر أكثر من مؤرخ شرقي، فكلامه فيه تعميم إذ لم يذكر أي اسم من أسماء أولئك المؤرخين، ليساعدنا على معرفة مكاتهم العلمية لنصدر حكما موفقا وسليما.

اما بشأن تعليقه على الأسلوب غير الموفق لهذه القطع الشعرية التي استدعت الشك، فهذه المزية تعزز من ضعف ادعائه وارتياجه حول شعر أبي طالب؛ وبما ان شعر أبي طالب يحمل خصائص شعر قريش، فقد اشار ابن سلام إلى أهم مزية لهذا الشعر الكفيلة بدحض حجة بلاشير، فقال ابن سلام :
«واشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بعض الاشكال)»

(108) على النقاد وغيرهم، وأراد ابن سلام أنّ قريشا انمازت بسهولة الألفاظ ورقتها «وهذا آت من اثر البيئة الحضرية فيها.(109)»
وهذا الامر لا يتعارض مع فصاحتها فمن المعلوم ان قريشا كانت تنتقي افصح الألفاظ، وأكثرها إبانة في التعبير، وواقعها معنى في اذن السامع، واسهلها لفظا في النطق وألينها، وهذا مما انماز به شعر أبي طالب.

وقد حاولنا أن نتفحص في مظان السير القديمة والمتأخرة

(110)، فلم نعثر في حدود ماوقع بين ايدينا من مصادر على أنّ احدا من المؤرخين قد شكك في شعر أبي طالب ما خلا بعض ابيات القصيدة اللامية التي ذكرها ابن هشام في سيرته التي تطرقنا اليها آنفا وهي قصيدة وليست قطعة شعرية، وهذا ينفي جميع ادعاءات بلاشير غير المستندة الى دليل صحيح يقوم حجته ونظريته

في انكار اكثر الشعر العربي قبل الاسلام وصدرة التي لا تقوم على الاستقراء الكامل لكتب السير كلها ولا سيما شعر أبي طالب الموجود فيها.

أما قول بلاشير من إن القطع الشعرية «تشبه إلى حد بعيد القطع الماثلة في اقوال القصاص» فهذا لا يسوغ الشك فيها؛ لان بعض المناسبات والاحداث التاريخية قيلت فيها اشعاراً صحيحة، ولكن بلاشير مصر على انكار القطع الشعرية المنسوبة إلى أبي طالب في كتاب السير والمغازي لابن اسحاق فقال:

«وبما ان اغلبها وارد في اخبار السيرة لابن اسحاق (المتوفى حوالي ١٥١هـ / ٧٦٨م) فهي اذن سابقة لهذا التاريخ ومندمجة بصورة طبيعية في حركة فكرية مناصرة للعلوية التي من شأنها الصعود إلى ابعد ما يمكن في الماضي بالنضالية الحتمية لعلي وابيه في سبيل انتصار الاسلام»، إن كلام بلاشير تنقصه الدقة، صحيح ان ابن اسحاق اورد في سيرته شعر أبي طالب مقترنا بمناسبته ولكنه في الوقت نفسه كان ابن اسحاق يعنى بالاسانيد ويلزم نفسه بذكرها، ومما يجعلنا مطمئنين لما ورد من شعر أبي طالب في السيرة أن ابن هشام عقب على ابن اسحاق في سيرته بالتحريير والاختصار والنقد، فحذف «من الشعر ما لم يثبت لديه، ثم استقصى وزاد بما يملك من علم، ويسترشد من فكرة فجاءت السيرة على ما ترى معروفة به، منسوبة إليه حتى ليكاد الناس ينسون معه مؤلفها الاول: ابن اسحاق»

(111)، ولم يرد عن ابن هشام أنه شكك في القطع الشعرية وهو يستشهد بها لأبي طالب، فقد رواها ابن هشام بالاسانيد نفسها التي ذكرها ابن اسحاق، وهذا ما يضعف انكار بلاشير من ارتيابه بالاسانيد السير والمغازي لابن اسحاق على الرغم من ان ضعف الحديث سنداً لا يخوله ضعفه متناً، فقد يرد مروياً بالاسانيد أخر صحيحة.

وما يومئ إليه بلاشير بان هذه الاشعار موضوعها في غورها التاريخي من قبل اشياح العلويين؛

لبيان العمق التاريخي النضالي للامام علي وأبيه ٨ فالشيعة لا يحتاجون ان يؤكدوا الاثر البطولي والنضالي لعلي وأبيه في سبيل انتصار الاسلام امام العرب؛ لأن تاريخهما معروف لجميع المسلمين، وربما التجأ بلاشير الى هذا التعليل ليسوغ ما ذهب اليه من نظرية عدم صحة أكثر الشعر العربي في مرحلتي قبل الاسلام وصدرة مستندا إلى أدلة عقلية وليست نقلية.

وكارل بروكلمان من المستشرقين الذين شككوا في أن بعض شعر أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه

وآله) منحول؛ لأنه يدور حول ما وقع بين النبي وقريش من احداث، وان مؤرخي السير زينوا سيرة

الرسول بشعره لدعم سرد الاحداث، وهو تشكيك لايقوم على علم و يقين صحيحين، فقال: «ولعل

بعض هذا الديوان صحيح لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبي طالب، ولكن اكثره منحول، لان

الدواعي توافرت عند المحدثين لتزين سيرة النبي في اوائل عهد النبوة أيضاً بكثير من الأشعار بعد ان

كثرت الأشعار في سيرته بالمدينة، كما أن شيعة علي أرادوا أن يشيدوا بمعاونة ابيه للنبي، ليضعوه بذلك في مكان بارز، ولا بد ان هذا الشعر وضع من قديم، لانه لم يزل يذكر بني هاشم امة واحدة ، لم تفترق بعد الى علويين وعباسيين، ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر، فقد روى ابن اسحاق اكثره في سيرة النبي(112) «، كرر كارل بروكلمان ما ردهه بلاشير في حديثه عن السيرة النبوية وركز على امرين: الاول الانتحال في بعض اشعار الديوان، والثاني الوضع فيما ذكرته السيرة.

فذكر في النص أن «بعض هذا الديوان صحيح»، فهو يستبعد نسبة الديوان كله معللا ذلك «لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبي طالب» المشرفة في الاسلام وصاحب الرسالة، ولكنه يستدرك ان اكثر شعر أبي طالب منحول، وهو لم يومئ الى الشعر الذي حمله على التشكيك بنسبته إلى أبي طالب، ولم يذكر مثالا واحدا ليبدل بذلك على ما قرره في قوله «ولابد أن هذا الشعر وضع من قديم» لكننا نجده منساقا وراء دواعي النحل إلى ثلاثة عوامل: الاول، ذوقي وهو وضع اشعار على لسان أبي طالب لتزيين اخبار النبي في السيرة، يريد أن الشعر يزيد استماع العربي لما يروى من قصة او خبر. ولا يخفى ان السيرة النبوية ليست حكاية أو قصة أو أسطورة تزين بالشعر ؛ لكي يحلو الاستماع اليها والتلذذ باحداثها؛ لأنها تتحدث عن مواقف معارضة المشركين لرسول الله(صلى الله عليه وآله) واضطهادهم له في اوائل البعثة.

اما العامل الثاني، فهو العامل السياسي، فقد اوما إليه ابن سلام(113)، وربما اطلع عليه بروكلمان واستند اليه، ففسر وجود الوضع والانتحال في شعر أبي طالب إلى هذا العامل الذي يلحظ اثره في السيرة النبوية ولا سيما في شعر أهل مكة الذي كان له أثر كبير في الدعوة الاسلامية في الحقة الزمنية للبعثة النبوية أي «في اوائل عهد النبوة» وفيه حملت قريش لواء العداء ضد الدعوة وصاحبها ومن معه من المسلمين وعلى مستويين: الحرب والشعر، وبعد فتح مكة واسلام أهلها بقي أثر الشعر ضئيلا في رسول الله قياسا لشعراء اهل المدينة «بعد ان كثرت الاشعار في سيرته في المدينة» ثم توالى الازمان، فرجع العباسيون شعار العداء للعلويين، فناهض شعراء الشيعة السلطة الحاكمة فاشادوا بمعاونة أبي طالب ابي الامام علي «ليضعوه في مكان بارز» وهذا ما قصده بروكلمان.

وكلامه هذا يصح لو كان الامام علي (عليه السلام) وابوه من قبيلة لم يكن لها مشاهد مؤثرة في نصرة رسول الله ، فالامام لا يحتاج لان توضع لأبيه أشعار في أوائل عهد النبوة؛ لتعرف مكائته بين

العرب فأبو طالب الداعي للإسلام والكفيل والمؤيد والناصر والمؤازر والحامي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) واحد مؤسسي دعائم الدين الإسلامي، فقد اعز الله رسوله بعمه أبي طالب عميد الهاشميين والمطلبين ورئيس مكة وحاكمها، وشرف نسبه ينبليج من النسب النبوي، ومواقفه في زمن البعثة وغيرها كفيلة في تخليده بالذاكرة على مر الأجيال، فلا يحتاج من شيعة الامام أن يضعوه في مكان بارز كما زعم بروكلمان.

اما العامل الثالث، فهو الرواية فقد تراجع بروكلمان عن كلامه في نحل الشعر لأبي طالب وما اسند إليه من وضع بقوله: «ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر فقد روى ابن اسحاق اكثره من السيرة» وهذا هو الهم عند بروكلمان ظنه بصحة الشعر؛ لأنه روي بسيرة ابن اسحاق.

ويحسن بنا الايماء الى أن ابن اسحاق اعلم الناس في السيرة على الرغم مما قال فيه ابن سلام(114)، بعدم درايته في الشعر وكان ذلك فيما يخص الشعر الذي ينسب الى قومي عاد وثمود الباندتين، والاقوام غير عربية، ثم جاء ابن هشام بعده، ففحص الاشعار ونقحها فما صح عنده اثبته، وما لم يصح عنده وشك فيه اشار الى عدم صحته، أو اهمله.(115)

وفي قراءة فاحصة لكلا الكتابين: السير والمغازي لابن اسحاق(116)، والسيرة النبوية لابن هشام(117)، لما ورد من شعر أبي طالب تبين أن ابن هشام لم يحذف شيئا مما ذكره ابن اسحاق في كتابه ما خلا ابيات من القصيدة اللامية وعلق على هذا الامر جمهور مؤرخي السير كما ذكرنا آنفاً، وهذا كفيل بصحة ما ورد من شعر أبي طالب في سيرة النبي ورد لما ذكره بروكلمان في هذا الصدد. وممن جرى آراء الكتاب المستشرقين الغربيين بعض كتّاب العرب في الادعاء بالوضع والنحل لقصائد أبي طالب، وهما محمد سيد كيلاني و النجار، اما الأول: أخذ في كتابه اثر التشيع في الادب العربي يطلق كلاما عاما غير موثق من أن ادباء الشيعة «وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثبتوا بذلك اسلامه، وحسن بلانه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له، وجهاده في سبيل الاسلام، فمما ينسب اليه قوله:

{من الطويل}

وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائلِ

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ فيهم

وقد طأوعوا

وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى

أمر العدو المزابيل (١١٨)

ذكر الكيلاني كلاما عانما مشابها فيه ل

آراء المستشرقين في تعليل الوضع والنحل الذي اصاب شعر أبي طالب من وضع اشياح العلويين لكثير من القصائد ونسبوها الى أبي طالب، فلم يذكر الكيلاني القصائد المزيفة الكثير التي حُمِلت على شعر أبي طالب - ما خلا بيتين اثنين من القصيدة اللامية - ولم يبين اثر الوضع في هذه القصائد الكثيرة التي ادعاها، واي منها منسوب إلى أبي طالب؛ ليتسنى فحصها وتحققها، لنقف على الصحيح منها.

ومما يبطل إنكار الكيلاني قصائد أبي طالب التي ادعى الزيف فيها ويضعف صحة كلامه تعليله

لظاهرتي: الوضع والنحل في شعر أبي طالب وهو ان اشياح العلويين ارادوا ان يثبتوا «بذلك اسلامه،

وحسن بلانه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له، وجهاده في سبيل الاسلام، فمما ينسب اليه...

« البيتان.

إن تعليل الكيلاني لما يتسم به أبو طالب من روح نضالية مجاهدة ومتفانية في سبيل تثبيت دعائم

الاسلام في شعره من دواعي نسبته إليه؛ لأن شعره يتسم بهذه الروحانية السامية وما تضمنته القصيدة

اللامية يقوي صحة القصيدة وان كلا البيتين المذكورين أنفا في ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان

وعلي بن حمزة، وقد وردت القصيدة فيها بسند صحيح وسليم

(119).

وواضح أن الكيلاني لم يطلع على ديوان أبي طالب مخطوطا أو منشورا وكتابه سابق في التأليف قبل

نشر الديوان؛ مما اسقط حجة انكاره لشعر أبي طالب.

اما الثاني: ما ذهب اليه الاستاذ النجار وهما في هامش كتاب الكامل في التاريخ إلى أن القصيدة

البائية المرفوعة منحولة، وانما له بانية مجرورة معقبا على ما ورد في متن الكتاب الذي أورد ابياتا

منها في امر الصحيفة الجائرة وأكل الأرضة لها لما فيها من ظلم وقطيعة رحم، فقال أبو طالب

قصيدته البائية ومنها هذه الابيات الثلاثة:-

{من الطويل }

وقد كان في امر الصحيفة عبرة	متى ما يخبر عائب القوم يعجب
محا الله منهم كفرهم وعقوقهم	وما نقموا من ناطق الحق معرب
فاصبح ما قالوا من الامر باطلا	ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

(١٢٠)

قال النجار: «ارى اثر الصنعة ظاهرا في هذه الابيات ونحن تحرينا كتب السير والتواريخ ومجموعة

قصائد أبي طالب التي شرحها علي فهمي مفتي بلاد الهرسك فلم نجد له بانية مرفوعة، وانما له بانية

مجرورة وأولها:

{من الطويل }

ألا ابغا عني على ذات بيننا
لؤياً وخصاً من لؤى بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
نبياً كموسى خُطَّ في أولِ الكُتُبِ

بل المعروف أن أبا طالب قال في امر الصحيفة قصيدته الدالية وهي كما رواه ابن هشام وغيره....

{الابيات} » }

121).

نبه النجار على الأبيات الشعرية المذكورة في متن كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت ٦٣٠هـ)
انها مصنوعة وان أثر الصنعة ظاهر فيها، ولكنه لم يبين هذا الاثر، ومن ثم انه تحرى كتب السير
والتواريخ ومجموعة قصائد أبي طالب فلم يعثر عليها.

إن كتب السير والتاريخ غير معنية باشعار أبي طالب وغيره؛ لأنها متخصصة لغرض معين وإن كانت
مادة الأدب تفيد من التاريخ في معرفة مناسبة النص، ولاسيما ان كتب التاريخ لا تعبأ بالشعر إلا
قليلاً؛ لأنها تعنى بالاحداث التاريخية، ويبدو أن النجار لم يستقر مصادر شعر أبي طالب؛ فقد تحرينا
عن القصيدة البائية، فعثرنا عليها كاملة ومجزأة في مظان السير والعقائد والأدب؛ ومنها : السير
والمغازي لابن اسحاق)

122)، والنكت الاعتقادية للشيخ المفيد(123)، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب(124)، والحجة على
الذاهب الى تكفير أبي طالب.(125)
والمتأخرة: بحار الانوار للمجلسي (ت ١١١١هـ)

126)، والغدير في الكتاب والسنة والأدب للأميني (ت ١٣٩٠هـ-127)، والقصيدة ماثورة في ديوان أبي
طالب صنعة أبي هفان(128)، وصنعة علي بن حمزة(129)، ويبدو أن علي فهمي الذي جمع شرح اشعار
أبي طالب لم يطلع على هاتين الصنعتين، ولا الاستاذ النجار مما دعا الاخير إلى التشكيك في نسبة القصيدة
إلى أبي طالب.

ورأي النجار يفتقر الى الدقة فالقصيدة البائية التي علق عليها بانيتها مجرورة وليس مرفوعة ،
وتوجد قصيدة اخرى أشار اليها بانيتها مجرورة ايضا، فالمدة التي بقي فيها أبو طالب في الشعب
ثلاث سنين وهي مدة كافية لان يصدر منه اكثر من نتاج شعري ابداعي في مخاض معاناة الحصار في
الشعب ومن هذا النتاج القصيدتان البائيتان المكسورتان وغيرهما)

130) .

اما ظاهرة الاضطراب في رواية الشعر ونسبته إلى قائله ف«مشكلة صعبة المسالك يمكن ان تصادف
الباحث في كل دراسة يتجه بها الى ادبنا القديم، ولاسيما أدب الجاهلية و صدر الاسلام، ذلك لأن تشابه
الأسماء أحيانا يميل بالرواية إلى الوهم والاضطراب بين هذا وذاك، وأسرّة الشاعر أيضاً ربما أوقعت

في الوهم إن كان فيها من يقرض الشعر، وكذلك شهرة الشاعر بلونٍ مُعَيَّنٍ من الشعر يمكن ان يوقع في الوهم والاضطراب مع من اشتهر بهذا اللون أيضا... وكذلك نجد اضطرابا في نسبة الاشعار إلى اصحابها لا لشيء إلا بسبب الوهم أو عدم التثبُّت من الرواة، وهذا كثير جدا في ادبنا القديم) «

(131)، فضلا عن تشابه النصوص الشعرية التي تكون على وزن وقافية واحدة. ويمكن أن نُصنَّفَ المقطوعات والأبيات الشعرية المتدافع عليها في شعر أبي طالب بحسب اهميتها الى انواع وهي كما يأتي:

النوع الاول: عدم تثبُّت الرواة من نسبة شعره الذي يرجع الى سبب الوهم، ومنه: البيتان اللذان هما لأبي طالب ونسبا وهما إلى غيره، ما نسبة السُّهيلي من شعر لأبي سفيان في رثاء مسافر بن ابي عمرو فقال: «وذكر شعر مسافر بن ابي عمرو بن أمية... وهو الذي يقول فيه أبو سفيان :

{من الخفيف }

ليت شعري مُسافرَ بن ابي عم
رو وليت يقولها المحزون
بورك الميثُ الغريبُ كما بو
رك نضحُ الرمان والزينون

في شعر يرثيه به) «

(132).

وقد علق البغدادي على هذين البيتين «والبيتان المذكوران أولا من تسعة أبيات لأبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) رثى بها مسافرا المذكور وبعدهما... {الابيات} ونسب السُّهيلي هذا الشعر لابي سفيان) «

(133).

إنَّ نسبة البيتين المذكورين في القصيدة النونية لأبي سفيان وهم وقع فيه السُّهيلي للأسباب الآتية: أنه انفرد بهذا القول، والقصيدة مثبتة في ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان، وعلي بن حمزة، وموثقة في اربعة وعشرين مصدرا)

(134) في نسبتها إلى أبي طالب، ثم أن رواية السُّهيلي متأخرة عن صناعة شعر أبي طالب، زد عما يروى أن أبا طالب كان نديما لمسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس(135)، وكان مسافر قد دخلته علة، فخرج ليتداوى في الحيرة فمات، فرثاه أبو طالب بقصيدته النونية(136)، وهذا كله مما يدحض نسبتها إلى ابي سفيان بن حرب، ويقوي نسبتها الى أبي طالب .
ومما ينسب لغير أبي طالب وهما بسبب عدم التثبُّت من نسبته قوله:

{من الوافر}

محمدُ تَفدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ
إذا ما خِفَت من شيءٍ تَبالاً

وهو من الشواهد التي استشهد بها النحاة في باب الحذف، ومنه حذف لام الامر للضرورة الشعرية، والبيت متنازع النسبة بين أبي طالب والاعشى وحسان بن ثابت عند البغدادي في خزانة الادب فقال «... والبيت لا يعرف قائله ونسبه الشارح... لحسان وليس موجودا في ديوانه وقال ابن هشام (في شرح الشذور): قائله أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله)، وقال بعض فضلاء العجم (في شرح ابيات المفصل): هو للاعشى)»

138).

ولم تسعفنا كتب اللغة التي استشهدت بالبيت في معرفة أي من الشعراء الثلاثة ينسب البيت؛ لأنها لم

تنسبه إلى أحد ما خلا الكتابين المذكورين في النص)

(139)، ولم نعثر عليهما في ديواني: حسان بن ثابت والاعشى(140)، بيد أن البيت ورد ذكره في غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب الذي استدركه محمد خليل الخطيب جامع الديوان وشارحه(141)، وفي ديوان أبي طالب عم النبي(صلى الله عليه وآله) الذي استدركه محمد التونجي جامع الديوان وشارحه أيضا(142)، والبيت ليس مما يدل على أن صاحبه: الاعشى أو حسان، فمعناه يتردد كثيرا ضمن اسلوب أبي طالب الشعري في فداء النبي بنفسه وأولاده وأخوته وعشيرته والذود عنه حتى الفناء(143)، وبهذا كله نرجح نسبة البيت إلى أبي طالب. ويلحظ عدم التثبت من رواية النص وهما وذلك بسبب تشكيك الرواة بدلالته وهو ما جاء في

كتاب الدرجات الرفيعة من تشكيك للعلماء في البيت الخامس من المقطوعة الشعرية التي قالها أبو طالب في نصره النبي محمد (صلى الله عليه وآله):
{من الكامل}

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفينا
امض لامرك ما عليك غضاضة	ابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح	فلقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه	من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو أحاذر سبة	لوجدتني سمحاً بذاك ميينا)

(١٤٤)

فقال صدر الدين الشيرازي (ت ١١٢٠ هـ): «قال بعض علمانا اتفق على نقل الابيات الأربعة قبل

البيت الخامس مقاتل والثعالبي وابن عباس والقاسم وابن

دينار وزاد أهل الزيغ والضلال البيت الخامس ظلماً وزواً إذ لم يكن في جملة ابياته مسطوراً ولم ينتبهوا للتناقض الذي فيه ومنافاته باقي الابيات(145)»، واتبع هؤلاء العلماء أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)(146) ونجم الدين العسكري (ت 1395 هـ)(147) وعبد الله الخيزري(148) إن خشية هؤلاء العلماء من أن يكون البيت الخامس ضمن أبيات المقطوعة، وانكارهم له، يعود إلى أنهم يبحثون عن قضية عقائدية، فالمقطوعة المذكورة تأصل اسلام أبي طالب وإيمانه الصحيح،

والبيت الخامس ينفي اسلامه وإيمانه متوهمين ذلك وهذا ما اكده الشيخ المفيد)

149) السابق لهم لدحض الارتياب في صحة نسبة البيت إلى أبي طالب، والمجلسي(150)، وصدر الدين الشيرازي(151)، والاميني(152)، فالبيت الخامس الذي قاله أبو طالب حين اجمع على نصرته ابن أخيه وموازرتة والذود عنه عندما اظهر مشركي قريش عداوتهم له من ضمن أبيات النص المذكور آنفاً للدلالة الآتية:

أولاً: دليل نقلي ونستدل به على حجتين:

أ

- إن البيت يتناسب و مناسبة النص، فقد ذكر صاحب السير والمغازي، مجيء رجال قريش إلى أبي طالب، فتحدثوا معه «وقالوا: ما نحن يا اباطالب، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك، بتاركي ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد اظهر بيننا من شتم ألهتنا، وسب اباننا، وعيب ديننا، فإن شئت فاجمع لحرينا، وإن شئت فدع، فقد اعذرنا إليك، وطلبنا التخلص من حربك و عداوتك فكل ما نظن ان ذلك مخلصا، فانظر في امرك، ثم افض الينا قضاك..فقال ابوطالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا...ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين اجمع لذلك من نصرته رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له: (153) «الابيات المذكورة.

ويظهر الحوار الذي دار بين مشركي قريش وأبي طالب، أنه مؤمن بما جاء به ابن أخيه بيد أنه اراد

ان يخمد ثورة المشركين ضد ابن أخيه ، ويتقي أوار الحرب المزمعين على اضرام فتيلها بينهم وبين

رسول الله ومن يسانده ويؤازره ويناصره، ليكف بذلك شرهم عنه، وفي الوقت نفسه يحمل نفسه على

تطبيب خواطرهم بأنه معهم عند مقابلته اياهم ليتسنى له الوقت الكافي لمعاوضة ابن أخيه ومحاماته؛

لأن دعوته ما تزال في بدايتها، ولو ابدى أبو طالب اسلامه للقي من مشركي قريش الغنت والاذى

والبلاء والجهد مثلما لقي ابن أخيه وأصحابه، وان قوله لابن أخيه :

لولا الملامة او أحاذر سببة لوجدتني سمحاً بذاك مبيئنا

لا ينافي اسلامه «لأن مفهومه لولا حذار الشغب من قريش وخوف الفتنة التي توجب المسبة عندهم

لاظهرت ما تدعوني اليه وبينته على رؤوس الاشهاد وهذا لا ينافي اسلامه باطنا واعتقاده الحق) »

154).

ب

- جاء البيت ضمن ابيات المقطوعة مثبتاً في الديوان بروايتي أبي هفان وعلي بن حمزة وموثقة من كتب السير والتاريخ والعقائد والأدب والنحو في عشرين مصدراً.(155)
ثانياً: الدليل الفني

تتكرر دلالة البيت مع بعض ألفاظه ضمن اسلوب أبي طالب الشعري وهو في صدد نصرته رسول الله

(صلى الله عليه وآله) واتباعه على نحو ما نجده في قوله في القصيدة اللامية:
{من الطويل}

فوالله لولا أن أجيء بسببة تجرُّ على أشياخنا في المحافل

لكنَّا اتبعناه على كلِّ حالةٍ من الدهرِ جدًّا غير قول النَّهْزَلِ

(١٥٦)

وقوله في القصيدة الميمية :

{من المتقارب}

فلولا حذارى ثنا سببةً يُشيدُ بها الحاسدُ المُفَعَمُ
وربهةً عارٍ على أسرتي إذا ما أتى أرضنا الموسِمُ
لتابعته غير ذي مريّة ولو سيء ذو الرغَمِ والمُحَرَّمِ)

(١٥٧)

ويومئذ خطاب أبي طالب في استعماله هذا الأسلوب إلى الحكمة في مسابقة مشركي قريش لما تقتضيه مصلحة الإسلام في إيهامهم أنه على ملتهم؛ ليصون رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بغضهم وعداوتهم له فلا يعمدوا إلى مفاجأته بشيء يسوءه في أمر رسول الله، لما يتيقنون من محبة أبي طالب له، وفي الوقت نفسه يصرح بتصديقه والإيمان بمعتقدده كما أوامت مضمونها في شعره، وعلى هذا فالبيت من صلب المقطوعة لأبي

طالب.

النوع الثاني: عدم تثبت الرواة من نسبة النص وهذا يعود إلى أن كلا الشاعرين من أسرة واحدة، أو لتشابه الموضوع أو لكليهما معاً، ومنه ما ذهب إليه النويري (ت ٧٣٣هـ) (في نهاية الأرب في فنون الأدب إلى نسبة ثلاثة أبيات من القصيدة اللامية إلى العباس بن عبد المطلب في مدح النبي (صلى الله عليه وآله) وهما، وهي لأبي طالب، فقال «وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضي الله عنه وارضاه:

{من الطويل}

وابيضُ يَسْتَسْقَى الغمامَ بوجهه ربيعُ اليتامى عصمة للأرامل
تُطيفُ به الهلاكُ من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمةٍ وفضائلٍ
وميزانُ حقٍّ لا يخيسُ شعيرةً وووزانُ عدلٍ وزنه غيرُ عائلٍ)

(١٥٨)

وردت هذه الأبيات في القصيدة اللامية المشهورة في مدح أبي طالب للنبي محمد (صلى الله عليه

وآله) في ديوانه صنعة أبي هفان وعلي بن حمزة وهي موثقة)

(159)، وقد درج على ذكرها أرباب السير كما مر بنا آنفاً، وقد توهم النويري حين نسب هذه الأبيات إلى عم النبي (صلى الله عليه وآله) العباس، وربما قصد عمه أبا طالب، فتوهم فذكر عمه العباس، إن غلط النويري في نسبة الأبيات يرجع إلى أن كليهما من أعمام رسول الله.

ونسب البيت الأول كمال الدين الدميري (ت ٨٠٨هـ) إلى عبد المطلب فغلطه القسطلاني فقال: «وهذا

البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب على الصواب وقول الدميري وتبعه جماعة انه لعبد المطلب

غلط)»

(160) وانما يقطع الشك فيه قول الرسول(صلى الله عليه وآله) في حديث الاستسقاء، لما اقحط أهل المدينة استسقى لهم رسول الله فلما رأى السحاب حول المدينة كالأكليل قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «لو ادرك أبو طالب هذا اليوم لسره، فقال له بعض اصحابه: كأنك يا رسول الله اردت قوله : وابيض يستسقى الغمام بوجهه.... {البيت} قال :اجل (161) «فهذا نص صريح لرسول الله(صلى الله عليه وآله) بان منشئ هذا البيت أبو طالب .

وربما وقع كمال الدين الدميري في غلط نسبة البيت لعبد المطلب لتشابه موضوع النص الشعري فقد

ذكر ان عبد المطلب كان يستسقى أيام القحط في مكة بالنبي

(صلى الله عليه وآله) عندما كان طفلاً صغيراً(162)، وكذلك أبو طالب استسقى به أيضا. (163) إنَّ عدم تثبُّت الرواة من نسبة النص اوقعهم في الوهم على الرغم من انه لأبي

طالب بن عبد المطلب من غير منازع عليه، فتارة ينسب الى اخيه العباس بن عبد المطلب، وتارة ثانية ينسب البيت الى ابيه عبد المطلب؛ لانهم جميعا من بيت واحد، ولتشابه مناسبة الموضوع المطروق في الاستسقاء برسول الله لأبي طالب وأبيه.

وم

من ألوان الاضطراب نسبة النص الشعري لشاعرين لأنهما من اسرة واحدة على نحو ما تنازع في نسبة القطعة الاتية لأبي طالب وابنه طالب في مديح النبي(صلى الله عليه وآله) : {من المتقارب}

إذا قيل: من خيرُ هذا الوري قبيلاً وأكرمهم اسرة؟

أنافَ لعبد منافِ أبٍ وفضَّلَهُ هاشمُ العرَّة

لقد حلَّ مجدُّ بني هاشم مكان النَّعائم والنَّثره

وخيرُ بني هاشمٍ احمدٌ رسولُ الإلهِ على فتره

(١٦٤)

عزا الشيخ المفيد القطعة الى أبي طالب)

(165)، وعزاها الشيرازي (166) الى ابنه طالب، وتنازعت نسبة القطعة بين أبي طالب وابنه طالب في آن معاً، عند ابن ابي الحديد (167) والمجلسي (168) وجامع غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب لمحمد خليل الخطيب(169)، ومحققي ديوان أبي طالب: محمد التونجي(170)، ومحمد حسن آل ياسين(171)، ومحقق مجموع شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام لمحمد ساري.(172) وعلى الرغم من أن الشيخ المفيد اسبق في رواية النص المذكور يبقى الترجيح في نسبته امرا صعبا؛

لان غاية الشيخ المفيد صحة اثبات ايمان أبي طالب من خلال النص، وكذلك غاية الشيرازي اثبات

اسلام طالب ويبقى النص متنازع النسبة بينهما ما لم نعثر على دليل قوي يحسم الأمر في اثبات

نسبته الى احدهما.

ومن هذا اللون الأرجوزة البانية التي نسبت لأبي طالب تارة، ولطالب تارة ثانية،

أو كليهما معا:
{من الرجز}

يا ربَّ إِمَّا تُخْرِجَنَّ طالبي

في مِقْتَبٍ من تِلْكَمِ المقانِبِ

فليُكُنِ المِغْلُوبُ غيرَ الغالبِ

وليكن المِسلُوبُ غيرَ السالِبِ)

(١٧٣)

ومما يرجح نسبة الأرجوزة طالبا ان مناسبة النص تفيد انها له، فبعد انتهاء معركة بدر التي أُخرج اليها طالب مكرها جرت محاوره بينه وبين بعض قريش «فقالوا: والله قد عرفنا أن هواكم مع محمد فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع، وقيل: إنما كان خرج كرها فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذي يقول.... {اشطر الرجز}»

174).

إن نسبة الأرجوزة إلى أبي طالب وهم يرجع الى عدم التثبُت من الاسم، ولأنَّ كلا الشاعرين من اسرة واحدة، ومنه ما نسب الى الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو لأبيه)

175) وهو لا يحتاج الى كثير مناقشة.

والنوع الثالث في عدم التثبُت من رواية الشعر المتدافع عليه لاحد الشاعرين هو التشابه في وحدة الوزن والقافية ومنه: ما ذكر في أسماء النبي (صلى الله عليه وآله) (فاورد صاحب الخزانة «ورأيت (في المواهب اللدنية) قال مؤلفه: ثم إن في اسمه محمد خصائص منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت :

{من الطويل }

من الله من نورِ يلُوحُ ويُشهُدُ

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ

إذا قال في الخمسِ المؤذُنُ اشهُدُ

وضمَّ الإلهَ اسمَ النبيِّ إلى اسمه

فدو العرشِ محمودٌ وهذا مُحمَّدُ

وشقَّ له من اسمه ليجلَّهُ

...ثم قال صاحب المواهب: وأخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال: كان أبو

طالب يقول: وشقَّ له من اسمه ليجلَّهُ... {البيت}»

176).

لاشك في أن البيت الثالث الذي ذُكر في القصيدة الدالية لحسان بن ثابت، هو لأبي طالب لأنَّ رواية

شهاب الدين احمد القسطلاني (ت سنة ٩٢٣هـ) متأخرة عن رواية ابي عبد الله محمد بن اسماعيل

البخاري (ت ٢٥٦هـ)، وقد أورد البيت غير واحد من مؤرخين وأدباء وعلماء)

(177)، والبيت مما ضمنه حسان بن ثابت وبهذا جزم أحمد زيني دحلان الشافعي(178)، وعبد الحسين أحمد

الاميني(179)، وعبد الرحمن البرقوقي محقق وشارح ديوان حسان بن ثابت.(180)

وسبب نسبة هذا الاضطراب يرجع إلى تشابه قصيدتي: أبي طالب وحسان بن ثابت المذكور البيت في

كليهما، إذ يتشابهان في وحدة الوزن والقافية فضلا عن الموضوع، فموضوع كلتا القصيدتين في

مدح النبي محمد(صلى الله عليه وآله)

181).

ومن هذا اللون من عدم التثبُّت في الرواية الذي يرجع الى تشابه القصائد في الوزن والقافية ما ينسب

الى غير أبي طالب وهو له، ما نسبه ابن كثير في السيرة النبوية، وهي أربعة إبيات إلى ورقة بن

نوفل بعد ان أورد له قصيدة من اثني عشر بيتا أردف قائلا: «وزاد الاموي

{من الطويل }

وكان له فضلٌ على الناس. راجحُ

فمتبَّع دينَ الذي أسَّسَ البنا

تلاؤاً فيه بالظلام المصابيحُ

وأسسَ بنيانا بمكةً ثابتاً

تُخبُّ إليه اليعملاتُ الطلائحُ

مثابا

يعلِّقُ في أرساغهنَّ السلاحُ

لأفناء القبائل كلَّها

حراجيح أمثال القِداح من السرى

«(١٨٢)

وقد تفرد ابن كثير بهذه الرواية، ولم اقف في المصادر المتقدمة في نسبتها الى ورقة بن نوفل، ولم

اعثر عليها في مجموع شعره ضمن القصيدة الحائية له)

(183)، ويبدو أنَّ الأموي الذي زادها في القصيدة الحائية لورقة؛ لأنَّها على الوزن والقافية نفسها، ومن

المرجح انها لأبي طالب لما ذكرته المظان الآتية:

أورد أبو بكر الانباري (ت ٣٢٨هـ) البيتين الثاني والثالث في الزاهر في معاني كلمات الناس، ولم

يعزها الى أي شاعر، بيد أنَّ محقق الكتاب حاتم صالح الضامن عزاهما إلى أبي طالب مستدلا على ما

ذكره ابن منظور في لسان العرب)

(184)، وعزا أبو منصور الازهري (ت ٣٩٢هـ) في تهذيب اللغة البيت الثالث الى أبي طالب(185)، وروي

البيت لابن منظور صحيح النسبة لأبي طالب فقال: «وانشد الشافعي بيت ابي طالب :

{من الطويل }

تُخبُّ إليه اليعملاتُ الدواملُ

مثابا لأفناء القبائل كلَّها

وقال ثعلب: البيتُ مثابةٌ وقال بعضهم: مثوبةٌ ولم يقرأ بها) »

(186)، ويلحظ في النص ان ثعلبا (ت ٢٩١ هـ) لم يعترض على نسبة البيت لأبي طالب، وانما رواه هو وغيره له

واتبع ابن منظور الزبيدي (ت ٢٠٥ هـ) فذكر البيت لأبي طالب

(187)، والبيت مذكور في المستدرک من ديوان أبي طالب. (188)

ولا نستبعد أن القطعة التي ذكرها ابن كثير رواية عن الاموي أنها لأبي طالب، لأنها وحدة شعرية

تحمل فكرة الاشادة بالنبي(صلى الله عليه وآله) الذي كان له اثر في بناء الكعبة، وفي شعر أبي طالب

ما يدلنا على ذلك أيضا)

(189)، اما اللغويون الذين لم يستشهدوا ببقية ابياتها فهذا يعود؛ إلى أنهم معنيون بإيراد الشاهد اللغوي

فحسب

ونعود فنقول إن هذا الاضطراب يرجع إلى أن الأموي توهم نسبة الأبيات الى ورقة واتبعه ابن الاثير

في ذكرها بعد ان أورد القصيدة الحانية لورقة بسبب الوزن والقافية التي عليها القصيدة المذكورة.

ومما تقدم نتبين أن الاضطراب في رواية شعر أبي طالب مما نسب إليه، أو لغيره، أو له ولغيره في

أن معا يرجع إلى الوهم في عدم تثبت الرواة لنسبته لاسباب التي تشكل بعض الاشكال عليهم، فمنها:

تباين معنى النص وهماً، أو تحريف اسم منشئ النص، أو لتشابهه في الموضوع المطروق، أو

لتشابهه في وحدتي : الوزن والقافية، وبهذا كله نكون قد ميزنا شعر أبي طالب من غيره من

الشعراء، ونظمن على الاستشهاد به؛ لتأكد نسبته إليه في دراسة الفن والموضوع لشعر أبي طالب.

الدراسة

أولاً: في الموضوع

إنَّ الأدب ولاسيما الشعر لا ينحصر في موضوعات معينة، لأنَّه يمثل الحياة العامة باحداثها ومواقفها

المتعددة التي أثرت في نفس الشاعر وفكره ووجدانه، وان كل لحظة انفعال يمر بها الشاعر لها

سماتها وطبيعتها الخاصة التي تدفعه إلى قول الشعر ليعبر عن ذلك كله، ولذلك تعددت موضوعاته،

بيد أنَّ الباحثين اعتادوا على تصنيف الشعر إلى موضوعات قيِّدت بالثناء والفخر والمديح والهجاء

إلى آخره، وهي موضوعات تقليدية معهودة قبل الإسلام، وقد طرأ عليها في فجر الإسلام بعض

التغيير والتحوير والتطوير واستحدثت موضوعات جديدة في معانيها تنسجم مع المرحلة الجديدة للحياة الإسلامية، ومبدائها كشعر الدعوة الدينية وغيرها.

وقد طرق أبو طالب بعض الموضوعات القديمة والموضوعات الجديدة فسجل موضوع الرثاء قبل الإسلام، ولم يسجل شيئا منه في الإسلام، بيد ان بعض النصوص ارتدت معاني جديدة لم يتناولها الشعراء قبله.

وحفلت الموضوعات الشعرية؛ الفخر والمديح والعتاب والهجاء بصبغة متطورة تأثرت معانيها بواقع حدث الإسلام الكبير، وما رافقه من تغيير في واقع المجتمع القرشي خاصة والعربي عامة. اما الألوان الشعرية التي فرضها الواقع الإسلامي الجديد في الايمان بالله ورسوله ونصرته وتأييده والدفاع عنه، فهي مما لاشك فيه ذات طابع جديد، وان كان لها جذور في الشعر العربي من معاني التوحيد، والاجارة، إلا انها في ظل الإسلام اكتست معاني إسلامية جديدة اقترنت بصاحب الرسالة الرسول محمد

(صلى الله عليه وآله) في اشهار الشعر سلاحا من اسلحة الدعوة الإسلامية بوجه مشرقي قريش، ووسيلة لتقرير العقيدة. ونأى أبو طالب في شعره عن موضوع الغزل، فلم نعثر على شيء منه، ويبدو أنّ الشاعر تخرج من ان يطرق هذا اللون من الشعر؛ لأنه من الموحدين، ولأنه لا يتناسب ومكانته الاجتماعية وهو رئيس قريش وحاكمها، وان اغلب شعره الذي وصل الينا يمثل مرحلة متأخرة من حياته، وأبو طالب وان كان مقلا قبل الإسلام، فإنه غير ذاك بعد مجيء الإسلام؛ ذلك بأن حدث الإسلام العظيم فجر قريحته الشعرية إلى فن الدعوة الإسلامية الجديدة الذي يعد رسائل شعرية موجهة إلى قومه في دعوتهم إلى نصره رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتأييده ومؤازرته والدفاع عنه، لما رأى من قريش معارضة شديدة للرسول.

(

(1) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٣٢١ -
(2) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٤٦ - ٤٩ .

- (3) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢٩ - ٤٧٨ ، عقد الدكتور ناصر الدين الأسد فصلاً بهذا الشأن.
- (4) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٢٥٥ .
- (5) شرح نهج البلاغة: ٨١/١٤ ، ظ: شرح شواهد المغني: ٣٩٨/١ ، بحار الانوار: ١٦٨/٣٥ .
- (6) السيرة النبوية: ٢٤/٣ ، ظ: الكامل في التاريخ: ٨٧/٢ ، شرح نهج البلاغة: ٨٠/١٤ ، الديوان: ٧٤ ، مع اختلاف الرواية: «... نُبِرَا محمداً • ولما نُطَاعِنُ دونه ونناضِلِ.»
- (7) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٠٥ .
- (8) نهاية الارب في فنون الادب: ١٧٥/٣ ، ١٦٧ .
- (9) صحيح البخاري: ٢٣٨/١ ، فتح الآله في اختصار السنن الكبرى: م: ٢ ، ق: ٣ ، ج ١/١٥١ .
- (10) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٢١ .
- (11) الرجال: ١٦١ .
- « (12) كان عالماً باللغة والأدب والقرآن، صدوقاً اديباً» بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:
- ٩٥/٢ .
- « (13) كان راويةً للادب، صاحب اخبار، وتوليف كثيرة، وكان ثقة في الحديث» وفيات الاعيان
- وأبناء أنباء الزمان: ٤٧٦/٣ .
- (14) كان راويةً للشعر والاخبار، له مصنفات عديدة، ظ: وفيات الاعيان وأبناء أنباء الزمان:
- ٢٤٤/٣ - ٢٤٧ .
- (15) كان شاعراً وراويةً وعلمة اخباريا ، وله مصنفات عديدة، ظ: وفيات الاعيان وابناء ابناء
- الزمان: ٥٦/٣ .
- (16) من علماء اللغة والادب له مصنفات عديدة، ظ: الرجال: ٦٧ .
- « (17) كان من اعلم الناس بالنحو والأدب، واكثر حفظاً... وكان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً » بغية
- الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢١٤/١ .
- (18) ظ: الرجال: ١٦١ .
- (19) خزانة الادب: ٢٠/١ .
- (20) م.ن: ٤٧٠/١٠ .
- (21) م.ن: ٤٧١/١٠ .

(22) م.ن: ٤٦٣/١٠.

(23) خزانة الادب: ٧٦/٢، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب: ٣٢٤/١، ولم اعثر على هذه

الاشارة في الاصابة لترجمة أبي طالب، ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ١١٥/٤ - ١١٩.

(24) الرجال: ١٦١، نزهة الالباء في طبقات الادباء: ١٤١.

(25) سمط اللآلي: ٣٣٥/١.

(26) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٣١/٢.

(27) الفهرست: ٢٢٣، ظ: طبقات الشعراء: ٤٠٩.

(28) ظ: الديوان: ٤٠ - ٤١.

(29) ظ: م.ن: ٣٨.

(30) لم اعثر على سنة وفاته.

(31) كان عالما في اللغة والادب، وكان شاعرا كثير الحفظ، له مصنفات، ظ: طبقات النحويين

واللغويين: ١٩٠ - ١٩١، وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤ / ١٦٧.

(32) ظ: الفهرست: ٢٢٤.

(33) معجم الادباء: ١٣ / ٢٠٨.

(34) ظ: الديوان: ٤٩ - ٥١.

(35) ظ: م.ن: ٤٧ - ٤٩.

(36) كان ادبيا لغويا راويا، واخباريا نسابة، كثير الحفظ، ظ: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة:

١٢/٤، ويتيمة الدهر في محاسن العصر: ٢ / ٣٥٢، وانباه الرواة على انباه النحاة: ٢٥/١.

(37) كان راويا اخباريا، وثقة في الحديث وحسن التصنيف، ظ: الفهرست: ٣٣٧، الرجال: ٧٥.

(38) كان اخباريا، ثقة في الحديث وحسن التصنيف، ظ: الفهرست: ٣٣٧، والرجال: ٧٥.

(39) كان ثقة معتمدا لا يطعن في حديثه له مصنفات، ظ: الرجال: ٣٤٣.

(40) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب (المقدمة): ٣ - ٤.

(41) ظ: شعر أبي طالب واخباره والمستدرک عليه (المقدمة): ١٨.

- (42) ظ: الديوان (آل ياسين): ٢١٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥١، في هذه الصفحات نصوص لعلي بن حمزة التميمي لم نعثر عليها في رواية ابي هفان في نسخة شعر ابي طالب وأخباره والمستدرک عليه طبعة قم.
- (43) ذكر التونجي في المقدمة: ٦، انه وقف على رواية علي بن حمزة، وقد فحصنا الرواية المذكورة فوجدنا نصوصا لم ترد في نسخة التونجي: ظ: الديوان (آل ياسين): ١٤٩- ١٥٠، 165، 180، 181، 183، 184، 185، 205، 209، 210، 224، 231، 245، قصائد ومقطوعات ويبدو انه جمع ابيات رواية ابي هفان مع مستدرکه في نسخة الخطيب لأنه اعتمد عليه في تخريج جميع النصوص واستدرک على ما لم يجده في هذه النسخة من المظان.
- (44) ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) (المقدمة): ٥.
- (45) ديوان أبي طالب بن عبد المطلب (المقدمة): ٥٣.
- (46) ثم شارك مجموعة من المؤلفين فأصدروا ديوان أبي طالب ضمن الموسوعة الشعرية الصادرة من بيروت لسنة ٢٠٠٤م، وضم الديوان ستمائة وثلاثة ابيات تصدر الديوان بمقدمة موجزة جدا عن الشاعر، ورتبت النصوص بحسب حروف الروي ولا تسعفنا النسخة التي بين ايدينا لمعرفة المزيد من التفاصيل حول وصف الديوان، فهي مسحوبة من القرص (الموسوعة الشعرية) تفتقد مزايا التحقيق العلمي من عدم ذكر الرواية والتخرجات والاستدراكات الى آخره.
- (47) ظ: المستدرک على الديوان «في نهاية الاطروحة».
- (48) ظ: البيان والتبيين: ٣/٣٠.
- (49) ظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٢٧، ٢٨.
- (50) ظ: العقد الفريد: ٢/٣، ٢٤.
- (51) ظ: خزنة الادب: ٢٢٥/١، ٥٥/٢- ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٢٩٦/٣، ٢٤٢/٤، ٢٤٥، ٢٧٥، ٦، 196، 147- 8/146، 9/11، 397، 10/ 463، 467.
- (52) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/٢٤٤.
- (53) ظ: الاغانى: ١٠١/٨.
- (54) ظ: الحماسة البصرية: ١/١١٨، ٢/٢.
- (55) ظ: مجموع شعر قريش في الجاهلية والاسلام (اطروحة): ١٥٩، ديوان أبي طالب: ١٨٣.

- (56) ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤، ديوان أبي طالب: ٣٣٢.
- (57) ظ: الكتاب: ١١١/١ - ٤٠٨، ٢٦١/٣.
- (58) ظ: المقتضب: ١١٤/٢، ١٣٢.
- (59) ظ: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب: ١٠٨، ٤٦٣.
- (60) ظ: سمط اللآلي: ٥٦٦/١.
- (61) ظ: الامالي الشجرية: ١٠٦/٢، ٣٧٥.
- (62) ظ: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ٥٦٠/١، ١٤٩/٢، ١٨٩، احد الابيات مكرر.
- (63) ظ: شرح جمل الزجاج لابن هشام: ١٧٦.
- (64) ظ: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ١٨٠/١، ٢٩٧، ٣٧٥، ٨٠٥/٢ - ٨٤٠.
- (65) ظ: شرح شواهد المغني: ٣٩٦/١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٦٨٦/٢ - ٦٨٧.
- (66) ظ: المعاني الكبير: ٨٨٨/٢.
- (67) ظ: الاشتقاق: ٨٨، ٩٧، ١٥٠، ١٦٦.
- (68) ظ: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٤٠/١، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٠٢، ٣٦٧.
- (69) ظ: م.ن: ١/١، ٥٤٧، ٢٥٢.
- (70) ظ: ديوان المعاني: ٣٧/١.
- (71) ظ: السير والمغازي 35 :، 77- 76، 78، 148، 149، 150، 153، 155، 156، 157، 158- 157، 160، 163، 164- 163، 165- 164، 167، 170- 169، 208.
- (72) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٣٥/١، ٢٦٧- ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢ - ٢٨٠، ٣٣٢- ٣٣٣، ٣٥٢ 353 -، 372- 371، 380- 378، 15، 2/4، 19- 20، 3/24.
- (73) الرّوض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام 30- 16، 12، 2/10- 132، 131- 132، 132- 133، 163-166.
- (74) ظ: السيرة النبوية لابن كثير 1/70 :، 179، 195- 194، 211، 476- 464، 477، 491- 486، 2/27، 50- 49، 62، 71- 70.
- (75) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٤٢/٣، ٤٨- ٤٩، ٤٩، ٥٣- ٥٧، ٨٧، ٩٣، ٩٧- ٩٨.
- (76) ظ: انساب الاشراف: ١٠٠/١، ٣١/٢- ٣٢، ٣٢- ٣٣، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤١.

- (77) ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ١١٥/٤ - ١١٦ .
- (78) ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب): ١٨ - ٢٢ ، ٢٩ - ٤١ .
- (79) ظ: الفصول المختارة: ٢٨٣ - ٢٨٦ .
- (80) ظ: كنز الفوائد: ١٧٢/١ ، ١٧٩ - ١٨٢ ، ٢٧١ .
- (81) ظ: مناقب آل أبي طالب 1/34 : ، 37- 38 ، 51-52 ، 53 ، 55 ، 56 ، 57-58 ، 56- 57 ، 59 ، 60- 61 ، 60- 61 ، 2/91- 92 .
- (82) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب 188- 189 : ، 192- 194 ، 196- 197 ، 198- 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 204- 205 ، 216- 218 ، 218- 220 ، 221- 222 ، 224 ، 227 ، 240 ، 241 ، 249 ، 250- 251 ، 257- 258 ، 276 ، 277 ، 281- 282 ، 283 ، 286 - 287 ، 289- 293 ، 298- 299 ، 300 ، 304 ، 305 ، 315- 319 ، 321 ، 322- 323 ، 326- 327 ، 342- 344 .
- (83) ظ: شرح نهج البلاغة 14/56 : ، 57- 58 ، 61- 62 ، 62- 63 ، 64 ، 71- 72 ، 72- 76 ، 74 ، 75- 76 ، 77- 78 ، 79 ، 80 ، 79 ، 81 .
- (84) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤ .
- (85) السيرة النبوية : ٢٨٠/١ .
- (86) الديوان: ٦٩ .
- (87) ظ:م.ن: ٧٠ - ٨٥ .
- (88) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٢/١ ، السيرة النبوية لابن كثير: ٤٨٦/١ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٥٣/٣ .
- (89) ظ: خزنة الادب: ٥٨/٢ .
- (90) شرح نهج البلاغة: ٧٨/١٤ .
- (91) ظ: السيرة النبوية: ٤٨٦/١ - ٤٩١ .
- (92) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٥٣/٣ - ٥٧ ، وقد زادت اللجنة المحققة تسعة ابيات من سيرة ابن هشام ظانة انها سقطت منه والصحيح ان ابن كثير اخذ القصيدة من مصدر اخر بدليل تعليقه الذي سنذكره في المتن.

- (93) السيرة النبوية لابن كثير: ٤٩١/١ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٥٧/٣ .
- (94) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٢ /١ - ٢٨٠ ، السيرة النبوية لابن كثير: ٤٨٦/١ - ٤٩١ ،
(على ترتيب القصيدة.)
- (95) الاموي: واحد من اثنين: إما ان يكون يحيى بن سعيد الاموي (ت ١٩٤ هـ)، وإما ان يكون ابو العباس الوليد بن مسلم (ت ١٩٥ هـ) ، وكلاهما له كتاب في المغازي ، أخذ منهما البخاري (ت ٢٥٦ هـ) والطبري (ت ٣١٠ هـ) في تاريخ الامم والملوك، ظ: تدوين السيرة النبوية ودراساتها (بحث): ٣٥٦ .
- (96) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٣٠/٧ ، الابيات في الديوان: ٧٠ ، ٨٥ .
- (97) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٢٣٨ /٢ ، ظ: شرح المواهب اللدنية: ١٩١/١ .
- (98) ظ: الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٦/٢ - ٢٨ .
- (99) ظ: خزنة الادب: ٥٨ /٢ - ٧٥ .
- (100) ظ: السيرة النبوية لابن هشام (المقدمة): ١٧ .
- (101) ظ: شذرات الذهب: ٤٥/٢ .
- (102) ظ: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١٤٣/٣ ، معجم الادباء: ١٨ /٢٠٤ .
- (103) طبقات فحول الشعراء: ٢٤٤/١ - ٢٤٥ .
- (104) م.ن: ٢٤٥/١ الهامش.
- (105) ولد ابن سلام ١٣٩ هـ، وتوفي سنة ٢٣١ هـ.
- (106) ظ: مجموع شعر قريش، ملحق في الاطروحة (شعر قريش في الجاهلية وصدرا الاسلام.)
- (107) تاريخ الادب العربي (بلاشير): ١٣٧/٢ - ١٣٨ .
- (108) طبقات فحول الشعراء: ٢٤٥/١ .
- (109) شعر قريش في الجاهلية و صدر الاسلام (اطروحة): ١٣٣ .
- (110) ظ: السير والمغازي لابن اسحاق ت ١٥١ هـ، السيرة النبوية لابن هشام ت ٢١٣ هـ، تاريخ اليعقوبي لابن واضح ت ٢٩٢ هـ، مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي ت ٣٤٦ هـ، البدء والتاريخ للمطهر المقدسي ت ٣٥٥ هـ (منسوب)، الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسّهيلي ت ٥١٨ هـ، الكامل في التاريخ لعز الدين بن كثير ت ٦٣٠ هـ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمانل والسير لابن سيد الناس ت ٧٣٤ هـ، السيرة النبوية، البداية والنهاية في التاريخ لابي الفداء أبي

اسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ، امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الاحوال والاموال
والحفدة والمتاع للمقريري ت ٨٤٥هـ ، تاريخ الخميس في احوال أنفيس نفيس للديار بكري
ت ٩٦٦هـ، سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي لعبد الملك المكي ت ١١١هـ، السيرة
النبوية انسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، والسيرة النبوية والآثار
المحمدية لاحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ)، تمثيلاً لا حصراً، ولم نعثر على أي لون من الوان
التشكيك في شعر أبي طالب من قبل المؤرخين في كتب السير المتقدمة والمتأخرة.

(111) السيرة النبوية لابن هشام (المقدمة): ١٢/١، ويحتمل ان بلاشير نظر في قول ابن سلام :

«وكان ممن أفسد الشعر وهَجَّنَهُ وحمل على غشاء منه محمد بن اسحاق...» طبقات فحول الشعراء:

٧/١، متوهما، فابن سلام قصد ان ابن اسحاق اورد اشعارا لرجال ونساء لم يقولوا شعرا، ونسب

شعرا لاقوام من عاد وثمود، ولم يقصد انه حمل على شعر أبي طالب ظ: م.ن: ٨/١.

(112) تاريخ الادب العربي (بروكلمان) : ١٧٥/١.

(113) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٤٦/١.

(114) طبقات فحول الشعراء: ٨/١.

(115) ظ: السيرة النبوية 1/66 ، 166 ، 372 ، 2/168 ، 173 ، 174 ، 176 ، 212 ، 282 ،

283 ، التعليقات الاتية) : قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن اسحاق منها،(وهذا ما صح له

منها) (وبقى منها بيت تركناه) ،(و البيت الثاني عن غير ابن اسحاق) و(تركنا منها بيتا واحدا)،

(واكثر اهل العلم ينكرها لسعد)،(واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لابي جهل)،(وبعض اهل

العلم بالشعر ينكر هذا لمركز) ، (وهذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء)، (وهذا

اصح اشعار اهل بدر)، (وبعض اهل العلم ينكرها لهند)، (واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لهند) تمثيلاً

لا حصراً.

(116) ظ: السير والمغازي: ٣٥ - ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، 158 - ، 160 ، 163 ، 164 ، 163- 164 ، 164- 165 ، 167 ، 169- 170 ، 211 ، - 211

222.

(117) ظ: السير النبوية : ٢٣٥/١ ، ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ - ٢٨٠ ، ٣٣٢ - ٣٣٣ ، ٣٥٢ -

٣٥٣ ، 380٧٨ ، - 2/4 ، 15 ، 20 - 19 ، 3/24.

(118) اثر التشيع في الادب العربي: ٦٩.

(119) ظ: الديوان: ٦٩- ٧٠، ١٩٠- ١٩٨، ٢٩٢- ٣٠٤.

(120) الكامل في التاريخ: ٦٢/٢، ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦، ٢٢٩.

(

(121) الكامل في التاريخ: ٦٢/٢، الهامش، ظ: الديوان: ٢١١- ٢١٣، البانية الثانية المجرورة.

(

(122) ظ: السير والمغازي: ١٦٤.

(

(123) ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب): ٣٣- ٣٤.

(

(124) ظ: مناقب آل أبي طالب: ٥٨/١.

(

(125) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٠٤.

(

(126) ظ: بحار الانوار: ٩٥ / ٣٥.

(

(127) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٣٦٧ / ٧.

(

(128) ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦.

(

(129) ظ: م.ن: ٢٢٩- ٢٣٠.

(

(130) ظ: م.ن: ٢٢٠، ٢٢٧- ٢٢٨، ٢٣٤- ٢٣٧. بحسب مناسبتها.

(

(131) العجاج عبد الله بن ربيعة، حياته ورجزه: ١٥٦.

(

(132) الرُّوضُ الأَنْفُ في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٩/١.

(

(133) خزانة الادب: ٤٦٦ / ١٠- ٤٦٨.

(

(134) ظ: الديوان: ١٠٤- ١٠٥، ٢٦٣- ٣٦٤، ٣٢٥- ٣٢٦.

(

(135ظ: المحبر: ١٧٤ - ١٧٥ .

(

(136ظ: خزانة الادب: ١٠ / ٤٦٨ .

(

(137الديوان (التونجي): ٦١ ، التبال: الهلاك.

(

(138خزانة الادب: ٩ / ١٤ .

(

(139ظ: ضرائر الشعر: ١١٧ ، الهامش ذكر المحقق كتب اللغة التي ذكرت البيت بنسبة وبلا نسبة.

(

(140ظ: ديوان الأعشى، وشرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، لم نعثر على البيت .

(

(141ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ١٧٧ .

(

(142ظ: الديوان (التونجي): ٦١ .

(

(143ظ :الديوان: ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، 182 ، 183 ، 189 ، 193 ، 198 ، 206 ، 208 ، 212 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 217 ، 219 ، 220 - 221 ، 224 ، 229 - 230 ، 231 ، 243 - 244 ، 246 ، 255 ، 258 .

(

(144الديوان: ١٨٩ ، أوردت البيت ضمن المقطوعة لما أثير حوله من نقاش يوجب ذكر المقطوعة.

(

(145الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤ .

(

(146ظ: اسنى المطالب في نجات أبي طالب: ٤٧ .

(

(147ظ: أبو طالب حامي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وناصره: ٤٩ .

(

(148ظ: ابوطالب مؤمن قريش: ١٥٣ .

(

(149ظ: الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(

(150ظ: بحار الانوار: ٣٥ / ١٧٦ - ١٧٧ .

(

(151ظ: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤ .

(

(152ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٣٣٥ / ٧ .

(

(153السير والمغازي: ١٥٤ - ١٥٥ .

(

(154الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤ .

(

(155ظ: الديوان: ٨٧ ، ١٨٩ ، ٢٩١ - ٢٩٢ .

(

(156م.ن : ٨٤ .

(

(157م.ن: ٩٣ ، نشأ: ما تُخبر به عن الرجل من حسن وسوء، السببة: العار، يشيد: يفشي، المفعم: الممتليء، الموسم: المجتمع ويقصد به موسم الحج، ذو مريّة: ذو شك، المحرم: ذو الحرمة.

(

(158نهاية الارب في فنون الادب: ٢٤١/١٨ ، ظ: الديوان: ٧٥ ، ٨٠ ، باختلاف الرواية، وترتيب الابيات، فقد ورد البيت الثاني: «يلوذُ به الهلاك...»، والبيت الثالث برواية: «بميزان قسط لا يغيضُ شعيرةً

له شاهدٌ من نفسه حقّ عادل»

وتأخر ترتيبه في القصيدة بعد ثلاثة وعشرين بيتا.

(

(159ظ: الديوان: ٦٩ - ٨٥ ، ١٩٠ - ١٩٨ ، ٢٩٢ - ٣٠٤ .

(

(160شرح المواهب اللدنية: ١٩١/١ .

(

(161السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٠/١ - ٢٨١ .

(

(162ظ: انساب الاشراف: ٨٣/١ ، الرُوض الأُنْف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: 31.٢ - 30/

(

(163ظ: الخصائص الكبرى: ٨٦/١ .

(

(164الديوان: ٣٣٨ ، قبيلًا: القبيلة، أناف: ارتفع، النثرة: كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطح بياض، ويقال لها أنف اسد، ويذكر ان طالبا كان محبا للرسول (صلى الله عليه وآله) وله فيه مدائح، ظ: مجموع شعر قريش ملحق في الأطروحة «شعر قريش في الجاهلية و صدر الاسلام»: ١٥٩ - ١٦١ .

(

- (165ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب) : ٣٥ .)
- (166ظ: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٦٣ .)
- (167ظ: شرح نهج البلاغة: ٧٨ / ١٤ .)
- (168ظ: بحار الانوار: ١٦٤ / ٣٥ - ١٦٥ .)
- (169ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ٥٠ - ٥١ .)
- (170ظ: الديوان (التونجي) : ٤٤ .)
- (171ظ: الديوان: ٣٣٨ .)
- (172مجموع شعر قريش ملحق في الاطروحة «شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام»: ١٦١ .)
- (173الديوان (التونجي): ٢٥ ، المقنب: الجماعة من الخيل، او نحوها .)
- (174الكامل في التاريخ: ٨٥/٢ .)
- (175ظ: الديوان: ١٥٠ ، ٣٣٤ .)
- (176خزانة الادب: ٢٢٥/١ ، ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤ ، اختلاف رواية البيت الاول ... : من
الله مَسْهُودٌ يَلُوحُ وَيُسْهَدُ. »)
- (177ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٣٣٥/٧ .)
- (178ظ: أسنى المطالب في نجات أبي طالب: ٤٦ .)
- (179ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٣٣٦/٧ .)
- (180ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤ الهامش .)
- (181ظ: الديوان: ٢٣٤ - ٢٣٦ (القصيد)، ٣٣٢ (المستدرک) مع الهامش .)

(

(182 السيرة النبوية لابن كثير: ٢٦٩/١ ، اليعملات: جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة، والطلاق: المتعبات، الحراجيج: الطوال.

(

(183 ظ: ورقة بن نوفل حياته وشعره (بحث): ١٧٥ .

(

(184 ظ: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢٥٠/١ مع الهامش.

(

(185 ظ: تهذيب اللغة: (ثوب)، وعجز البيت م.ن: (ذمل).

(

(186 لسان العرب: (ثوب)، وعجز البيت، م.ن: (ذمل)، وتختلف الرواية عن ابن كثير...: «تُحِبُّ اليه اليعملاتُ الذواملُ.»

(

(187 ظ: تاج العروس: (ثوب)، وعجز البيت: م.ن: (ذمل).

(

(188 ظ: الديوان: ٣٤١ .

(

(189 ظ: م.ن: ٣٣٨ .

الفصل

الثاني

الرثاء والفخر والمديح

مفتتح الفصل

علاقة الرثاء بالفخر والمديح

أوماً بعض النقاد القدامى إلى أن ثمة علاقة بين الرثاء والمديح، فجعلوا الرثاء فناً

تابعاً للمديح، فقال ابن سلام ما نصه «ان التأبين مدح الميت والثناء عليه... والمدح للميت (1)»، وتابعه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) في ربط الرثاء بالمديح فقال: «ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على انه لهالك مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه، وما اشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لان تأبين الميت انما هو يمثل ما كان يمدح في حياته (2)»، ونهج ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) المنهج نفسه في تلك الاحكام، فقال: «وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا انه يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت مثل كان أو عدنا به كيت وكيت وما يشاكل هذا ليعلم انه ميت (3)»، على ان الحال النفسية التي يكون عليه الراثي ساعة الابداع الشعري لا تستوي مع الحال النفسية التي يكون عليها المادح، فالراثي وهو يمدح الفقيد انما يرثيه بعاطفة حزينة وموجعة، والمادح انما يمدح بعاطفة الاعجاب بالقيم الاصيلة التي يتوسمها بالمدوح، ونفسه تشع بهجة وسرورا. بيد أن هناك رابطاً قويا في الحالين، وهو ان الراثي عندما يمدح اثار الفقيد لمن حوله من المستمعين،

فيربهم في فقيدهم اسمى صور الكمال التي تنير فيهم عاطفة الاعجاب والحزن الممزوجة بخسارة

الميت، فيدفعهم الى بكائه اعجابا بما يمتلك من صفات وحرناً واسفاً وحسرة لفقده)

4).

وعندما يمدح الشاعر الممدوح، وهو يرسم صور الاعجاب فيه باعلى درجات الكمال، فإن المادح

والمستمعين سيكونون مدفوعين بعاطفة الاعجاب ومتوسمين عمل الممدوح بالفضائل الجليلة،

والاعمال الخالدة، والسجايا الحميدة، والمآثر العريقة التي اشاد بها الشاعر؛ ليعمل الممدوح جاهداً؛

لتحقيقها والارتقاء اليها بأبهى صورة.

اما علاقة الفخر بالمديح، فتكمن في أن كلا الضربين يتغنى بهما الشاعر بالفضائل الكريمة، والخصال

الجليلة، والافعال الطيبة، والسجايا النفسية والحسية الحميدتين، فالفخر والمديح يصبان في مجرى

واحد، فقد عد الفخر من باب المديح، وانما هو «المديح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه،

وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار)»

5) على الرغم من وجود فارق بينهما من «ان المادح يجوز له ان يصف ممدوحه بالحسن والجمال، ولايسوغ للمفتخر ان يصف نفسه بذلك.(6)»
فنقطة الالتقاء بين هذه الموضوعات الثلاثة، جعلتنا ندرجها في فصل واحد طارقين المعاني القديمة والمتطورة والجديدة في اثناء عرض كل فن منها.

الرتاء:

فن من فنون الشعر العربي المعروفة قبل الإسلام، وهو وسيلة يعرب بها المرء عن خلجات نفسه وراحها عندما يمر بتجربة مؤلمة تفقده أحد ذويه من الأهل والأقارب والأصدقاء وغيرهم، فيبكيه بدموع سجام، وبحرارة محرقة، وهو يصور خسارة الفقيد بموته متفجعا بين اللهفة والحسرة، فسبيل «الرتاء ان يكون ظاهر التفجع بين الحسرة، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام، ان كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا»

7) وفي اثناء ذلك كله قد لاينسى الشاعر ان يثني على الفقيد ويذكر خصائله باحساس صادق وحزن عميق، وقلب ملتهب لفراقه، وهذا ما يقرب لنا ما أورده الأصمعي حين سأل أحد الأعراب: «ما بال المرثي اشرف اشعاركم؟ قال: لأننا نقولها وقلوبنا محترقة.» (8)
ونتيجة للتباين الحاصل بالتعبير عن الاحاسيس بألم الفراق، والشعور بالحزن، والتفجع بالمصاب اتخذ الرتاء صورا تمثلت بالندب والتأبين والعزاء.

- الندب:

يعني البكاء على الميت، وتعداد محاسنه، والثناء عليه)

9)، والنواح بكلام حزين مفجع يجعل عيون الباكين تذرف الدموع الغزار، وأكبدهم تحترق من شدة المصاب لفراق الفقيد.

إن نظرة فاحصة في النصوص التي وردت في ديوان أبي طالب بحسب كثرة ورودها تكشف انه رثى نادبا أفراد أسرته: أخويه: عبد الله والد الرسول (صلى الله عليه وآله) والزبير وهما من أمه وأبيه، وأباه عبد المطلب، وخاليه: هشام بن المغيرة، وأبا أمية بن المغيرة، ونديمه مسافر بن أبي عمرو)

10).

وكان رثاؤه لأخويه أكثر بروزا في الديوان، ومن ثم لأبيه وخاليه ونديمه وتبرز هذه الظاهرة لشدة

الرابطة الأسرية التي تربط الأخ بأخيه، ففقد الأخ عند الرجل القوي قاصم للظهور)

11)؛ لأن الأخ سند الرجل ومعتمده إمام محن الحياة ومعتزها.
وفقد أبو طالب عزه وسنده المعتمد عليه عبد الله)

12)، ولاستكمال حزن أفراد أسرته، ندبه أبو طالب وبكاه أبوه وأخوته بدموع غزيرة، فقال نادباً :

{من البسيط}

عَيْنِي إِذْنِي بِبُكَاءِ آخِرِ الْأَبْدِ وَلَا تَمَلِّي عَلَيَّ قَرْمٍ لَنَا سَنَدٍ
أَشْكُو الَّذِي بِي مِنَ الْوَجْدِ الشَّدِيدِ لَهُ وَمَا بِقَلْبِي مِنَ الْأَلَامِ وَالْكَمَدِ
أَضْحَى أَبْوَهُ لَهُ يَبْكِي وَإِخْوَتَهُ بِكُلِّ دَمْعٍ عَلَى الْخَدَّيْنِ مُطْرِدٍ
لَوْ عَاشَ كَانَ لِفَهْرِ كُلِّهَا عَلَمًا إِذْ كَانَ مِنْهَا مَكَانَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ)

(١٣)

إن شدة المصاب جمدت دموع الشاعر، لذلك يخاطب عينيه بان تجودا عليه بالبكاء، فذرف الدموع يكشف ما لها من أثر في إطفاء لظى الوجد، وحرقة الفؤاد ولهب العبرة؛ لأن كتمان البكاء يصدع القلب، ويؤلم النفس، ولاسيما إذا كان الفقيه في مقتبل عمره، يُتوسَّم به تحقيق الأمان في حياته، فبكى أبو طالب أمنيته الضائعة التي اختطها الموت عندما خطف أثر أخيه؛ لأنه لو عاش لكان علما متألقا في قريش، فخدعه أمله، وهذا الوصف له بالغ الأثر في نفوس سامعيه.

وبعد وفاة أخيه عبد الله بثمانين سنين)

(14)، تُوفي أبوه عبد المطلب، فندبه أبو طالب من قلب مكلوم نافذ إلى اعماق وجدانه، وهو يصور دقة احساسه بفاجعة وفاته، فهول المصاب ابكى العيون عليه، وارسل الدموع مدارارا فقال :
{من البسيط}

أبكى العيونَ وأدري دمعها دِرْرا مصابُ شيبَةَ بَيْتِ الدِّينِ وَالكَرَمِ

...

بَكَتْ قُرَيْشٌ أَبَاهَا كُلَّهَا وَعَلَى أَيْمَاهَا وَحِمَاهَا الثَّابِتِ الدَّعْمِ
صَفِيٌّ بَكِيٌّ وَجُودِي بِالْذُمُوعِ لَهُ وَأُسْعِدِي يَا أُمِّمِ الْيَوْمَ بِالسَّجْمِ
تُجْبِكِ نُسُوءَ رَهْطٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَالْعُرَّ زَهْرَةَ بَعْدَ الْعُرْبِ وَالْعَجْمِ
أَلَمْ يَكُنْ زَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ وَعِصْمَةَ الْخَلْقِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ أَرِمِ (١٥)

إن استعمال الشاعر لفظ (أب) لعبد المطلب يوضح مكانة المندوب في قومه، فهو لاشك يحنو عليهم

حنو الاب فكان لهم ابا، وهم يجلونه اجلال الاب فكانوا له ابناء.

وأبو طالب عندما يرثي أباه انما يرثي بيت الدين وشعيرة الكرم بفقدانه، فمصابه شبيهه مصاب بيت الله

الحرام بفقداه إياه، وهذه من المعاني الجديدة التي زاداها أبوطالب في فن الرثاء، ومن المعروف ان

اباه عبد المطلب كانت سدانة الكعبة في يده، ومن الرجال المشهورين بمكة في الكرم، وقد اقترنت

السيادة بكرم صاحبها؛ ولهذا بكت قريش أباهها عماد البيت، وطالب أبو طالب أختيه: صفية وأميمة

بان تجود عيناها بالدموع السجام لأبيهما؛ لتظل العيون سخية له، وهو يصدر احاسيس الشجن

ضمن اطار الاسرة.

ولكي يستكمل الشاعر مقومات الحزن في الأسرة والمجتمع القرشي بعد ان وصف بكاء قريش بشكل عام، وصف مشاركة نساء قريش من بني اسد وزهرة، وهن يشاركن بنات الفقيد في النواح والبكاء، وخص الشاعر هذين البيتين؛ لأن أسد أخو عبد المطلب، وزهرة من اصهاره، فأدرار الدموع، وطلب البكاء والنحيب، ومشاركة قريش رجالا ونساء لحزن أهل الفقيد ترسم صورة واحدة لفداحة فقدان عبد المطلب عمود الدين وسيد الكرم، والشاعر عاجز عن بلوغ الغاية التي يستحقها المرثي، فالأسى والبكاء لايفيان بحقه؛ لأنَّ الراحل زين أهل الارض، وعصمة الخلق جميعهم.

وتحدرت دموع أبي طالب على وجنتيه بسخاء، ونفسه تنفث الحسرات المحرقة على أخيه الراحل

(الزبير)

(16)، الذي كان أحد حكام قريش(17)، وسيد من ساداتها وسخيا كريما، وعلما باسقا، فقال نادبا أخاه :
{من الخفيف}

أسبَلت عِبْرَةً عَلَى الْوَجَنَاتِ قَدْ مَرَّتْهَا عَظِيمَةُ الْحَسَرَاتِ

لأخِ سَيِّدٍ نَجِيبٍ لِقَرَمٍ سَيِّدٍ فِي الدُّرَى مِنْ السَّادَاتِ

(١٨)

إنَّ بكاء الشاعر على أخيه يفسر حسرات نفسه الملتهبة من اغوارها، ولكي يريحها؛ اطلق العنان

لدموعه ان تسيل مدرارا

؛ ليشفي غليله المحرق، ويمنح الراحة لقلبه.

وقد يكون احد بواعث البكاء على الفقيد رؤية ابنه، فيبعث في النفس الأسى والحزن والبكاء، فقال:

{من الطويل}

ألمَ تَرَنِي مِنْ بَعْدِ هَمِّ هَمَمْتُهُ بِأَحْمَدَ بِفِرْقَةٍ حُرٍّ مِنْ أَيْبِنِ كِرَامِ

لَمَّا أَنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتِي بِرَحْطِي وَقَدْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامِ

فَلَمَّا بَكَى وَالْعَيْسُ قَدْ قُلِّصَتْ بِنَا وَقَدْ نَاشَ بِالْكَفِّينِ ثَنِي زِمَامِ

ذَكَرْتُ أَبَاهُ ثُمَّ رَقَرْتُ عِبْرَةً تَجُودُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَاتِ سِجَامِ

(١٩)

عبر أبو طالب عن هذا المعنى عندما كان عازما على الرحيل إلى بلاد الشام للتجارة)

(20)، رأى النبي محمد(صلى الله عليه وآله) وهو في كنفه عندما كان صغيرا ان الراحلة تهيأت ايذانا بالسفر، اخذ بزمام ناقة عمه وبكاه تعلقا به، فأثار أبو طالب مشهد بكاء ابن أخيه وتعلقه بالراحلة، فتداعت له ذكري

أخيه الراحل عبد الله والد النبي، فانهمرت عيناه بالدموع السجام، وبكائه بالدموع الغزيرة يدل على وفائه
لذكراه، وحسرة لفراقه.
وقال أبو طالب في قصيدة «رثى بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ختنه،

فخرج تاجرا إلى الشام فمات بموضع يقال له سرو سحيم) »

(21) نادبا إياه بهذه الأبيات:

{من الطويل}

أرقتُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ غَانِرُ	وَجَدَاتٍ بِمَا فِيهَا الشَّوُونَ الْأَعَاوِرُ
كَأَنَّ فِرَاشِي فَوْقَهُ نَارٌ مَوْقِدُ	مِنَ اللَّيْلِ أَوْ فَوْقَ الْفِرَاشِ السَّوَاوِرُ
عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ قَرِيشٍ وَنَاعِلِ	إِذَا الْخَيْرُ يُرْجَى أَوْ إِذَا الشَّرُّ حَاضِرُ
أَلَا إِنَّ زَادَ الرِّكْبِ غَيْرَ مُدَافِعِ	بِسُرْوِ سَحِيمٍ عَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ

(٢٢)

وثمة علاقة بين العين وما تفيض من الدموع الكثيرة وعدم رقادها، وما يتبع ذلك كله من سهر
الشاعر فالليل مجلب للاحزان وهذه صورة معبرة عن حال المصاب تكشف معاناته في الليل، فيحس
فراشه نارا، غمرته دموعه الحارقة كالسيل، لفقدان خاله أبي أمية الذي كان يتصدى لاداء الخير،
ولدفع الشر.

- التائبين :-

ومن صور الرثاء التائبين، وهي صورة تختلف عن الندب، فالشاعر لا يظهر حزنه فحسب، وانما
يتجاوزه ليعبر عن حزن الجماعة وما فقدته من عزيز عليها لما لهذا الفقيد الراحل من أثر بين فيهم
بما يتحلى من صفات كريمة، وخلال بهية، وشمائل رفيعة، واعمال جليلة، فالتائبين ليس نواحا
ونشيجا، وانما هو أقرب إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، فاذا خرَّ نجم لامع من المجتمع، اشاد
الشعراء بمنزلته السامقة، وكأنهم يريدون ان يصوروا فداحة خسارة الناس فيه؛ لذلك كان التائبين
ضربا من التعاطف الاجتماعي يعبر الشاعر فيه عن حزن الجماعة بفقدته، فيسعى لتسجيل فضائله
بالحاح، وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة الناس على مر الاجيال)

(23).

وبعد ذكر تجربة الحزن التي يعانيتها الشاعر حين يفارق احبائه واعزاه وندبه لموت الفقيد وذرف
عينه الدموع المحرقة حزنا واسى عليه، يجد الشاعر سبيلا إلى ذكر مناقب الفقيد وخصائله، وهذا

الامر مُسْتَحْسَنٌ فِي المراثي، «فأحسن الشعر ما

خلط مدحا بتفجع(24) «، أي مدح مناقب الراحل وسجاياه وفضائله وشمائله الحميدة التي يتحلى بها، فتعلو من شأنه أمام الناس لتجعله مثالا سامقا يتوق اليه الجميع، ومن اهم الفضائل التي أبّنها ابوطالب في احبابه الراحلين إلى الحياة الآخرة: شرف السيادة، وعلو المجد، ونقاء النسب، والشجاعة الفائقة، واغاثة الجائع، وشعيرة الكرم، والتجمل بالصبر.(25)

إنّ اعتزاز العربي بعلو مكانته وعظم سيادته وعراقة نسبه لايدانيه أي اعتزاز ومن كانت هذه صفاته

وجب على الشاعر الحديث عنها، ولاسيما اذا كان الفقيد أباه، أو أخاه، وقد أوما أبوطالب إلى هذه

القيم في مراثيه، فأبّن أخاه الذي كان سخيا شريفا في قومه وسيد الناس حيا وميتا، وكان أبا طالب

يريد أن يرثي فضائله وخلانله وسجاياه وشمائله الجليلة بموته فقال بعد ان بكاه)

(26):

{من الخفيف}

سَيِّدٌ وَأَبْنُ سَادَةٍ أَحْرَزُوا الْمَجْدَ دَ قَدِيمًا وَشَيَّدُوا الْمَكْرُمَاتِ

جَعَلَ اللَّهُ مَجْدَهُ وَعَلَاهُ فِي بَنِيهِ نَجَابَةً وَالْبَنَاتِ

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَعَبْدِ مَنْأَفِ وَقُصَيِّ أَرْبَابِ أَهْلِ الْحَيَاةِ

حَيْثُهم سَيِّدُ الْأَحْيَاءِ ذَا الْخُلْدِ قِي وَمَنْ مَاتَ سَيِّدُ الْأَمْوَاتِ (٢٧)

وهذه من المعاني القديمة التي أبّن بها أبو طالب اخاه الزبير بن عبد المطلب في الاشادة بجليل

فضائله، فهو سيد السادات في العلو والمجد والكرم من بيت لا يبلغ مفاخره علو منزلته وشرف نسبه،

فالزبير من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهؤلاء جميعهم سادات الدنيا، فجمع الزبير شرف

النسب وشرف الكرم، فهو شَيِّدَ المكرمات مع ابائه، وقد اقترنت فضيلة الكرم بالسيادة؛ لأنها من

سجايا السيد الشريف، وهذا ما عرف عنهم من سعة كرمهم، وكثرة معروفهم)

(28).

وبعد أن ندب أبو طالب أباه حزنا وشجى وبكاء)

(29)، أبّنه بفضائله الجليلة على الناس جميعهم، ومنها السيادة والكرم والشجاعة، فالسيادة في نظر الناس تعني القوة والمنعة والحماية، أي جزء من الشجاعة، ولا يكون السيد ذا هيبة ومحرضا المجد ما لم يكن معقلا يُلجا اليه في الشدائد، ويلوذ به الناس عند الحاجة، فهو الجواد السخي؛ لأن «السخاء اخو الشجاعة، وهما في أكثر الأمور موجودان في ذوي بعد الهمة والاقدام والصولة(30)»، وعبد المطلب له باع في قومه؛ فهو رئيسهم واحد حكام العرب في قريش(31)، الذي لايتقدم عليه احد برايته التي يحملها وهو يدافع عن الابطال، وهو القائم على اعمار بيت الله الحرام، فامتألت الكعبة نورا، وانجلى الجذب عن الناس بفضلته، ولعظم قدره وسيادته وشرفه وشجاعته وكرمه التي تعلو على سادات القوم، وجب على الابن أن يندب أباه مفتخرا على أهل الفخر بقوله:

{من البسيط}

كَانَ الشُّجَاعَ الْجَوَادَ الْفَرْدَ سُودُّهُ لَهُ فَضَائِلُ تَعْلُو سَادَةَ الْأَمَمِ

مَضَى أَبُو الْحَارِثِ الْمَأْمُولُ نَائِلُهُ وَالْمُخْتَشَى صَوْلُهُ فِي النَّاسِ وَالنَّقَمِ

هُوَ الرَّئِيسُ الَّذِي لَا خَلْقَ يَقْدِمُهُ عُدَاةٌ يَحْمِي عَنِ الْأَبْطَالِ بِالْعَلَمِ
 الْعَامِرُ الْبَيْتِ بَيْتَ اللَّهِ يَمْلَأُهُ نُورًا فَيَجْلُو كُسُوفَ الْقَحْطِ وَالظُّلْمِ
 رَبُّ الْفِرَاشِ بِصَحْنِ الْبَيْتِ تَكْرِمَةً بِذَلِكَ فَضَّلَ أَهْلُ الْفَخْرِ وَالْقَدَمِ

(٣٢)

إنَّ تَابِينَ أَبِي طَالِبٍ وَالِدِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي هَذَا الْمَقَامِ يَعِدُ مَعْنَى جَدِيدًا، فَهُوَ يَتَجَاوَزُ التَّأْتِيرَ

الاجتماعي ضمن اطار الاسرة إلى ما هو أعم وأشمل، وهو الجانب الديني، فعبداً للمطلب رجل الدين المسؤول عن سدانة الكعبة؛ ولأنه السيد الشريف والعالى المقام «فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج اليه، لا يجلس عليه احد من بنيه إجلالاً له (33)» وإعظماً لمكانته . ويبدو أنَّ أبا طالب في رثائه لأبيه يؤكد الجانب السياسي الذي يتمتع به في سيادته على قريش، وعلى

المقام الديني، وفي هذا المقام وذلك يصوّر فداحة فقدانه التي لحقت بالدين والدنيا.

وحيثما أصابت بني قيس أيام من الجذب التجأوا إلى عبد المطلب لجأه، ليشفع لهم بالسقيا من عند

الله، ودعا الله بنزول الغيث، فما برحوا حتى انعم الله عليهم بالمطر فارتوت أرضهم.

وكان أبا طالب أراد أن يبين جاه أبيه عند الله ومكانته الجليلة ومنزلته الرفيعة التي تفوق سائر

الناس، وإن وفاة والده عبد المطلب تمثل خسارة كبيرة لقومه وعشيرته، فقال مجيباً وفداً قد عزّوه

بوفاة والده :

{من الطويل}

أَبُونَا شَفِيعُ النَّاسِ حَتَّى سَقَوْا بِهِ مِنْ الْغَيْثِ رَجَاسُ الْعَشِيِّ بِكُورِ
 وَنَحْنُ سَنِينُ الْمَحَلِّ قَامَ شَفِيعُنَا بِمَكَّةَ يَدْعُو وَالْمِيَاهُ تَعُورُ
 فَلَمْ يَبْرِحِ الْأَقْوَامُ حَتَّى رَأَوْا بِهَا سَحَابَاتٍ مَزْنٍ صَوُّوْهُنَّ دَرُورُ
 وَقَيْسٌ أَتَنَّا بَعْدَ أَرْمٍ وَشَدَّةٍ وَقَدْ عَصَتْهَا دَهْرٌ أَكْبُ عَثُورُ
 فَمَا بَرِحُوا حَتَّى سَقَى اللَّهُ أَرْضَهُمْ بِشَيْبَةٍ غَيْثًا فَالنبات نَضِيرُ)

(٣٤)

ومن المعاني الجديدة التي زادها أبو طالب في هذا المقام الكرامة التي منحها الله والده عبد المطلب

(بالاستسقاء)

(35) ببركة دعائه أيام الجذب والقحط في مكة، فقد «توالت على قريش سنون مجدية حتى ذهب الزرع وقحل الضرع، ففزعوا وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد اخرى فادعُ الله أن يسقينا ... فما راموا حتى انفجرت السماء بمانها وكظ الوادي بنجّه. (36)»

- العزاء :-

العزاء في الأصل الصبر، والتعزية التصبير والحمل على الصبر بذكر ما يسلي المصاب ويخفف حزنه

ويهون عليه مصيبتة، والعزاء الصبر على كل ما فُقدَ)

(37)، ثم حُدّد استعمال اللفظ بمصيبة الموت، فالعرب كانوا في الجاهلية يتحاضون على الصبر ويعرفون فضله، ويعيرون بالجزع أهله ايثارا للحزم وتزينا بالحلم، وفرارا من الاستكانة إلى حسن العزاء(38)، ويحاول الشاعر في التعزية أن يتطرق إلى المعاني التي تخفف وقع اثر المصاب على أهل الراحل، ويتخذ العزاء أساليب وألوانا متعددة في التعبير تبعا لقدرة الشاعر الابداعية وتأثره بالمصاب، وعلاقته بصاحب المصيبة.

ومن ألوان العزاء، تسلية النفس بالصبر، وهذا ما فعله أبو طالب في رثائه لصديقه مسافر، فهو

لايعزي أهل الفقيد بمصاب صديقه ونديمه وخليله مسافر بن أبي عمرو)

(39)، وانما يعزي نفسه بفقده، لأن المصاب ليس مصاب أهله فحسب، وانما مصابه هو أيضا، فقال في قصيدته النونية التي رثاه بها، وقد كان مسافر قد أصيب بداء في بطنه فخرج ليتداوى في الحيرة فمات

بهبالة:(40)

{من الخفيف}

وحميم قفّت عليه المنون

كم خليلٍ وصاحبٍ وابنٍ عمّ

رِ وإني بصاحبي أُنينُ)

فَتَعَزَيْتُ بِالْجَلَاةِ وَالصَّبِّ

(٤١)

ويجد أبو طالب في العزاء سبيلا الى التأسي بمن فقد؛ لان الموت سيحل بفنائنه في يوم من ايامه،

وهذا يهون عليه المصاب؛ ولأن الانسان ضيف بين أهله وخالنه يقاسي المتاعب من غربة ومرض

وهوموم، ثم يرحل إلى العالم الآخر، لا يذكر ما كان يعانيه، وكأن الشاعر بعد أنينه وبكانه)

(42) على صاحبه رأى ان كل ما يفعله من أمر البكاء لا يغني عنه شيئا؛ لأن محنة الموت محنة الناس جميعا، فوجد في العزاء بالصبر خير سلوى لأحزانه.

ونجد في شعر أبي طالب صورة أخرى من صور العزاء، وهي ان يكون الشاعر المعزّي من قبل

الناس والمعزّي نفسه في آن معا، فعندما «سارت وجوه قيس وهذيل و

أسد ومن دانا هم من مضر، حتى أتوا قبر عبد المطلب فأقاموا عليه أياما، ونحروا مطاياهم، وحلفوا ألا يدخلوا مكة إلا حفاة حُسرا وجاؤوا أبا طالب يعزونه (43) «بمصاب والده الجسيم، ويسألون ان يكون بخلافته جبر ما انكسر، وان يرتفع به ذكر العرب، فقد كان عبد المطلب شفيعا لمن شفع، لاتخذ ناره، ولا يخاف جاره، الملك المتوج، الوارث الجود عن الجدود(44)، فأراد المعزون بتعزيتهم بيان منزلة عبد المطلب عند الله والناس فقد كانت قريش تستسقي بشفاعته عند الله أيام الجذب، لعظم قدره وجيل مكاتته، فيعودون منه مستبشرين، وهم يتوسمون في أبي طالب الخير في خلافته إياه، فهو «وارث الجود، ومحل الوفود، وانما تلد الاسود الاسود(45)»، ففي عقب عبد المطلب الخير والصلاح والفلاح، فأجاب أبو طالب المعزين:

{من الطويل}

قضى نحبهُ والدائراتُ تدورُ

أَتَيْتُمْ فَعَزَيْتُمْ عَلَى هُلْكَ سَيِّدِ

وصرّئتم الى رب إليه نصيرُ)

فَبَلَّغْتُمْ مَا تَأْمَلُونَ بِغِبْطَةٍ

(٤٦)

والحقيقة التي لا مناص منها في ظل الدين الحنيف تؤكد ان مرد الانسان إلى الله، ولا سبيل له في الفرار، فالموت تاج فوق رؤوس الناس، ولا ينبغي للمرء ذي العقل الراجح والمتمزن والمؤمن بقضاء الله أن يجزع، أو يفعل ما لا يليق بمعتقده ودينه وسلوكه القويم، وهذا ما كان واضحا في معتقد أبي طالب، لأنه من الموحدين، فقد وجد في الرثاء له طريقا اخر بصورة تباين مثلتها في الجاهلية يظهر فيها الايمان بقضاء الله، فكان جواب أبي طالب «فإنَّ الى الله الرَّجعى وهو الحيُّ الذي لا يموتُ وما سواه ميت طوبى من كان في الحياة حسن العمل، وفي دهره قصر الأمل، ويكون بدله خير بدل)» (47)، فأبو طالب يدرك ان الموت الذي أخذ أباه لابد من أن يأخذه يوما، وعليه أن يستجيب لامر الله؛ لأن الجميع مردهم اليه. ومن صور التأسي والعزاء تذكير أهل الفقيده بمنزلته ومكانته وفضائله، فعزى أبو طالب عمرو بن هشام ابن خاله هشام بن المغيرة، متوسما الخير فيه، في عظيم المحن والمصائب مثلما يفعل أبوه

فقال :

{من الطويل}

فقدنا عميدَ الحيِّ فالرُّكنُ خاشعٌ	لَفَقِدَ أَبِي عُثْمَانَ وَالنَّبِيْتَ وَالْحَجْرُ
وَكَانَ هِشَامُ بِنَ الْمُغِيرَةِ عِصْمَةً	إِذَا عَرَكَ النَّاسَ الْمَخَافُفَ وَالْفَقْرُ
بِأَبْيَاتِهِ كَانَتْ أَرَامِلُ قَوْمِهِ	تَلَوُّهُ وَأَيْتَامُ الْعَشِيرَةِ وَالسَّقْرُ
فَوَدَّتْ قُرَيْشٌ لَوْ فَدَّتْهُ بِشَطْرِهَا	وَقَلَّ لَعَمْرِي لَوْ فَدَّوهُ بِهِ الشَّطْرُ
نَقُولُ لِعَمْرٍو: أَنْتَ مِنْهُ، وَإِنَّا	لَنَرَجُوكَ فِي جَلِّ الْمُهْمَاتِ يَا عَمْرُو)

(٤٨)

إنَّ موت هشام مصاب جلل خشع له الحجر الأسود والكعبة والذي حولها استعظاما للحدث، وهذه من المعاني الجديدة التي زادها أبو طالب في العزاء، وهو يركز على الصفات التي يتحلى بها الفقيده، الذي كان حاميا ومانعا للناس، فهو ملاذ الفقراء والأرامل والأيتام والمسافرين، فموته ترك فراغا كبيرا لهؤلاء القوم، ولذلك فان قريشا تفديه بنصفها، وهذا قليل بحقه، ومن هنا تتضح مسوغات مبالغة الشاعر في رثائه.

والنعي له علاقة وثيقة بالرثاء فهو يعني اعلان موت الفقيده وإشهاره، «فيقال: نعي الميت ينعاه نعيًا

إذا اذاع موته وأخبر به، وإذا ندبه)»

(49) ومن هنا تبرز حقيقتان: الأولى: اشاعة خبر موت الفقيده بين الناس، والثانية ارتباط نعي الميت بندبه أي بذكر محاسنه وصفاته وشمائله وخلالاله الحميدة، وبتأبينه بالبكاء عليه وذرف الدموع الغزار، وبتعزية أهله بمصابهم إلى آخره.

ومما ورد في شعر أبي طالب في صدد النعي باعلان موت الفقيد، واشاعة خبره بين الناس، الصورة

التي رسمها عندما فقد أخاه وسنده في النأي

بات، فتردت حاله ساعة ابلاغه خبر هلاكه حينما نادى الناعي بموت أخيه الزبير، تُبين حزنه العميق النافذ إلى اعماق شعوره، ففقدته لأخيه اضناه وهزل جسده، ولوعته الصادقة اشابت رأسه، وكان صحة الشاعر ذهبت بذهاب أخيه حسرة عليه، فليس بعده سند في المحن والشدائد فقال:
{من البسيط}

يا زَبْرُ أُوحدتني للنائباتِ وقد خَلَّلتَ لحمي وامسى الرأسُ مُشْتَهَبًا
من كانَ سرُّ بهلكٍ للزَّبِيرِ فقد نادى المُنادى بِزُبْرِ إِنَّهُ شَجَبًا)

(٥٠)

ومن سبل النعي ندب الشاعر الفقيد وتأبينه بالخصال والقيم الحميدة، فعندما نادى الناعي برحيل أبي

امية بن المغيرة اصابت الحيين: كعب وعامر بموته فاجعة كبيرة بخلاف ما كان يتنادى الناس بالبشارة لوصوله سالما من رحلته في بلاد الشام فيصبح اهل مكة في غمرة من الفرح والحبور لمجيبه، فقال :

{من الطويل}

تَنادُوا بأنَّ لا سيِّدَ الحَيِّ فيهِم وَقَد فَجِعَ الحَيَّ
وَكانَ إِذا يَأْتِي مِنَ الشَّامِ قافِلاً ان كَعْبٌ وَعامِرُ
فِيصُبُحُ أَهلِ اللَّهِ بيضاءَ كَأَمَّا تَقَدَّمَهُ تَسْعَى إِلينا البِشائِرُ
تَرى دارَةَ لا يبرُحُ الدَّهرَ عِندَها كَسَتَهُم حَبيراً رَيِّدَةً وَمَعافِرُ
إِذا أَكَلتَ يَوماً أَتى العَدَمِ مِثلَها مُجَعِجَةً كَومِ سِمانٍ وَباقِرُ
ضَروبٌ بِنَصلِ السِّيفِ سَوقَ سِمانِها زَواهِقُ زُهَمٍ أو مَخاضٍ بِهازِرُ
إِذا عَدِموا زاداً فَإِنَّكَ عاقِرُ

فَيا لَكَ مِنَ ناعِ حُبِيتَ بِأَلَّةٍ

....

شِراعيَّةٌ تَصَفَّرُ مِنْها الأَظافِرُ (٥١)

وكان الشاعر هنا ينعي الفقيد ويشيع خبر موته بين الناس في البيتين الاول والثاني في الوقت الذي كان هول إعلان موت أبي أمية له وقع نفسي كبير عليه جعله يطلق العنان للسانه بالدعاء على الناعي بان يوجه الله له حربة طاعنة تبلغ بها موته على خبره المشؤوم، وكان الشاعر لا يدرك ما وقع فعلا بعد ان ينعي اجل الصفات التي يتحلى بها الفقيد، وهي فضيلة الكرم، والشاعر عندما ينعي كرم خاله، انما يظهر الدافع الروحي لأبي أمية في حبه لهذه القيمة، لأنه ينحر أفضل ما عنده من الإبل

لاطعام الفقراء والضيوف، يريد أن يصور أن خاله كثير العطاء سخي جواد من سادات مكة، فيكرمه
حاز المجد والعلی.

إن إيغال الشاعر بتفاصيل الحديث عن كرم الفقيد يجعل تبیین هول فقده واضحا يشترك فيه اغلب
الناس الذين عرفوا هذه الصورة منه.

وإذا كان للندب والتأبين نصيب وافر في قصيدة الرثاء، فإنها لن تخلو من النعي فقد يشترك الندب
والتأبين والنعي في آن معا، فنعى أبو طالب نديمه بمعاني الوفاء للصدیق، وهو ينتحب بكاء وحزنا
وأما عليه نادبا ومؤبنا فقال :

{من الخفيف}

رَوِیْتُ یَقُولُهَا المَحْزُونُ	لَبِيتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بَنِ أَبِي عَمِّ
كَيْ؟! وَهَلْ أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ المَنُونُ؟	أَيُّ شَيْءٍ دَهَاكَ أَوْ عَالَ مَرًّا
رِ لَابَانِكَ الَّتِي لَا تَهُونُ	أَنَا حَامِيكَ مِثْلَ آبَائِي الزُّهْدِ
تَ وَمِنْ دُونِ مُلْتَقَاكَ الخُجُونُ	مَيِّتُ صِدْقِي عَلَى تَبَالُغِ أَمْسِي
رِكَ نَضْحُ الرُّمَانِ وَالزَّيْتُونُ	بُورِكَ المَيِّتِ العَرِيبِ كَمَا بُو
قِي فَقَدْ صِرْتَ لَيْسَ دُونَكَ دُونُ	كُنْتُ بِي مَرَّةً وَفَوْقَكَ لَا فَوْ
كَيْفَ إِذْ رَجَمْتَك عِنْدِي الظُّنُونُ	كَانَ مِنْكَ اليَقِينُ لَيْسَ بِشَافِ
رَةَ حَقًّا وَخُلَّةً لَا تَخُونُ	كُنْتُ مَوْلَى وَصَاحِبًا صَادِقَ الخَبِ
أَنْفَدْتُ مَاءَهَا عَلَيْكَ الشُّؤُونُ)	فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنِّي كَثِيرًا

(٥٢)

يريد الشاعر أن يداوي جراحه وهو يبكي الفقيد؛ ليسكن غليان جوفه، وفوران دموعه، وصوت أنينه،
وفي هذا كله تتدفق عواطفه ويشتد الغلو في ذكر محاسن الفقيد فتتفاعل لدى الشاعر مشاعر مختلفة
من بكاء ومديح، ليبين مقدار الحزن الذي يكتنفه عند سماع خبر موت الفقيد، فنبأ وفاة مسافر كان

خطبا جليلا، وفاجعة مؤلمة، وخسارة عظيمة للشاعر

- الذي كان نديما له - فلم يصدق موت صاحبه لمفاجأته بوفاته، ولكنه سرعان ما ادرك بيقين ان سلامة
صديقه امر محال بعدما سمع خبر نعي وفاته، فقد كان مسافر نعم ابن العم والصدیق والخليل الذي لا يخون
صاحبه، فعليه السلام مودعا ما دامت العين تذرف الدموع.
ومما تقدم يتبين: أنَّ رثاء أبي طالب جاء على ثلاث صور: الندب والتأبين والعزاء، فورد الرثاء مادياً

- في أكثر الاحايين - بالبكاء، وذرف الدموع على الفقيد الراحل، والتركيز على الفضائل الخُلقية من شرف
السيادة، وعراقة الأصل، وعلو النسب، وشعيرة الكرم وغير ذلك من الصفات، وغياب الصفات الخُلقية مثلما

كان معهودا في الشعر الجاهلي، وفي العزاء شاعت روح ايمانية في التسليم بقضاء الله وقدره في المصاب، اما ارتباط النعي بصور الرثاء، فقد كان النعي يهدف إلى إشاعة خبر الموت أو مواساة أهل الفقيد، وقد ركز الشاعر على ما يمكن أن يميز رثاءه من غيره من الشعراء فخشوع الحجر والبيت معنى لاتجده عند غيره من الشعراء.

الفخر :

مزج بعض الباحثين بين الحماسة والفخر)

(53)، وجعلهما في باب واحد للروابط الوثيقة بينهما، فالحماسة تعني الفخر بالنفس والإباء، وذكر البطولات والوقائع، ووصف الحرب وأدواتها من سلاح وخيل وعدة، ومن مظاهر قيم البطولة: الشجاعة والإقدام والجرأة والمنعة والمحاربة والشدة والصبر إلى آخره. وباب الفخر يعني المباهاة بالنسب والسيادة والمجد والكرم والأخلاق الكريمة فضلا عن الأشادة بالأعمال الحربية، وقيم البطولة من شهامة، ومروءة، وقوة، وشجاعة، وإقدام، وخبرة حربية، وتضحية، وصبر، ورئاسة، وكثرة عددية، ومجد حربي، فالحماسة وردت ضمن معاني الفخر، فهما صنوان متلازمان يسيران في خط واحد لا يمكن الفصل بينهما، فهي الفخر بعينه الذي يرتفع فيه صوت الذات أو الجماعة أو كلاهما في آن معا، فالحماسة والفخر يصدران من صفات جليلة وفضائل حميدة تمثلتها النفس العربية قبل الإسلام، اما في عهد الرسالة فكانت تسبغ عليها روح الايمان، وتأييد رسالة السماء، والوقوف بجانب صاحب الرسالة، والدفاع عنه وحمايته ومناصرته وشد أزره، وهي من الموضوعات المهمة في شعر أبي طالب)

(54)، يجد الشاعر فيها منفذا ليتغنى من خلالها بالمثل العليا، والسجيا المعنوية، والفضائل المادية التي تتناسب وطبيعة شخصيته المعتدة بنفسها، وروحه المتوهجة بالانفة والشموخ، ومجده الكريم، فيشيد بفخره الديني الذي يرتبط بقيم السماء، والدين الجديد والايان بالله، ومؤازرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونصرته، وهو في ذلك كله مدفوعا بحماسة الدينية إلى الفخر بالقيم الاجتماعية التي باركها الإسلام وحث عليها على مستويين: الفخر الذاتي الذي يتغنى فيه الشاعر بمنافيه ومحاسنه وفضائله، والفخر الجماعي الذي يتباهى فيه بنسب قومه الهاشمي ودفاعهم عن نبي الله والذود عنه، وحمايتهم له، وبجليل اعمالهم قبل عهد الرسالة وبعدها.

ومن سمات الفخر الديني التي تتجلى في أبيه صورها في شعر أبي طالب فخره بحماية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقانون الحماية في المجتمع العربي قانون اجتماعي فرضته طبيعة حياة العرب الذي يفسر قوة روح الأواصر والتماسك في المجتمع الواحد كما ذكرنا آنفا، وقد اكتسب هذا القانون في عهد الرسالة معنى جديدا لا يتمثل بحماية الفرد فحسب، وانما يتمثل بحماية الدين الجديد، وصاحبه، وتأييده، ومناصرته، ومؤازرته، والحفاظ عليه، وحماية اصحابه حتى يشد ساعده، ويظهر دينه إلى النور، ووجد صاحب الرسالة في عمه خير حامٍ وناصر ومؤازر ومدافع، والى هذا المعنى يتباهى أبو طالب بعدم خذلان النبي متوعدا اعداءه بقطف الرؤوس، والهزيمة عند المواجهة، فقال:

{من المنسرح}

وَاللّٰهُ لَا أَخْذُلُ النَّبِيَّ وَلَا
يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِي ذُو حَسْبٍ
حَتَّى تَرَوْنَ الرُّؤُوسَ طَائِحَةً
مِّنَّا وَمِنْكُمْ هُنَاكَ بِالْقَضْبِ
وَتَرْجِعُ الْخَيْلُ بَعْدَ شَدَّتِهَا
مَرْدُودُهَا نَحْوَ وَجْهَةِ الْهَرَبِ
حَتَّى تَرَى الْجِدَّ حِينَ يُقْضَبُ بِالسِّدِّ
مَرٍ وَبِالْمُرْهَفَاتِ كَاللَّعِبِ
نَحْنُ وَهَذَا النَّبِيُّ أُسْرَتُهُ
نَضْرِبُ عَنْهُ الْأَعْدَاءَ كَالشُّهُبِ
إِنْ نَلْتُمُوهُ بِكُلِّ جَمْعِكُمْ
فَنَحْنُ فِي النَّاسِ الْأُمِّ وَالْعَرَبِ)

(٥٥)

ويعاضد أبو طالب نبي الله على اعدائه ويطلب منه اظهار دعوته، ويقدم نفسه قبل نفس النبي دفاعا

عنه مفتخرا:

{من البسيط}

لَا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ حَقِّ تَقْوَمٍ بِهِ
إِبْرَاقُ أَيْدٍ وَلَا إِرْعَادُ أَصْوَاتِ
فِدْوَنَ نَفْسِكَ نَفْسِي غَيْرَ مَتَّيِّبِ
وَدَوْنَ كَفِّكَ كَفِّي فِي الْمِلْمَاتِ)

(٥٦)

إن كف أبي طالب هنا ليست كفا كغيرها من الاكف، فهي كف الثقل الاجتماعي والديني والاخلاقي الذي

يجسده بيت عبد المطلب، ولذلك اشار إلى كفه لا من قلة وانما من قوة وكثرة.

وإيمان أبي طالب بالدين الجديد جعله يفتخر بحماية رسول الله والذود عنه ضد معارضييه، فهو سخي

النفس في فداء نبي الله؛ لان الله

- بلا ريب - مظهر دينه ورافع شأنه في الدنيا والآخرة، فقال:

{من الطويل}

وَجَدْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتَهُ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالطَّلِيِّ وَالْكَلاِئِلِ
وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ رَافِعُ أَمْرِهِ
وَمَعْلُ

فيه في الدنيا وَيَوْمَ التَّجَادُلِ (٥٧)

ومن أوضح ملامح الفخر العقائدي في شعر أبي طالب في دفاعه عن الدين الجديد، ونصرة الإسلام

المتتمثلة بحامل لواء الإسلام بوصفه النبي محمداً قوله:

{من الطويل}

أَقِيمْ عَلَى نَصْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَقَاتِلْ عَنْهُ بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ)

ة المنيثقة من القيم الدينية صلة الرحم، وهي احدى دعائم البناء السليم للمجتمع الذي نقاها الإسلام من برائن الجاهلية من ظلم واسراف(59)، فلم تعد صلة أسرية فحسب، وانما صلة واجبة اوجبها الإسلام، وصلة الرحم في شعر أبي طالب نابعة من قداسة قرابته لنبي الله (صلى الله عليه وآله) التي فرضت عليه حمايته، فضلا عن ايمانه بما جاء به ابن أخيه، فعمل جاهدا على ديمومتها عندما افتقده وظن أن قريشا اغتالته، فهب مخاطبا قريشا، ومفتخرا باخلاصه في رعايته لآل محمد، غير قاطع رحمه مهما نجم عن ذلك من حروب متوعدا الفهريين الذين عزموا على قتل محمد زورا وظلما بحرب لاهواد لها ان نفذوا ما عزموا عليه فقال: {من الوافر}

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت	وكل سرائرٍ منها غدور
فآتي - والضوايح عاديات	وما تتلو السفاسرة الشهور
لآل محمدٍ راعٍ حفيظ	وود الصدر مني والضمير
ولست بقاطعٍ رحمي وولدي	ولو جرت مظالمها الجور
فيا لله در بني قصي	لقدما حل عرصتهم ثبور
عشية ينتحون بأمر إفيك	
فلا وأبيك ما صدقت قريش	ويستهوي حلومهم الغرور
أيامر جمعهم أفناء فهير	ولا أمت رشادا إذ تشير
ألا ظلت حلومهم جميعاً	بقتل محمد والأمر زور
أترضى منكم الخلماء هذا	واطلق عقل حرب لا تبور
بني أخي ونوط القلب مني	وما ذاكم رضى لي أن تبورا
وتشرب بعده الشبان رياً	وأبيض ماوه عذق كثير
وكيف يكون ذاكم من قريش	وأحمد قد تضمنه القبور
	وما منا الصراعة والفتور (٦٠)

من الملاحظ أن فخر أبي طالب هنا قد تخلص من الرداء القبلي، فهو يخاطب قومه مهددا ومونبا،

ويفخر بنفسه، وهذا ما لم نعهده عند غيره من الشعراء)

(61)، فلم يعد فخر الشاعر فخرا بالقبيلة وانما هو فخر بالنفس او بالرهط الادنى من قومه، وهذا جاء بفعل العقيدة، ومن هنا لم يقس الشاعر على قومه وهو يؤنبهم على فعلهم، وانما حاول ان يستثير الحكماء منهم بان لايقبلوا هذا الامر، ولاسيما أنه يشعر أن قريشا تحفظ له مكانته فيها من حيث علو المقام فلا بأس من تأنيبهم من هذا الطرف أو ذاك.

ومن مستلزمات قانون الحماية الشجاعة التي كانت قبل الإسلام لها غايتها في الدفاع عن النفس ضمن إطار القبيلة، فاضحت في الإسلام لها غايات سامية وهي نشر الدعوة الإسلامية، وحماية رسول الله، واعلاء كلمة الحق.

ويسمعا أبو طالب صوته في فخره بفروسيته التي هي أظهر مجالات الشجاعة وهو يزود من دون

رسول الله محذرا الفهريين)

(62) الذين إنتمروا على قتل رسول الله بحرب تفور منها الدماء، مانحا النبي محمدا عهدا بالحفاظ عليه ونصرتة من شيخ هجر المعايب والفواحش، وعندما يفتخر بمجانبة الآثام والابتعاد عنها؛ فهذا يدل على أنه شخصية قويمة على هدي التوحيد، فقال:
{من الوافر}

عليّ دماءٌ بُدِنَ عاطِلاتٍ	لئن هَدَرَتْ لذلِّكم الهدورُ
وقام الضاريونَ بكلِّ تُغْرٍ	بأيديهم مُهَنَّدَةٌ دُكُورُ
لَتَعْرِفُنَّني في الصَّفِّ قُدْماً	أضاربُ حينَ تحزبُهُ الأمورُ
أراذي مرَّةً وأكرُّ أخرى	حذاراً أن تَتُورَ
أدودُهُم بأبيضَ مشرفيَّ	به الغُورُ
إذا سألتُ مُجَلِّحَةً صدوقُ	إذا ما نابنا أمرٌ كسيرُ
مجمعة الصَّفوفِ أسودُ فهِرٍ	كانَ زهاءها رأسٌ كبيرُ
كانَ الأفقَ محفوفَ بنايرٍ	وكانَ النَّعَمَ فوقهم يثورُ
بمعتركِ المنايا في مكرِّ	وحولِ النَّارِ آسادٌ تزيُرُ
هنالكِ يا بُنيَّ تكونُ مني	تخالُ دماءها قدراً تفورُ
كدهدَهةِ الصُّخُورِ من الروابي	بوادِرُ لا يقومُ لها ثبيرُ
وقيَّ دونَ نفسكِ إنْ أرادوا	إذا ما الأرضُ زلزلها النذيرُ
....	بك الذَّهْيَاءِ أو سألتُ بحورُ
....
لكَ اللهُ الغداةَ وعهدُ شيخٍ	تجنَّبُهُ الفواحشُ والفجورُ
بتحفاظٍٍ ونُصرةٍ اريحيَّ	من الأعمامِ اعضاءُ نصورُ (٦٣)

وجد الشاعر في تصوير المعركة سبيلا لتصوير بلائه والاشادة بنفسه وهو يمزج بين الفخر والوعيد.

ويأبى أبو طالب الضيم، فيدافع عن الحق الذي انزله وحي السماء مستنكرا ان يضام «النبي محمد)»

(64) وهو على قيد الحياة، فقال مفتخرا بشجاعته :
{من مجزوء الكامل}

أنى تضامٌ ولم أمتُ وأنا الشجاعُ العريدُ
وإبطاخُ مَكَّةَ لا يرى فيها نجيعٌ أسودُ
وَبَنُو أَبِيكَ كَأَنَّهُمْ أسدُ العرينِ تَوَقَّدُ

(٦٥)

وهذه من المعاني التي ارتدت خُلَّةً إسلامية تتجلى بها بروز فكرة الفداء للنبي

(صلى الله عليه وآله).
ومن أظهر ملامح الشجاعة الصبر، والفخر بقيم الصبر من المعاني القديمة التي تمثلها العربي في مواجهة معترك الحياة، ومداليلها تتسع لتشمل مختلف اسبابها، وقد اكتسى هذا المعنى خُلَّةً جديدة في عهد الإسلام تزين صاحبه بالإيمان الذي عدَّ من سجايا القلوب المؤمنة، فمن المفاخر الذي يعتز بها أبو طالب الصبر والثبات في المواقف الصعبة، واطقات المحن، وهو يذود عن رسول الله، ويُصبر نفسه على من خذله من بني عبد مناف، ولاسيما بني عبد شمس ونوفل في تخلفهم عن نصره ونصرة رسول الله(66)، تاركهم للزمن لعله يجد سبيلا لاصلاحهم فقال:
{من الطويل}

ألم تعلموا أنا بدارٍ مَضِيعةٍ ولا لكم فينا قِصاصٌ ولا وترُ
فلا تَعْجَبوا أني صبرتُ عليهم فصَبْرِي وإبقائي لكي يُقْبَلَ الدَّهْرُ

(٦٧)

ولما آوى بنو هاشم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الشَّعب، وقد تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة، كان مدلول الصبر سبيل أبي طالب إلى النصر متدرِّعا نفسه به عن مقاتلتهم، فحبس نفسه منهم بقناته وسيفه البتار الذي هو من تراث حمير، يريد أنه لا مثيل له فأنشد :
{من الطويل}

و وَقَدِ قَطَعُوا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ
لَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فيهم وَقَدِ طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُرَائِلِ
وَقَدِ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَدَى يَعِضُونَ عَظِيظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ
وَقَدِ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً وَأَبْيَضَ عَضِبٍ مِنْ سِيوفِ المَقَاوِلِ
صَبْرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِصَفْرَاءِ سَمْحَةٍ

(٦٨)

لم يحدثنا التاريخ عن معارك بين المسلمين والمشركين في مكة استعملت فيها السيوف، بيد أن الشاعر سلك هذا السبيل ليبعد أذى المشركين عن النبي (صلى الله عليه وآله) (من دون ان يقع قتال فعلي، وهذا الشعر أقرب إلى الفخر الممزوج بالتهديد الذي سنتحدث عنه لاحقاً)

(69).

ومن أوضح معالم الصبر الحلم والعفو، وهما من القيم العربية التي لها علاقة وثيقة بالكرم، وهما دليلان على صفاء القلب، وسعة الصدر، وطيب النية، فتغنى أبو طالب بحلمه وعفوه في الوقت الذي له القدرة على انصاف نفسه من خصمه، فأعدَّ عفوه ضرباً من فضيلة الكرم :

{من البسيط}

قابلتُ جهلَهُمْ حِلماً ومَغْفرةً والعفُو عن قَدرةٍ ضربٌ من الكَرَمِ)

(٧٠)

ويمتاز الفخر الفردي بالفخر الجماعي؛ لذوبان شخصية الفرد بالجماعة للاواصر الوثيقة التي تربط الشاعر بقومه ومجتمعه، فهو يتكلم بلسان حال قومه في المهمات فيظهر صوت الشاعر الذاتي مرة، وصوت الجماعة بلسانه مرة أخرى، أو كليهما في آن معاً، ومعاني الفخر الجماعي في شعر أبي طالب تمثلت بالافتخار بشرف قومه الهاشمي الطيب، ومجدهم الباسق، ومآثرهم الجليلة في رعايتهم للبيت الحرام، وسقاية الحجيج، وحمايتهم لنبي الهدى ومساندتهم له في دعوته إلى آخره. ومن مظاهر الفخر الجماعي الاجتماعي الفخر بالنسب الذي يفسر حرص العربي على تعليقه بأرومته، ومباهاته بالانتماء إليها، وفي شعر أبي طالب تبرز سمات الاعتزاز بنسبه متعددة الجوانب بين شرفه، وعلوه، ونقائه، وطيبه، الذي جمع فيه طابع الفخر قبل الإسلام وروح الإسلام)

(71)، وقد يكون الفخر من نتاج التعريض، فيفقد الشاعر إلى تسجيل مآثر قومه ومناقبهم مقابل تجريد الخصم منها في المنازعات والخصومات (72)، فعندما ناصب أبو لهب العداوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع من ناصبه، وكان أبو لهب أم خزاعية وأبو طالب وعبدالله والد النبي والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عانذ بن عمران بن مخزوم، فأغلظ أبو طالب القول لأبي لهب (73)، وهو يفاخر بأمه التي حملت بأولادها للطيب والطهر وبفحلها عبدالمطلب، فحرم أبو طالب أبا لهب من فضيلتين: فضيلة مصاحبة أخوته وموازرتهم، وفضيلة مشاركة أخويه في الأفراح والأتراح فقال:

{من السريع}

حملتُ بنا للطَّيِّبِ والطَّهْرِ

إنَّا بنو أمِّ الزَّيْبِرِ وفحلها

....

....

وأخاً

فحُرِّمَتَ مِنَّا صاحباً وموازراً

على السَّرَّاءِ والصُّرِّ (٧٤)

وتفاخر أبناء أم الزبير دليل على عراقة اصلها، وحسن تربيتها لاولادها.

وسجل أبو طالب فخره باسم بني هاشم فافتخر على قريش بفضيلة عبد مناف بسرّها وخالصها وبنو

هاشم اشرف من بني عبد مناف والمصطفى محمد من بني هاشم، فهو اكرمهم فقال :

{من الطويل}

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قَرِيشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنْافِهَا فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا
وَإِنْ فَخَرْتَ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّداً هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا)

(٧٥)

إن افتخار الشاعر على قريش بعبد مناف، وافتخاره على عبد مناف ببني هاشم، وافتخاره على الجميع بالنبي محمد(صلى الله عليه وآله)، فهو لا يقلل من شأن قريش، وإنما علا شرفهم؛ لأن النبي اشرفهم.

ويتباهى أبو طالب بفضيلة أخرى انماز بها قومه فضلا عن نسبهم، وهي فضيلة سيادتهم في قريش

بمكة، فقال:

{من الطويل}

وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذَوَابِةِ هَاشِمٍ وَآلَ قَصِيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
وَإِنَّ لَنَا حَوْضَ السَّقَايَةِ دُونَهُمْ وَنَحْنُ الدَّرَى مِنْ غَالِبِ فِي الْكَوَاهِلِ
فَمَا أَدْرِكُوا دَحْلًا وَلَا سَفَكُوا دَمًا وَلَا حَالَفُوا إِلَّا شِرَارَ الْقَبَائِلِ)

(٧٦)

لقد تولى أمر سيادة مكة قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب جدّهم الذي جمع امر قريش في بداية عهده «فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله ... فكان امره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موته، كالدّين المتّبع لا يعمل بغيره)»

(77)، وكان رئيسا مطاعا معظما، ثم تولى الرفادة وسقاية الحجيج هاشم بن عبد مناف(78)، ومن هذه المأثرة ارتفع صوت أبي طالب بوجه مشرقي قريش في المفاضلة بالاشادة بعراقة أرومتهم من بني هاشم وآل قصي، وان لهم شرف سقاية حجاج بيت الله، وانهم ارفع نسبا في قريش فضلا عن أنهم انمازوا بمكارم الاخلاق.

ومجد أبي طالب عريق يرجع إلى أفضل أبناء بني هاشم وبهذا كله ارتبط فخره الجماعي

- في بعض الأحايين - بمجد آبائه وسيادتهم وعلوهم ورفعتهم بين العرب، فعزهم قديم، ومقامهم عظيم، ونسبهم عريق، فهم اصحاب السيادة والقيادة والحكم في قريش توارثوها عبر الاجيال من قصي بن كلاب إلى أن انتقلت بيد أبيه عبد المطلب الذي كان أحد حكماء العرب(79)، فكانت بيده أمر السقاية والرفادة وإلى هذه المأثرة والمجد المنيف الواضح أشاد أبو طالب بفخره، وهو يتباهى بانهم يجيرون الفقراء ويكرمونهم فقال :
{من المتقارب}

فَأَبَا بِمَكَّةَ قَدَمًا لَنَا	بِهَا الْعِزُّ وَالْخَطَرُ الْأَعْظَمُ
وَمَنْ يَكُ فِيهَا لَهُ عِزَّةٌ	حَدِيثًا فَعِزَّتْنَا الْأَقْدَمُ
وَنَحْنُ بِبَطْحَانِهَا الرَّائِسُو	نَ وَالْقَانِدُونَ وَمَنْ يَحْكُمُ
نَشَانَا فَكُنَّا قَلِيلًا بِهَا	نُجِيرُ وَكُنَّا بِهَا نُطْعِمُ
إِذَا عَضَّ أَرْزَمُ السَّنِينِ الْأَنَامِ	وَحَبَّ الْقَتَارِ بِهَا الْمُعْدَمُ
نَمَانِي شَيْبَةً سَاقِي الْحَجِيجِ	وَمَجْدُ مُنِيفِ الذُّرَى مُعَلَّمُ

(٨٠)

ويفخر أبو طالب بعزة قومه ومجدهم وكرمهم الذي كان له وشيعة بالسيادة في فخره الجماعي، فلا يوجد حضري في مكة امثالهم في العزة والمجد والرفعة، فمجدهم في بطن مكة عميق، نشأوا حين كان الناس قلة، وهم كرماء يطعمون حين يبخل الناس، ولهذا كله فان حمدهم يزداد على مر الأيام،

فقال:

{من الطويل}

فَمَنْ يَكُ ذَا عَزٍّ بِمَكَّةَ تَالِدٍ	فَعِزَّتْنَا فِي بَطْنِ مَكَّةَ أَتَلَدُ
عَلَوْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا أَذَلَّةٌ	فَلَمْ نَنْفَكْ نَزْدَادُ عِزًّا وَنُحْمَدُ
وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرَكَ النَّاسُ فَضْلَهُ	إِذَا جُعِلَتْ أَيْدِي الْمُقْصِرِ تُجْمَدُ

(٨١)

ويومئذ الشاعر من طرف خفي إلى فضل جده هاشم على قومه، «وهو أول من اطعم الثريد بمكة»

82).

ويرتفع صوت أبي طالب بفخره الجماعي بذكر خصال بني هاشم الذين انمازوا

عن غيرهم من قريش التي تنادت على أذيتهم، بالاشادة بجميل صنيعهم، وتمجيد افعالهم، والتغني بمآثرهم المجيدة قبل الإسلام، فكانوا لا يوافقون على ظلم الناس ويردون المتكبرين إلى الضعة والذل، وكانوا حماة قريش يدافعون عن حصونهم وبيوتهم، وهم السادة الأعلون، والبرية كلها تدين لهم بالخضوع والانصياع. فتباهى أبو طالب في الإسلام لما رأى من قومه ما يسره من جدهم معه وحدهم عليه، فمدحهم وذكر

قدمهم، وذكر فضل النبي

{صلى الله عليه وآله} فيهم (83) فقال:

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نَقْرُ ظِلَامَةً	إِذَا مَا ثَنَوْا صُعَرَ الْخُدُودِ نَقِيمُهَا
وَنَحْمِي حِمَاها كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ	وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِها مَنْ يَرُومُهَا

بِأَكْنَفِنَا تَنْدَى وَتَنْمَى أَرْوْمُهَا بِنَا إِنْتَعَشَ الْعَوْدُ الذُّوِيُّ وَإِنَّمَا
لَهُمْ صِرْمَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ قُرُومُهَا هُمْ السَّادَةُ الْأَعْلَوْنَ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَيُكْرِمُهُمْ مَلَأْرُضٍ عِنْدِي أَدِيمُهَا) يَدِينُ لَهُمْ كُلُّ الْبَرِيَّةِ طَاعَةً

(٨٤)

وقاخر أبو طالب بالمعاني الانسانية وهو يومىء الى حلف الفضول الذي شارك فيه بني هاشم في دفع
الظلم عن الناس، وحماية الجار وغير ذلك)

(85)، فتباهى بقدم مجد قومه، وحمدهم في تولي امور الناس في الحل والربط، ودفع الظلم، فهم يبلغون ما
يريدونه من غير شدة وعنف، ويعملون لصالح عشيرتهم، ولذلك كله نالوا من أعدائهم الطلاقة والعتو الذين
يحمدان عليهما وود الناس لهم، فقال في قصيدته التي مدح فيها النفر الذي سعوا في نقض الصحيفة مفتخرا
بقومه :

{من الطويل}

وكانَ على النَّعْتِ الذي قالَ عالمٌ لديكَ البيانُ لو تكلمَ أسودٌ
متى شاركَ الأقوامُ من جلِّ أمرنا وكُنَّا قديماً قبلها نتودُّ
وكُنَّا قديماً لا نقرُّ ظلامَةً ونُدرِكُ ما شِئنا ولا نتبدُّ
وظل لافناءِ العشيرةِ صالحٌ نحلُّ إذا شئنا بغورٍ وننجدُ
ونلنا كثيراً حيث نلنا من العدا طلاقةً عفوٍ والطلاقةَ تحمداً

(٨٦)

وسعى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لتوظيف عوامل الحماية المتاحة له كالاكتفاء بعمة وعشيرته
التي انمازت بالوجاهة والمنعة والبطولة، فعشيرته مثل بقية القبائل العربية ذات الحمية على افرادها،
فقد «منع الله {مشركي قريش} رسوله بعمة أبي طالب، وقد قال أبو طالب حين رأى قريشا تصنع ما
تصنع في بني هاشم وبني عبد المطلب، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله (صلى الله عليه
وآله) والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه واجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ...
فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو عبد المطلب معهم ورأى أن قد امتنع بهم وان قريشا لن يعادوه معهم قال

أبو

طالب، وبادى قومه بالعداوة، ونصب لهم الحرب (87) «فجهر بصوته مفاخرا بعشيرته تارة، وبنفسه
تارة أخرى في أن معا، لنصرة رسول الله وحمايته من أعدائه فقال :
{من المتقارب}

نَصَرْنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ ببييضِ تَلالِأ كَلَمعِ البُرُوقِ
بِضْرَبٍ يَذِيبُ بَدُونَ التَّهَابِ حذارَ البِوادرِ وَالْحَنْفَقِيقِ

أَدَبٌ وَأَحْمِي رَسُولَ الْمَلِكِ
وَمَا إِنْ أَدَبٌ لِأَعْدَانِهِ
حِمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِ
دَبِيبِ الْبَكَارِ حَذَارَ الْفَنِيْقِ
وَلَكِنْ أَسِيرٌ لَهُمْ سَامِتًا
كَمَا زَارَ لَيْثٌ بَغِيلَ مَضِيقِ)

(٨٨)

ولم يفخر أبو طالب بمآثر قومه من بني هاشم على اساس الروح القبلية، وانما فخر بمآثرهم على اساس انهم حماة الدعوة الإسلامية، فعندما خرج قومه من الشَّعب ومزقت الصحيفة، شكوا أبو

طالب ظلم قريش)

(89)، وافتخر بفتيان قومه الكرماء في دفاعهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :
{من الطويل}

أَتَرْجُونَ أَنَا مُسْلِمُونَ مُحَمَّدًا
بِكَلِّ فَتَى ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ مَاجِدِ
وَلَمَّا نَقَاذِفَ دُونَهُ بِالْمِرَاجِمِ
تَمَكَّنَ مِنَ الْعُلِيَاءِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمِ
نَبِيٌّ أَتَى بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
فَمَنْ قَالَ: لَا، يَقْرَعُ بِهَا سِنَّ نَادِمِ)

(٩٠)

ويتباهى أبو طالب بحماية بني هاشم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بوجه نفر من قومه الذين ناهضوه وأرادوا قتله، فهم يذودون عنه بأيديهم الهاشمية القوية، وفعلهم هذا مدعاة للفخر والشرف

فقال:

{من الطويل}

فَلَا تَحْسَبُونَا مُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا سَتَمْنَعُهُ
مِنَّا يَدٌ هَاشِمِيَّةٌ
لَيْدِي عَرَبِيَّةٌ مِنَّا وَلَا مُنْقَرِبِ
مُرَكَّبُهَا فِي النَّاسِ خَيْرُ مُرَكَّبِ
وَلَا وَالَّذِي تَخْذِي لَهُ كُلُّ نَضْوَةٍ
طَلَانِحِ جَنْبِي نَخْلَةٍ فَالْمُحْصَبِ
يَمِينًا صَدَقْنَا اللَّهَ فِيهَا وَلَمْ نَكُنْ
لِنَحْلِفَ بَطْلًا بِالْعَتِيقِ الْمُحْجَبِ
نُفَارِقُهُ حَتَّى نُقْتَلَ حَوْلَهُ
وَمَا نَالَ إِسْلَامَ النَّبِيِّ الْمُقَرَّبِ)

(٩١)

مما تقدم يتبين: أن فخر أبي طالب لم يكن من قبيل التبجح والادعاء على غرار العرف السائد في المجتمع العربي قبل الإسلام، وانما كان فخره بمحامد قومه والتعني بفضائلهم يوفر له الرفعة والجاه والقوة والمنعة وهو يتصدى لاعداء الرسالة ليحميها، ويحمي صاحبها في المرحلة التمهيدية للدعوة الإسلامية التي واجهت معارضة من رجال مشركي قريش خشية ان تؤدي الى أدها.

وركز أبو طالب في فخره على معاني الفخر بالصبر والكرم والنسب والدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله) ومزج ذلك كله بما لا يقطع الصلة بينه وبين قومه الأدينين من بني هاشم وعبد المطلب، فقد استطاع ان ينحو بالفخر منحى اخر اذ كان يفخر برهطه الادنين من دون قومه من قريش، وكانت السمة البارزة في فخره هي مزجه بالتهديد والوعيد.

المديح:

من أبرز فنون الشعر العربي فن المديح، يثني به الشاعر على الممدوح، فيتغنى بفضائله الجليلة، ويشيد بخلاله العظيمة، ويعدد شمانله الحميدة، وغاية الشاعر من المديح تخليد قيم المديح التي يترسم فيها صورة الاعجاب والثناء والتقدير للمدوح، فاعجاب الشاعر بالفضائل الانسانية وتأكيدا هي دعوة إلى الاهتداء إليها، والافتداء بها

، وتمثلها - اذا كانت غائبة عن الممدوح - والشاعر يدفع الممدوح للتوجه إليها والالتزام بها ؛ لأنها الصورة المثلى التي يتمناها عليه ، ويتمناها المجتمع العربي. وهو في الوقت نفسه عندما يمدح القيم والمعاني والسجايا والمناقب، فإنه يمدح نفسه ويخلدها بذكرها؛ لأنه يؤمن بها ايمانا عميقا، وإذا تحقق الدافع النفسي والدافع الفني مع ايمانه بالقيم التي يعتقدونها، وتمتعه بالخيال الخلاق، وبراعة الاداء، استطاع ان يرفع الممدوح بتمجيده إياه؛ لامتلاكه الصدق الفني في التعبير.

وقد أبقى الإسلام على كثير من القيم الجاهلية التي تتناسب والحياة الجديدة في ظله، فاعتز بالقيم العربية الاصلية، واكبر عليها، وحث على التمسك بها، بيد أنها اكتسبت معاني جديدة تبعاً لغاياتها التي تمثلت بارضاء الله ونيل ثوابه.

والتغيير الذي طرأ على هذا الفن متمثلاً بالتوجه العام الذي توجه به الشعراء في اشعارهم نحو الالتزام بالقيم والمبادئ التي ارتضاها العربي قبيل البعثة، والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام مثل الايمان الصادق، وتقوى الله، والعدل وغيرها)

(92)، فضلا عن القيم الموروثة مثل: الكرم، والشجاعة، وعراقة النسب، والصدق، والحلم، والصبر... إلى آخره. وانشطر فن المديح في شعر أبي طالب إلى اتجاهين:

- الأول : المديح النبوي :

المدائح النبوية لون من ألون التعبير الفني يراد بها التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على

شماثل رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتغني بصفاته، وهي تصدر عن قلوب مفعمة بالايمان

(الصادق لله ولرسوله)

(93)، ومدح الحق تبارك وتعالى نبيه في التنزيل الحكيم: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (94)» الذي تمثلت به مكارم الاخلاق التي ارتضاها العربي قبل الإسلام وبعده متمثلة بالخلق الرفيع الذي زاد عليه بالسلمات الدينية. وتعد مدائح أبي طالب لرسول الله النواة الأولى لنشأة المدائح النبوية، فمدحه بوقت مبكر قبل غيره

(من الشعراء)

(95)، ومنها وجدت سبيلها إلى مديح الصفات الخلقية، وهي ليست مدائح مادية لشخصية النبي بقدر ما هي مدائح لعظمة مكانته، وجليل قدره، وسمو رفعتة بوصفه نبيا صاحب رسالة سماوية، أرسل إلى الناس كافة بدين الهدى ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فرسم أبو طالب صورة جبينه في القصيدة الرائية حين افتقده وظن ان قريشاً قتلته (96)، فقال:

{من الوافر}

أيا ابن الأنف أنف بني قصي كأن جبينك القمر المنير

(97)

فما يعنيه القمر من نور وسمو ورفعة هو شأن النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يكن المقصود بالجمال

المادي فحسب، وهو كذلك أيضاً عندما أجادت قريحة أبي طالب في كشف جمال وجه النبي بهاءً

ونوراً في قوله:

{من الطويل}

أغر كضوء البدر صورة وجهه جلا الغيم عنه ضوء فتوقدا

(98)

وفي القصيدة اللامية التي أنشدها في الشعب الذي أوى اليه بنو هاشم مع رسول الله لما تحالفت

عليهم قريش وكتبوا الصحيفة)

(99)، اشاد أبو طالب بحسن خلق رسول الله، فجماله فاق جمال اهل الدنيا، فقال:

{من الطويل}

لعمري لقد كلفتُ وجداً بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها وشيناً لمن عادى وزين المشاكل

(100)

ونعت ابوظالب طلعة الرسول البهية بشعلة النار المضيئة في يد حاملها في ضيائه، فقال :

{من الطويل}

حزيم على جل الأمور كانه شهاب بكفي قابس يتوقد

(١٠١)

وهذه إشارة إلى الهداية التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وآله)، وللصفات، الخلقية المعنوية التي يتحلّى بها نبي الهدى الحظ الاوفر من شعر أبي طالب، فكان الرسول المقام العالي للخلق الكريم، وما بعث إلا ليطم مكارم الاخلاق، فمدحه أبو طالب بشرف النسب، وصدق القول، وشعيرة الكرم، والتجمل بالحلم إلى آخره.

فمن القيم السامية التي يتشرف بها العرب عراقة النسب الزكي، وطهارة المنبت الطيب، وقد أشاد أبو طالب بهذه الفضيلة الكريمة لاصل الرسول فهو فرع باسق في المجد من شجرة عتيقة الاصل في الحسب والنسب خالص المنبت في طهارته وزكاته، فأحمد من أكارم بني هاشم وبني هاشم من أكارم

وبن

ي عبدمناف، فقال :
{من الطويل}

وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنْأَفِهَا فِي هَاشِمٍ أَشْرَافِهَا وَقَدِيمِهَا
وَإِنْ فَخَرْتَ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمِهَا)

(١٠٢)

وزاد أبو طالب معاني إسلامية في مديحه لابن أخيه، فهو المصطفى الذي اختاره الله لأداء رسالته، ومديح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعني فخراً لأبي طالب بنفسه، فإن قلت هنا إنه مديح فلا بأس، وإن قلت فخراً فيمكن أن يكون.

وأثنى أبو طالب على ابن أخيه عندما تعرض لأذى عبد الله بن الزب

عري السهمي، ونفر من رجال قريش فحمل عليهم أبو طالب، ومسح رؤوسهم بالفرد والدم، واصاب ابن الزبير حتى ادمى انفه (103)، ثم قال: «سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه الى آدم (عليه السلام)، ثم قال: انت والله اشرفهم حياً وارفعهم منصبا (104)» أنت النبي محمد الطيب المنبت، الكريم النسب، من أصل عمرو بن عبد مناف الرجل الأوحده الذي هشم الثريد لقومه بمكة أيام القحط، فأضحى صنيعه من بعده سنة متبعة وهو يومىء الى النبي قانلاً:
{من مجزوء الكامل}

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ قَرَّمَ أَعْرَ مُسَوِّدُ
لِمُسَوِّدِينَ أَكْرَامِ طَابُوا وَطَابَ الْمَوْلِدُ
نَعَمَ الْأَرُومَةَ أَصْلُهَا عَمْرُو الْخِضَمِّ الْأَوْحَدُ
هَشَمَ الرَّبِيبَكَةَ فِي الْجِفَا نِ وَعَيْشُ مَكَّةَ أَنْكَدُ
فَجَرَّتْ بِدَائِكَ سُنَّةُ فِيهَا الْخَبِيرَةُ تُثْرَدُ)

(١٠٥)

وذكر صفات جده بعد ما اجتمعت قريش والعرب على الاقرار بها، وهذا ما يحتاجه أبو طالب في مديحه للنبي(صلى الله عليه وآله) ، ونسبه ليس مجهولاً في المجتمع القرشي، ولكن اراد أبو طالب الافصاح عنه لتبيين مكانته فيهم، ولان الله اصطفى نبيه من دون سائر خلقه لتكليفه بأعباء الرسالة، فأثنى الحق تبارك وتعالى بزكاة نسب الرسول، وكرم أرومته في قوله: «وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»

(106) أراد في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى اخرج من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (عليه السلام) (107) ، وأشاد بزكاة أرومته «أنا دعوة أبي إبراهيم ... نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يمسنني سفاح أهل الجاهلية (108) «فاقتضت كرامة الله ان يكون نبيه من أكرم شجرة وأشرف أرومه، وأفضل عترة، وخير الأسر، فأودعه في النسب الهاشمي الزكي النقي، فتغنني أبو طالب بانتماء الرسول إلى النسب الهاشمي، فقال :
{من الطويل}

وَلِكِنَّهُ مِنْ هَاشِمٍ فِي صَمِيمِهَا إِلَى أَبْحُرٍ فَوْقَ الْبُحُورِ صَوَافٍ

(١٠٩)

ويجاهد أبو طالب نفسه وابنه علي (عليه السلام) في فداء النجيب وابن النجيب، فهو السيد الشريف في قومه، الكريم في أرومته، فقال :

{من الخفيف}

قَدْ بَدَّلْنَاكَ لِفِدَائِ النَّجِيبِ وَابْنِ النَّجِيبِ

- والبلاء عسيرٌ - قَبِ وَالْبَاعِ وَالْفَنَاءِ الرَّحِيبِ
لِفِدَائِ الْأَعْرَظِيِّ الْحَسْبِ النَّأِ

(١١٠)

وسجية الكرم خصلة اصيلة في طبع العربي تمثلها الشعراء في عصر قبل الإسلام)

(111)، وحث الإسلام على التحلي بها(112)، وقد تمثلت ملامح شخصية الرسول الخلقية السامية بالكرم الذي ارتسم بانموذج الرجل الجواد، فمدح أبو طالب ابن أخيه حين اجتمعت قريش على خلافه، بأنه خير من وطىء الثرى ثقة وقت المحن والشدائد جواد بماله، فقال :
{من الطويل}

وَمَا إِنَّ جَنِينًا فِي قَرِيْشٍ عَظِيْمَةً سَوَى أَنْ م

أَخَا ثِقَةً لِلنَّانِبَاتِ مُرَزًّا نَعْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرْبَا
كَرِيْمًا نَثَاهُ لَا لِنَيْمًا وَلَا ذُرْبَا

(١١٣)

ورسول الله كريم الاصل يُسْتَبَشَّرُ الخير بوجهه الكريم أيام الجذب والقحط التي تصيب القوم، فطلعته تتري بالرغد والعطاء، فهو رجل فياض الكرم، ومن تعاليمه الحث على اكرام الضيوف، وبهذه السمات المعنوية الخلقية الرفيعة في شخصية الرسول أوما أبو طالب، فقال :

{من الطويل}

مِنَ الْأَكْرَمِينَ فِي لُؤْيِي بْنِ غَالِبٍ
إِذَا سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ
طَوِيلُ النَّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ
عَلَى وَجْهِهِ يَسْقِي الْعَمَامَ وَيُسْعِدُ
سَاقِهِ عَظِيمِ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ
يَحْضُ عَلَى مَقْرِي الضِّ

وَيُوفٍ وَيَخْشُدُ (١١٤)

وتغنى أبو طالب في مدائحه النبوي

ة بالقيم الدينية التي تمثلت في شخصية ابن أخيه المتصلة بالنبوة، وتصديق الرسالة، ودعوة الناس لاتباعه، ودعوته للدين الجديد، وتأييد الله له، وطلب الشفاعة، ونزول الوحي إلى غيرها (115) من السمات النبوية التي هي جزء من متطلبات الدعوة الإسلامية .
ومن أجل هذه السمات التي أكرم الله بها نبيه لتبيين جلالته مكانته وقدره، اشتقاق اسم محمد من اسم

صاحب العرش المحمود، ودلالة الاسم جديدة غير معهودة من قبل، فقال أبو طالب :

{من الطويل}

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
فَأَكْرَمَ خَلْقَ اللَّهِ فِي النَّاسِ أَحْمَدًا
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجَلَّهُ
فَدَوَّ الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

(١١٦)

وقد فاض كرم الحق تبارك وتعالى على نبيه في تبيين علو مقامه الشريف فذكر اسمه في الكتاب المقدس، وهو الأمين في تبليغ رسالة الله التي استودعها في قلبه من وحيه، سديد القول، فقال أبو

طالب :

{من الطويل}

نَبِيٌّ أَتَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بِخَطِّهِ
فَسَمَاءُ رَبِّي فِي الْكِتَابِ مُحَمَّدًا

أمين على ما استودع الله قلبه
وحاول أبو طالب تأكيد مبادئ الإسلام في أذهان الناس في علاقة صاحب الرسالة بالله، فيمدحه مرة أخرى بفضيلة النبوة التي كرمها الله بها، فهو أفضل الناس، كريم الاصل والاخلاق، رشيد مؤيد من عند الله، يسعى لبناء مجد عشيرته، والقائد فيهم، محمود السجال، وصادق القول، ومن جيش بني

هاشم تابع لإمرته ومؤيدين من الله بالنصر والسداد، فقال:

{من الطويل}

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا
إِذَا عُدَّ سَادَاتِ الْبَرِيَّةِ - أَحْمَدُ -
نَبِيُّ الْإِلَهِ وَالكَرِيمُ بِأَصْلِهِ
وَأَخْلَاقُهُ وَهُوَ الرَّشِيدُ الْمُؤَيَّدُ

....

وَيَبْنِي لِأَفْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحاً وَيَبْنِي

كثيراً حيث كان من العدا

هو القائد المهدى به كلُّ منسِرٍ

إذا قال قولاً لا يُعادُ لقوله

بجيشٍ له من هاشمٍ يتبعونه

....

إذا - نحنُ طُفْنَا في البلادِ - ويمهّدُ

طِلاعِ المدى لاغيرَ ذلكَ يجهدُ

عظيمُ اللّواءِ أمرُهُ الدّهرُ يُحمّدُ

كوّحى الكتابِ في صَفِيحٍ يُخلّدُ

يُسدّدُهُم ربُّ الورى ويؤيّدُ (١١٨)

ومدح أبو طالب رسول الله بحسن الصفات الحسية والمعنوية بتعبير صادر من قلب محب ومؤمن

بالنبي ودينه، وهو يتأمل الخير منه، فإذا قاسه حكام العرب بغيره عند المفاضلة، فهو المفضل؛ لأنّه

النبي ذو الحسب والسيادة والعلم والرشد، ولم

يتخذ ولياً إلا الله لا يغفل عنه ابداء، ويدعو أبو طالب رب العباد أن يؤيده بنصر من عنده، ويظهر دينه دينا

ثابتاً دائماً، فقال:

{من الطويل}

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيْ مُؤَمِّلٍ جَمِيلٍ

المُحْيَا ماجدٌ وابنُ ماجدٍ حَلِيمٌ رَشِيدٌ سَيِّدٌ

وابنُ سَيِّدٍ

{...} عادِلٌ وابنُ عادِلٍ

فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ

إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

له إرثٌ مجدٌ ثابتٌ غيرَ ناصِلٍ

يُؤوِّلُ إِلَيْهِ الْعِلْمُ لَيْسَ بِجَاهِلٍ

يُوالِي الإلهَ لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ

وَأَظْهَرَ دِيناً حَقَّهُ غَيْرُ زَانِلٍ)

(١١٩)

والصدق من القيم الخلقية الجليلة التي اتصف بها نبي الله واثنت عليها الشرعية الإسلامية، وقريش

تعلم بصدق رسول الله قبل البعثة، ولكنها ترفض الانصياع لأمر دعوته، فافصح أبو طالب وهو في

الشَّعب منددا باهل الباطل الذين يعلمون ان ابن أخيه لاينطق زورا وبهتانا، وهو لايعبأ بما يقولون،

فقال :

{من الطويل}

فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ إِبْنَنَا لَا مُكَدِّبٌ

لَدِينَا وَلَا يَعْنِي بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ)

(١٢٠)

وصفة الصدق إحدى صفات رسول الله التي عهد لها أبو طالب بابن أخيه منذ كان طفلاً صغيراً، فقال:

{من مجزوء الكامل}

وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ صَادِقًا فِي الْقَوْلِ لَا تَتَزَيَّدُ
مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِالصَّوَا بِ وَأَنْتَ طِفْلٌ أَمْرُدُ

(١٢١)

وصدق رسول الله من الفضائل التي انماز بها فهو برهان على صحة نبوته، ففي القصيدة التي ذكر فيها أبو طالب قصة الصحيفة، ان العرب كانوا يعرفون دين إبراهيم، فاستنكر ظلمهم بمن يدعو إلى البر والتقوى والصلاح، وقد اعتبروا في أمر الصحيفة، فمحا الله ما جاء فيها من كفر قريش وعقوقهم، وأثبتت الأرضة التي قضمت الصحيفة ان كل ما ادعوه باطل وما هو إلا كذب وافتراء، من أجل هذه الآية أظهر الله محمداً صادقاً فيما ذكره من فعل الأرضة، وسينصره الله باهل العقير ويثرب،

فتغنى بصدق رسول الله(صلى الله عليه وآله).
فقال :

{من الطويل}

وَمَا ذُنِبٌ مَن يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ	وَدِينٌ قَدِيمٌ أَهْلُهُ غَيْرُ خُبَيْبٍ
وَمَا ظُلْمٌ مَن يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى	وَرَأبِ الثَّأَى بِالرَّأْيِ لَا حَيْنَ مَشْعَبٍ
وَقَدْ جَرَّبُوا فِيهَا مَضَى غَبِّ أَمْرِهِمْ	وَمَا عَالَمٌ أَمْرًا كَمَنْ لَمْ يُجَرَّبِ
وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيفَةِ عِبْرَةٌ	أَتَاكَ بِهَا مِنْ غَانِبٍ مُتَعَصِّبٍ
مَحَا اللَّهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعُقُوقَهُمْ	وَمَا نَقَمُوا مِنْ صَادِقِ الْقَوْلِ مُنْجِبٍ
وَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلًا	وَمَنْ يَخْتَلِقُ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يُكْذِبُ
فَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقًا	عَلَى سَاخِطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُغْتَبٍ

....

....

وَيَنْصُرُهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ بِأَهْلِ الْعُقَيْرِ أَوْ بِسُكَّانِ يَثْرِبِ (١٢٢)
ولا نستبعد أن يكون النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أخبر عمه أبا طالب بالهجرة إلى يثرب قبل وقوعها، ليطمئنه على انتصار الإسلام، فضلا عن أن أبا طالب سمع من احبار يهود بني قريضة أن

ابن أخيه «نبي وانه لانيبي بعده، واسمه أحمد، ومهاجره إلى يثرب)»

(123) فأوماً في مديحه إلى هذا الامر يقينا لهجرته وتصديقا لبعثته.
ومما تقدم يتبين: أن أبا طالب افاض في مدح الرسول في تعداد سجاياه المادية والمعنوية الصادرة عن قلب محب، ونفس معجبة، وروح مؤمنة، وعقيدة راسخة، وايمان قوي، وتصميم ثابت بالنبي

ودعوته.

ومما يلحظ أن أبا طالب لم يعنِ عناية كبيرة في رسم الملامح الخَلقية في تبين هياة الرسول المنظور إليها، وإنما اكتفى باللحمة السريعة، ووجه عنايته حول بيان صفاته الخَلقية والقيم الدينية، فمدح مكارم الأخلاق التي تربي عليها العربي التي تجري على وفق ما كان مألوفاً عند العرب من انهم ينظرون إلى الأفعال التي تخلدهم، فضلاً عن مدح الرسول بوصفه نبي الأمة الذي بلَغ رسالة السماء ونشر تعاليمها، فشخصيته تستحق الثناء والتبجيل.

- الثاني: المديح العام :

ويراد بالمديح العام الذي أشاد به أبو طالب بحق الآخرين ما خلا مديحه لرسول الله(صلى الله عليه وآله)، فمدائحه)

(124) كانت تعبيراً عن حضّ الممدوحين لموازرة رسول الله طمعا في مناصرته ومحاماته، أو تعبيراً عن إسداء معروف، أو حق احسان للذين ساندوا الرسول، ووقفوا بجانبه لمواجهة اعداء الدعوة. ومعاني المديح التي تمثلت بالخصال الرفيعة والاخلاق الكريمة، والقيم الجليلة، والمبادئ العظيمة هي نفسها التي اكبرها العربي وأجلها، فكانت موضع اعجابه وتمييزه، وحرص أبو طالب على مديح فضائل الآخرين من بعض رجال قريش تقويماً لمواقفهم الجليلة، واعترافاً بنبل أفعالهم، وإكباراً لشجاعتهم في نقض الصح

يفة(125)، فأتنى عليهم بالحزم والرشاد وحسن التدبير، فقد اجتمعوا كالملاك بل هم أعز منهم وأعلى في موضع الحجون في الليل، واتفقوا على نقض الصحيفة في الصباح، فقال :
{من الطويل}

جَزَى اللهُ رَهْطاً بِالْحَجُونَ تَتَابَعُوا	عَلَى مَلَا يَهْدِي لِحَيْرٍ وَيُرْشِدُ
قُعُوداً لَدَى رُكْنِ الْحَطِيمِ كَأَنَّهُمْ	مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمَجْدُ
قَضُوا مَا قَضُوا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا	عَلَى مَهَلٍ وَسَانِرُ النَّاسِ رُقْدُ
وَأَخْرُ مَسْرُورٌ بِنَاتُ فُوَادِهِ	تَحْضُ عَلَيْنَا بِالْمَغِيبِ وَتُوقِدُ
وَسَارِعٌ فِيهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ	شِهَابٌ بِكَفِي قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ

(١٢٦)

وقد يمدح أبو طالب أفراداً لعمل سام

قاموا به من مثل موقف زهير بن أبي أمية، وهو أحد الرجال الذين نقضوا الصحيفة، فتغنى أبو طالب بفضائله: قرابته منه، وجليل كرمه، ونبل نسبه، وصدق قوله، وإصالة مجده، وعظيم شجاعته، فقال :
{من الطويل}

فَنَعَمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ زَهِيرُ النَّدَى ذُو الْمُكْرَمَاتِ الْفَوَاضِلِ
 كَرِيمُ النَّشَا جَلْدُ الْقَوَى ذُو حَفِيظَةٍ وَذُو مَصْدَقٍ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْعَوَائِلِ
 فَتَى لَمْ يَزَلْ يَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلَا قَدِيمًا لِعَمْرِي فِي بَيَانٍ وَنَانِلِ
 أَشْمٌ مِنَ الشَّمِّ الْبِهَالِيلِ، يَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ فِي بَاحَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ)

(١٢٧)

فمدح أبو طالب لموقف زهير الشجاع في إنقاذ المسلمين وفك حصار الشعب منهم من دواعي إعجابه
 بما صدر عنه في هذا التوجه.

وينتقي أبو طالب الفضائل التي يعتز بها العربي ويحفل، ليقدّم صورة جليّة بحس الشاعر، فيرى أن
 أبا قيس بن الأسلت لا يقل عن زهير في اتجاهه المحمود على أثر قصيدته البانية)

(128) التي عظم فيها حرمة البيت، ونهى قريشا عن محاربة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكف الأذى
 عنه، ذاكرا فضلهم، فتغنى أبو طالب بمدح طمعا بنصرته لرسول الله، فهو نقي الأرومة وطيب الأصل، وسيد
 الندى، فقال:
 {من الطويل}

وينصرُّ ابني كلِّ بما يتلو (...) المدارسَ وَسَطَ المَحَارِبِ

قَرِيحُ النَّدَى وَابْنُ الْكَرَامِ الْأَطَانِبِ)

ومثلُّ أبي قيس المصْفَى مِنَ الْخَنَى

(١٢٩)

وحماية الجار منقبة خلقية عظيمة تزداد على مناقب السيد الكريم، ففي القطعة البانية التي بعثها أبو
 طالب الى نجاشي الحبشة يحثه فيها على إكرام المهاجرين)

(130) نعته بأفعال الخير كلها اللازمة فيه، وبسخاء كرمه، فعطاياه وافرة تصل إلى من يدخل في جواره،
 عزيز المجد فلا يتعب من في حماه، فقال:
 {من الطويل}

تَعَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ زَادَكَ بَسْطَةَ وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلَّهَا بِكَ لِازِبِ

وَأَنَّكَ سَنِيْبٌ ذُو سِجَالٍ عَزِيْرَةٍ يَعِيْشُ بِجِدْوَاكَ الطَّرِيْدُ الْمُصَاقِبُ

وَأَنَّكَ عَزٌّ كَرِيْمٌ فَلَا يَشْقَى لَدَيْكَ الْمُجَانِبُ)

(١٣١)

وحمّد اصحاب رسول الله جوار النجاشي الذي أحسن إليهم)

(132) فأشاد أبو طالب بحسن جواره وكرمه لهم، فقال:
 {من الطويل}

- والملوك أئمة -

فبَدَلَهُمْ رَبُّ الْعِبَادِ بِدَارِهِمْ جَوَارَ كَرِيمٍ سَيِّدِ ذِي فَوَاضِلِ
جَوَارَ النَّجَاشِيِّ الَّذِي لَيْسَ مِثْلُهُ مَلِيكَ مَجِيرٍ لِلضَّعَافِ الْأَرَامِلِ)

(١٣٣)

ولنصرة النجاشي المسلمين ومحاماته لهم، نال حقا عليهم لجليل فضل تكرمه، فاستحق الثناء، فقال

أبو طالب فيه:

{من الطويل}

وإنك ما يأتيتك منا عصابة لفضلِكَ إلا أَرْجِعُوا بالتَّكْرَمِ
بذُلتَ لهم عُرفاً ولم تبغ عنهم فنلَّتْ بها حَقّاً على كُلِّ مُسْلِمِ)

(١٣٤)

ومديح أبي طالب ينأى عن المبالغة غير الواقعية فلا يشيد بفضائل الممدوح إلا بما فيه من السجايا

والخصال المحمودة، فيتوجه إليه بهالة من الثناء.

وصفوة القول: إن مدائح أبي طالب نابعة من عقيدة ثابتة بالقيم العربية الأصيلة التي تمثلت في المجتمع الإسلامي بمعانٍ مثالية ذات رؤية إسلامية، وتبرأت مدائحه عن غاية في طلب مأمول؛ لأنه كان شيخاً ذا مكانة عالية معتدا بنفسه، وأنفته، وكبريانه، فمدائحه صادرة عن إيمان صادق بصاحب الرسالة، موجهة إليه، وإلى من ساندته وأزره وحاماه في محنته، فلم يمدح ملكاً أو أميراً أو رئيس قبيلة؛ لأنه هو مهوى مدائح الشعراء لمكانته ومنزلته، أما ما مدح به النجاشي فلأنه أجاز المسلمين. وكان مديح أبي طالب مديح شكر لفضل سابق في الممدوح وهو دعوى للاخريين للتمثل بما فعله الممدوح للدعوة الإسلامية ولرسول الله (صلى الله عليه وآله).



الهوامش:

(1) طبقات فحول الشعراء: ٢٠٩/١ .

(2) نقد الشعر: ١١٨ .

(3) العمدة: ١٤٧/٢ .

(4) ظ: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٧، شعر الرثاء في العصر الجاهلي: ١٥٨ .

(5) العمدة: ١٤٣/٢ .

(6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٥٢ .

(7) العمدة: ١٤٧/٢ .

(8) العقد الفريد: ١٦٢/٣، نهاية الارب في فنون الأدب: ١٦٢/٥ .

(9) ظ: لسان العرب: «ندب.»

(10) ظ: الديوان: ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٤-١٠٥، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٦، ١٦٩، ٣٣٦-

. ٣٤٣، ٣٣٧

(11) ظ: ديوان المعاني: ١٨٤/٢ .

(12) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الملقب بالذبيح، وهو والد الرسول (صلى الله عليه وآله)، خرج في تجارة الى بلاد الشام، وفي طريق عودته الى مكة تُوفي في المدينة وله خمس وعشرون سنة، ظ: السير والمغازي: ٣٢-٤١، الطبقات الكبرى: ٨٨/١-٨٩، تاريخ الخميس في احوال أنفس

نفيس: ١٨٢/١-١٨٣ .

(13) الديوان: ٩٨ .

(14) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٠/٢ .

(15) الديوان: ٩٧، العادي: الباغي والظالم، والأرم: الآكل، شبيبة: اسم عبد المطلب سمي بذلك، لانه

كان في رأسه شيبٌ منذ ولادته، وهو أول من خضب بالسواد، ظ: الطبقات الكبرى: ٨٦/١-٨٧،

عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٢٤ .

(16) الزبير بن عبد المطلب، ويكنى أبا طاهر، وأبا ربيعة، وهو أخو عبد الله (صلى الله عليه وآله)

عليه وآله) من أمه وأبيه، وكان من أشرف قريش وحكامها، وهو أول من تكلم في حلف الفضول

ودعا إليه، مات ورسول الله ابن بضع وثلاثين سنة، ظ: المحبر: ١٣٢، 167-164، المعارف:

. ٦٠٤، أنساب الأشراف: ٨٧/١، ١١/٢-٢٠ .

(17) ظ: المحبر: ١٣٢ .

(18) الديوان: ٩٩ .

(19) م.ن: ١٣٢ .

(20) ظ: السير والمغازي: ٧٣.

(21) خزانة الأدب: ٢٤٤/٤، سرو سحيم: موضع في بلاد هذيل، ظ: معجم البلدان: ٢١٧/٣.

(22) الديوان «التونجي»: ٤٥، زاد الركب: لقب أبي أمية، وكان أزواد الركب في قريش ثلاثة: أبو

أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس،

وزمعة بن الأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن العزى، وانما قيل لهم أزواد الركب؛ لأنهم إذا سافروا

لم يتزود معهم أحد، ظ: خزانة الأدب: ٢٤٦/٤.

(23) ظ: الرثاء: ٦.

(24) التعازي والمراثي: ٢٧.

(25) الديوان: ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٤، ٢٣٨، ٢٦٣، ٣٣٥.

(26) ظ: الديوان: ٩٩.

(27) م.ن: ٩٩.

(28) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٢٣ - ١٢٤.

(29) ظ: الديوان: ٩٧.

(30) صبح الاعشى في صناعة الانشا: ١٥/٢.

(31) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٣٢٠/١.

(32) الديوان: ٩٧.

(33) السيرة النبوية لابن كثير: ٢٣٩/١.

(34) الديوان: ١٤٩، غيث رَجَّاس: ذو رعدٍ شديد الصوت، بكور: مُبَكَّر في وقته، أكب: كثير العثار.

(35) ظ: أنساب الأشراف: ٨٣/١، الخصائص الكبرى: ٨٠/١، حديث الاستسقاء.

(36) تاريخ اليعقوبي: ٩/٢ - ١٠.

(37) ظ: لسان العرب: «عزا».

(38) ظ: التعازي: ٧٥، التعازي والمراثي: ٤.

(39) ظ: المحبر: ١٧٤، مسافر بن ابي عمرو بن أمية بن عبد شمس، كان سيدا وجوادا في قومه،

وهو أحد أزواد الركب الذي سبق ان ترجمنا عنه ص: ٧٣-٧٤، مات بالحيرة في الجاهلية، ظ:

خزانة الأدب 246/ 4، : 8/147، 469-10/468، 471.

(40) ظ: الديوان: ٢٦٣ ، هبالة: موضع من مياه بني نمير، ظ: معجم البلدان: ٣٩٠/٥ .

(41) م.ن: ٢٦٣ .

(42) ظ: الديوان: ٢٦٣ .

(43) م.ن: ١٤٧ .

(44) ظ: م.ن: ١٤٧ - ١٤٨ .

(45) م.ن: ١٤٨ .

(46) م.ن: ١٤٩ .

(47) م.ن: ١٤٨ .

(48) الديوان: ٣٣٥ ، أبو عثمان كنيته هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والد أبي جهل من سادات العرب في الجاهلية، وكان رئيس مخزوم في حرب فجار، وكان يؤرخون في مكة بوفاته، ظ: جمهرة أنساب العرب: ١٤٤/١ ، والتبيين في أنساب القرشيين: ٣١٦ ، عمرو بن هشام: كان يكنى في الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا جهل، وكان أحد مشايخ قريش ومن اشد المشركين إيذاءً للرسول والمسلمين، قُتِلَ كافرًا في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٠٠/٢ - ٢٠١ ، جمهرة أنساب العرب: ١٤٤/١ - ١٤٥ .

(49) لسان العرب: «نعا.»

(50) الديوان: ١٦٩ ، خللت لحمي: قلَّ ونحف من الهزل، والمشتهب: الذي غلب بياضه سواده،

والشجب: الهلاك.

(51) الديوان (التونجي): ٤٥ - ٤٦ ، الزواحق: مفردا زاهقة وهي السمينة، البهازر: البهزرة: وهي

الناقاة العظيمة، كعب وعامر اولاد لؤي بن غالب بن فهر، يدخلان في النسب النبوي، ظ: جمهرة

أنساب العرب: ٤٦٤/٢ .

(52) الديوان: ١٠٤ ، تبالة: موضع ببلاد اليمن، أو من أرض تهامة في طريق اليمن، ظ: معجم

البلدان: ٩/٢ ، والحجون: موضع مقابر أهل مكة، ظ: معجم البلدان: ٢٢٥/٢ .

(53) ظ: أدباء العرب في العصر الجاهلي و صدر الإسلام: ٤٦/١ ، الفروسية في الشعر الجاهلي :

243- 244 ، شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٢١٨ - ٢٢٢ .

(54)ظ: الديوان: ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٦،
١٩٨، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣- ٢١٢، ٢١٥- ٢١٤، ٢١٧- ٢١٦، ٢١٩- ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٢،
٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٠، ٢٣٥، ٢٣٦- ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢- ٢٤٤، ٢٤٥، ٣٣٣، ٣٣٨- ٣٣٩،

344.

(55)الديوان: ١٧١- ١٧٢ .

(56)الديوان: ٢٠٨ .

(57)م.ن : ٨٥، الطلّي: الاعناق، الكلاكل: عظام الصدر.

(58)الديوان: ٢٥٨، القنابل: الجماعات من الناس والخيل.

(59)ظ: البقرة/٢١٥، النساء/٣٦، الانفال/٧٥.

(60)الديوان: ٢٤٢- ٢٤٣، الضوايح: الخيل التي لا يكون لانفاسها صوت عند العدو، السفاسرة :
اصحاب الاسفار وهي الكتب، الشهور: العلماء، صدر البيت الحادي عشر غير مستقيم .

(61)ظ: تمثيلا لا حصرا : شرح المعلمات العشر واخبار شعرانها: ١٣٧- ١٥٣، (معلقة عمرو بن

كلثوم)، ديوان الأعشى الكبير: ١٨١- ١٨٣، ٢٥٩- ٢٦٥ .

(62)ظ: الديوان: ٢٤٢- ٢٤٣ .

(63)الديوان: ٢٤٣- ٢٤٤، ظ: م.ن: ٢١٠، عاطلات: الحسان وعيطل الناقة في حسن منظر

وسمن، أرادي: أناضل وادافع، غؤور: ذهب في الأرض، التجليح: الحملة والإقدام الشديد، الزهاء:
الشُخوص، رأس كبير: أي الجيش على حياله.

(64)ظ: الديوان: ٣٣٣ .

(65)م.ن: ٣٣٣، القرم: السيد، الاغر: الشريف، البطاح: مفردها الأبطح، وهي حصى الوادي اللين

في بطن المسيل، النجيع: الدم الذي يضرب لونه إلى السواد، العرين: مأوى الأسد بين الشجر.

(66)ظ: م.ن: ١٨٦، ٢٢٢ .

(67)الديوان: ٢٢٢ .

(68)الديوان : ١٩٠، الاظنة: مفردها ظنين، وهو الرجل المتهم، الصفراء: القوس، والعضب :

القاطع، والمقاول: الملوك والرؤوساء، «ويحتمل ان السيف من هبات الملوك لأبيه؛ فقد وهب ابن ذي

يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع وفد قريش يهنئونه بظفره بالحبيشة»، خزانة الأدب:

. ٦١/١

(69)ظ: الفصل الرابع مبحث (التحذير والتهديد) : ١٤٤ - ١٥١ .

(70)الديوان: ٣٤٣ .

(71)ظ: الديوان: ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ٣٣٣ .

(72)ظ: تاريخ الأدب العربي (بلاشير) : ٢٩٠/٢ .

(73)ظ: السير والمغازي: ١٥٠ .

(74)الديوان: ١٨٠ .

(75)الديوان : ١٧٥، «سرهما أي وسطها ... يكون الوسط مدحا وان ذلك في موضعين في وصف

الشهود وفي النسب»، الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٢/٢ .

(76)الديوان : ١٩٦، الذحل: الحقد والعداوة.

(77)السيرة النبوية لابن هشام: ١٢٤/١ - ١٢٥، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٧٩/١، وللمزيد من

التوضيح حول السقاية والحجاية والرفادة والندوة واللواء، ظ: العقد الفريد: 237١ - 235 /، وتاريخ

التمدن الإسلامي: ٢٩ - ٣٠ .

(78)ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١٢٤/١ - ١٣٧ .

(79)ظ: تاريخ البيهقي: ٢٢٠/١ .

(80)الديوان: ٩٤، الخطر: المال والشرف والمنزلة وارتفاع القدر، الأزم: الجذب والمحل، القنار:

ريح الشواء.

(81)م.ن : ٢٣٥ .

(82)السيرة النبوية لابن هشام: ١٣٦/١ .

(83)ظ: الديوان: ١١٣ .

(84)م.ن : ١١٣ - ١١٤، الذواء: الذي جف وذبل، ملأرض: لهجة عربية تدمج من الجارة

بمجرورها.

(85)ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١٣٣ /١ - ١٣٥، الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن

هشام: ٢٤٢/١ - ٢٤٨، الكامل في التاريخ: ٢٥/٢ - ٢٧، وأول من دعا لحلف الفضول وكان سببا

لقيامه الزبير بن عبد المطلب أخو أبي طالب وعم الرسول (صلى الله عليه وآله)، ظ: الرّوض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٢/١ .

(86)الديوان: ٢٣٦ - ٢٣٧، أسود: اسم جبل، ظ: معجم البلدان: ١٩٢/١ .

(87)السير والمغازي: ١٤٨ - ١٤٩ .

(88)الديوان: ١٧٤، الخنفيق: الداهية، الفنيق: الفحل المكرم عند اهله، الغيل: عرين الأسد

وموضعه.

(89)ظ: م.ن: ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(90)م.ن: ٢٢٨، الدسيعة: العطية الجزيلة.

(91)م.ن: ٢٢٩ - ٢٣٠، يخذي: يسرع، الطليح: الهزيل، جنبا نخلة: واديان قرب مكة، ظ: معجم

البلدان: ٢٧٧/٥، والمُحَصَّب: «موضع رمي الحجر بمنى»، معجم البلدان: ٦٢/٥ .

(92)ظ: الأمالي في الأدب الإسلامي: ١٧٩ .

(93)ظ: المدائح النبوية: ١٧ - ١٨ .

(94)القلم/ ٤ .

(95)عزا زكي مبارك نشأة المدائح النبوية إلى أقدم ما مدح به الرسول (صلى الله عليه وآله)

القصيدة الدالية للأعشى، والقصيدة اللامية لكعب بن زهير، ثم قرر ان كلتا القصيدتين ليست من

المدائح النبوية في شيء؛ لأن الأعشى لم يقل الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول، وانما اراد

التقرب منه، ولم يمدح كعب الرسول إلا لينجو من الموت، فكانت نشأة المدائح في شعر حسان بن

ثابت، ظ: المدائح النبوية: ١٩ - ٢٥، ٢٩ - ٤٦، وقد اغفل ذكر أبي طالب الذي مدح النبي في زمن

البعثة أي قبل الهجرة، على أننا وجدنا ان الأعشى وكعباً وحساناً قد مدحوا الرسول بعد الهجرة، من

هنا نقرر ان نشأة المدائح النبوية كانت في شعر أبي طالب، فهو أول من تشرف بمدح النبي(صلى الله

عليه وآله) قبل غيره من الشعراء.

(96)ظ: الديوان: ٢٤٢ - ٢٤٤ .

(97)الديوان: ٢٤٤ .

(98)م.ن: ١٥٠ .

(99)ظ: الديوان: ١٩٠ - ١٩٨ .

(100)م.ن: ١٩٧، أخوته يريد أولاده الذين كانوا كأخوته وهم: طالب وجعفر وعقيل وعلي، دأب

المحب: عاداته وطبعه.

(101)م.ن: ٩٠ .

(102)الديوان: ١٧٥ .

(103)ظ: بحار الانوار: ١٢٦ / ٣٥ .

(104)ظ: بحار الانوار: ١٢٧ / ٣٥ .

(105)الديوان: ٣٣٣، الربيقة: الأقط والتمر والسمن مع الطحين، أنكد: مشووم.

(106)الشعراء/ ٢١٩ .

(107)ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٠٧/٧ .

(108)الايضاح: ١٧٥، المطالب العالية بزوائد الثمانية: ١٧٧ / ٤، اشار رسول الله (صلى الله عليه

وآله) الى دعوة النبي إبراهيم في قوله...: « وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ » [إبراهيم/ ٣٥ .

(109)الديوان: ١٧٧ .

(110)م.ن: ٢٢٠ - ٢٢١ .

(111)ظ: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٨ .

(112)ظ: نهاية الارب في فنون الأدب: ٢٠٤ - ٢٠٥ / ٣ .

(113)الديوان: ١٨٣، المرزأ: الذي يصيب الناس من ماله ونفعه كثير، الذرب: الحاد السليط

اللسان.

(114)الديوان: ٩٠، وصدر البيت الثاني والثالث غير مستقيمين، ومن تعاليم السنة الشريفة التي

اكدها أبوظالب في شعره ان الكرم شعبة من شعب الإيمان قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ ضيفه»، صحيح البخاري: ١١٢/٤ .

(115)ظ: الديوان: ١٥٠، ١٦٤ - ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١ - ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٢، ١٧٧،

١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٣ - ١٩٤، ١٩٨ - ١٩٩، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣،

٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩ - ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥ - ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٢٩،

٣٣٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢.

- (116)الديوان: ٣٣٢، محمد سمّاه به جده عبد المطلب بالهام من الله، وقد حمى الله أن يُسمّى احد باسم أحمد، أو محمد قبل زمانه، اما أحمد الذي ورد ذكره في الكتب وبشّرت به الانبياءُ فمَنع الله تعالى بحكمته ان يُسمّى أحد غيره، كيلا يدخل لبسٌ على ضعيف القلب، أو شك، وكذلك محمداً أيضاً، فلم يُسمَ به أحد من العرب ولا غيره إلى أن شاع قبيل ميلاده ان نبيا يُبعث اسمه محمد فتسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم به رجاء ان يكون أحدهم هو، وهم محمد بن أحبحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الانصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي، ظ: عيون الأثر في فنون المغازي والشمانل والسير: ٣٠/١ - ٣١، السيرة النبوية لابن كثير: ١/١٩٧، الخصائص الكبرى: ١/٧٨ - ٧٩، السيرة النبوية (انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون): ١/٨٧ - ٩٣، وضمّن حسان بن ثابت البيت الثاني في شعره، ظ: ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤، مع الهامش.
- (117)الديوان: ١٥٠، الكتاب: يراد به الإنجيل، ظ: الطبقات الكبرى: ٣٦٠ - ٣٦٣، ذكر صفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) في التوراة والإنجيل.
- (118)الديوان: ٩٠ - ٩١، طلاع: اعتلى على ملته، المنسر: الجيش، الوحي: الكلام والكتاب الخفيان، الصفيح: الحجر.
- (119)الديوان: ١٩٧ - ١٩٨، {...} بياض في الديوان.
- (120)الديوان : ١٩٨ .
- (121)م:ن. ٣٣٣ .
- (122)الديوان : ٩٥ - ٩٦، الثأى: اصلاح الفساد، المشعب: الطريق، العُقير: بلدة بالبحرين، ظ: معجم البلدان: ١٣٨/٤ .
- (123)السيرة النبوية لابن كثير: ١/٢١٤ .
- (124)ظ: الديوان: ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩ - ٢٤٧، ٢٤٠، ٢٥٩، ٣٤٠، ٣٤١ .
- (125)ظ: السير والمغازي: ١٥٩ - ١٦٢، السيرة النبوية لابن هشام: ١/٣٧٤ - ٣٧٧، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٤٤ - ٤٦، امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/٤٤، تفاصيل خبر نقض الصحيفة.

(126)الديوان: ٢٣٥، الرهط: الجماعة وهم النفر الذين نقضوا الصحيفة وانكروها وهم خمسة : هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وأبو البختری بن هشام، ظ: البداية والنهاية في التاريخ96- 3/93 :، والحجون: «جبل بأعلى مكة عند مدافن اهلها»، معجم البلدان: ٢٢٥/٢ .

(127)الديوان: ١٩٧، أخت القوم: عاتكة بنت عبد المطلب، النشا: الريح الطيبة، زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب شقيقة أبي طالب، وهو من المستهزئين الذين أدوا الرسول (صلى الله عليه وآله) ولكن أعان على نقض الصحيفة، اختلف في سنة وفاته، ظ: الكامل في التاريخ:٥٠/٢، الإصابة في تمييز الصحابة: ٥٥٢/١- ٥٥٣، ٣٥٧/٤- ٣٥٨ .

(128)ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٣/١- ٢٨٦ .

(129)الديوان: ٢٠٦، (...) بياض في الديوان، أبو قيس بن الأسلت من بني وائل الأوسي؛ مختلف في اسمه فقيل: الحارث، أو عبد الله، أو صيفي، أو حرب، أو صرمة، وأختلف في إسلامه، وهو شاعر قال اشعارا يحث فيها قومه على الإسلام، ولم يذكر سنة وفاته، ظ: الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٦٠/٤، الإصابة في تمييز الصحابة: ١٦١/٤- ١٦٢ .

(130)ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٧٦/٣ .

(131)الديوان: ٢٤٧، المصاقب: المجاور، المجانب: الذي صار جنبه ودخل في حماه.

(132)ظ: م.ن: ٢٥٧ .

(133)م.ن: ٢٥٨ .

(134)الديوان: ٢٥٩ .

الفصل

الثالث

العقيدة

مفتتح الفصل

شعر العقيدة

اضطربت معالم الحياة الدينية قبيل ظهور الإسلام في بلاد العرب فتصدعت القيم الانسانية والعقائدية)

(1) وكان بزوغ فجر الإسلام حدثا تاريخيا مهما في الجزيرة العربية، اخذ فعله في نفوس الناس - ولا سيما الشعراء - فعمل على تنقية عقيدة العرب في التوحيد من الشرك الذي شابها من قبل، ويعد زيد بن عمرو بن نُفيل(2)، وورقة بن نوفل(3) وغيرهما ممن مثلوا تلك العقيدة في اشعارهم بيد أن فكرة التوحيد في زمن البعثة اصبحت فكرة ثابتة وواضحة في دين جديد قائم بذاته، ونبى مرسل يدعو الناس إلى هذا الدين، وصار لهذه المعاني حضور واسع في شعر من اسلم من الشعراء وفي مقدمتهم أبو طالب. إن مجيء الإسلام بمبادئ جديدة خلق في نفوس الشعراء شعرا تلوح فيه تلك المبادئ؛ لأن الإسلام

حفز الشعراء الذين استبشرت نفوسهم العبادة الحقة ودواعي النزعة الروحية الجديدة إلى التعبير عن

ايمانهم بما يملكون من وسائل، وكان الشعر وسيلة هذا التعبير)

(4) وكان أبو طالب السابق قبل غيره من الشعراء في هذا الباب، فقد انبسط بشعره الملتزم الاسهام في موقف النصر والحماسة لصاحب الرسالة في خطاب تبليغي موجه إلى أبنائه وأخوته وعشيرته يحثهم على الذود عن الرسالة وصاحبها ومساندته ومؤازرته والدفاع عنه بما يستطيعون.

وفي شعر العقيدة لأبي طالب نصيب وافر منه، لأنه ألصق الفنون الشعرية بحياته وفي هذا النمط من شعره عبر عن المعاني الإسلامية الجديدة المتعلقة بالايان بالله وحده وبرسله، والكتب المنزلة على

رسله، ويوم البعث، والدعوة الى الوحيد، وتصديق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبعثته الشريفة،

وبما جاء به من تعاليم سماوية ارتسمت في شخصيته، والزمام طاعته، واتباعه، وحمايته، ومناصرته،

وبذل النصيحة في السير على هديه، والدعوة الى الصبر، وجهاد اعدائه، والوصية بنصرته إلى آخره.

التوحيد:

إن مما يدين به المرء لوجود خالقه ووحدايته أنه لا مثيل له، وليس له شريك في الملك، ومتفرد بصفات

الكمال كلها، والايان برسله، والكتب المنزلة عليهم، وهذه من المعاني التي تجسد عقيدة التوحيد،

فالتوحيد الركن الأول للإسلام.

فعندما شرع رسول الله

(صلى الله عليه وآله) بتبليغ دعوته لجميع الناس على مبادئ الإسلام (5)، دعا عمه اباطالب، فكان الناصح في دعوته، والصادق في حديثه، والأمين في تبليغ رسالة السماء، فقال أبو طالب: {من الكامل}

وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِيناً قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ أَحَاذِرُ سُبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمَحاً بِذَلِكَ مُبِينَا)

(6)

كان أبو طالب على يقين من صدق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة وبعدها، ومعرفته بأفضلية الدين الإسلامي على غيره من الأديان؛ لأنه يتوافق مع ملة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) التي عليها أبو طالب وأهله، ومما لاشك فيه أن أبا طالب اطلع على عقائد النصارى واليهود في رحلاته الى الشام واختلاطه باهلها، وبأهل خيبر وتيماء من اليهود، بمعنى ان معرفته لأفضلية الإسلام نابعة من معرفة صادقة، بيد أن خشية أبي طالب ملامة قريش جعلته يكتم إسلامه ولا يظهره، وكأنه قطع الطريق على من يلومه، وإلا فإنه كان مفصحا عما اعتنق من الدين الجديد، وله علم ودراية بتعاليمه ومبادئه، ولذلك فضل الدين الإسلامي على غيره من الأديان، فافصح بعقيدته الصادقة عنه، والتصديق بصاحب الدعوة، وهما حقيقتان من حقائق الايمان.

وأمسى أبو طالب معلناً توحيدِه بالله وحده لا شريك له، وهو يهتف:

{من الوافر}

مَلِيكَ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ هُوَ الْوَهَّابُ وَالْمُبْدِي الْمُعِيدُ
وَمَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ لَهُ لَحَقٌّ وَمَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ عَبِيدُ)

(7)

جمع أبو طالب السماوات والارض بتوحيدها لله، والاعتراف بربوبيته، فعبودية الجميع تجسد التوحيد بمعانيه كلها.

وفي النص أكثر من شاهد على توحيد أبي طالب ففي قوله: «مليك الناس ليس له شريك»، فهو يخلع انداد الجاهلية من دون الله جميعها، والله متفرد في الملك ومتفرد بكمال صفاته «المليك، والوهاب، والمبدي، والمعيد» فعظم الشاعر اسماء الله بذكر صفاته، فهو المليك الغني عن العباد وعن جميع المخلوقات، وهو الوهاب الوافر العطاء، والمبدي الخلق ابتداءً والمعيد المنشيء خلقه نشأة أخرى بعد

الموت، وفي ذكر الصفتين المبديء والمعيد ايماءتان الى حقيقة الايمان بالبعث بعد الموت، وثمة شيء اخر أفصح عن ايمان أبي طالب بوثقه شعره، وهو حقيقة العبودية لله وحده فكل ما في السماوات ، وما في الارض خاضع ذليل منقاد لصاحب الملك، وهذه من المعاني الجديدة التي لم تكن معهودة قبل الإسلام. ويؤكد أبو طالب توحيدة الله تعالى عندما مضى إلى امره خلاف قريش فيما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) واجتماع قومه على عداوته وخلافه)

(8 بعد أن شاع الاسلام، فقال :
{من الطويل }

فو الله لولا الله لاشيء غيرُه لأصحتُم لا تملكون لنا سرباً(٩)

أخذ ابوطالب على نفسه رفع شعار التوحيد في مخاطبة قريش فقال: «فوالله لولا الله لا شيء غيره» كلمة قالها بوجه مشركي قريش ليحثهم عليها، وللاقرار بها، وهي تومىء الى عقيدة التوحيد إيماءً صريحاً واضحاً.

ولأبي طالب أثر فعال في حركة الدعوة الإسلامية للخروج بها من مكة إلى الحبشة ويظهر بصورة جليلة في الأبيات التي بعثها إلى ملك الحبشة يحضه فيها على حسن جوار المهاجرين المسلمين من مكة إليه)

(10، ويدعوه إلى اعتناق الدين الإسلامي الجديد لتوحيد الله، وتصديق نبيه، وما نزل عليه من كتاب الله الذي يضارع ما أنزل على النبيين: موسى وعيسى عليهما السلام وما نزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يقرأه اليهود في توراتهم والنصارى في انجيلهم، فهو دين الهدى الناطق بالصدق لا ريب فيه، فقال :
{من الطويل }

وَزَيْرٌ لِمُوسَى وَٱلْمَسِيحِ بْنِ	أَتَعْلَمُ مَلِيكَ ٱلْحُبَشِ أَنْ
مَرِيْمَ؟	مُحَمَّدًا
فَكُلٌّ بِأَمْرِ ٱللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ	أَتَى بِهْدَى مِثْلَ ٱلَّذِي أَتَى
بِصِدْقِ حَدِيثٍ لَّا حَدِيثِ ٱلْتَرَجُّمِ	بِهِ
فَإِنَّ طَرِيقَ ٱلْحَقِّ لَيْسَ	وَإِنَّكُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ
بِمُظْلَمٍ (١١)	فَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ نِدَاءً
	وَأَسْلِمُوا

بيّن أبو طالب جملة من فضائل الإسلام فدين محمد (صلى الله عليه وآله) قد بشرت به الكتب السماوية، فكان احبار اليهود، ورهبان النصارى يترقبون ظهوره، وبشروا ببعثة النبي المرتقب بالشواهد والدلائل

والآيات والمعجزات، فكانت وثيقة لصحة نبوته الشريفة، والكتاب المنزل عليه من عند الله للحقائق التي تضمنتها الكتب السماوية التي اوحى الله بها إلى النبيين: موسى وعيسى ٨ وأول شيء صدع فيه رسول الله في تبليغ رسالته هو التوحيد، ونفي عبادة الانداد من دون الله، لأن الله خالق كل شيء، له ما في السموات، وما في الارض، فمن حقه ان تكون العبادة خالصة له وحده بلا شريك. وعقيدة أبي طالب في الايمان بالله لا تنفك عن عقيدته في الايمان برسله، وتصديقه وتأييده لهم جميعا، فلا فرق بينهم؛ لأن مقتضى الايمان واحد، وواجب على كل مسلم بما اكدته الشريعة الإسلامية، فضلا عن ان عقيدته تلزمه بان يحث الناس على اتباع منهج الحق؛ لأنه طريق مشع بنور الهداية بعد ان اكتنفت غياهب الظلام في العقيدة الجاهلية.

ويومض البيت الرابع إلى عقيدة النصارى التي تجعل المسيح ابنا لله)

(12) وان تبني أبي طالب دعوة ملك الحبشة لاعتناق الدين الإسلامي الجديد وتقديمه الحجة والبرهان من كتب النصرانية نفسها، لها اثرها العميق في نفس النجاشي حتى اعلن إسلامه.(13)

التصديق:

إنَّ تصديق الرسول بكل ما يتحدث به من وحي السماء وتأييده هو الركن الثاني للإسلام، فمدح أبو طالب صدق نبي الله (صلى الله عليه وآله) في شعره إلى جانب موقف المشركين المنكرين لدعوته بما جاء من صدق القول المنزل من عند الله، فقال:

{من المتقارب }

خَلُوفُ الْحَدِيثِ ضَعِيفُ السَّبَبِ وَقَوْلٌ لِأَحْمَدَ : أَنْتَ امْرُؤٌ

بِحَقِّ وَلَمْ يَأْتِهِمْ بِالْكَذِبِ (٤) ١) وَإِنْ كَانَ أَحْمَدُ قَدْ

جاءهم

وعندما آذن الله للرسول بنشر دعوته للأقربين من بني هاشم وعبد المطلب، ورفع كلمة الحق بينهم

كذبوه، وعابوا عليه دينه، ومن عشيرته الاقربين عمه أبولهب، وكان ذلك الأمر في بداية الدعوة

الإسلامية، فاشاع في سوق ذي المجاز)

(15)، بانه كذاب، فانتفض أبو طالب باعلان صدق مقال ابن أخيه وانه رسول من الله، وقرآنه صادق منزل من ذي العزة، فأنشد:

{من البسيط}

أنت الامينُ امينُ الله لا كذبُ
والصديقُ القيلُ لا لهوٌ ولا لعبُ
أنت الرسولُ رسولُ الله نعلمهُ
عليك تنزلُ من ذي العزّة الكُتُبُ)

16)

إنَّ تركيزَ أبي طالبٍ على صدقِ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) يحققُ له امرينِ: الأولُ، أنه يحرصُ على
تذكيرِ قريشٍ بهذا اللقبِ (الصديقُ الأمين) الذي عرف به المصطفى في الجاهلية، فما عدا مما بدا، فهم
يُصدّقون قَبيلَ، ويكذّبون بعد، والثاني انه صادق حقا كما يؤمن هو والمسلمون بك

بل ما جاء به ، فأوماً في قوله « :أنت الأمينُ أمينُ الله لا كذب، وأنت الرسولُ رسولُ الله نعلمهُ» باليقين
الذي لا يقبلُ الشكَّ على إيمانه بالله، وان ابن أخيه الصادق الأمين مبعوث من عند الله؛ لأن أبا طالب آمن بغيب
السماء المباشرة ببعثته قبل ان يبعث في الوقت الذي كان قومه يعبدون الأصنام :
{من الطويل}

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا
يصلون لأوثان قبل محمد)

17)

وهذا دليل موثق من شعر أبي طالب يؤكد

إيمانه بغيب الله بما أخبر به، واطلع عليه، واعتقد به، معلناً تصديقه ببعثة النبي المنتظر .
ولما قعدت قريش برسول الله

(صلى الله عليه وآله) في القبائل بالموسم وزعموا أنه ساحر أقسم أبو طالب جهد إيمانه بان ابن أخيه ليس
ساحرا ولا كاذبا، وما قالته قريش زورا وبهتانا، فقال:
{من الكامل}

زعمت قريش أن احمد ساحر
كذبوا ورب الراقصات الى الحرم

ما

وهو الأمين على الحرائب والحرم ومضت
مقاتلهم تسير إلى الأمم (18)

زلت أعرفه بصدق حديثه

بهتوه لا سعدوا بقطر بعدما

وأبو طالب ما زال يعرف صدق حديث ابن أخيه المعهود، فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) صادقا وظل
على صدقه وهو امين على ما أنتمنه على ماله وحريمه، فالصدق والامانة كلاهما من صفات الانبياء يريد
انهما من صفات نبي الله محمد (صلى الله عليه وآله).

ولما

انتشرت دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لتوحيد الله في صفوف قريش «اشتد اذى أبي جهل بن هشام
للنبي (صلى الله عليه وآله) وعناده له، قال أبو طالب له: متهددا، وبالحرث متوعدا، ولرسول الله (صلى الله
عليه وآله)، ولدينه محققا ومعتقدا: (19) »
{من الكامل}

صدق ابن أمانة النبي محمد
فتميزوا غيظاً به وتقطعوا
إن ابن أمانة النبي محمداً
سيقوم بالحقّ الجليّ ويصدغ
فا
زالت جدودك تستخفّ وتظلع
ربغ أبا جهل على ظلع فما
سترى بعينك إن اردت قتاله
وعناده من أمره ما تسمع)

(20)

سجل الشاعر اعلنا اخر بصدق نبوة ابن أخيه في شعره: «صدق ابن أمانة النبي محمداً»، ويؤكد تكرارا
«ان ابن أمانة النبي محمداً» وقد جاء بالحق الواضح، وصدع بما امر الله تعالى بدعوته، وركز أبو طالب
على نسب النبي إلى أمه؛ ليؤكد حقيقة، وهي أن نسبه من طرف أبيه معروف، اما ذكر نسب أمه، فربما
أراد به أن يستميل أهلها إلى ابن أختهم، فضلا عن شرف نسبها الذي يفخر به.

وعقيدة الشاعر الراسخة في الايمان بالله ورسوله، كانت دافعا لان يتحدى صناديد الشرك، ومنهم أبو
جهل الذي كان يدعى أبا الحكم في الجاهلية، فسماه الرسول(صلى الله عليه وآله) أبا جهل، لجهله
ومكابرتة في عدم اتباعه، وها هو أبو طالب يستعمل الاسم نفسه، فينهاه عن الحاق الأذى برسوله، ومن
عناده في قتاله؛ لأن النبي محفوف برعاية الله وتأييده ونصرته.

ومما يلحظ أن الشاعر وقف بوجه أبي جهل لا لعصبية ابن أخيه وانما بصدق دعواه؛ لذلك ركز على
صدق دعوته ونبوته، والحق الذي جاء به، وهنا تغيير فيما كان ساريا بين العرب من عصبية النسب إلى
عصبية العقيدة.

ومن دلائل التصديق بالله ورسوله:

- أولاً: المعجزة :-

أيدّ الباري تبارك وتعالى الرسل بالمعجزات التي تؤكد صدق نبوتهم، فالمعجزة سمة مقترنة بالانبياء
والمعجز يجريه الحق على يد الرسل اقناعا للمعارضين، وتأييداً لدعوتهم، «و شاء الله ان تكون معجزة كل
نبي من جنس ما يبرع به قومه؛ لكي تؤثر في نفوسهم، وتستولي على عقولهم، فيسرعوا بالتصديق،

ويبادروا إلى الايمان وهو ما يسعى إليه كل نبي مرسل »

(21)، فكانت المعجزات دلالة واضحة وبرهانا ساطعاً على الايمان بصدق النبوة .
ومن المعجزات التي شاهدها أبو طالب)

(22)، واشاد بها لابن أخيه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) المنزل عليه القرآن المجيد من الله العزيز الذي لا تدرکه الابصار، فما نُزِّل عليه من سورة «صاد»، وسور «حاميم» من العجائب التي يستأنس بها القلب، ويرتاح لها الفؤاد، فتستحق الاكبار والتعظيم فقال:
{من البسيط}

وقد أتانا بحق غير ذي عوجٍ مُنَزَّلٍ في كتابِ الله معلومٍ
فيه عجائبُ يرتاح الفؤادُ لها ممَّا تنزَّلُ في صادٍ وحاميمٍ
من العزيزِ الذي لا شيءَ يدركُهُ فيه بصائرٌ من حقٍّ وتعظيمٍ)

(23)

إنَّ نزول القرآن الكريم على النبي محمد(صلى الله عليه وآله) معجزة عقلية تحدى بها العرب جميعا وهم اهل الفصاحة والبيان، ولا سيما سورة «ص» التي تفتتح بالحرف نفسه، والسور التي تضمنت الحرفين (حاميم) التي تفتتح بها السور: غافر،

وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والاحقاف، على الترتيب القرآني و«الحواميم دبيح القرآن» (24) ويسمين عرائس القرآن(25)؛ لفضلهن، وهذه دلالة جلية على صدق ما جاء به النبي من الله تعالى، ليمضي في تبليغ رسالته في دعوته الى التوحيد، وازالة ظلام الشرك والوثنية من الفكر الجاهلي. وأفصح أبو طالب عن معجزة حسية حصلت لابن أخيه قبل بعثته الشريفة عندما اصاب القحط في مكة،

وقد استحضرها وهو في حصار الشَّعب ساعة نظم القصيدة اللامية «التي تعود فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره انه غير مسلم رسول

الله (صلى الله عليه وآله) ولا

تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه. (26)»
فببركة وجه ابن أخيه استمطر الغمام، وهو ملجأ الأرامل والأيتام، يأتي إليه فقراء عشيرته من آل هاشم، فيكونوا في نعمة تزيد عليهم حتى يغدقوا بها على غيرهم، فقال أبو طالب :

{من الطويل}

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ربيعَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَقَوَاضِلِ)

(27)

إنَّ من ارهصات النبوة رعاية الله تعالى للمصطفى وهو صغير ما روي ان القرشيين شكوا إلى أبي طالب القحط في مكة، فقالوا: «يا أبا طالب، اقحط الوادي، واجذب العيال، فهلم واستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجن تجلت عنه سحب قثماء، وحوله أغم

يلملة فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه الغلام، وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ها هنا وها هنا واغدق واغدوق وانفجر له الوادي واخصب البادي والنادي. (28)»

ولا يخفى وقع معنى البيتين في نفس المصطفى (صلى الله عليه وآله) موقعا حسنا فيما تلمح اليه الرواية:

ان اهل المدينة اصابهم قحط شديد - بعد بعثته

- فاستغاثوا بالرسول فاستسقى لهم، فما لبث ان جاء المطر، ما خشي من أهل المدينة من الغرق، فشكو ذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) (29) (فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل. فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله در أبي طالب! لو كان حيا لقرت عينه. من ينشدنا قوله؟ فقام علي (عليه السلام) فقال: يا رسول الله، لعلك اردت: وبيض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه) قال: اجل ، فأنشده أبياتاَ ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر (30) « فقول رسول الله: «لله در أبي طالب...» تصریح منه على أن أبا طالب لو رأى مشهد استسقاء رسول الله، لخالجه شعور الحبور والسرور والفرح ولقرت عيناه، لانه مطمئن القلب ، ثابت العقيدة على يقين ان ابن أخيه له وافر البركة، وشرف المنزلة، والمكانة السامقة، وجليل الاثر عند ربه، فمنحه هذه الكرامة الجليلة، فمما لا شك فيه أن استذكار الرسول لحادثة الاستسقاء القديم بحضور أبي طالب يؤكد تصديقه به قبل البعثة، فمدحه بالاستسقاء بوجهه.

ومن الآيات ما جاء في خروج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهو صغير مع عمه أبي طالب الى

الشام، آية الغمام التي اظلمت فسجلها أبو طالب في شعره :

{من الطويل}

فلما رآه مقبلاً نحو داره	يوقيه حرَّ الشمس ظلَّ غمامٍ
حنى رأسه شبه السجود وضمة	الى نحره والصدرِ أي ضمَام
...	...
فذلك من اعلامه وبيانه	وليس نهاراً واضح كظلامٍ)

(31)

رأى الراهب صفات وعلامات استدل بها على أنه النبي الموعود في كتبهم، شاهد غماما تظله من بين

القوم، فإذا وقف ووقفت واذا سار سارت، فنظر الى الغمام حتى اظلمت الشجرة التي تحتها ومالت اغصان

الشجرة عليه، فأدرك الراهب أن هذا الحدث العجيب لا يكون إلا لنبي مرسل فنزل من صومعته)

(32) ووقف امام النبي محمد منحنى الرأس معظما اياه، ثم ضمه الى نحره، وصدرة جذلا ببشارة النبوة، ودون أبو طالب هذه الحادثة في شعره عندما بُعث ابن أخيه، ليؤكد أن الله تعالى كان يرعاه من صغره بهذه الدلالة، ويدعو من شهد معه هذه الحادثة ليتذكرها فيشهد بذلك، ولا نستبعد ان هذه الحادثة كانت معروفة عند قريش قبل البعثة فأبو طالب يعيدها على مسامع قريش وكأنه يدعوهم إلى الايمان بالنبوة بعد أن آمنوا بهذه الحادثة التي طرقت مسامعهم.

إن تدوين أبي طالب لهذه المعجزة في شعره، وجعلها من العلامات الدالة على نبوة ابن أخيه دليل منه

على تصديقه، ومما يؤكد يقين أبي طالب في التصديق هو إخبار الراهب بحيرا له عن نبوة ابن أخيه،

وذكر البشائر الدالة عليه وهو يوصيه «لاتخرجن بابن اخيك إلى ما ههنا فإن اليهود أهل عداوة، وهذا

نبي هذه الامة، وهو من العرب، واليهود تحسده تريد أن يكون من بني اسرائيل، فاحذر على ابن أخيك »

(

(33)، وما كان كلام الراهب إلا خشية على النبي من العيون التي تترقبه حسداً على نبوته. ومما لا شك فيه أن الراهب بحيرا قد قرأ في الكتب السماوية أن هذا الزمان زمن بعثته (صلى الله عليه

وآله.)

وأشار أبو طالب الى آية اخرى، فابن أخيه الأمين والحبیب المصطفى بين عباد الله، والمهاب بينهم، معلم بخاتم النبوة، فالجاهل فيه ليس كالعالم به، فقال :
{من الطويل }

أمینا حبیباً فی البلادِ مُسَوِّماً
بخاتم ربِّ قاهرٍ للخواتمِ
یرى الناسُ برهاناً علیه وهیباً
وما جاهلٌ فی فعله مثل عالمِ)

(34)

فخاتم النبوة آية موثقة بالشاهد والدليل وبرهان واضح على صدق نبوة ابن أخيه، ويريد الشاعر أن يدعو

قريشا إلى الايمان به وتصديقه ونصرته)

(35)، فقال وهو يذكر صفة النبي (صلى الله عليه وآله) المعلم بخاتم النبوة:
{من البسيط}

فأمنوا بنبيِّ - لا أبا لكم
ذي خاتم صاغه الرحمن مختوم)

(36)

وذكر أبو طالب معجزة أخرى لابن أخيه

- بعد بعثته - وهي «أن أبا جهل بن هشام جاء الى النبي (صلى الله عليه وآله) ومعه حجر يريد أن يرميه به إذا سجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فرفع أبو جهل يده فبيست على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له اشباعه من المشركين : أجبت؟ قال: لا ولكني رأيت بيني وبينه كهياة الفحل يخطر بذنبه » (37) فأنشد أبو طالب ابياتاً متعجباً وموثقاً لهذه المعجزة في القصيدة التي حذر فيها قومه من انكارهم لبعثة

رسول الله: (38)

{من المتقارب}

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِكُمْ
عَجَائِبُ فِي الْحَجَرِ الْمُلْصَقِ
بَكَفِّ الَّذِي قَامَ مِنْ حِينِهِ
إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ الْمُتَّقِي
فَأَيَّبَسَهُ اللَّهُ فِي كَفِّهِ
عَلَى رَغْمِ ذَا الْخَائِنِ الْأَحْمَقِ
أَحْمِيقِ مَخْزُومِكُمْ إِذْ عَوَى
بَعْيِ الْغَوَاةِ وَلَمْ يَصْدَقِ)

(39)

فهذه الأبيات أقرب إلى الهجاء مع دعوة التصديق التي يدعو إليها أبو طالب فهو يذكر أبا جهل بما وقع له

ورواه بنفسه، وهذا ادعى للتصديق، فان لم يُصدّق بما وقع له فهو احمق، وتفصح الابيات أيضاً عن

التصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله) (بالمعجزة التي شرف الله رسوله، وخصه بها، تعظيماً لمكانته

عنده، وتأييداً لنصرته.

ومما تقدم يتبين: أن ذكر أبي طالب العلامات والآيات والمعجزات التي حركت شاعريته تتم عن غاية في نفسه، وهي دعوة عشيرته وقومه لتصديق رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وليكونوا جميعاً صفا واحداً تحت راية الإسلام في نصرة حاملها، وتأييده واتباعه، ومن ثمَّ شمول دعوته البلاد العربية عامة ، ومن حولها، وكان لسان أبي طالب جهاداً شعرياً لاستجلاب قريش إلى الدعوة الإسلامية، وهو يقدم الدلائل والبراهين المشهودة على صدق نبوة رسول الله(صلى الله عليه وآله .)

- ثانياً: النصره:

النصرة منقبة خلقية جلية يثنى عليها الرجل الكريم الفاضل في قومه يرى من الواجب عليه حماية من يطلب منه الجوار ونصرته، فجزورها متأصلة في سجية العربي المجدول على الغيرة، وحفظ الحرمه ، وصيانة العرض، وتعد من فضائل العربي التي تستحق الاشادة والافتخار، فمنعة المنصور منعة للناصر، والحق الأذى به يتبعه إلحاق الأذى له، وتمثل صورة حية وصادقة للحياة الاجتماعية عند العرب، وقانوننا مستمداً اصوله من التضامن الاجتماعي بينهم، ونجد اشارات ثرة لهذه الفضيلة تغنى بها الشعراء قبل

(الإسلام)

40).

اما في ظل الإسلام فاتخذت طابعا دينيا في أكثر الاحايين لمساندة الدعوة الإسلامية، ويتبنى أبو طالب نصرة ابن أخيه التي كان مبعثها الاعتقاد السليم بما جاء به النبي المبعوث(صلى الله عليه وآله) ؛ ولأن حمايته حق مفروض عليه، وواجب موكل اليه اسنده والده عبد المطلب له؛ لأن نبوته بشرت بها الكتب السماوية القديمة التي كان والده قد قرأها، وانبأ بها زد على أن النصره تكفلتها عادات المجتمع العربي وتقاليدهم، فأعلن أبو طالب نصرته وحمايته لابن أخيه ليجهز بدعوته المباركة «أخرج ابن أبي ف

إنك الرفيع كعباً؛ والمنيع حزبا، والأعلى أبا، والله لا يسلفك لسان إلا سلفته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتذللن لك العرب ذل البهيم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً ولقد قال: إن من صلبى لنبيياً لو ددت اني أدركت ذلك الزمان فأمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به(41)»، وافتخر أبو طالب بشعره بنصرته لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وحمايته له عندما اضحى في قريش اتجاهاً متضاداً: الاول، اتجاه المسلمين في سريان المد الإسلامي بين رجال قريش والثاني، اتجاه المشركين المضاد والثائر على المد الإسلامي، وبات أبو طالب يخشى أن يعلن هذان الاتجاهان حرباً لا يعرف عقباها، ويأبى الرسول إلا ان يمضي في تبليغ رسالة السماء بقوة وعزم وصرامة.

فلما رأى أبو طالب قوة ابن أخيه وايمانه، وثبات عزمته، واصراره على المبدأ قال له يطيب خاطره،

ويوعده بالنصرة مرة أخرى «أمض على امرك وافعل ما

احببت فوالله لا نسلمك لشيء ابدأ (42)» وأنشد:

{من الكامل}

وَاللّٰهُ لَنْ يَّصِلُوْا اِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتّٰى اَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِيْنَا
امضِ لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَابَةٌ وَأَبشِرْ وَقَرَّ بِذَآكَ مِنْكَ عُيُونَا

43)

يعد أبو طالب الركيزة الأولى لدعائم الإسلام في نصرته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وحمایته وموازرتة له طول مدة البعثة حتى مماته، فقد فداه بنفسه وحافظ على سلامته بقوة، وكان يحنو عليه حنان المشفق على ولده المحب له، فوجّه أبو طالب شعرا إلى خصوم رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مهددا

وَمتوعداً، على الرغم من ان المواجهة لم تقع بين الطرفين قال :
{من المتقارب}

نَصْرْنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ بَبِيضِ تَلَالَا كَلْمَعِ الْبُرُوقِ
بِضْرِبِ يُذِيبُ بَدُونَ التَّهَابِ حَذَارَ الْبُودَارِ وَالْخَنْفَقِيْقِ
أَدْبٌ وَأَحْمِي رَسُولَ الْمَلِكِ حِمَايَةً حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيْقِ
وَمَا إِنْ أَدْبٌ لِأَعْدَائِهِ ذَبِيْبَ الْبِكَارِ حَذَارَ الْفَنِيْقِ
وَلَكِنْ أَسِيرٌ لَهُمْ سَامِتًا كَمَا زَارَ لَيْثٌ بَغِيْلٍ مَضِيْقِ (٤٤)

إنّ نصره أبي طالب لابن أخيه اساسها الهداية، ونصرة الدين، واعلاء كلمة الحق التي بُعث المصطفى من أجلها وهو يردد «نصرنا الرسول رسول الملك، أدبٌ وأحمي رسول الملك» فنصرة أبي طالب متأتية من التصديق برسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والاقرار بانها رسالة سماوية، وهاتان حقيقتان من حقائق الايمان بالله، والتصديق برسول الله، والتسليم بهما.

ولما رأت قريش نصره أبي طالب لرسول الله وحمایة قومه عنه، جاء نفر من قريش لأبي طالب يسامونه على ابن أخيه، فيعطونه عمارة بن الوليد؛ ليكون نصره وميراثه له على ان يدفع إليهم ابن أخيه، فغضب أبو طالب ونهرهم، فهموا بقتل نبي الهدى

45).

فخاطبه رجال قريش حين طلبوا منه النبي

(صلى الله عليه وآله) ليقتلوه على ان يعطوا بدله ولدا من عندهم إذ سألوه ان يتنازل عن مناصرة نبي الهدى؛ ليكون في نصرتهم، وطالبوه بتسليم احمد لهم على ان يعطونه مكانه ولدا آخر منهم، بيد أنه لا يحفل بما يقولونه، فالله إلهه مانعه على من يريد الكيد برسوله من بني لؤي بن غالب، فلا يعطي ابن أخيه ليقتلوه، ويرعى ابنهم ليتبناه، فهذا لن يكون ابدا، ولن ينقض عهداً قد قطعه على نفسه في تربية أحمد ورعايته وحمایته، فقال:

{من الطويل}

وَقَالِبْنَا نُنَا غَالِبٌ كُلُّ مُغَالِبٍ	يَقُولُونَ لِي: دَعِ نَصْرَ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى
بَنِيًّا وَلَا تَحْفَلِ بِقَوْلِ الْمُعَاتِبِ	وَسَلِّمْ إِلَيْنَا أَحْمَدًا وَإِكْفَلْنَا لَنَا
عَلَى كُلِّ بَاغٍ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبِ	فَقُلْتُ لَهُمْ: اللَّهُ رَبِّي وَنَاصِرِي
وَإِكْفَلِ ابْنًا لِابْنِ عَمِّي وَصَاحِبِي	أَجْزِرْكُمْ ابْنِي وَأُخْفِرْ دِمَّتِي

(46)

وأبو طالب صاحب عقيدة راسخة في الايمان بالله ينبهنا عليها شعره: «يقولون لي: دع نصر من جاء بالهدى» حال قوله، وليس حال قول المشركين، فاقرّ بلسانه بان رسول الله الدليل الهادي إلى اخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية والايمان.

وأبو طالب صاحب قدم ثابتة في الإسلام يقول: «الله ربي وناصري» فالله ملاذه ومانعه وحاميه من شرور

الناس، ومحمد

(صلى الله عليه وآله) نبي الهدى كافله وناصره، فنفسه دونه في الملمات، لاظهار دعوته ونشرها في أرجاء بلاد الله.

وأبو طالب ليس ناصرًا لابن أخيه فحسب، وإنما متبنيًا لدعوته فيخاطب أخاه أبا لهب، وبني هاشم جميعًا،

وصديقه أبا عمارة، وآل بيته كلهم داعيًا لنصرة ابن أخيه ولدعوته؛ لصلة الرحم، ولقرابة النسب،

فيأمرهم بان يكونوا له يداً واحدة في اشهار سيوفهم بوجه أعدائه دفاعاً عنه وعوناً له، فإن لم يفعلوا،

فلم يبقَ له سوى خيار واحد وهو أنَّه سينصره، ويدافع عنه الذين يخذلونه بصولته:

{من الخفيف}

وَبَنِي هَاشِمٍ جَمِيعاً عَزِينَا	قُلْ لِعَبْدِ الْعَزَى أَخِي وَشَقِيقِي
وَإِنْ طُرّاً وَأَسْرَتِي أَجْمَعِينَا	وَصَدِيقِي أَبِي عَمَارَةَ وَالْأَخِ
مَ سَنَاءً وَكَانَ فِي الْحَشْرِ دِينَا	إِنْ يَكُنْ مَا أَتَى بِهِ أَحْمَدُ الْيَوْمِ
رِي وَمُجْرٍ بِقَوْلَتِي الْخَائِلِينَا	فَاغْلَمُوا أَنَّنِي لَهُ نَاصِرٌ دَهْ
نِي وَكُونُوا لَهُ يَدَا مُصَلِّتِينَا (٤٧)	فَأَنْصُرُوهُ لِلرَّحْمِ وَالنَّسَبِ الْأَدِ

وقف أبو طالب سداً منيعاً لحماية ابن أخيه ودعوته، فأخذ على عاتقه مناشده آل بيته وأخوته وعشيرته والمقربين ولا سيما الوليد بن المغيرة، وكان الخطاب موجّه إليه قبل بني هاشم، لأنه أحد عظماء قريش

(وهو واحد من اثنين)

(48) قال فيهما الله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ (49)» فجعله أبو طالب من أهل بيته في دعوته في الوقوف إلى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحماية رسالته، فاستعطفهم بصلة الرحم ووشائج النسب متوسماً فيهم الخير في نصرته.

وخطاب أبي طالب يؤمى إلى أن نصرته لابن أخيه محكومة بتصديقه «إن يكن ما أتى به احمد اليوم

سناً وكان في الحشر دنياً، فاعلموا انني له ناصر دهري...» فوشيجة النسب، وصلة الرحم لم تدع أبا

طالب الى حماية نبي الله فحسب، وانما عقيدته تدعوه إلى الافصاح بتصديق رسالته، وتأيد دعوته،

ويريد أبو طالب أن ينبه آل بيته وأخوته وعشيرته والمقربين له جميعهم إلى أن قريشا مهما سعت جاهدة

لاطفاء نور الإسلام ودعوة رسول الله فلن تستطيع أبداً.

ويتب

نى أبو طالب الدعوة الإسلامية مرة أخرى، وابلغها إلى من اتصف بفضيلة الكرم، والمكانة السامقة من قبيلة كنانة، قد جاءكم رسول مبعوث من الله يقدم لكم الأعمال الصالحة، فأيدوه وانصروه؛ لأنه ملتحف برداء رباني:

{من الخفيف}

قُلْ لِمَنْ كَانَ مِنْ كِنَانَةٍ فِي الْعِ
زِ وَأَهْلِ النَّدَى وَأَهْلِ الْفَعَالِ

فَأَقْبَلُوهُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ

لَهُ رِذَاءٌ عَلَيْهِ غَيْرَ مُدَالِ

قَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الْمَلِكِ رَسُولٌ

وَانصَرُوا أَحْمَدًا فَإِنَّ مِنَ اللَّهِ

50)

ومرة أخرى يؤكد أبو طالب: أن ابن أخيه رسول مبعوث من عند الله (أتاكم من الملك رسول)، وعلى

الناس قبول تعاليمه؛ لأنها هبطت من وحي السماء فيها الرشاد والفلاح للناس جميعاً، فاعلن أبو طالب

عقيدته في الايمان بالله تبارك وتعالى والتصديق برسول الله المبعوث من عنده (صلى الله عليه وآله).

ولما حلَّ في صفوف المسلمين بعض الأمن والاستقرار، اجتمعت قريش على أن يكتبوا كتاباً يتعاقد

وا بموجبه على مقاطعة بني هاشم وعبدالمطلب (51)، فخطاب أبوطالب مشركي قريش، ولاسيما بطن كعب بن لؤي بن غالب، يعلمهم باستمراره في مؤازرته النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ويحذرهم مغبة معاداته، مستنكراً علمهم بمعرفته وحملهم على معاداته، فهو مثل موسى ورد ذكره في كتب الانبياء، وأنه محفوف بهالة من حب الله الذي منحه لعباده لمحبة رسوله، فورب الكعبة لا نسلم محمداً أو نخذله في شدته :

{من الطويل}

لَوْيَا وَخَصَا مِنْ لَوْيِّ بَنِي كَعْبِ

أَلَا أْبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا

نَبِيًّا كَمُوسَى خُطِّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً

لِعَزَاءٍ مِنَ تَكْبِ الزَّمَانِ وَلَا كَرِبِ (52)

فَلَسْنَا - وَبَيْتِ اللَّهِ - نُسَلِّمُ أَحْمَدًا

ففي النص جملة من الدلائل الموثقة في تصديق أبي طالب لنبوته رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، فهو يذكر بطن كعب بن لؤي معرفتهم ببعثة النبي التي وردت بشارته بأنه خاتم الانبياء على لسان جدهم كعبا الذي كان له علم ودراية واحاطة بكتب الانبياء: التوراة والانجيل، فما جاء في خطبته التي تضمنت العديد من الوصايا قوله ... «: واعظموا هذا الحرم وتمسكوا به فسيكون له نبأ، ويبعث منه خاتم الانبياء بذلك جاء موسى وعيسى) « ...

(53) فما على بطن كعب إلا التصديق بما جاء به من الكلام الالهي، ويومئذ خطاب أبي طالب إلى إيمانه العميق وإسلامه الراسخ؛ لأن المرء لا يدعو إلى الايمان والتسليم ما لم يكن مؤمنا مسلما صادق العقيدة، وهو يرفع هتافه « ألم تعلموا انا وجدنا محمد نبيا ... »، وقد اكد صدقه بما اوماً إليه بان النبي محمد شبيه بموسى (عليه السلام) وزاد في تصديقه تأكيدا (خَطَّ في أول الكُتُب)، فهذا دليل آخر على أنه بُشِّرَ بمقدمه ونبوته كل نبي له كتاب، ومن ثمة فهو ينبه على حقيقة عقائدية أخرى (ان عليه في العباد محبة ... خصه الله بالحب)، فقد حاز النبي محمد (صلى الله عليه وآله) محبة الله، ومحبة الناس فهو أفضل خلق الله؛ لأن الله تبارك وتعالى خصّه من دون عباده بفضيلة النبوة.

فنصرة أبي طالب لرسول الله لها جذور متأصلة في عقيدته الثابتة في الايمان بالله، وبمحمد رسول الله، وبالتصديق برسالته وبالرسل من قبله، وبالكتب المنزلة عليهم، وهذا يشير إلى أن أبا طالب له سبب حسن في الإسلام.

ويحمي أبو طالب المستضعفين من المسلمين ويدافع عنهم، وينصر كل من اعتنق الإسلام، واستنار بهديه، فهذا عثمان بن مظعون الصحابي الجليل يلقي ألوانا من العذاب والعنت عندما اسلم، فطلب جوار الوليد بن المغيرة فأجاره، ولما رأى عثمان ما في اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من البلاء وهو يروح ويغدو في امان الوليد بن المغيرة، ردّ جواره؛ ليكون في جوار الله، فحدث ان اعتدى عليه احد رجال قريش ولطم عينه، فأصابها)

(54)، فغضب أبو طالب غضبا شديدا لهذا الامر، واستنكر انكار قريش في تصديق النبي، وما جاء به، فهو واضح مستقيم، تبينه وتفسره آيات ياسين، والشاعر في ذلك كله يريد من قريش اما ان يكفوا اذاهم بلين، واما ان يؤمنوا بالدين الجديد، فقال:

{من البسيط}

أَصْبَحَتْ مُكْتَتِبًا تَبْكِي كَمَحْرُوزٍ؟ أَمِنْ تَذَكَّرِ دَهْرٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ

يَغْشَوْنَ بِالظُّلْمِ مَنْ يَدْعُو إِلَى الدِّينِ؟ أَمْ مِنْ تَذَكَّرِ أَقْوَامٍ ذُوِي سَفْهِ

....

أَنَا غَضِبْنَا لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ؟ أَلَا يَرَوْنَ - أَذَلَّ اللَّهُ جَمْعَهُمْ -

طَعْنَا دِرَاكًا وَضَرْبًا غَيْرَ مَرْهُونٍ إِذَا يَلْطَمُونَ وَلَا يَخْشَوْنَ مَقَلَّتَهُ

....

وَنَمْنَعُ الضَّيْمَ مَنْ يَبْغِي مَضَامَتَنَا
بِكَلِّ مُطْرِدٍ فِي الكَفِّ مَسْنُونٍ
وَمُرَهَفَاتٍ كَأَنَّ المَلْحَ خَالَطَهَا
يُشْفَى بِهَا الدَّاءُ مِنْ هَامِ المَجَاتِينِ
حَتَّى تُقَرَّ رِجَالٌ لَا حُلُومَ لَهَا
بَعْدَ الصُّعُوبَةِ بِالإِسْمَاحِ وَالتَّيْنِ
أَوْ يُؤْمِنُوا بِكِتَابٍ مُنْزَلٍ عَجَبٍ
عَلَى نَبِيِّ كَمُوسَى أَوْ كَذِي النُّونِ
يَأْتِي بِأَمْرِ جَلِيٍّ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ
كَمَا تَبَيَّنَ فِي آيَاتِ يَاسِينِ (55)

يتجرع أبو طالب المرارة من فعل مشرقي قريش في تعذيبهم المسلمين والنيل منهم، ليفت

نونهم عن دينهم؛ وليرجعوهم إلى ملتهم القديمة، وأبو طالب يزداد اصرارا في نصرة النبي؛ ليصدع بأمر الله تعالى ويمنع مشرقي قريش من إيذاء أصحابه(صلى الله عليه وآله)، فلا يرضى أن ينال احداً من المسلمين ضيماً، أو أذى من (يدعو إلى الدين) الجديد، وهو يتحدى المشركين بالقرآن المجيد الذي انزله الحق تبارك وتعالى على نبيه، فبهرهم به وسحر عقولهم، فوصف بالعجب، لم تشهد العرب قبله، وما يقوله النبي ليس بقول شاعر ولا بقول ساحر.

ويؤكد أبو طالب نبوة ابن أخيه (نبي كموسى أو كذبي النون) ، ويعلن ايمانه بالرسول وبرسالاتهم، وبما جاء

به النبي محمد(صلى الله عليه وآله)

أمر واضح ومستقيم وصفته آيات ياسين وبيئته.(56)
ومما تقدم يتبين:

إنَّ مواقف أبي طالب الجهادية لنصرة دين الله ومحاماة رسوله، وأصحابه تتم عن إيمان صادق بالشريعة الإسلامية منذ مهدها إلى أن ترسخت دعائمها، وهو ناصر لكل من يعتنقها، مانع للضيم لكل من يستجير به، ومن مظاهر النصرة ما يأتي:

- الحث على الصبر:

تحولت فضيلة الصبر من اطارها النفسي إلى اطارها العبادي عندما اقرتها الشريعة الإسلامية)

(57)، بانها كنز من كنوز الايمان(58)، فحث أبو طالب عليها في شعره عندما ازمنت قريش على ادخال بني هاشم وبني عبدالمطلب عشيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله) في الشَّعبِ وبياتت تخطط لاغتتيال رسول الله، فاوجس أبو طالب منهم خيفة، وكان «كثيراً ما يخاف على رسول الله(صلى الله عليه وآله) (البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضع ابنه علياً مكانه، فقال علي ليلة: يا أبت، إني مقتول.(59)» والامام لا يخشى الموت وهو يدافع عن ابن عمه، وانما أراد أن يبين طاعته لأبيه، في فداء نفسه لابن

عمه ونصرته له، وهو لا يقل عن فداء أبيه بنفسه لابن أخيه، فحثه أبو طالب على التحلي بالصبر وحضه

على طاعته، فهذا اولى له من الجزع؛ لأن الموت امر محتوم على كل انسان، وان البلايا جسام، وسهام

المنايا عظام ، وقد تصيب، أو تخط

ئ، وكل امرئء مهما طال عمره آخذٌ بنصيب منها، فقال:
{من الخفيف}

إِصْطَبِرْ يَا عَلِيُّ فَالصَّبْرُ أَحْبَبُ
كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِشَعْبِ
قَدْ بَدَلْنَاكَ
لِفِدَائِ النَّجِيبِ وَابْنِ النَّجِيبِ
- وَالْبَلَاءُ عَسِيرٌ -
لِفِدَائِ الْأَعْرَجِ ذِي الْحَسَبِ النَّأِ
إِنْ تُصِيبَكَ الْمَنُونُ فَالْتَّبَلُ يُبْرَى
قَبِ وَالْبَاعِ وَالْفَنَاءِ الرَّحِيبِ
فَمُصِيبٌ مِنْهَا وَعَيْرٌ مُصِيبِ
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَمَلَّأَ عَيْشًا
أَخَذَ مِنْ سَهَامِهَا بِذُنُوبِ)

(60)

إن حثَّ أبي طالب ولده على الصبر لا لأنه كان خائفاً؛ وإنما ليؤكد حرصهم جميعاً على نصرته رسول الله، فكان أبو طالب متفانياً في نصرته ابن أخيه؛ لأن يفدي ابنه له، ويبدو أنَّ الدافع الديني عند أبي طالب أقوى وأعظم من الدافع العاطفي لوشائج القربى، فمهما بلغ المرء من وش

يجة النسب، وصلة القرابة، وحبه لابن أخيه، لا يرضى أن يتعدى على معتقداته، وأن يقيم دين محل دينه ما لم يكن مؤمناً إيماناً عميقاً بالدعوة الإسلامية، ومعتقاً إياها، وهذا ما تترجمه أفعال أبي طالب، وتهالكة في بذل نفسه وولده دون نبي الله (صلى الله عليه وآله)، فيرغب بالصبر ويحث عليه؛ لأن الرجال الصابرين المؤمنين هم الذين ينهضون بأعباء الدعوة الإسلامية ونشرها. ويدعو أبو طالب أخاه الحمزة - عندما أسلم - إلى التجمل بالصبر والثبات؛ لتحمل أعباء الرسالة المحمدية، ويحثه على اتباع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويناشده مناصرته: {من الطويل}

اصْبِرْ أَبَا يَعْلَى عَلَى دِينِ أَحْمَدِ
وَكُنْ مُظْهِراً لِلدِّينِ وَفَقْتِ صَابِرِ
وَحُطَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
بِصِدْقٍ وَحَقٍّ لَا تَكُنْ حَمَزَ كَافِرِ
فَقَدْ سَرَّنِي إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ مُسْلِمٌ
فَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي اللَّهِ نَاصِراً
وَبَادِ قُرَيْشاً بِالَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ
جَهَاراً وَقُلْ: مَا كَانَ أَحْمَدُ سَاحِراً)

(61)

انصاع حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) لدعوة أخيه أبي طالب عندما طلب منه الانصواء ضمن

اتباع ابن أخيه، واتباعه ومناصرته «فكان حمزة ممن اعز الله به الدين»

(62) بعد أبي طالب، وما عليه إلا أن يتجرع الصبر محتسباً في سبيل الإسلام ولم تثن عزيمة أبي طالب عداوة قريش له ولا ابن أخيه، فقد كان طول رفقته معه صادقا به مؤيداً لدعوته، صحيحاً في اعتقاده وهو يردد (وخط من أتى بالحق من عند ربه • بصدق وحق) ... فهذا إعلان ساطع بالإيمان بالله، والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، ودخول عم النبي الحمزة (رضي الله عنه) الإسلام دعم للرسالة المحمدية، وقوة، ومنعه لحامل الرسالة في نظر أعدائه والمناوئين له، فكان لإسلامه أثر بالغ في نفس أبي طالب (فقد سرني إن قلت إنك مسلم)، فيمتليء حيورا لإسلام أخيه، ويأمر بالانصياع واقتفاء أثر مسيرة رسول الله، ونصرته وموازرتة، (فكن لرسول الله في الله ناصراً)، فنصرته لرسول الله مبعثها مرضاة الله وليس رابطة القرابة فحسب، ويلزم أبوطالب أخاه بإعلان إسلامه أمام رؤوس الشرك من قريش وإعلامهم بأن ابن أخيه رسول من عند الله صادق القول وليس ساحراً بحسب زعم مشركي قريش. وإسلام حمزة (رضي الله عنه) يعني قوة ركني: النبي (صلى الله عليه وآله) وأبي طالب، وإعلاء كلمة الدين، وإضعاف قريش، بل إن إسلامه اقترن بضربه لأبي جهل لأنه أساء للمصطفى (صلى الله عليه وآله). ودعوة أبي طالب لأخيه الحمزة إلى التجمل بالصبر والثبات على دين رسول

الله (صلى الله عليه وآله) وإلزامه باتباعه ومؤازرته وإيمانه بالله تعالى، وتصديقه لرسوله وجذله بإسلام أخيه امارات كلها جلية على عقيدة أبي طالب الصحيحة بالإسلام.

- النصيحة:-

هو الشعر الذي يوجّه إلى الأبناء والأقارب، عندما تكون غمامة تحجب الحق من ظهوره، ويراد به الخير في ملازمة الحق واتباعه باخلاص وتفان، فإذا كان لاجل الله عبرت النصيحة عن صدق الاعتقاد، والوحدانية، وإخلاص النية في عبادة الله، والتصديق برسوله، والكتاب المنزل عليه، والانقياد له.

والانقياد يعني

إرداف منهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقواله وأفعاله والسير على هدايه في طاعته، وكان هذا منهج أبي طالب في نصحه فقد وجه نصحه إلى أولاده، ولاسيما أمير المؤمنين باتباع النبي (صلى الله عليه وآله) وحصنه على نصرته، وهو يقول له: «يا بني الزم ابن عمك فانك تسلم به من كل بأس عاجل وأجل (63)» وأنشد:

{من الكامل}

إِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي لُزُومِ مُحَمَّدٍ فَاشْدُدْ بِصُحْبَتِهِ عَلَيَّ يَدِيكَ

(64)

لما كان اتباع النبي ونصرته السبيل إلى النور والهداية، وأساس العقيدة في الإيمان بالله ورسوله، امر أبو طالب ولده أمير المؤمنين (عليه السلام) بتأييد ابن عمه في الأحوال كلها وملازمة صحبته، وامتنال أوامره، والشد على ساعديه، فنصرة أمين الله نصرة للدين الجديد وتقوية لدعائه.

ويسلك أبو طالب منهجا واضحا في النصيحة لأبنائه طاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد كان «إسلام جعفر بامر أبي طالب ... مرّ أبو طالب ومعه ابنه جعفر برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يصلي، وعلي عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صلّ جناح ابن عمك، فجاء جعفر فصلّى مع النبي (صلى الله عليه وآله) فلما قضى صلاته قال له: يا جعفر؛ وصلت جناح ابن عمك، إن الله يعوضك من ذلك

جناحين في الجنة)»

(65) فحث أبو طالب ولديه: علي وجعفر ٨ على اتباع النبي ونصرته عند احتدام الشدائد، وتأزم الكرب، فعندما يكونان مستعدين لملاقاة المحن يفاخر بهما حينما ينتسب إلى المآثر ويحامي هو واسرته من دون النبي في مواجهة اعدائه؛ لأنهم يعدون أمة وحدهم، لعزتهم ومنعتهم، فأنشد:

{من المنسرح}

إِنَّ عَلِيَّ عِنْدَ إِحْتِدَامِ الْأُمُورِ وَالْكَرْبِ
أَوْ وَجَعْفَرًا نَفْتِي سَامِيْتُ أَوْ أَنْتَمِي إِلَى حَسَبِ {
{ أَرَاهُمَا عُرْضَةَ اللَّقَاءِ إِذَا }
لَا تَخْذُلَا وَانصُرَا ابْنَ عَمِّكُمَا }
(66) أَخِي ابْنَ أُمِّي مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَبِي

... ..
وَاللَّهِ لَا أَخْذُلُ النَّبِيَّ وَلَا يَخْذُلُهُ مِنْ بَنِي ذُو حَسَبٍ

... ..
نَحْنُ وَهَذَا النَّبِيُّ أُسْرَتُهُ
إِنْ تَلْتُمُوهُ بِكُلِّ جَمْعِكُمْ
فَنَحْنُ فِي النَّاسِ الْأُمِّ الْعَرَبِ

مما لا شك فيه أن الشعر يشيع في مكة والمشركون لا يؤمنون ولا يفهمون قوة العقيدة التي تحكم العلاقات بين المسلمين، فخطبهم أبو طالب بما يفهموه هم، فهو ينصر المصطفى (صلى الله عليه وآله) ويدعو بنيهِ للنصرة لهذا السبب، ثم يفتيه بعقيدته الراسخة في الدين.

ويبدو أنّ الدوافع المحركة لنصرة أبي طالب ابن أخيه (صلى الله عليه وآله) أنه ابن شقيقه من أمة وأبيه، فنصرته محكومة بصلة الرحم هذا من جهة ومن جهة أخرى انه نبي الأمة، وحامل رسالة جديدة تحمل أفكاراً وعقائد تصطدم مع أفكار المشركين وعقائدهم، وأصحاب الكتب السماوية على السواء، فكان لابد له من الحفاظ على حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ومعاضدته، وشد أزره، لتخرج رسالته إلى النور وتمحو ظلام الجاهلية.

ونصيحة أبي طالب ولديه: علي وجعفر ٨ في الانضمام لابن عمهما، والاتصاء تحت شريعته، وحثهما على نصرته، وعدم خذلانه، والثناء عليهما، وجوده بنفسه وولده، وتأييده بقلبه ولسانه وسيفه،

واخلاصه وتفانيه لمحبه، تلويح واضح على إيمان أبي طالب المقترن بالتصديق (لا اخذلُ النبي، وهذا النبي)، ف قضية نصرته ابن أخيه وحمایته له ليست نصره عم وحمایة لابن الاخ فحسب، وانما قضية عقيدة ذات جذور عميقة ترتبط بالایمان.

ويغض أبو طالب الطرف عن مواقف أبي لهب في عداوته لرسول الله وتكذيبه له، ومعاونته لمشركي قريش في الكيد منه، ويدعوه ناصحاً وموجهاً له ان ينضم لركب المسيرة المحمدية مخاطباً اياه؛ لدفع الظلم عن ابن أخيه لما في عمله هذا من الصلاح والعلو والشموخ، ويستجلب أبو طالب ابا لهب لمحاربة الاعداء ويستقطبه لمنصرته، ومناصرة رسول الله، ويحذره من العجز الذي لا يليق به، ومحاربة قومه، وهم لم يحاربوه ولم يخذلوه في الاحوال كلها، وقد كذبت قريش في زعمها بان قوم النبي محمد سوف يخذلوه ويقهروه، فهدد الشاعر قريشا بانها سترى حرباً تشن عليهم في الشعب ليس لها قائم ان ارادت قريش ذلك، فقال :

{من الطويل}

إِنَّ إِمْرَأً أَبُو عَتَبِيَّةَ عَمُّهُ
نَفِي رَوْضَةٍ مَا إِنْ يُسَامِ الْمَظَالِمَا

أبا مَعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوَادَكَ قَانِمَا
تُسَبُّ بِهَا إِمَا هَبَطَتِ الْمَوَاسِمَا
فَأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقِ عَلَى الْعَجْزِ جَاثِمَا
أَخَا الْحَرْبِ يُعْطِي الْخُسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا
وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَارِمَا أَوْ مُغَارِمَا

....

وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشَّعْبِ قَانِمَا (٦٧)

أقول له

- وَأَيِّنَ مِنْهُ نَصِيحَتِي - :
وَلَا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ خُطَّةً
وَوَلِّ سَبِيلَ الْعَجْزِ - وَنِيكَ - مِنْهُمْ
وَحَارِبٍ فَإِنَّ الْحَرْبَ نِصْفٌ وَلَنْ تَرَى
فَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ جَنَائِيَّةً

....

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ

خاطب أبو طالب أخاه بكنيته محاولاً ان يحرك في نفسه وشانج الرحم لابن أخيه، فدعاه إلى نصرته وهو بهذا ناصح له باخلاص، وهذا نمط من الخطاب فيه روح إسلامية تتمثل بخفض الجناح واللين وصله الرحم متلمساً وسيلة النصح والارشاد تارة، والحث والتحضيض تارة اخرى في استقطاب اخيه ابي عتبة، ليلتحق بالقافلة المحمدية ما استطاع؛ لأن أبا عتبة من كبار خصوم رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وله أثره البالغ في قرارات المشركين، فلعله في مخاطبته اياه يخفف من وطأة تحامله على ابن أخيه، وحفده وكيده لدعوته، ويستجلب نصرته له؛ لأن قانون الحماية عرف اجتماعي فرضته طبيعة الحياة العربية، وطبيعة القربى لابن أخيه.

ومرة اخرى يخاطب أبو طالب أبا لهب ناصحاً وحثاً له على نصرته رسول الله واعانته على

اعدائه والدفاع عنه من اذى المشركين (68) فقال:
{من الطويل }

عَجِبْتُ لِحَلْمٍ يَا ابْنَ شَيْبَةَ عَازِبٍ
يَقُولُونَ: شَايِعٌ مَنْ أَرَادَ مُحَمَّدًا
أَضَامِيْمٌ إِمَّا حَاسِدٌ ذُو جَنَائِيَّةٍ
فَلَا تَرَكَبَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُ ذِمَامَةً
وَلَا تَتَرَكَنَّهُ مَا حَيَّيْتَ لِمُعْظَمٍ
يَذُوْدُ الْعِدَا عَنْ ذِرْوَةِ هَاشِمِيَّةٍ
وَرَا جَمِيعِ النَّاسِ عَنْهُ وَكُنْ لَهُ
فَإِنَّ لَهُ قُرْبَى لَدَيْكَ قَرِيْبَةً
وَأَحْلَامِ أَقْوَامٍ لَدَيْكَ سِخَافٍ
بِسُوءٍ وَقُمْ فِي أَمْرِهِ بِخِلَافٍ
وَإِمَّا قَرِيْبٌ مِنْكَ غَيْرُ مُصَافٍ
وَأَنْتَ إِمْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عِبْدِ مَنْافٍ
وَكَنْ رَجُلًا ذَا نَجْدَةٍ وَعَفَافٍ
وَإِيْلَافِهِمْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ إِيْلَافٍ
وَزَيْرًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ مُجَافٍ
وَلَيْسَ بَذِي حَلْفٍ وَلَا بِمُضَافٍ

ولكنه من هاشم في صميمها
فإن غضبت منه فريش فقل لها:
إلى أبحر فوق البحور صوافٍ
بني عمنا ما هاشم بضعافٍ
فما بالنا يغشون منه ظلامه
وما بال أرحام هتك حوافٍ
ولكننا أهل الحفايظ والنهي
وعز ببطحاء الحطائم وافٍ)

(69)

حاول أبو طالب ان يحرك في أخيه أبي لهب العصبية للرحم من توجيهه لنصرة النبي (صلى الله عليه وآله) فتتجه نصيحته بالاشادة ببيان فضائله (وأنت امرؤ من خير عبد مناف)؛ ليستقطبه إلى صفه، وصف ابن أخيه؛ وليمهد لما يدلي به بجملة من النصائح «لاتركين الدهر منه ذمامة، ولاتركنه ما حييت لمعظم، وكن رجلا ذا نجدة وعفاف، وراجم جميع الناس عنه، وكن له وزيرا على الأعداء غير مجاف»، ومن ثم يستعطفه بقرابته برسول الله (فان له قربي لديك قريبة)، فيرى أبو طالب أن من باب الحكمة ان يستثير عواطف أخيه بمناشدة من هذا المسلك، فنصرته نصرة للرحم، والتقاليد التي تربي عليها وسط المجتمع العربي؛ ليجوب أبو طالب كف عداوة أبي لهب لرسول الله، واذاه له، وليمسك عن مساعدة مشركي قريش الناصبين العداوة لرسول الله ولدعوته، وليربك مخططاته ضد رسول الله، ولاحباط عزمته في مواصلة عداوته له، ولتكسير شوكته في نظر مشركي قريش، وليفتح أبو طالب آفاقا جديدة لرسول الله في تبليغ دعوته.

- الوصية:-

عرفت الوصية قبل الإسلام وبعده شعرا كما عرفت نثرا)

(70)، وقد اتخذت طابع الوصية في شعر أبي طالب سبيلين: الوصي في رعاية ابن أخيه وحفظه، ومعاضدته، ودفع الضيم عنه والموصى في دعوة الأهل والعشيرة لمناصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في نشر دعوته وموازرتة وهذا الطابع الذي يطبع شعر أبي طالب من إمارات إيمانه بنبوة ابن أخيه، وتصديقه بما جاء من عند الله وتأييده للرسالة المكلف بها لأن أباطالب كان له علم ببعثة ابن أخيه منذ نعومة اظفار المبعوث ولاسيما عندما كان جد النبي عبدالمطلب يردد «ان لابني شأنا (71)» «استنادا لما بشر به من أهل الكتاب من أنه نبي هذه الأمة(72)، ومثل هذه العبارات كانت تطرق مسامع أبي طالب، فقال لبعض من كان بمكة من أهل العلم عندما ظهرت على ابن أخيه علامات النبوة: «لقد انبأني أبي عبد المطلب بأنه النبي المبعوث وأمرني أن استر ذلك لنلا يغرى به الأعادي(73)»، وهذا ما تؤيده المعجزات التي حصلت للنبي وهو صغير تؤكد نبوته. وتذكر المظان ان عبد المطلب جد الرسول (صلى الله عليه وآله) اوصى ابنه عبد مناف بالمصطفى فقال :

{من الرجز}

أوصيك يا عبد مناف بَعدي

بِمَفْرَدٍ بَعْدَ أَبِيهِ فَرِدِ
فَأَرَقَهُ وَهُوَ ضَجِيعُ الْمَهْدِ
فَكُنْتُ كَالْأَمِّ لَهُ فِي الْوَجْدِ
تُنْذِيهِ مِنْ أَحْشَائِهَا وَالْكَبْدِ
فَأَنْتَ مِنْ أَرْجَى بَنِي عُنْدِي
لِدَفْعِ ضَمِيمٍ أَوْ لِشَدِّ عَقْدِ)

74)

كان لوصية عبد المطلب بالغ الاثر في نفس أبي طالب، فيطلب من أبيه أن لا يوصيه بما عليه فعله من واجب في رعاية ابن أخيه وحفظه؛ لأنه سمع عنه العجب العجائب من أحبار اليهود ورهبان النصارى في بيان صفاته التي تدل على شأنه العظيم، فقال :
{من الرجز}

لَا تُوصِنِي بِلَازِمٍ وَوَجِبِ
إِنِّي سَمِعْتُ أُعْجِبَ الْعَجَائِبِ
مِنْ كُلِّ حَبْرٍ عَالِمٍ وَكَاتِبِ
بَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ قَوْلُ الرَّاهِبِ)

75)

ويرد عبد المطلب بوصية أخرى يحث بها أبا طالب على نصرته ابن أخيه بنفسه وماله، واتباعه ومؤازرته فقال: «يا أبا طالب؛ إن أدركت أيامه فاعلم أنني كنت من ابصر الناس به، فإن استطعت ان تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك احد من بني آبائي)»

76).

ويتعهد أبو طالب رعاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صغره وكبره، وحمایته بنفسه وماله من اليهود المرصدة له بالعداوة، ومن بني أعمامه، والعرب كافة الذين يحسدونه على ما وهبه الحق من امر

(النبوة)

(77) وأبو طالب يستحضر وصية أبيه عبد المطلب في القصيدة التي ذكر فيها خروجه في ركب إلى الشام تاجراً، وقد أخبره الراهب بحيرا ببشارة النبي المنتظر التي وردت في كتبهم الأولى ويحث الراهب أبا طالب على ارجاع ابن أخيه إلى أهله خوفاً عليه من أن يقتله اليهود (78)، ويومئ أبو طالب في القصيدة التي يمدح بها النبي وهو صغير إلى تعلقه بركاب عمه حين ازعم الرحيل، فرق له وبكى، وصحبه معه في رحلته، الذي رعى فيها قرابته الموصولة به، وحفظ وصية عبد المطلب فيه قال:
{من الكامل}

إِنَّ ابْنَ أَمَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا
عِنْدِي يَفُوقُ مَنَازِلَ الْأَوْلَادِ
لَمَّا تَعَلَّقَ بِالزَّمَامِ رَحْمَتُهُ
وَالْعَيْسُ قَدْ قَلَّصَنَ بِالْأَزْوَادِ
فَارْفُضَنَّ مِنْ عَيْنِي دَمْعَ ذَارِفٍ
مِثْلُ الْجُمَانِ مُفَرَّقِ الْأَفْرَادِ
رَاعَيْتُ فِيهِ قَرَابَةَ مَوْصُولَةٍ
وَخَفِضْتُ فِيهِ وَصِيَّةَ الْأَجْدَادِ)

79)

ومما لا يخفى على القاريء أن قول الشاعر «إن ابن أمة النبي محمدا» إمارة واضحة على تصريحه بنبوة ابن أخيه، وتصديقه به، وهي من دواعي الحفاظ عليه وحمايته قبل البعثة، ومعاضدته وموازرتة بعد البعثة، زد على أن محبة النبي وجعله بمنزلة أولاده هي من شعب الإيمان.

ويوم

ئ الشاعر في قوله «حفظت فيه وصية الاجداد» الى وصية جد النبي عبد المطلب وهو يحتضر بعد أن تكفله بنفسه، فكان له حافظا وراعيا «يا بني؛ تكفل ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك وعاقلمهم، ... وهذا الغلام ما تحدثت به الكهان، وقد رويانا في الاخبار أنه سيظهر من تهامة نبي كريم، وروي فيه علامات قد وجدت فيها، فأكرم مثواه واحفظه من اليهود فإنهم اعداؤه. (80)»
وتدور الايام دورتها، ويوشك ناصر الرسول، وحميه على الموت، فيكون الموصي لا الوصي، فيجمع أولاده وأخوته ووجوه قريش، ولا سيما اخويه العباس والحمزة، وبنيه جعفر وعلي (رضي الله عنهم) فيدلي بوصيته التي يتجلى فيها حبه للنبي محمد(صلى الله عليه وآله) ولدعوته، واصراره على دعوة بني زهرة والقرشيين للانضمام الى النبي والالتفاف حوله، واتباعه ونصرته وحمايته واعانتة على اعدائه؛

لينالوا الرشاد والفلاح والخير، ف

أنشد:

{من البسيط}

أوصي بنصر أمين الله مشهده
بَعْدِي: عَلِي
وَحَمَزَةَ الْأَسَدِ الْمَخْشِيِّ صَوْلَتُهُ
وَصَبُّوا الْخَيْرِ عَبَّاسًا
وَجَعَفَرًا أَنْ يَدُودُوا دُونَهُ النَّاسَا
وَجَمَعَ زُهْرَةَ إِذْ كَانَتْ مُحَلَّلَةً
أَنْ يُوجَدُوا دُونَ حَرْبِ الْقَوْمِ أَكْيَاسَا
كُونُوا فِدَى لَكُمْ نَفْسِي وَمَا وَلَدَتْ
مِنْ دُونَ أَحْمَدَ عِنْدَ الرَّوْعِ أَتْرَاسَا
بِكُلِّ أَبْيَضٍ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ
تَخَالُهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِقْبَاسَا (٨١)

ويتضح من الأبيات أن أبا طالب على هدى الإسلام فقد كان مصدقا للرسالة المحمدية، معاضدا للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ومساندا له في ظروفه الحرجة، شاحذا للهمم ومقويا للعزائم وهو يردد في وصاياها لبني هاشم وحلفائهم «ان محمدا نبي صادق وامين ناطق وان شأنه اعظم شأن ومكانه من ربه أعلى

مكان فاجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وارموا عدوه من وراء حوزته فانه الشرف الباقي لكم مدى

» (الدهر)

(82) فاعلن ايمانه بالله، وتصديقه برسول الله.

ولأبي طالب وصية أخرى أفردها لابنه الأكبر طالب يحثه فيها على اتباع ابن عمه رسول الله، فما اشد حسرة أبي طالب إذ فارق الحياة، ولم يقر عينا بارتفاع شأن ابن أخيه، فهل سيراه سيدا في قومه، وابنه علي يتقدم جيشه، ويعانق لوانه؟ وهل سينال شفاعة المصطفى يوم البعث؟، بيد أن الحقيقة المدركة انه لا

محالة سيموت فانشد :

{من الكامل}

أ	فيما يقول مُسَدِّدٌ لَكَ رَاتِقُ
بُنَيَّ طَالِبُ إِنَّ شَيْخَكَ نَاصِحٌ	حَتَّى تَكُونَ لَدَى الْمَنِيِّ ذَانِقُ
فَأُضْرِبُ بِسَيْفِكَ مَنْ أَرَادَ مَسَاءَةً	لَا زِلْتُ فِيكَ بِكُلِّ رُشْدٍ وَائِقُ
هَذَا رَجَائِي فِيكَ بَعْدَ مَنِّيَّتِي	إِنِّي بِجِدِّكَ لَا مَحَالَةَ لَاحِقُ
فَاعْضِدْ قُوَاهُ يَا بُنَيَّ وَكُنْ لَهُ	إِذْ لَمْ أَرَاهُ وَقَدْ تَطَاوَلَ بَاسِقُ
أَهَا أَرَدْتُ حَسْرَةً لِفِرَاقِهِ	وَعَلِيَّ ابْنِي لِلْوَاءِ مُعَانِقُ
أَتَرَى أَرَاهُ وَالْوَاءَ أَمَامَهُ	هَيِّهَاتَ إِنِّي لَا مَحَالَةَ رَاهِقُ
أَتَرَاهُ يَشْفَعُ لِي وَيَرْحَمُ عِبْرَتِي	

(83)

ويظهر أن أبا طالب انفرد بهذه الوصية لابنه طالب، لأن طالبا كان حينئذ غير مسلم)

(84)، مع أنه كان يحب النبي حبا جما، وله اشعار فيه (85) وهذه الأبيات تعطي صورة بينة عن المبدأ الذي نهجه أبو طالب في نصرته ابن أخيه واتباعه ومعاضته والتصديق به، فقد كرس شطرا من حياته في تربيته ورعايته وحفظه وهو صغير، والدفاع عنه وحمايته وهو كبير؛ لنشر دعوته حتى كتب لها النجاح وتم له النصر، ووصاياها امتداد لوصية أبيه عبد المطلب الذي ألزم نفسه بتنفيذها والسير بمقتضاها بكل حزم. ومما تقدم يتبين: أن شعر أبي طالب واكب أحداث نشر الدعوة الإسلامية منذ عهدها الأول في اطلاق اولى

شعارات التوحيد والتصديق بالله ورسوله، فرسم شعره العقائدي صورة صادقة ومعبرة عن الحال الجديدة

للحياة الجديدة في مواجهة المعارضين والمناوئين والمناهضين من المشركين، ومن هنا تبرز أهمية

شعره وقيمه في التجديد وتأصيل الظاهرة الأدبية من خلال ما حمل نفسه على نصرته الإسلام المتمثل

بصاحبه رسول الله، وحرصه في الحفاظ عليه وهذا مما افاده شعره، واوحى به في الوقت نفسه عن

مسؤوليته بالتأييد والنصرة والمحاماة والموازرة والحث على ذلك كله بألوان من فنون القول المختلفة

بالصبر، والنصيحة، والوصية، ولاشك فيه أن هذا السلوك الاخلاقي ذا القيمة العالية هو الغاية التي

ينشدها الدين الجديد في إيمانه به.

إن ايمان أبي طالب دعم لرسول الله واطافة معنوية جديدة؛ إذ امد الإسلام بلسان اعلامي مُعبر، تبرز فيه الروح الدينية، بما استلهمه من فيض زاخر من المعاني الإسلامية الجديدة، ومن معاني التعبير القرآني و

ألفاظه في شعره العقائدي .



الهوامش:

(1) ظ: تاريخ العرب قبل الإسلام (القسم الديني): ٥٦/٥-٥٩، دراسات في التاريخ الإسلامي: ٢١- ٢٤ .

(2) ظ: زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره (بحث): ٩٠- ٩٢ .

(3) ظ: ورقة بن نوفل حياته وشعره (بحث): ١٧٤- ١٧٨ .

(4) ظ: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام: ٦٠ .

(5) عندما كُلف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتبليغ دعوته زاد التوتر في صفوف رجال قريش، ففكروا في قتله، ولكن رأى عقلاؤهم من الحكمة الذهاب إلى أبي طالب، وهم يحملون في حديثهم معه نعمة الرجاء تارة، والتهديد تارة اخرى، فأبى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ان يصدع بامر الله بكلمة الحق، وتنزيهه عن عبادة الاوثان وهو يقول لعمة أبي طالب: ((أي عم أو لا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم، فقال أبو جهل: ما هي؟ وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال تقولون: لا إله إلا الله)) فثارت حفيظة رجال قريش لمنع المد الإسلامي بالوسائل كلها، ظ: السير والمغازي: ١٥٤، الكامل في التاريخ: ٤٤/٢، البداية والنهاية في التاريخ:

١٢٣/٣ .

(6) الديوان: ١٨٩ .

(7) م.ن: ١٥٨ .

(8) ظ: السير والمغازي: ١٥٠ .

(9) الديوان: ١٨٣، السرب: الطريق.

(10) ظ: السير والمغازي: ١٥٠ .

- (11)الديوان: ٢٥٩، في البيت الثاني إقواء.
- (12)ظ: العهد الجديد: ٣٢٦-٣٤٣، الرسالة إلى العبرانيين، الأقسام: ١-١٣.
- (13)ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤١/١، البداية والنهاية في التاريخ: ٨٤/٣.
- (14)الديوان: ١١٥، السبب: الوُصْلَة من الصلة والاتصال.
- (15)ظ: مناقب آل أبي طالب: ٥١/١.
- (16)الديوان: ٣٢٩.
- (17)م.ن: ٣٣٤.
- (18)م.ن: ١٨٥، الحريية: المال، والجمع حرائب.
- (19)الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٩٢.
- (20)الديوان: ٣٣٩.
- (21)دراسات في الادب الإسلامي. 28 :
- (22)ان ما نزل من القرآن الكريم في مكة هو ست وثمانون سورة، فلو فرضنا ان أبا طالب شهد نزول خمسين سورة خلال زمن البعثة، فهذا يعني انه اطلع على كم وافر من السور المكية التي تتحدث عن التوحيد والعقيدة أكثر من حديثها عن التشريع كما هو معروف.
- (23)الديوان: ٢٤١.
- (24)كنز العمال في سنن الاقوال والافعال: ١٤٤/١.
- (25)ظ: الجامع لاحكام القرآن. 288/ 15 :
- (26)السيرة النبوية لابن هشام1/272 :، ظ: الديوان: ١٩٠-١٩٨.
- (27)الديوان: ٧٥.
- (28)الخصائص الكبرى: ٨٦/١، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي: ٣٦١/١، كأن شمس دُجُن: ذات يوم داجن أي مظلم، وحوله أغليمه: تصغير أغلمه جمع غلام، قزعه: القطعة من السحاب، أغدودق: كثر قطره، ظ: شرح المواهب اللدنية: ١٩٠/١.
- (29)السيرة النبوية لابن هشام281- 1/280 :، صحيح البخاري: ٢٣٩/١-٢٤١، صحيح مسلم: ٣٩٣/١، دلائل النبوة لابن نعيم)) 383 :حديث الاستسقاء.))

- (30) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٨١، ظ: شرح شواهد المغني: ١ / ٣٩٨، بحار الانوار: ٣٥ / ١٦٨،
الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: 75 :
- (31) الديوان: ١٦٦ - ١٦٧ .
- (32) ظ: الطبقات الكبرى: ١ / ١٥٤، دلائل النبوة لابن نعيم: ١٢٦، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب
الشريعة - البيهقي 2/27، : إعلام الوري بأعلام الهدى: ١٧، صفة الصفوة: ٣٣/١، عيون الاثر في
فنون المغازي والشمانل والسير: ١ / ٤١.
- (33) الطبقات الكبرى: ١ / ١٥٥.
- (34) الديوان: ٢٢٤، يريد بالخواتم الرجال اصحاب الخواتم، وخاتم النبوة: شامة خضراء أو سوداء
محتفرة في اللحم، أو كغدة عند غضروف كتفه اليسرى مثل التفاحة، ظ: الرّوض الأنف في تفسير السيرة
النبوية لابن هشام: ١ / ٣١٥ - ٣١٦ .
- (35) الديوان : ٢٤١ .
- (36) م. ن: ٢٤١ .
- (37) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٢٣، ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٤، البداية والنهاية
في التاريخ: ٣ / ٤٣، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٣ .
- (38) ظ: الديوان: ٢٥٥ .
- (39) الديوان: ٢٢٥ - ٢٥٦ .
- (40) ظ: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٨ .
- (41) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧ / ٣٤٩، نقلا عن نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل
الرسول لإبراهيم بن محمد الدينوري.
- (42) السير والمغازي: ١٥٤، ظ: أنساب الأشراف: ١ / ٢٣٠، مناقب آل أبي طالب : ١ / ٥٣، شرح نهج
البلاغة: ١٤ / ٥٤، شرح شواهد المغني: ٢ / ٦٨٧ .
- (43) الديوان: ١٨٩ .
- (44) الديوان: ١٧٤، الخنفيق: الداهية، البكار: مفردها البكرة وهي انثى من الإبل، الفنيق: الفحل
المكرم عند أهله لايؤذى ولا يركب لكرامته، الغيل: عرين الأسد وموضعه.
- (45) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٢٦٧، أنساب الأشراف: ١ / ٢٣١ .

(46)الديوان: ٢٠٥ .

(47)الديوان : ١٠٠، أبو عمارة :الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى ابا عبد شمس أيضا، والوليد من المستهزئين المؤذنين لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات بعد الهجرة بثلاثة اشهر أو نحوها، ودفن بالحجون، ظ: أنساب الأشراف: ١ / ١٣٣ - ١٣٤ ، ٢٣٢ .

(48)والثاني أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٩/٢ .

(49)الزخرف/ ٣١ .

(50)الديوان: ٢٠٧، كنانة: بطن من بطون قريش تدخل في النسب النبوي،ظ: أنساب الأشراف:

. ٣٥ - ١٥/١ .

(51)وتشمل بنود المقاطعة: حصار بني هاشم وعبد المطلب في شعب أبي طالب، ويمنع الدخول إليهم، والخروج منهم، ولايتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، وتمنع الامدادات الغذائية والتعامل التجاري، ولا يرفع الحصار عن أبي طالب وعشيرته إلا ان يسلم محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) أو يموتوا جميعهم، ظ: السير والمغازي: ١٥٦، السيرة النبوية لابن كثير: ٤/٢ .

(52)الديوان: ٢١١ - ٢١٢ .

(53)أنساب الأشراف: ٤١/١، ظ: الكامل في التاريخ: ١٦/٢ .

(54)ظ: أنساب الأشراف1/228 :،والبداية والنهاية في التاريخ: ٣ / ٩٢ - ٩٣ .

(55)الديوان (التونجي): ٩٤ - ٩٥، دراك: متتابعا، المطرد: المستقيم وهو وصف للمرح المقدر.

(56)ظ: يس/ ١ - ٤ .

(57)ظ: تمثيلا لا حصرا: هود115 /، النحل/ ١٢٧، لقمان/ ١٧، الاحقاف/ ٣٥، الطور/ ٤٨، المعارج/

٥، البلد/ ١٧ .

(58)ظ: كنز الفوائد: ١٤٠/١ .

(59)شرح نهج البلاغة: ٦٤/٤، ظ: بحار الانوار: ٩٣/٣٥، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٢،

و((كان علي (عليه السلام) لا يرى أحداً يسب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا وثب عليه، وكان في كل يوم يجيء إلى أبيه مضروبا مشجوجا فقال له في ذلك أبو طالب ... {الابيات}) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٧٦ - ٢٧٧، ظ: الديوان: ٢٢٠ .

(60)الديوان: ٢٢٠ - ٢٢١، أحجى: أولى، شعوب: المنية.

(61)الديوان: ٢٥٣ - ٢٥٤، أبو يَغْلَى: كنية الحمزة بن عبد المطلب.

(62)السير والمغازي: ١٧٢.

(63)الديوان: ١٧٠، شرح نهج البلاغة: ٧٥/١٤، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٤، وذكر في

إسلام أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: ((أي بُنيّ؛ ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: ياأبت؛ أمنتُ

بالله وبرسول الله، وصدفته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته... قال له: أما انه لم يدُعك إلا إلى خير

فألزمه)) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٧/١، ظ: الفصول المختارة: ٢٨٣، الإصابة في تمييز الصحابة:

١١٦/٤.

ان تحنّت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غار حراء، ولا يعلم أبو طالب وهو كفيله، يخالف منطق

الاشياء، واحسب أن أبا طالب لم يفاجأ بنبوة المصطفى، وانما كان ينتظرها، وسؤاله عن ابنه كان من

أجل الاقرار بالدين، فهو استفهام للتقرير.

(64)الديوان: ١٧٠.

(65)الديوان: ١٧١، بحار الانوار: ١٢١ / ٣٥، يراد في الصلاة: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان

قبل غروبها، كانتا في اوائل الإسلام، قيل ليلة الاسراء، كان يقوم بها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)

قبل بعثته، ولايجوز حمل هذه الصلاة على الصلوات الخمس المفروضة؛ لأنها فرضت ليلة الاسراء، ظ:

الروض الأنف في تفسيرالسيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٢٣ - ٢٤، وكانت الصلوات الخمسة فرضت

بعد موت أبي طالب بنحو سنة ونصف، فقد توفي في السنة العاشرة من البعثة.

(66)الديوان: ١٧١ - ١٧٢، والبيت بين القوسين اضافة في الديوان نفسه صنعه (أبي هفان): ١٣٧،

أخي ابن أُمي: يريد أن أم أبي طالب وأم عبد الله والد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واحدة فهي

(فاطمة بنت عمرو بن عانذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي) أنساب الأشراف :

1/88.

(67)الديوان: ١٧٨، ابو عتبة: عبد العزى ابو لهب.

(68)إنَّ سبب نظم القصيدة يرجع إلى أن أبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي، وأمة برة بنت عبد

المطلب من المسلمين الذين غُذِّبوا في إسلامهم، عذبه قومه وطلبوا منه الرجوع الى ملته القديمة، فهرب

منهم، واستجار بخاله أبي طالب، ليمنعه من عداوة قريش، فطالب بنو مخزوم به، فأبى أبو طالب ردَّ

جواره، وكثر لفظ بني مخزوم فيه، فدافع أبو لهب عنه وعن حاميه، فطمع أبو طالب بما سمع من

مناصرة أخيه له فقال هذه القصيدة ناصحا موجها، ظ: السير والمغازي: ١٦٤، اسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢٩٥/٣، البداية والنهاية في التاريخ: ٩٣/٣ .

(69)الديوان: ١٧٧، شبية هو عبد المطلب، عازب: غائب، سخاف: نواقص، الأضاميم: مفردها الإضمامة وهي الجماعة.

(70)ظ: المعمرن والوصايا: ١١٧. 167 -

(71)سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٢٧٠/١، ظ: أسنى المطالب في نجات أبي طالب: ٤٠ .

(72)ظ: السير والمغازي: ٧٥، الطبقات الكبرى: ١١٨/١، أمتاع الأسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ٣٦-٣٧، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٢٧٠/١ .

(73)تاريخ اليعقوبي: ١١/٢ .

(74)السير والمغازي: ٦٩، تاريخ اليعقوبي: ١٠/٢، مناقب آل أبي طالب: ٣٤/١، ظ: عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: 23 : (75)الديوان: ٣٢٩ .

(76)اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة: ١٧٠ .

(77)ظ: مناقب آل أبي طالب: ٣٤/١، بحار الانوار: ٨٥/٣٥ .

(78)ظ: السير والمغازي: ٧٣-٧٦، التاريخ الكبير: ٢٦٧/١-٢٧١ .

(79)الديوان: ١٦٤-١٦٥، قلصن: تابعن مسيرهن، الأزواد: مفردها الزاد وهو طعام السفر، ارفض: تتابع سيلانه متفرقا.

(80)بحار الانوار: ١٣٠/٣٥ .

(81)الديوان: ٢٤٦، وبنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، فهم

أحوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبطن من بطون قريش تدخل في عمود النسب النبوي، ظ: جمهرة أنساب العرب: ٤٦٤/٢ .

(82)مناقب آل أبي طالب: ٥٥/١. 56 -

(83)الديوان: ٣٤٠ .

(84)ظ: الطبقات الكبرى: ١/٢١١، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٤٠٠، خرج طالب يوم بدر مكرها مع

مشركي قريش .

(85)ظ: مجموع اشعار قريش ملحق في الاطروحة (شعر قريش في الجاهلية و صدر الاسلام): ١٥٩-

. ١٦١

الفصل

الرابع

العتاب والتحذير والتهديد والهزاء

مفتتح الفصل

علاقة العتاب بالتحذير والتهديد والهزاء

ثمة رابطة قوية تربط العتاب بهذه الموضوعات مجتمعة، فعلى الرغم من ان العتاب دليل المودة،

وحب المواصلة والابقاء عليها ومراعاتها، يخرج إلى التوبيخ والتعريض، فإذا قل كان داعية المحبة،

وادامة الوصال، وإذا كُثِّرَ كان سببا لتصدع القلوب، وتناثر النفوس بعد ألفتها، وهذا ما أكده ابن

رشيق القيرواني بقوله: «العتاب

- وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء - فإنه من ابواب الخديعة يسرع إلى الهزاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كان داعية الالفة، وقيد الصحبة، وإذا كُثِّرَ خشن جانبه، وثقل صاحبه(1)»؛ لأن العتاب مزيج من نوعين من أنواع الانفعال، وهما: الحب والبغض، فالشاعر يضع سيلا من أسباب الجفوة بينه وبين من اساء إليه، وهو يقابل الصد بالود تارة، والصلابة بالين تارة أخرى، ويسلك طرقا في العتاب منها: انه يتأمل الأيام الماضية؛ ليحدد مشاهد الذكريات المكلفة بالود والالفة، ثم يبين زمن القطيعة والجفوة بينهم، وقد تصفو المياه، وتعود إلى مجاريها، فتهدأ النفوس، وترجع الى ودها القديم، وقد تبوء عملية العتاب بالفشل، وعدم الوفاق بين الطرفين، فينفتح العتاب على نوافذ الانذار والتحذير والوعيد والهزاء أو التعريض. والهزاء تعبير عن موقف انفعال لحظة الغضب؛ لأنه خدن انفعال الشاعر المسيطر عليه في حالات

الصراع والغلبة التي يترتب عليه غض الطرف عن اعمال خصمه المحموده وتعريته مما سئز من

افعاله الشائنة،واهانة اشرافه، والحط من اقدارهم، واشاعة العار فيهم.

وقد لا يكون قصد الشاعر في عتابه أن يهجو الطرف الآخر خشية ما يجر الحديث من كلام مؤلم

يورث العداوة والبغضاء، وانما سلك هذا السبيل؛ لأن نفسه تشربت بانفعالات حادة ناشئة من غضبه

وسخطه، فنفس الشاعر تتوق الى الصلح ونبذ الخصومة، بيد أن آثار البغض واشاعة فتيل نار الغضب تقوده إلى ثورة نفسية يخوض فيها غمار الهجاء مضطرا، للانتصاف لنفسه، فيحتدم القول، وتستلزم ثورة انفعال الشاعر إلى توعد الخصم بالشر والعقاب؛ ليوهن قوته؛ وليعطل فيه المكارم، وتوعد الشاعر وتهديده مرهون بقدرته وعزته ومنعته وسطوته، فعندما يهدد خصمه ويتوعده يوحي بان خصمه لا قدرة له سوى قبول الالهانة والاستكانة.

وتتطلب قدرة الشاعر في الانذار والتهديد والوعيد توظيف أدوات الحرب في استعمال السيوف والرماح والخيول، والاستعداد للمصاولة والكر والقتل ووصف الحرب، وكأن الهجاء حرب ومعركة تش

يع فيها لغة الحرب ووقع آلتها في اسلوب الشاعر الذي يعتمد على وفرة مادته اللغوية، وثرأ موضوعه بالصور الموحية، ومن التقاء هذه الخطوط العامة للموضوعات التي ذكرناها دعنا لأن ندرجها في فصل واحد.

وموضوعات العتاب والتحذير والتهديد والهجاء من الموضوعات المعروفة قبل الإسلام، ولكن لم نعثر عليها ضمن هذه المرحلة من شعر أبي طالب، فقد غذاها الإسلام في التزامه بها، ومع انبلاج نور الإسلام طرأ عليها تغيير وتطوير منذ ان استعملها أبو طالب وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين الجديد في زمن البعثة بمكة، فتصدى أبو طالب للمعارضين من مشركي قريش في المواقف التي استدعت فيه الوقوف للدفاع عن صاحب الرسالة الذي لم تتوافر له بعد فنة من الشعراء تنافح عن دعوته جهارة امام طغاة الشرك سوى أبي طالب الحامي الاوحد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والقائم على تثبيت دعائم الإسلام.

العتاب:

العتاب ظاهرة اجتماعية حتمية في طبيعة البشر تصور التماسك بين الفرد وابناء مجتمعه ولا سيما مع من تربطه وشانج القربى امام شعور الفرد بالأذى والظلم والقسوة والعنت لما يلحق به من الآخرين، فهو الرحي التي تدور حولها الروابط الاجتماعية لدوام المحبة والألفة، والعلاقة التي تربط الشاعر بالمعاتب، هي التي تحدد طبيعة معاني العتاب وتباينها وتنوعها.

ونأنس بشعور التودد والتلطف والملاينة في عتاب أبي طالب لمعارضيه قريش الذي ألبسه ثوبا

إسلاميا تبرز فيه فكرة فدائه لرسول الله

(صلى الله عليه وآله) ودفاعه عنه، وعن دينه الجديد الذي جاء به، ووقوفه ناصرا ومساندا ومعاوننا وحاميا، فانتهج طريقا في التودد والتلطف في معاتبة قريش تارة، والمن والانتصاف لنفسه تارة أخرى، في أيام الأزمة الشديدة التي اجتازها الدين الناشيء في تلك الحقبة مفيدا من سلطته في قريش، ومكانته بينهم، وقد

يتحدى قوة قريش متطلعا إلى اظهار الحق، وبهذا جاء عتابه متعدد الصور يخرج إلى اللوم والنصح والتنبيه والتحذير والتهديد والتعريض (2) جانحا إلى مستويين من العتاب:
- العتاب الفردي :

وهو يدخل ضمن دائرة تحديد شخص قد أثم في حق الشاعر فأورث في نفسه عدم الرضا، وإيلام النفس وإيجاعها، ونظفر بصور متعددة للعتاب بحسب بواعثه على نحو ما نجد في عتابه لأخيه أبي لهب الذي لقي منه الأذى والعنت والظلم بوزره السيء؛ لأنه خذله واعان عليه اعداءه، وجعله غرضا للنام، فقال أبو طالب معاتبا أخاه بخطاب شعري تبليغي يذكره بمكانته وبمقامه الرفيع:

{من الكامل}

أبلغ أبا لهبِ مقالة عاتبِ	هل تُنكرُنْ عندَ المُقامةِ محضري
أم هل اتى أني خذلتُ وغانئي	عنه الغوائلُ بعد شيبِ المكبرِ
وجعلتني عرضَ اللنامِ وكُلُّهم	رامِ يرومُ البغيَ غيرَ مُقصرِ
حتى نُصيبَ نبأهم وسهامهم	قَصَرَ السنامِ من القميصِ الأخرِ
أجزرتهم لحمي بمكة سادراً	تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ أَيَّ لحمِ تجزِرِ
هدفت تراشقه الرماة كأنما	يرمونَ جندلةً بعرضِ المشعرِ

(٣)

أراد أبو طالب أن يقرر في وجدان المتلقي أن أخاه هو الذي خذله فاستحق هذا العتاب الذي يصل إلى التقريع والتوبيخ، فالخذلان جاء من أبي لهب، ومن يخذله لا يعد كريما في مقاله فتكون الموازنة بين من يخذله ومن يبغى عليه.

حاول الشاعر في بداية الامر ان يعيد او اصر المحبة والالفة التي تربطه بأخيه أبي لهب فراح يتأمل الأيام الماضية التي كان له سندا فيها ومنعه، فدكره بطيب افعاله وانه لم يخذله يوما، سالكا طريق المن في عتابه، وعندما يقن الشاعر جفوة أخيه له، وقطع المودة بينهما، راح يسأله عن جفوته ونكرانه؛ ليجد متنفسا في تفرغ شحنات انفعاله التي اختلجت في نفسه بسبب اوزار أخيه الشائنة،

وهذه احدى

وسائل العتاب المؤلم التي لجأ اليها الشاعر.
إنَّ سأم الشاعر من أخيه جعل شعوره بالظلم يشتد فينفعِل؛ ليعبر عن قبح فعل أبي لهب، فدار حديث العتاب إلى الدعاء عليه بالموت في فقدان أمه له، ويبدو أنَّ هذا اللون من الكلام فيه اغاضة لاحساس أبي لهب وإيلامه، ومنه هنا اتجه العتاب اتجاها آخر افاد اللوم والتقريع، وقبل ان يندمل جرح أبي

طالب النفسي من أخيه، فهو يرى أن أخاه حاول أن يحط من قدره؛ لأنه ناصر دين الله، فتراه يقحمه بالسؤال: «أَيُّ لحمٍ تُجزر؟» للدلالة على عظم مكاتته ومهابته وجلالته، فما رمى به من اللنام، ما هو إلا كمثل الحجارة التي يرمى بها بعرض المشعر، يريد أنه لا تؤثر فيه، لضآلة حجمها، وبهذا انتصف الشاعر لنفسه، فافاض عتابه بصور متعددة في المن والاجحاف، والتأنيب واللوم والتقريع والانصاف.

ويتخذ عتاب أبي طالب طابع الشكوى من حيف وظلم ألحق به من أخيه أبي

لهب فلم يكف أبو لهب عن أذى أخيه أبي طالب وتشنيعه بالأقاويل المفتراة في تأليب اعدائه بكل مقال يسوء إليه في انظار الناس، وكان هؤلاء الأعداء لا يجرون على الشاعر وعشيرته، فعاتب أبو طالب أخاه بعتاب صادق عما في دواخله:
{من الوافر}

حديث عن ابي لهب اتانا	واكنفه على ذاكم رجال
بغوه بذاك بعض القول حتى	تجللنا بلؤمهم جلال
وقد لهج العدو بنا فقالوا	وقد كنا وليس لهم مقال
معاشر منهم	لناماً

- كانوا قديماً - في توسعهم قلال(٤) -
حرص أبو طالب في عتابه على رد اقاويل خصومه في تبرأة نفسه منها، فالتفت الى الماضي؛ ليستعين به، فوجد دليلاً دامغاً لرد هذه الاقاويل ودفع الشبهات عنه، فهؤلاء الاعداء كانوا لا يجرون على الاساءة اليه، معللاً خصلة الكذب والبهتان فيهم، في الوقت الذي احتقن بالانفعالات، فتوهج غضبه بان يسجل صفة ذميمة للمناهضين له، فهم اناس لنام بكل ما تحمل دلالة دناءة النفس الملازمة لهم التي لا

تتواءم وطبع العربي الكريم، لينتصف لنفسه منهم، وهذا ما يؤلم المعاتب فتراه يخرج العتاب إلى الهجاء. وتكشف رؤية معادات أبي لهب لأخيه أبي طالب عن أن الأول كان ضمن صفوف المشركين يؤلب الأعداء المناوئين على رسول الله وناصره، ويعينهم بالافتراء والبهتان عليهما، بخلاف أبي طالب الذي يمثل حال الصمود والصلابة في الدفاع عن ابن أخيه بنصرته له وعدم خذلانه)

(5)، ولهذا كان عتاب أبي طالب رد فعل لعدم انصاف أبي لهب له ولاين أخيه الرسول الكريم. ويتجه عتاب أبي طالب إلى ذكر بعض أسماء قريش مستمداً عتابه من طبيعة العلاقة الاجتماعية والسياسية التي تربطهم فتودد اليهم واستعطفهم خشية ان تعاضد العرب قومه عليه وعلى ابن أخيه (صلى الله عليه وآله)، يخبرهم وغيرهم في عتابه انه غير مُسَلَّم ابن أخيه حتى يهلك دونه)

(6) وطرق أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة في عتابه معاني متنوعة مملوءة بنفحات تقنية فنية بارعة الصناعة عبر فيها عن انفعالاته الزاخرة باحاسيسه ومعاناته تجاه مشرقي قريش، على حين اننا لا نغفل أن الشخصيات التي عاتبها كانت تعادي بني هاشم حسدا لهم لشرفهم السالف، ولتكريم الله لهم بشرف النبوة التي جعلها فيهم، فعاتب أبو طالب بعضهم قائلًا:

{من الطويل}

لَعْمَرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدَ وَرَهْطَهُ	إِلَى بُغْضِنَا وَجَزَاً بِأَكْلَةِ آكِلِ
جَزَتْ رَحِمَ عَنَّا أَسِيدًا وَخَالِدًا	جَزَاءَ مُسِيءٍ لَا يُؤَخَّرُ عَاجِلِ
وَعُثْمَانُ لَمْ يَرَبِّعْ عَلَيْنَا وَقُنْفُذُ	وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
إِطَاعَا بِنَا الْغَاوِينَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ	وَلَمْ يَرْقُبَا فِيْنَا مَقَالََةَ قَائِلِ
كَمَا قَدْ لَهَبْنَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلٍ	وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًا أَمْ يُمَائِلِ
فَإِنْ يُقِ	نُكِلَ لَهُمَا صَاعًا بِكَيْلِ الْمَكَائِلِ)

(٧)

تَلَا أَوْ يُمَكِّنَ اللَّهُ مِنْهُمَا

سلك أبو طالب في عتابه لأسيد وولديه: عتاب وخالد، وعثمان بن عبيد، وقنفذ بن عمير، وسبيع بن

خالد، ونوفل بن خويلد، سبيلا «يدخله الاحتجاج والانتصاف»

(8) فأسيد وولاده اغتابوا الشاعر وعشيرته، وجعلوهم طعمة في أفواه الأعداء، وإطاع عثمان وقنفذ الأعداء، ولم يحفظا مقالة قائل بخير، وتولى سبيع ونوفل معرضين لم يعاملا بالجميل. قضم هؤلاء حبال المودة بينهم وبين الشاعر فملنت نفسه بالغيض فراح ينتصف لنفسه ولعشيرته،

فقرر: ان ناب هؤلاء القوم خطب سيعاملهم بمثل ما

عومل به، فسوف يعرض عنهم ولا ينصرهم.

ومن طرق العتاب أن يجنح الشاعر إلى السخرية والاستهزاء في عرض اعمال المعاتب الشائنة، فأبو عمرو أصر على بغض الشاعر وعشيرته، ويوئد اجلاءهم إلى البوادي بين أهل الشاة والجمال، وهو

كثير المناجاة لأعدائهم، فقال أبو طالب من القصيدة ذاتها :

{من الطويل}

وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرِ مُغْضِبِ	لِيُظْعِنُنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مَمْسَى وَمُصْبِحِ	فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ حَامِلِ
وَيُقْسِمُنَا بِاللَّهِ مَا إِنْ يَعْشُنَا	بَلَى قَدْ نَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ خَائِلِ
أَصَاقَ عَلَيْهِ بُغْضَنَا كُلَّ تَلَعَةٍ	مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبِ بِالْأَجَادِلِ)

(٩)

كان أبو عمرو مخادعا يصور للشاعر وعشيرته أنه ليس مع اعدائه فيقسم بالله انه معهم، ولن يخدعهم، وكان الشاعر غافل عن كذبه ومخاتلته، ومن هنا داخل العتاب السخرية والاستهزاء

بالمعاتب في كشف مراوغته؛ لأن بغض بني هاشم ضيق على أبي عمرو التلاع من الأرض ما بين جبال مكة وقصور الشام، بمعنى انه لا يمكن اصلاحه فكان عتاب الشاعر إيذانا بالقطيعة والهجران.

ونجد نمطا آخر من عتاب أبي طالب يذكر به رج

حان رأي المعاتب لشخصية مشرقة أخرى يسلك فيه وسيلة الاستفسار عن طريق شخص معين، أو أن يبلغ الحاضر عتابه له سالكا سبيل التأنيب والمديح والتنبيه والنصيحة في القصيدة اللامية ذاتها فقال:
{من الطويل}

وَسَائِلَ أبا الْوَلِيِّ بِسَعِيكَ فِينَا مُعْرِضاً كَالْمَخَاتِلِ
وَكُنْتَ إمرءاً مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ وَرَحْمَتِهِ فِينَا وَلَسْتُ بِجَاهِلِ
وَعُتْبَةُ لَا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كَاشِحِ حَسُودِ كَذُوبٍ مُبِغِضِ ذِي دَعَاوِلِ
وَقَدْ خِفْتُ إِنْ لَمْ تَزْدَجِرْهُمْ وَتَرْعَوْا نُلَاقِي وَنُلْقَى مِنْكَ إِحْدَى الْبَلَابِلِ

(١٠)

سائل الشاعر أبا الوليد عتبة عن أي شيء افاده من سعيه في اصلاح بني هاشم وهو يمر معرضا عنه كالمخاتل، وكأنه يريد تأنيبه في العتاب، ولكي يخفف من وقع التأنيب وشح عتابه بالمدح، فهو يراه ذا رأي ورحمة وشفقة، ولم يكن جاهلا مثل غيره، قال الرسول(صلى الله عليه وآله): «كان عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبه بن ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأبو سفيان، لا يسقط لهم رأي في الجاهلية، فلما جاء الإسلام لم يكن لهم رأي)»

(11)، ولهذا مدح أبو طالب عتبة بصدق القول في قوة رأيه للدلالة على مكانته، وكأنه يومية إلى عتبة الترفع بنفسه عن سماع أقوال العدو الحاسد الكذوب المبعوض ذي البلايا للشاعر ولعشيرته من بني هاشم، وهو يناديه مناجيا باسمه دون كنيته التي ذكرها في البيت الاول؛ لاشعار عتبة بمودته له وقربه من نفسه.

ومن هنا كان للشاعر مدخل لنصح عتبة، واطهار خشيته ان لم يكن يزجر قومه، ويردع نفسه، يلقوا الاضطراب الذي يسلبهم الراحة جراء اصرارهم على المعادة، وهو يسعى من دون شك إلى استمالته، فإن لم يكن ذلك فلا بأس من أن يبقى بعيدا عن مناصرة الخصوم.

وقد احسن أبو طالب في استعمال معاني العتاب في عرض فضيلة قوة رأي أبي

الوليد عتبة، وتنبيهه ونصحه وتحذيره طمعا منه في استمالته الى صف الايمان متأملا نصرته؛ لأن عتبة له شأن كبير في قومه فهو أحد وجهاء قريش.

ويتجه عتاب أبي طالب طريق التظلم في عتابه لأبي سفيان، فيضيق ذرعا به؛ لأنه يمر عليه مرور

الملك المتجبر معرضا عنه، ويخبره انه ناصح له حريص على مصالحه شفيق بمودته، وهو بخلاف

ذلك فقال من القصيدة نفسها:

{من الطويل}

وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرِضاً
يَفْرُؤُ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ لَا غَافِلَ عَن مَسَاءَةِ
فَمِيلُوا عَلَيْنَا كُلُّكُمْ إِنَّ مَيْلَكُمْ
كَأَنَّكَ قِيلَ فِي كِبَارِ الْمَجَادِلِ
وَيَزْعُمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْهُمْ بِغَافِلٍ
كَذَاكَ الْعَدُوُّ عِنْدَ حَقِّ وَبَاطِلِ
سَوَاءً عَلَيْنَا وَالرِّيَّاحُ بِهَاطِلِ
شَفِيقٌ وَتُخْفِي عَارِقَاتِ الدَّوَاخِلِ) تَخْبِرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ

(١٢)

يلج شعور الشكوى في عتاب أبي طالب لأبي سفيان، لما يؤلمه منه أنه يعلم ما يخفيه من سوء كامن في دواخله؛ ولأن أبا طالب خبرته الحياةً فصقلته صراعاتها من هذه الشخصية وغيرها، فهو غير غافل عن نواياها، ومن هنا تتضح نغمة اليأس في عتابه لهذه الشخصيات في استمالتها إلى جانبه؛ لتمنحه تأييدها ونصرتها لدعوة ابن أخيه (صلى الله عليه وآله) وقبول رسالته. ويتخذ العتاب في المن والاستعطاف بالتذكير في معروف سابق عندما يتضخم استياء الشاعر فينتصف لنفسه من المعاتب، فيمنُّ عليه بما قدم له من اعمال جلييلة مشرفة في لحظات الشدائد على نحو ما نجده في القصيدة ذاتها في عتاب أبي طالب للمطعم بن عدي، فقال:

{من الطويل}

أَمْطَعِمُ لَمْ أَخْذُكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ
وَلَا يَوْمِ قَصْمٍ إِذْ أَتَوَكَ أَلِدَةَ
وَلَا عِنْدَ تِلْكَ الْمُعْظَمَاتِ الْجَلَالِ
إِلَى جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ
وَأَمْطَعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً
وَإِنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ فَلَسْتُ بِأَيْلِ)

(١٣)

وجد أبو طالب سبيلا لطرح الجفوة والقطيعة بينه وبين مطعم بن عدي، فذكره بطيب فعل له؛ ليدفع الجفوة؛ ولتعود حبال الوصال مثلما كانت بينهما. إنَّ لجوء الشاعر إلى هذا القول إنما قصد به تقييد مطعم بطيب اخلاقه وحسن معرفته؛ وليضع نفسه بميزان المفاضلة، على أن تكرر اسم الشخصية المعاتبّة توحى بتودد الشاعر واستعطافه لها، على الرغم من اعتداده بنفسه، فهو إذا ما انتابته الاخطار يكتفٍ بنفسه دون غيره، فكان الشاعر يتظلم ويمن ويستعطف ويحتج وينتصف في آن معاً.

- اما العتاب الجماعي :-

فیدخل ضمن دائرة الاعمام والاجمال لافراد قبيلة الشاعر الذي ينتمي إليها الذين اساءوا إليه واطلقوا عنان شرهم عليه، واثاروا قلقه، وخذشوا احساسه، فكان سببا موجبا لغضبه عليهم، ومقاطعتهم وجفوتهم، وصددهم، وعندئذ والحال هذه لا يلوذ الشاعر بالصمت، وانما صارحهم بالتنبيه والاستنكار لافعالهم التي ألمته، وضاق صدره ذرعا بها على نحو ما نجد في عتابه الجماعي لأفناء فھر كلها،

حين افتقد رسول الله

(صلى الله عليه وآله) وظن أن قريشا قتلته مستنكرا بصيغ الاستفهام التي هي احدى وسائل العتاب يحاول الشاعر ان يثير بها قريشا، ويجد سبيلا الى التهديد والوعيد، فقال :
{من الوافر }

أيامرُ جمعُهُمُ أفناء فِھِرِ	بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ وَالْأَمْرِ زورُ
ألا ضلّتْ خُلُومُهُمُ جميعاً	وأطلق عقلُ حربٍ لا تَبورُ
أترضى منكمُ الخُلماءُ هذا	وما ذاكم رضى لي أن تَبوروا
بني أخي ونوط القلبِ مِنِّي	وأبيضُ ماؤهُ عَدَقَ كثيرُ
وتشربُ بعدةُ الشُّبانِ رِيّاً	وأحمدُ قد تَضَمَّنَهُ القُبورُ
وكيفَ يكونُ ذاكم من قريشِ	وما مِنّا الصِّراعةُ والقُتورُ
فإما تفعلوه فإن قلبي	أبيّ أمركم عنه نُفورُ

(١٤)

لا يكتفي الشاعر بالسؤال الواحد وانما راح يستفسر بعدد من الاسئلة ليبحث عن الاحتمالات التي تجول في خاطره في عزم قريش على قتل رسول الله(صلى الله عليه وآله) (كما يظن ذلك، فكان الاداة المنشطة لحركة بدا العتاب الذي اظهر مزيجا من الانفعالات المتناقضة من حبه لابن أخيه وشفقته وعاطفته عليه، وسخطه على قريش وغضبه وكرهه لهم.

إنَّ طريقةَ عتاب أبي طالب لقريش تكشف عن ود ضائع، وقطيعة اكيدة، وحقد متوقد، اثار غضبه فكان

داعيا إلى تهديد حلماء أفناء فھر بالحرب التي لا

تقوم لها قائمة، وهذه صورة من صور العتاب الذي يخرج إلى التهديد والوعيد، والوقوف بوجه قريش متحديا إياهم في نصرة رسول الله(صلى الله عليه وآله). (15))
وقد يتخذ العتاب التذكير بصلة النسب فخص أبو طالب من فھر الذين يدخلون في عمود النسب النبوي أبناء كعب وقصي وعبد مناف في عتابه، لقطيعتهم، وخذلانهم في نصرة أخوانهم من بني هاشم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتركهم في الشَّعب يقاطعهم خصومهم ويحاصرونهم من دون رافة،

ولغظ أبو طالب بالعتاب إلى أن سلك مسالك متعددة بحسب شدة انفعاله إلى المديح والتوجيه والتهديد

والتوبيخ، فقال :

{من الطويل }

فَعَبِدَ مَنْافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلَا تَشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ وَاعِلٍ
فَقَدْ خِفْتُ إِنْ لَمْ يُصَلِحِ اللَّهُ أَمْرَكُمْ تَكُونُوا كَمَا كَانَتْ أَحَادِيثُ وَإِنِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أُوهِنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ
وَكُنْتُمْ حَدِيثًا خِطْفَ قِدْرِ فَأَنْتُمْ بِنَا كَحِطَابِ أَقْدَرِ وَمَرَاجِلِ
لِيَهْنُ بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ عُقُوقُهَا وَخِذْلَانُهَا وَتَرَكْنَا فِي الْمَعَاقِلِ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ سَرَّهْمَ مَا صَنَعْتُمْ سَيَحْتَلِبُونَهَا لِأَقْحَا عَيْرِ بَاهِلِ
فَأَبْلُغْ قُصِيًّا أَنْ تَنْشُرُ أَمْرَنَا وَبَشِّرْ قُصِيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
وَلَوْ طَرَقْتَ لَيْلًا قُصِيًّا عَظِيمَةً إِذَا مَا لَجَانَا دُونَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ
وَلَوْ صُدِقُوا ضَرْبًا خِلَالَ بُيُوتِهِمْ لَكُنَّا أَسَىٰ عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَعَاطِلِ
فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيٍّ تَجَمَّعَتْ فَلَا بُدَّ يَوْمًا مَرَّةً مِنْ تَزَايِلِ
وَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ كُعُوبٍ كَبِيرَةٍ فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنَّهَا فِي مَجَاهِلِ
وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ تَسْوِيدِ مَعْشِرٍ هُمْ ذَبْحُونَا بِالْمُدَىٰ وَالْمَغَاوِلِ

(١٦)

انشأ أبو طالب عتابه بمديح بني عبد مناف رغبة منه في استئناف علاقة الود والوصال بينهم بوصفها حالة سلوكية تستقطب الطرف الآخر إلى صفه وتستميله إليه، وتحفزه لاستئثار ذهنه لقبول

أي صورة من صور العتاب.

وقد زين ابوطالب عتابه بالردع، ثم النصيحة للدلالة على المودة في خشيته من سوء عاقبتهم، وتوجه العتاب بالإنذار والوعظ باحاديث ولدي وائل فأوماً إلى الحرب الضروس التي وقعت بين بكر وتغلب، ويبدو أن تداخل الردع والنصيحة والوعظ هو السبيل الأمثل للعتاب، بيد أن أبا طالب عندما يدرك عدم نجاح وسيلة التودد في عتابه تحتد انفعالاته وتتصاعد فيكشف عن غيظه، ويظهر غضبه، فيقوده العتاب إلى إهانة بني عبد مناف لقطعهم الرحم وعدم نصره بني هاشم وهم محاصرون في الشعب، ثم تهديدهم بصورة فنية موحية إن احتلبوا الحرب وشاع الامر، فليبشروا بالخذلان مع اعمامهم من بني قصي، ولكي يعيد الشاعر توازنه النفسي من جراء احساسه بألم القطيعة والجفوة

من بني عمومته، كان عليه ان يعلق: لو طرقت قصي نازلةً شديدة فلن يتخلى أبو طالب وعشيرته من بني هاشم عن نصرتهم والدفاع عنهم، وحفظ نسانهم، وانما طرق الشاعر هذا الكلام ليمنحهم الفرصة في التفكير والعودة إلى رشدهم، والعزوف عن غيهم، وهو في الوقت نفسه غاية ما يوجد به المرء من ود لبني جلدته، وتفصح عن قوة شخصية أبي طالب الحكيم ذي الخبرة المتراكمة في الحياة التي جعلته يعتقد: إذا كانت بنو كعب قد اعتمدوا على كثرة شرفهم ونفوسهم، فلا بد من وقوعهم في شذاند لا يهدون الى الخروج منها، ولا بد من خذلانهم، ويبدو أنّ أبا طالب قد يأس من نصره ابناء عمومته، بدلالة ذبحهم لبني هاشم بالمدى بالقول والفعل، وهكذا تباينت انفعالات أبي طالب في العتاب بالتودد بالمديح والنصح والوعظ تارة، والتوبيخ والتهديد تارة أخرى بحسب تنوع بواعث العتاب.

واتجه عتاب أبي طالب إلى تقرير الصفات الحميدة له سالكاً الاتجاه نفسه في الشكوى والتحذير

والنصيحة والوعظ، فحينما اجتمعت قريش على خلاف أبي

طالب، كان لا بد من أن تنقطع حبال الود بينه وبينهم، فشكى ابوطالب بطون قريش عامتهم، ثم خص منهم ذرية عبد مناف: بني عبد شمس، ونوفل، فقال :
{من الطويل}

وَمَا إِنْ جَنِينَا فِي قَرِيشٍ عَظِيمَةٍ سِوَى أَنْ مَنَعْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التَّرْبَا

أَخَا ثِقَةٍ لِلنَّانِبَاتِ مُرَزًّا كَرِيمًا نَنَاهَ لَا لَنِيمًا وَلَا ذَرْبَا

فِيَا أَحْوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا فَيَاكَمَا أَنْ تُسْعِرَا بَيْنَنَا حَرْبَا

وَأَنْ تَصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَأَلْفَةٍ أَحَابِيشٍ فِيهَا، كُتُّكُمْ يَشْتَكِي النُّكْبَا

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ وَرَهْطِ أَبِي يَكْسُومِ إِذْ مَلَأُوا آلَ

فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ شَعْبَا

لَأَصْبَحْتُمْ لَا تَمْلُكُونَ لَنَا سَرْبَا (١٧)

انصب

عتاب أبي طالب على مخالفة قريش له ومقاطعتهم لعشيرته من بني هاشم المرهونة بحمايته ومنعته ومساندته لابن أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ولكي يسوغ منعته لابن أخيه بين خصائله وشماله وفضائله الكريمة، ثم التفت إلى بعض بطون قريش وهما: عبد شمس، ونوفل، وخصهما بالذكر لاحتقتهما في المناصرة؛ لأنهم أبناء عمومة يدخلون في النسب النبوي (18)، ليضرب لهم مثلا وعظيا في حربي: داحس، وابرهة الحبشي، لعلمهم يتعظون، ويرجعون عن غيهم، وظلمهم في المقاطعة، فذكر حرب داحس يعني تأكيد الفناء، وذكر حرب أبي يكسوم تذكير لهم بغلبة ابن أخيه، فهو ابن عبد المطلب الذي قال: «إن للبيت ربا سيمينعه (19)»، فانتصر بقوة الله تعالى من دون حرب، وسينتصر ابن أخيه بالقوة ذاتها فاستحضر أبو طالب من التاريخ - في عتابه - ما يحقق له غاية قد ترجع الخصم من غيه، ويبدو أنّ طريقي النصح والوعظ: هما الطريقتان الأفضلان في العتاب.

وعندما يجد أبو طالب أن الوصال أوشك على الانهيار، فلا حيال له لاستئناف الود بينه وبينهم اتجه عتابه سلباً؛ لأنه لم يحقق شد المقابل إلى ما يصبو إليه من النصر والحمية والتأييد، وبهذا كله تنوعت انفعالات الشاعر من الشكوى إلى التحذير والنصيحة والوعظ بحسب بواعث العتاب. وسلك ابوطالب في عتابه لبني عبد شمس مسلكاً تحريضياً يمتزج بالتوبيخ فقال مخاطباً إياهم :
{من الطويل}

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يُرَى الدُّلُّ فِيكُمْ
بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ جِيرَتِي وَالْأَقْرَابِ
جَمِيعاً فَلَا زَالَتْ عَلَيْكُمْ عَظِيمَةً
تَعْمُ وَتَدْعُو أَهْلَهَا بِالْجَبَابِ
أَرَأَيْتُمْ جَمِيعاً خَائِلِينَ فَذَاهِبٌ
عَنِ النَّصْرِ مِنَّا أَوْ غَوٍ مُتَجَانِبُ)

(٢٠)

إنَّ العلاقة بين الشاعر وقومه علاقة فاترة، لاحتجائهم عن النصر وعدم تمسكهم بنصرة الاخ والقریب كما فرضت ذلك الحياة الجاهلية، فعدَّ قانون الحماية عنوان العربي القوي صاحب السطوة والعز في المجتمع، وان العزوف عن تطبيق هذا القانون جنایة عظيمة في حق العربي، وذلل لا يحى على مر الدهر، ومن هنا كان عتاب أبي طالب الممتزج بالتحريض لبني عبد شمس، وان كان متيقنا منهم ان الذل لازمهم لتصلهم عن النصر، وهذا التوبيخ وقع ايلاما في النفس؛ لأن العربي ذو أنفة يأبى الذل، واوما أبو طالب من طرف خفي إلى جعل نفسه ميزان المفاضلة في الالباء والرفعة والسطوة والسلطة والقوة بأن يكون الناصر لدين الله ولرسوله الكريم الذي أدى حق هذا القانون الاجتماعي في الوقت الذي يشعر به باليأس والقنوط من نصرتهم وهو يعاتبهم. وصفوة القول: إنَّ ظاهرة العتاب الأخوي في شعر أبي طالب لأخيه أبي لهب ولأشراف قومه من قريش الذين هم اكفاؤه فرضتها طبيعة المرحلة التي واكب فيها ابوطالب بواكير الدعوة الإسلامية فكان علما باسقا لنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يدعو من يعاديه إلى النصر والموازرة والحماية، وهذا يلحظ في عتابه الجماعي الشامل لبطون قرش ولا سيما أبناء عمومته الذين يدخلون في شجرة النسب المعارضين للدعوة الإسلامية، فكان العتاب له أثره الواضح في نصره الإسلام ومخالفة بطون قريش للدعوة الإسلامية المتمثلة بزعاماتها والتي افرزها حسدهم، لتشيرف الله بني

هاشم في الشرف والسيادة والنبوة، فكانت هذه الفضائل من عوامل جفائهم وقطيبتهم وبغضهم وحقدهم، وطرق أبو طالب هذه المعاني في عتابه بتقنية فنية متناسقة مع الموقف الاتي الذي يمر به والمتأزر مع صور العتاب المتعددة من مديح ولوم ونصح وتنبيه وتحذير وتهديد وتوبيخ، فأفصحت عن تنوع انفعالات الشاعر المتأثرة بمواقف الشخصيات والبطون الراضة لحماية أبي طالب لابن أخيه، بيد أن أبا طالب بقي الصوت المسيطر في العتاب بما يملك من قوة وسطوة ومكانة في نصره الرسالة ورسول الله (صلى الله عليه وآله).
(وأله)

التحذير والتهديد:

وهما موضوعان طرقهما الشاعر جاهلي، الأول، ما ذكر فيه انذار الأعداء وتحذيرهم من مغبة طغيانهم عندما تظهر امارات الاساءة، أو ان تكون على وشك الوقوع، فيرشدهم الشاعر إلى الصواب، اما الثاني، فيتوعد الشاعر الأعداء بالقتل والتنكيل والوعيد والثبور بالقوة والعنف إن لم يرجعوا إلى الطريق السوي، فسوف يلحق بهم الأذى.

وصدر تحذير أبي طالب وتهديده إلى بطون قريش على شكل رسائل شعرية، بوسائل تبليغية متعددة اما أن يكون التبليغ صادرا منه مباشرة إليهم، واما أن يبلغ الحاضر الغائب منهم، وأما أن يعين

رسولا لهذه المهمة، حين علم ان بطون قريش

- التي تدخل في شجرة نسبه - قد عقدوا العزم على الشر في قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) والقضاء على دينه، فيحاول - في بعض الأحيان - أن يتبع تحذيره لهم بانذارهم ونصحهم؛ ليوجه انظارهم إلى من يشعل نار الحرب، وما ستؤول عليهم من مصائب وخسائر، فالشاعر الحازم الحليم الناصح يحذر القوم من مغبة افعالهم غير المحمودة العواقب لاحترامه صلة القربى، وما تفرض عليه من واجبات النصح والتوجيه. وقد يكون التحذير شديد اللهجة، فيزداد انفعال الشاعر، فيلتهب القول، ليصل إلى درجة التهديد

والوعيد، فيهدد بانزال اشد العقاب بعبارات شديدة الحرارة، وكأنه مصمم على تنفيذ تهديده ووعيده

إذا اقيمت الحرب لقتل رسول الله

(صلى الله عليه وآله. (21))

وأهم ما انماز به التحذير والتهديد في شعر أبي طالب انه يحذر ويهدد بطون قريش من أجل نصرة

الإسلام واقامة عمود الدين فهذان النوعان من فنون القول المرتبطان بفكرة نصرة رسول الله

ورسالته بدأ في فجر الدعوة الإسلامية على لسان أبي طالب بما توافر له من امكانات السلطة والقوة

والحزم في حماية نبي الله محمد(صلى الله عليه وآله)، وكانت بطون قريش تعرف قدر أبي طالب

فيها، فلا تجرأ على الرد عليه؛ لأنها إن تجرأت ستقوم حرب لا هوادة لها في قبيلة قريش نفسها

بوصف أبا طالب زعيما لعشرينين كبيرتين في قريش هما: بني هاشم، وبني عبد المطلب، فالذين

يعادونهم هم أبناء عموماتهم، وهم المؤيدون والناصرين والحامون لرسول الله (صلى الله عليه وآله)

زد على ذلك أن قريشا كانت تنأى عن طبيعة الحياة القبلية في صراعاتها، فلم «يكن بينهم نائرة)»

(22)، فهي ليست من أرياب الحروب لطبيعة معيشتها التجارية، ولا استقرارها في الحاضرة، ولتكويناتها الاجتماعية فأكثر هذه البطون رؤوسها شخصيات مترعمة لها مقاماتها الاجتماعية في المجتمع القرشي، فلم تكن ذا قوة كبيرة تصمد أمام العرب، فهي تخشى من تألب العرب عليها، فتضعف قوتها، واشعار أبي طالب في هذين الموضوعين المستندين إلى فكرة حماية الإسلام المتمثلة بمنعة رسول الله ونصرة دينه تمثل بداية الصراع بين صف الايمان، وصف الشرك التي تتأصل فيه الظاهرة الأدبية في باكورة الدعوة الإسلامية. ونجد في شعر أبي طالب الذي قيل في التحذير سبيلا إلى النصح والعظة لمشركي قريش ولا سيما بني

غالب حيث يحذر الرجال البصراء والعقلاء بما حل بال

أمم قبلهم إذ تمادوا في غيهم، واصرروا عليه في رفض رسالات رسل الله وايدانهم لهم، فلفت انتباههم إلى العواقب المؤلمة التي ستحيق بهم إذا هم قتلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنما نهج أبو طالب منهج العقل والمنطق في نصح قومه وتحذيرهم، ليستعبروا، وليتعتظوا وليتقوا سخط الله عليهم في إيذاء رسوله مذكراً إياهم بمعجزته التي كانت سبباً في شلل يد أبي جهل حين عزم على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال في قصيدته القافية :

{من المتقارب }

أفيقوا بني غالبٍ وانتهوا	عن البغي في بعضِ ذا المنطقِ
وإلا فـ	بِوائِقٍ في دارِكُم تلتقي
بِإِتي - إذن - خائِفٌ	وَرَبِّ المَغَارِبِ والمَشْرِقِ
تَكُونُ لِغَابِرِكُم عِبْرَةً	ثَموداً وَعَاداً فَمَن ذَا بَقِي
كَمَا نالَ مَن كانَ مِن قَبْلِكُم	وَناقَةَ ذِي العَرشِ إِذْ تَسْتَقِي
غَدَاةً اتاهمَ بها صَرَصَراً	مِنَ اللّهِ في ضَرْبَةِ الأَزْرَقِ
فَحَلَّتْ عَلِيهِمَ بها سَخَطَةٌ	حُساماً مِنَ الهِنْدِ ذَا رَوْنِقِ
عُدَاةً يَعْضُ بِعُرْقوبِها	عِجانِبُ في الحَجَرِ المُلصِقِ
وَأَعْجَبُ مِنَ ذاكِ مِن أَمْرِكُم	إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ المُتَّقِي
بِكَفِّ الَّذِي قامَ مِن حِينِه	عَلَى رِغَمِ ذَا الخانِنِ الأَحْمَقِ
فَأَيَّسَهُ اللّهُ في كَفِّه	بِغَيِّ العُؤاةِ وَلَم يَصْدَقِ)
أَحيمِقِ مَخزومِكُم إِذْ عَوَى	

(٢٣)

حذر أبو طالب الحلماء من أرباب العقول من بني غالب الذين يعتبرون من حوادث الأمم السالفة، ويجعلونها سبيلاً يهتدون إليها في التفكير والعمل؛ لأن هذه الحوادث الموشحة بالطراز الديني تعيد نفسها على الرغم من اختلاف الزمان والمكان والاشخاص

فقد كذب قوم عاد رسولهم هود

(عليه السلام) وقوم ثمود رسولهم صالح (عليه السلام) وتعجبوا من إلقاء الوحي على بشر مثلهم فرموهم بالكذب والافتراء، فغضب الله عليهم وانزل عقابه بهم. واليوم كذب المشركون رسول الله محمد

(صلى الله عليه وآله)، فحذرهم أبوطالب من مغبة امرهم؛ لغاية ترهيبية لئذأرهم في حال تماديهم في الظلم والبغي، ولفت أذهانهم إليها، فافادت العظة والنصح والارشاد بهذه القصص القرآنية (24) التي استثمر أبو طالب معنى جوهرها في تحذير قومه من بني غالب، ثم ليدلل على معجزة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ليعتبر من كان مقتنعا بها، وليسمعها من لم يعتبر فيعتبر ويتعظ، وهو يدل على صحة نبوته ورسالته، وهكذا حرص أبو طالب على تحذير قومه من عذاب الله الذي سيحيق بهم إذا قتلوا رسول الله بنصحه في عزوفهم عن قتله، سالكا مسلك المنطق والعقل والحكمة والتدبير في عواقب الأمور؛ لدفع شرورهم.

وقد يتجه الخطاب الشعري إلى تهديد الخصم بشن الحرب والايقاع به، ويبالغ الشاعر في شن الهجوم وذكر معدات الحرب الضرورية من خيل قوية وأسلحة كثيرة وأبطال ذي قوة وحزم عندما كانت قريش تهدد بقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ودفعاً لما تتوهم قريش في ضعف أبي طالب وعشيرته الحامين له، توعدهم أبو طالب برسالة شعرية موجهة إلى بني لؤي الذين يدخلون في عمود النسب النبوي وخص منهم أبناء عمومته الأقربين، بني: تيم، وعبد شمس، ونوفل، فقال في قصيدته اللامية :

{من الطويل}

بِحَقِّ وَمَا تُغْنِي رِسَالَةَ مُرْسِلِ

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي لَوْيَا رِسَالَةَ

بَنِي عَمَّنَا الْأَدْنِيِّنَ تَيْمًا نَخْصُهُمْ

وَإِخْوَانِنَا مِنْ عَيْدِ شَمْسٍ وَنَوْفَلِ
وَأَمْرٍ غَوِيٍّ مِنْ غَوَاةٍ وَجَهْلِ

أَظَاهَرْتُمْ قَوْمًا عَلَيْنَا أَظَنَّةً

يَقُولُونَ: إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا مُحَمَّدًا

كَذَّبْتُمْ - وَبَيْتِ اللَّهِ - يُثَلِّمُ رُكْنَهُ

أَقْرَتِ نَوَاصِي هَاشِمٍ بِالتَّدْلِيلِ

وَمَكَّةَ وَالْإِشْعَارَ فِي كُلِّ مَعْصَلِ

بِمَدْمَاهِ وَالرُّكْنَ الْعَتِيقِ الْمُقْبَلِ

صَوَارِمُ تَفْرِي كُلَّ عَظْمٍ وَمِفْصَلِ

مَصَالِيَتٍ فِي يَوْمِ أَعْرَ مَحْجَلِ

بَيِّنُ تِمَامٍ أَوْ بَاخِرٍ مُعْجَلِ

نُجَالِحُ فَنَعْرُكُ مِنْ نَشَاءِ بِكَلْكَلِ

وَبِالْحَجِّ أَوْ بِالنَّبِيِّ تَدْمَى نُحُورَهَا

تَنَالُونَهُ أَوْ تَعْطِفُوا دُونَ قَتْلِهِ

وَتَدْعُو بِأَرْحَامٍ وَأَنْتُمْ ظَلَمْتُمْ

فَمَهْلًا وَلَمَّا تُنْتَجِ الْحَرْبُ بِكَرَهَا

فَأِنَّا مَتَى مَا نَمْرُهَا بِسُيُوفِنَا

....

فَأِنَّا سَنَحْمِيهِ بِكُلِّ طَمْرَةٍ

وَكُلِّ رُدْبِيٍّ ظِمَاءٍ كُعُوبُهُ

وَكُلِّ جَرُورِ الدَّيْلِ زَغْفِ مِفَاضَةِ

بِأَيْمَانِ شَمِّ مِنْ ذَوَائِبِ هَاشِمِ

هُمُ سَادَةُ السَّادَاتِ فِي كُلِّ مَوْطِنِ

وَذِي مَيْعَةٍ نَهْدِ المَرَائِلِ هَيْكَلِ

وَعَضْبِ كَايْمَاضِ العَمَامَةِ مِقْصَلِ

دِلَاصِ كَهْرَهَازِ العَدِيرِ المُسَلْسَلِ

مَغَاوِيلِ بِالأَخْطَارِ فِي كُلِّ مَحْفَلِ

وَخَيْرَةُ رَبِّ النَّاسِ فِي كُلِّ مُعْصَلِ (٢٥)

علم أبو طالب قرار بني لؤي بن غالب في القضاء على الإسلام المتمثل بالرسول الكريم، ويقينه ان خطابه مع قومه لا ينفذ؛ لإدراكه تصميمهم على تنفيذ رأيهم، فاستفزه هول رأيهم واثار غضبه،

والتهبت حميته، فدفعته دفعا إلى تهديدهم في استحالة قتل رسول الله، وتعجزهم على ذلك، ومادام

بنو لؤي بن غالب أجهروا ع

داوتهم للإسلام بصراحة ، فكان عليه ان يعلن موقفه بقوة وصرامة إلى جانب الإسلام بوصفه الحامي لممثل الإسلام مع عشيرته من بني هاشم، فكان شعره في هذا الموضوع سلاحا في خدمة الإسلام لصد أعدائه وتهديدهم وتخويقهم بحرب شؤوم، واطهر أبو طالب استعداد حماة الإسلام ليحاربوا بالوسائل كلها، فمن مستلزمات القتال في الحرب الخيل فنعتها بالجودة والقوة والسرعة، ومن عدة الأسلحة :الرماح المتينة والمتماسكة،والسيوف البتارة والقوية، والدروع الواسعة والطويلة ، وبهذه المعدات يجهز الأبطال المتحاربون من بني هاشم فوصفهم بالشجاعة والأنفة والشرف والبطولة في المهالك، فهذه المقومات القتالية مجتمعة هي من وسائل التهديد بالحرب التي تتكفل بتحقيق النصر إذا ما شرع بنو لؤي بالحرب. وقد يصف الشاعر شعوره المؤلم نحو قومه، فيتحدث عن ح

سألته النفسية في مفارقة مضجعه في الخطاب الشعري الموجه إلى قومه الذين سعوا إلى قتل رسول الله(صلى الله عليه وآله) ظلما وبهتانا، فوصف ألمه لما ضاق ذرعا بعزم بني فهر على هذا الأمر، واعتراه الهم والحزن والقلق، فأنذرهم وهددهم وحذرهم في أن معا، فنبههم ظلمهم الذي سيعود عليهم بالوبال، ونعت جنائتهم بالجهل وضعف الرأي، وتوعدهم بالشر والعقاب إذا ما اندلعت حربا بينهما تتنادى عليهم بالأسف، فقال :

{من الطويل}

عراي وأخرى النجم لما تقدم	ألا من لهم آخر الليل معتم
وسائر أخرى ساهر لم يؤوم	عراي وقد نامت عيون كثيرة
بسوء ومن لا يتقي الظلم ي	لأحلام أقوام قد أرادوا محمدا
عُظِمَ على فإيل من رأيهم غير محكم	سَعَوْا سَفْهًا وَاقْتَادَهُمْ سُوءَ رَأْيِهِمْ
وإن حشدوا في كل بدو وموسم	رجاء أمور لم ينالوا بظلمها
ولم تختضب سمر العوالي من الدم	يُرْجَوْنَ أَنْ نَسْخِيَ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ
ضراب وطعن بالوشيح المقوم	يُرْجَوْنَ مِنَّا خُطَّةً دُونَ نَيْلِهَا
جماعم تلقى بالحطيم وزرم	كَذَّبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ حَتَّى تَعْرِفُوا
حليلاً ويغشى محرمة بعد محرمة	وَتُقَطِّعَ أَرْحَامًا وَتَنْسَى حَلِيلَةً
يدودون عن أحسابهم كل مجرم	وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ
نوايح قتلى تدعي بالنندم	فَيَا لِبْنِي فَهَرِ أَفِيقُوا وَلَمْ تَقُمْ
وغشيانكم من أمركم كل مائم	عَلَى مَا مَضَى مِنْ بَعْضِكُمْ وَعُقُوبِكُمْ
وأمر أتى من عند ذي العرش قيم	وُظِّلِمَ نَبِيٌّ جَاءَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى
إذا كان في قوم فليس بمسلم	فَلَا تَحْسِبُونَا مُسْلِمِيهِ وَمِثْلُهُ
	فَهَذِي مَعَاذِيرٌ وَتَقْدِيمَةٌ لَكُمْ

لِكَيْلَا تَكُونَ الْحَرْبُ قَبْلَ التَّقَدُّمِ (٢٦)

كان من حكمة أبي طالب، وعقله ومنطقه أن يحذر بني فهر؛ ليمنحهم فرصة في التفكير قبل الانزلاق إلى الشر، وما يجر عليهم من عقوق واثم؛ لجسامة خطر رأيهم؛ ولاستحالت تسليم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهم، فهذه معاذير يهديها الشاعر لقومه قبل أن يتورطوا في الحرب.

ولا بد من أن يعلن أبو طالب من جانبه بقوة وصرامة موقفه من حماية الإسلام، مادامت قريش اعلنت عداوتها وبغضها بصراحة، ولا شك في ان تهديده وتحذيره اكتسى حلة إسلامية في دفع العقوق والاثم عن نبي الهدى الذي جاء من عند ربه بدين مستقيم للبشرية جمعاء.

وتبرز المعاني الإسلامية أكثر في الدعوة إلى الحق والانصاف في استعمال العقل والحكمة في الخطاب الشعري الذي وجهه أبو طالب إلى قومه الذين لم يراعوا حقوق صلة القربى وواجباتها من بني غالب، ولاسيما لؤي وتيم المعادون للإسلام والمبغضون له، وشعوره العميق بصلة القربى جعله يزمع على تجنب القطيعة، فينذرهم ويحذرهم من أجل ادامة وشيجة القربى، لاحتمال ان تتكفل الحرب بفنائهم، وليضرب حكمه بذلك، وعندما باءت أمنيته في اعادة العلاقة الطيبة بينهما بالفشل، فلا يمتلك

سوى التهديد امام تهديدهم واصرارهم على قتل رسول الله

(صلى الله عليه وآله)، فقال منذراً ومحذراً برسالة تبليغيه، ويمدح رسول الله (صلى الله عليه وآله) في القصيدة الميمية :
{من الطويل}

فَبَلَغَ عَلَى الشَّحْنَاءِ أَفْنَاءَ غَالِبٍ لُؤَيًّا وَتَيْمًا عِنْدَ نَصْرِ الْكَرَائِمِ

لَأَنَا سُبُوفُ اللَّهِ وَالْمَجْدُ كُلُّهُ إِذَا كَانَ صَوْتُ الْقَوْمِ وَحَيَّ الْغَمَاغِمِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْقَطِيعَةَ مَأْتَمٌ وَأَمْرُ بَلَاءٍ قَاتِمٍ غَيْرِ حَازِمِ

وَأَنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ يُعْلَمُ فِي عُدٍ وَأَنَّ نَعِيمَ الدَّهْرِ لَيْسَ بِدَانِمِ

فَلَا تَسْفَهَنَّ أَحْلَامَكُمْ فِي مُحَمَّدٍ وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ الْأَشَانِمِ

يُمْنُوتُكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهُ وَإِنَّمَا أَمَانِيهِمْ تَلْكَمُ كَأَحْلَامِ نَانِمِ

فَأَيْنُكُمْ وَلَمَّا تَرَوْا قَطْفَ اللَّحَى وَالْغَلَاصِمِ

تَحَوْمٌ عَلَيْهَا الطَّيْرُ بَعْدَ مَلَاغِمِ

وَقَدْ قَطَعَ الْأَرْحَامَ وَقَعَ الصَّوَارِمِ

إِلَى الرَّوْعِ أَبْنَاءَ الْكُهُولِ الْقَمَاغِمِ

- وَاللَّهِ - لَا تَقْتُلُونَهُ

وَلَمْ تُبْصِرُوا الْأَحْيَاءَ مِنْكُمْ مَلَاغِمًا

وَتَدْعُوا بِأَرْحَامٍ أَوْاصِرَ بَيْنَنَا

وَنَسْمُو بِخَيْلٍ بَعْدَ خَيْلٍ تَحْتُهَا
تَمَكَّنَ فِي الْفَرَعَيْنِ فِي حَيِّ هَاشِمٍ
مِنَ الْبَيْضِ مِفْضَالٍ أَبِي عَلَى الْعِدَا
بِخَاتِمِ رَبِّ قَاهِرٍ لِلخَوَاتِمِ
أَمِينٌ مُحِبٌّ فِي الْعِبَادِ مُسَوِّمٌ
وَمَا جَاهِلٌ أَمْرًا كَأَخَرَ عَالِمٍ
يَرَى النَّاسُ بُرْهَانًا عَلَيْهِ وَهَيْبَةً
(٢٧)

إنَّ من مزايا أبي طالب الرجل العاقل المؤمن أن يلجأ الى الحكمة والنظر في عواقب الامور في مراعاة وشيعة القربى، يريد بها جمع الشمل؛ لأنهم من نسب واحد، وينبههم على أن القطيعة اثم وبلاء كبيران.

وجاءت الخطوة الثانية في تحذير القوم في بيان جهلهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) واتباعهم أهل الضلال، وكأنَّ أبا طالب يريدهم أن يتريثوا فلا يستعجلوا في رأيهم بقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأنهم يعرفون علامات نبوته وإذا ما بدأت الحرب فسيعلمون قوة الحاميين والناصرين والمؤيدين من بني هاشم، وسيلقون العقاب على أيديهم، وبهذا توجه الخطاب الشعري من التنبيه والتحذير إلى اصدار حكمة مستخلصة من تجارب حياة الشاعر من ان طريق الرشاد سيعلم في غدٍ، وان السعادة ليست بدائمة؛ فيحتدم الصراع، وتتوهج انفعالات الغضب فيثور أبو طالب مهددا ومتوعدا، وذلك ليظهر الشاعر وعشيرته من بني هاشم بمظهر الأبطال الأقوياء في مواجهة أعداء الإسلام، فيصور الشاعر ما يزعم عليه من ايقاع اشد القسوة والعنت بهم في ملحمة كبرى يصف فيها قطف الرؤوس من الرقاب، وتصوير جثث القتلى طعاما للطيور الضارية، ليرسم هذه الصورة الترهيبية في أذهان القوم التي هي احدى وسائل التهديد والوعيد.

وتتكرر هذه الصورة الترهيبية في تحذير الخصم في حال الاستعداد للحرب، وينصح أبو طالب بالتريث والتمهل مستعينا بالحادثة الدينية المستمدة أحداثها من التاريخ، سالكا اتجاهات متنوعة في خطابه لبني لؤي بن كعب من انذار ونصح وتحذير وتهديد ووعيد، عندما اشتد البلاء على بني هاشم وبني عبد المطلب في حصار شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ لِحَمَايَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فكتبت قريش صحيفة المقاطعة، فقال أبو طالب في قصيدته البانية التي يمدح فيها رسول الله، ويخاطب

رَهطه: (28)

{من الطويل}

وَأَنَّ الَّذِي نَمَقْتُمْ فِي كِتَابِكُمْ
لَكُمْ كَانِنْ نَحْسًا كَرَاغِيَةَ السَّقْبِ

وَيُصْبِحُ مَنْ لَمْ يَجِنِ ذَنْباً كَذِي الذَّنْبِ
 وَأَوَصِرْنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
 أَمْرًا عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلْبُ الْحَرْبِ
 لِعِزَاءٍ مِنْ عِضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ
 وَأَيَّدَ أُتِرَّتْ بِالْفُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ
 بِهِ وَالنُّسُورُ الطُّهْمُ يَعْكُفْنَ كَالشَّرْبِ
 وَمَعْمَعَةَ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةَ الْحَرْبِ
 وَأَوْصَى بِنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ
 وَمَا نَشْتَكِي مِمَّا نَلَاقِي مِنَ النَّكْبِ
 إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِنَ الرَّعْبِ)

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الشَّرِي
 وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْغَوَاةِ وَتَقْطَعُوا
 وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرُبَمَا
 فَلَسْنَا
 - وَبَيْتِ اللَّهِ - نُسَلِّمُ أَحْمَدًا
 وَلَمَّا تَبِنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ
 بِمُعْتَرِكِ صَنْكَ تَرَى قِصْدَ الْقَتْنَا
 كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجْرَاتِهِ
 أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ
 وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبِ حَتَّى تَمَلَّنَا
 وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحَفَانِظِ وَالنُّهَى

(٢٩)

حرص أبو طالب على انذار قومه ونصحهم وتحذيرهم لما كتبوه في صحيفتهم المشؤومة مثل شؤون
 رغاء سقبة ناقة النبي صالح على قوم ثمود، وأراد «ولد الناقة التي عقرها قدار، فرغا ولدها، فصاح
 برغانه كل شيء له صوت، فهلكت ثمود عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلا في كل هلكة»

(30)، وانما ساق أبو طالب هذه الحادثة الدينية من تاريخ الأمم السالفة، للعتبة والاعتبار بعقاب الله للذين
 يؤذون رسله كي يتراجع القوم عن مقاطعتهم لعشيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الحاميين له قبل ان
 يفتضح امرهم وتثار مخازيهم، ويتساوى عندها الجاني والبريء، أي ليتخذوا من هذه الحادثة الدينية منارا
 يهتدون بها في سلوكهم، ويحذروهم حربا حلوبا تجر عليهم الويلات، إذا ما أصر القوم على الحرب، ويهددهم
 بايقاع الهزيمة والحاق أفدح الخسائر بهم، وهو يستعين بأدوات الحرب من سيوف ورمح وخيل وأبطال
 جانحا إلى وصف ساحة المعترك بصورة موحية تصور جثث القتلى طعاما للنسور العاكفة عليها، وهي صورة
 توحى بالرعب والخوف والاشمزاز، ومما لاشك فيه أن أبا طالب يؤكد تفانيه ووفائه للإسلام بحماية رسول
 الله (صلى الله عليه وآله) وهو يحذر ويهدد ويتوعد وهذا من جديد أبي طالب في هذا الموضوع.
 وصفوة القول: يتبين أن النزاع لم يكن بين عشيرة أبي طالب والقبائل الأخرى وانما بينه بوصفه

زعيمًا لعشيرته وحاميا للإسلام، وبين رهطه من قريش نفسها، فلقد استحكم الخلاف بين أبي طالب
 ومشركي قريش المناهضين للدعوة الإسلامية، فصممت قريش على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)
 وآله) للقضاء على الإسلام، فلجأ أبو طالب إلى استعمال أساليب متنوعة في خطابه مع رهطه من

قريش اتخذت طريق النصح والانذار والتحذير والتهديد والوعيد، بحسب انفعالاته المتباينة مع
 المواقف التي يمر بها، فقد يثير في نفوس قريش حبه وإخلاصه في نصحه لوجوه الخير الذي يفرضه
 العقل والحكمة، وقد ينفث حزنه وألمه من سوء أفعالهم فينسج أبياتا في انذارهم محاولا تنبيههم على
 العواقب الوخيمة التي لحقت بالأمم السالفة لتماديها في غيها في تكذيب رسله، فيعظ قومه بهذه

القصص الدينية، وقد يتحامل على قومه لجهلهم بنبي الهدى، وظلمهم له، فينشد أبياتا محذرا إياهم، وقد يسوده غضب شديد فيثور بركان انفعاله عليهم فيهددهم ويتوعددهم وقد يلتهب احساسه فيصوغ أبياته في حماية الإسلام بعاطفة صادقة صادرة عن نبض قلب الرجل المؤمن، ومن هنا يعد أبو طالب في شعره بحق الرائد الأول في تطور هذه الموضوعات بمضامين إسلامية في خدمة الدعوة الإسلامية، وشعره ممثل أمين لمرحلة الصراع الفكري بين الإيمان والشرك والذي واكب فجر الإسلام وبدايته، فعبر عن تفاصيل يوميات سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معارضة قريش له.

الهجاء:

الهجاء ظاهرة اجتماعية أخرى لها وقعها المؤلم في نفس الخصم؛ لاقتصارها على ذكر مثالبه، وكشف عيوبه، وفضح مستوره أمام الناس، والهجاء مرهون بانفعالات الشاعر الحادة المتولدة من لحظات الغضب الشديد تجاه الخصم، ليضعف به معنوياته، وقد ارتدى فن الهجاء في قصائد أبي طالب ثوبا إسلاميا ناشنا من فكرة معاداة مشركي قريش للإسلام في رفضهم تمثل النبوة ببني هاشم حسدا

وحقدا وبغضا)

(31)، فنشأ نزاع فكري أدى إلى خوفهم على كيانهم ومناصبهم في المجتمع القرشي، فناهضوا صاحب الدعوة الإسلامية وجأهروا بحقدهم وبغضهم وعداوتهم له، في الحاق الأذى به والقضاء على دينه، وخذلان عمه الناصر للإسلام، فخببوا أمل أبي طالب فيهم، ولهذا كله نشأ صراع شعري زرع بذرته الأولى أبو طالب في تصديه لمعارضتي سادات قريش حول فكرة دفاعه عن العقيدة، متخذا شعره سلاحا لمواجهة بطون قريش وساداتها(32)، فكانت مواقفه الدفاعية للإسلام ومناهضة مواقف مشركي قريش المعادية هما الدافعان لقول الهجاء.

ومن الجدير ذكره أن الشخصيات المهجوه تمثل زعماء عشائرها أو ساداتها، فربما هجا العشيرة باسم زعيمها أو هجا الزعيم باسم العشيرة؛ ولهذا يمكن أن يعد الهجاء القبلي هجاء شخصيا لرغبة الشاعر في توسيع نطاق الألم والايجاج والاعاضة من الخاص إلى العام؛ لأن هجاءه مرتبط بسادات قريش أصحاب الرأي والمشورة، والأمر والنهي، بيد أننا لانعدم من وجود هجاء لشخص بعينه، ومنه الهجاء الذي اناطه أبو طالب بأخيه أبي لهب الذي كان شديد العداوة للإسلام، وعظيم التكذيب والأذى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد لجج في أمر الرسول الكريم، وناشد أخاه أبا طالب الحامي للإسلام فآثار حفيظته، فحاول الأخير الحط من قدر أبي لهب، والتقليل من شأنه في كشف ما خفي من عيوب

أمه الخزاعية)

(33)، المدعوة بسمحج، ليحقق قدراً من الإيلام لأخيه وهو يُعَرِّضُ بها، فقال:
{من السريع}

مستعرض الأقبام يُخِيرُهُم	غدري وما إن جئتُ من غَدْرِ
يكنى بِسَمَحَجٍ إذ يخالِفُنَا	ويجدُّ في النَّكْرَاءِ والكُفْرِ
فاجعلُ سَمَاحَجَ وابْنَهَا غَرْضاً	لِكِرَانِمِ الأَكْفَاءِ والصَّهْرِ
واسمِعْ بوادِرٍ من حديثٍ صادقٍ	يَهْوِينِ مِثْلَ جَنَادِلِ الصَّخْرِ

....

صَمَاءُ ضَافَ إِلَيْكَ عَانِهَا إِسْلَامُنَا لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ (٣٤)

ولو انعمنا النظر في هجاء أبي طالب لأخيه أبي لهب لألفينا هجاء جاهليا بالمقاييس الفنية في ذكر عيب أمه، فقد كان يرى الشاعر في سمحج شيئا من الدهاء والفتنة التي دنت إلى أبي لهب بهذا العيب، بيد أننا لا نعدم التقاط عيب إسلامي يوصم به أخاه وهو الكفر.

وهجاء الأخ لأخيه غير مألوف في الشعر العربي، لأن الأخ سند لأخيه في الشدائد والمحن والمصائب، ولكن موقف أبي لهب المعادي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأخيه الناصر لدين الله أبي طالب جعل الأخير يقف موقف الغاضب على أخيه؛ لأنه خيب أمه في نصرته ابن أخيه الرسول الكريم، واعان عليه اعداءه من طغاة الشرك، فدافع العقيدة هو الذي وجّه الشاعر إلى هجاء أخيه، وشعوره الحاد كان حمية للإسلام في الدفاع عنه، فأفاضت قريحته بضربات مؤلمة ولادعه في نفس المهجور، فعبر بصدق القول، فأصاب الحقيقة ووسم صاحبها بعار لا يجلوه الزمن، بخلاف الكذب والادعاء والافتراء الذي يمكن ان يجلو اثره على مر الايام، فيكشف زيف ادعاء الشاعر في المهجور. وأبو طالب ينأى عن السب المقذع الذي يقترب من كلام السوقة، فيبتعد عن غاية الهجاء الذي يراد بها توجيه الافراد والجماعات من المجتمع القرشي المناهضين للدعوة الإسلامية في ابتعادهم عن موقفهم المعادي للإسلام على نحو ما نجده في الهجاء القبلي المتزاوج مع الهجاء الشخصي في ذم بطون قريش من بني عبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم، في القصيدة الميمية التي يمدح بها أبا لهب طمعا في نصرته ابن أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويحضه على نصرته)

(35، فقال :
{من الطويل}

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا	وَتَيْمًا وَمَخْزُومًا عُقُوقًا وَمَأْتَمًا
بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدِّ وَأُلْفَةٍ	جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا المَحَارِمَا

فَضَلُوا وَدَقُّوا لِلْمَلَا عَطَرَ مَنَشِيمَا

أَطَاعُوا ابْنَ ذُكْوَانَ وَقِيْسًا وَدَيْسِمًا

وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشَّ

كَدَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْرَى مُحَمَّدًا

عَبِ قَانِمَا (٣٦)

استهل أبو طالب الهجاء بصيغة الدعاء، وهذا ما يتردد في شعره في هذا الموضوع)

(37)، وهو تمهيد جيد لكشف مكنونات انفعالات الشاعر في النص، فهو يتمنى ان يجازي الله الاحياء القرشية على اتامها وعقوقها، فعراها عن الفضائل الجليلة واكساها بالردائل المهينة في ارتكابها الاثم، والعقوق، وانتهاك المحارم في عزمها على قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فصور أبو طالب المهانة وهي لاصقة بابناء عبد شمس ونوفل وتيم، موقوفة عليهم، وكان الشاعر يريد أن يقول بأن من يتصف بهذه الصفات ليس من سادات القوم، وانما من اراذلهم، ومن لم يكن سييدا لا يستحق ان يؤخذ برأيه في أمر خطير مثل قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإمضاء في اغاظة هذه البطون جعلها الشاعر تابعة ذليلة لرأي ابن ذكوان «عقبة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وأبو عمرو: اسمه ذكوان وقيس: هو قيس بن عاقل الخولاني صاحب بني مخزوم، ودَيْسَم: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، ويقال: انه عبد يدعى بدَيْسَم بن صَفْعَب (38)»، فجعل أبو طالب البطون المذكورة أنفا تابعة لا متبوعة، فهم دون منزلة ابن ذكوان عقبة بن أبي معيط، فقد ذكر ان أمية قد ساعى أمة أو بعث أمة له، فحملت بذكوان، فاستلحقه بحكم الجاهلية، والأمة التي ولدته يهودية من صفورية بلدة في الأردن (39)، وعندما أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بقتل عقبة بعد اسره يوم بدر، قال عقبة: «أقتل من بين قريش صبياً، فقال عمر: حنّ فِدْح ليس منها، يُعْرَض بنسبه» (40)، وهذا تعريض واضح بنسب بني أمية، ولهذا حذف ابن هشام البيت الثالث، فقال ما نصه: «وبقي منها بيت تركناه (41)»؛ لأن فيه تعريضا بذكوان جد الامويين، وهذا ليس طعنا في نسب عقبة فحسب؛ بل في نسب بني أمية نفسها، مما جعل السهيلي يعلق على الطعن في نسب بني أمية؛ ليهون عليهم هذه المذلة، فقال: «عفا الله عن أمر الجاهلية، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولو لم يجب الكف عن نسب بني أمية إلا لموضع عثمان بن عفان رضي الله عنه، لكان حراً بذلك (42)»، فقد كان أبو طالب صادق القول، يناه عن الكذب، ولهذا لم يستطع التاريخ أن يمحو أثر قوله، أو يدفع عن اصحابه وسمة العار في غمز نسب أمية، فوقع تعريض أبي طالب في المهجو على سبيل الازدراء والتنقيص، وهو أشد وطأة عليه؛ لأن «التعريض أهجى من التصريح؛ لاتساع الظن في التعريض، وشدة تعلق النفس به، والبحث عن معرفته، وطلب حقيقته» (43).

اما من لم يكن من سادات القوم وأشرفها أمثال: قيس، ودَيْسَم، إذا صح ان ديسما كان عبدا، فقد أراد

أبو طالب أن يضرب بهما مثلا في الانتقاص والامتهان والوضاعة، ومن هنا وجه بطون قريش إلى

أنهم عاجزون عن تحقيق ما ربههم في قتل نبي الله؛ لأنهم ليس لهم رأي فهم ليسوا أسيادا لأنهم

خضعوا لمن دونهم، واتبعوهم، ولا يخفى ما لسلب صفتي: الشرف والسيادة من أثرهما العظيم في

نفوس تلك البطون القرشية، فعبيد قريش تتحكم باسيادها، من هنا صار العبد سييدا والسيد عبدا، ولا

هجاء أفسى من هذا على زعماء قريش، وفيه تحريض مبطن على تأليب من بقي من قريش على

قيس ودَيْسَم. ومن سبل الهجاء الانفتاح على التهديد والوعيد والتحدي لمن يريد نيل رسول الله (صلى

الله عليه وآله)، فان بدأت المعركة لا يرون لهم قائمة بعدها في شعب أبي طالب.

ومن سبل الهجاء الشكوى من الخصم، واخفاء فضائله المحمودة، وابرار ما خفي وظهر من عيوبه

على نحو ما نجده في قصيدة أبي طالب الميمية، فقد اعتراه الهم والحزن فأرقه وسلب نومه)

(44)، لظلم قريش له ومنها البطون: تيم، وهصيص، ومخزوم، ففارت نفسه وغلبيت انفعالاته، فثار يهجو ظلمهم وعقوقهم لمقاطعة بني هاشم وفرض الحصار عليهم، لحمايتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأن

هذه البطون أدركت قوة رسول الله بعشيرته من بني هاشم بزعيمها أبي طالب، فلولاهم لاستطاعت الانقضاض على الإسلام في قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووأد دعوته؛ لذلك تجنبت هذه البطون اراقة الدماء، فاجبرتهم على الحصار لكي يتخلوا عن رسول الله، ثم تتمكن قريش منه، فخاطب أبو طالب قريشاً وهو يذكرهم ظلهم وعقوقهم وحصارهم في الشعب، فقال:

{من الوافر}

وَغَبَّ عَقُوقَهُمْ كَلًّا وَخَيْمٌ	لِظَلَمِ عَشِيرَةٍ ظَلَمُوا وَعَقُوا
وَلَيْسَ لَهُمْ بَعِيرٌ أَحَ حَرِيمٌ	هُمُ إِنْتَهَكُوا الْمَحَارِمَ مِنْ أَخِيهِمْ
وَكَأُلُّ فَعَالِهِمْ ذَنْبٌ دَمِيمٌ	إِلَى الرَّحْمَنِ وَالْكَرَمِ اسْتَدَمُوا
وَمَخْرُومٌ لَهَا مَنَا قَسِيمٌ	بَنُو تَيْمٍ تَوَارَتْهَا هُصَيْصٌ
بَنُو تَيْمٍ وَكُلُّهُمْ عَدِيمٌ	فَلَا تَنْهَى عُوَاةَ بَنِي هُصَيْصِ
إِذَا طَاشَتْ مِنَ الْعِدَّةِ الْخُلُومُ	وَمَخْرُومٌ أَقَلُّ الْقَوْمِ جِلْمًا
كِلَا الرَّجُلَيْنِ مَتَّهُمْ مُلِيمٌ	أَطَاعُوا إِبْنَ الْمُغَيْرَةِ وَإِبْنَ حَرَبِ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ أَبْلَجُ مُسْتَقِيمٌ	وَقَالُوا خُطَّةً جَوْرًا وَحُمَقًا
بِلاَقِعِ بَطْنِ زَمْزَمَ وَالْحَطِيمِ	لنُخْرِجَ هَاشِمًا فَيَصِيرَ مِنْهَا
...	...
وَلَيْسَ بِقَتْلِهِ فِيهِمْ زَعِيمٌ	أَرَادُوا قَتْلَ أَحْمَدَ ظَالِمُوهُ
هُمُ الْعَرْنَيْنُ وَالْأَنْفُ الصَّمِيمِ)	وَدُونَ مُحَمَّدٍ مَنَا نَدِيٌّ

(٤٥)

هجا أبو طالب البطون المتزعمة في المجتمع القرشي الذين ينتمون إلى شجرة نسبه، فرماهم بالظلم

والعقوق، وسوء العاقبة، لانتهاك حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففرض الحصار على بني

هاشم يوجب عقاب الله عليهم، فراح أبو طالب يرشقهم بسه

سام الضلال والحمق بجهلهم برسالة الله تعالى ، ومن هنا نسجل السبق لتأصيل الظاهرة الأدبية لهذا النمط الجديد من الهجاء الإسلامي لأبي طالب قبل غيره من شعراء الرسول (صلى الله عليه وآله) أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

ومما لا يخفى أن الهجاء بالمعاني التي حُدِّدت بمفهومها الإسلامي ليس لها تأثير ذو

بال على زعماء بطون قريش مثل اثر المعاني الجاهلية من ذكر عيوب المثالب والوقائع والأيام وغيرها؛ لأنهم أصحاب شرك لا يبالون بالاتهامات الحاملة للمفهوم الإسلامي الجديد. واتهمهم أبو طالب بالطيش والخفة؛ لقللة حلمهم؛ وهذه النوع المذمومة ه

ي بخلاف خصائل السادات والزعماء الذين يمثلون عشائرهم ، وما دامت هذه صفاتهم أراد أبو طالب أن يعطي حكماً فيهم، بأن هذه الصفات لا تليق بمن يتزعم قومه ، فإذا لا يستحقون أن يكونوا زعماء ، ومن ثم فهم ليسوا أهلاً لإبداء الرأي بشأن رسول الله وعشيرته؛ ليصغر من شرف مكانتهم، وفي هذا ذم موجه لهم.

ولكي يزيد الشاعر من حط اقدارهم، رماهم بسهم مؤلم، فجعلهم تابعين لرأي الوليد بن المغيرة

المخزومي، وأبي سفيان بن حرب اللذين كانا الممثلين لرؤوس الشرك، ويبدو أن ابن المغيرة وابن

حرب هما اللذان أوحيا بفكرة الحصار والمقاطع

ة - التي اغفلت عن ذكرها المظان التاريخية (46)- فقد أدركا أن الهاشميين مصرّون في موقفهم على حماية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وان قريشا لا تدع رسول الله وشأنه؛ لأن اتباعه يزدادون، ومن يدخل الإسلام لا يخرج منه، ولذلك كله اتحدت بطون قريش على مقاطعة بني هاشم ومواليهم وعبيدهم ومحاصرتهم في الشعب وإلى هذا الرأي الجائر أوما أبو طالب إلى خطة ابن المغيرة وابن حرب في إحياء فكرة الحصار، وإلى ظلمهما وحمقهما، والظلم والحمق لا يوصف بهما اصحاب الرأي والشورى، وانما كان هذا الأمر من أبي طالب للانتقاص والتهكم والسخرية منهما، وفي الوقت نفسه ينصف أبو طالب الخصم، فبعض اقوالهما مضيئة، وقصد من ارتباط قول السلب والايجاب للشخصيتين، التوجيه إلى أثر افعال الخصم في المحافظة على القيم العربية فيهم، وإلا فقد اصاب لهيب تعبيره قريش أفرادا وجماعات في نعتهم بالجهل والضلال والطيش والخفة والظلم والعقوق، وكلها خصائل ذميمة تلحق الذل والعار في سادات القوم، وتهون اقدارهم. وتغلي انفعالات أبي طالب فيلج إلى باب التهديد والوعيد بلهجة مستعلية ينقض على خصمه انقضاضا

فاتكا)

(47)ومعلنا تجديد نصرته وحمايته لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو يومئذ إلى من أراد قتل رسول الله ظلماً وجوراً فليس فيهم زعيم، ليؤكد مرة أخرى ما قرره في هجائه ببداية القصيدة، وهذا البناء الفكري المحكم للأبيات يدل على اجادته في ربط آخر أبيات القصيدة بصدرها. وصفوة القول: إن الناظر في هجاء أبي طالب لبطون قريش يجد جرأته وصرامته وقسوته عليهم،

ليضعف معنوياتهم، وهو يقف بجانب الدعوة الإسلامية، فكان شعره سلاحا من أسلحة الدعوة في

نصرتها.

ومن الجدير ذكره: أن هجاء أبي طالب الموجّه إلى الخصم سواء أكانوا أفرادا أم جماعات اتخذ

سبيلين: الأول، تعبيرهم بالمعاني الجاهلية في اسقاط المهجو من منزلته الاجتماعية، فينعتة بالجهل

والحمق والغدر، وقد يغمز بنسبه، فيحط من شأنه أمام أنظار قومه، فيبلغ الشاعر مأربه في هجائه

للخصم بالطعن فيه؛ ولهذا الهجاء أثره العظيم في نفس المهجو، لقوته ونفاذه، أما السبيل الثاني ففيه

يعبر الخصم بالكفر والضلال والعقوق والإثم التي يترتب عليها المفهوم الإسلامي لها وهذا الهجاء أقل

تأثيرا وقوة على المهجو؛ لأنه لا يدرك المعاني الإسلامية مثلما يدركها المسلم.

الدراسة

ثانياً: في الفن

إنَّ لكل فن من الفنون وسائله التي توصله الى غايته، وغاية الفن هي التأثير في المتلقي سواء أكان المتلقي قارئاً، أم مستمعاً، أم ناقداً، ويعود تأثير الاثر الشعري الى صاحبه المبدع في اختيار المادة الأدبية: المحتوى، والصورة.

إنَّ تأثر المحتوى والصورة، أو المضمون والشكل المتآلفان مع المواقف النفسية للشاعر في لحظة انجاز عمله الأدبي تثمر ابداعاً فنياً بوصفه عملاً متكاملًا يقوم على الهام الشاعر المبدع بفعل تأثره بالمجتمع الذي يحيا فيه)

48).

وقد اختلفت

آراء النقاد العرب القدامى (49) حول اللفظ والمعنى، أو المحتوى والصورة، فمنهم من فصل بينهما وجعل لكل واحد منهما مزية من حيث الجودة، أو الرداءة، وتفضيل احدهما على الاخر، ومنهم من جعل قيمة العمل الأدبي في الجمع بينهما.
بيد ان النقاد المحدثين)

50) متفقون على الصلة الوثيقة بين المحتوى والصورة فاللفظ وسيلة المبدع لنقل المعنى الشعوري الذي يصوره الشاعر في تعبيره الشعري، وينقله الى الاخرين، «فليس هناك محتوى وصورة؛ بل هما شيء واحد ووحدة واحدة، إذ تتجمع في نفس الاديب الفنان مجموعة من الاحاسيس ويأخذ في تصويرها بعبارات يتم بها عمل نموذج ادبي(51)»، لهذا يعد العمل الشعري الابداعي كياناً منتظماً يتكون من أجزاء مترابطة ومتناسكة ومتلازمة، كل جزء فيه يتعلق بما عداه من الاجزاء على وفق نظام محكم لا انفصال فيه على مستوى بنية القصيدة في هيكلها ولغتها وصورها وافكارها، والحال الشعورية التي يمر بها مبدعها التي استقطبت تجربته الشعورية المنجزة .

إنَّ ما يؤثر في بنية العمل الابداعي التطور والتغيير اللذين طرأ على المجتمع العربي بيزوغ فجر

الإسلام، فهو لم يحدث تغييراً وتطوراً على المستويين: الفكر والعمل، فحسب، وانما احدث تغييراً

وتطوراً على مستوى الفن أيضاً، لأن الفن تعبير جمالي عن الواقع، وأضحى الإسلام ظاهرة اجتماعية

لها اثرها الفاعل في الحياة اليومية، فأثرت في شعر الشعراء، وكان ممن سبقهم أبو طالب، فمثلاً

شعره تأصيلاً للظواهر الأدبية، فكما تأثر شعره بفعل الإسلام على مستوى الموضوع كما ذكرنا آنفاً،

تأثر على مستوى الفن في المستويات التقنية الفنية للعمل الشعري في أنماط بناء القصيدة ولغتها

وصورها إلى آخره.

على أننا سوف ندرس هذا الكيان المتمثل في فنية القصيدة في أجزاء منفصلة ب

أربعة فصول، وهي تجزأة ذهنية لدراسة الظاهرة الفنية؛ لتسويغ تحليل الاحكام النقدية.



الهوامش:

(1) العمدة: ١٦٠/٢ .

(2) ظ: الديوان: ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٥، ١١٦،

١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٤٣،

258.

(3) الديوان: ١٨٤، القصر: الأصول، القميع: أعلى السنام، الأخفر: المنيع، العرض: الناحية.

(4) الديوان: ١٨١، أكنفه: أعانه، الجلال: الغطاء، قلل: قليل .

(5) ظ: م.ن: ١٧١ .

(6) ظ: م.ن: ٧٤ - ٧٥، ٨٤ - ٨٥ .

(7) الديوان: ٧٥ - ٧٧، أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان سيد قومه،

وله من الأولاد عتاب وخالد، ظ: جمهرة أنساب العرب: ١/ ٨٠، ١١٣، وعتاب بن أسيد، اسلم يوم

فتح مكة واستعمله النبي (صلى الله عليه وآله) على مكة لما سار إلى حنين، وأقره أبو بكر (رضي

الله عنه) إلى أن مات يوم مات، ظ: جمهرة انساب العرب: ١/ ١١٣، الإصابة في تمييز الصحابة:

٤٥١/٢ .

وخالد: والد عبد الرحمن، اسلم عام الفتح واختلف المؤرخون في سنة وفاته ومكانها، ظ: أسد الغابة

في معرفة الصحابة: ١١٤/٢، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٠١/١ .

وعثمان بن عبيد بن عثمان التيمي أخو طلحة، اسلم وهاجر وصحب النبي (صلى الله عليه وآله)، ولم

تعرف سنة وفاته، ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٥٧٦/٣، الإصابة في تمييز الصحابة:

٤٦١/٢ .

وقنفذ بن عمير بن جدعان التيمي له صحبه، ولاه عمر رضي الله عنه مكة ثم عزله، لم تعرف سنة وفاته، ظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 280³ /، أسد الغابة في معرفة الصحابة: 392/4،

الإصابة في تمييز الصحابة: 280/3 - 281 .

«وسبيع بن خالد، أخو بلحارث بن فهر»، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: 282/1، ولم تسعفنا

التراجم المذكورة آنفاً في معرفة المزيد عن شخصيته.

ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي من شياطين قريش قتله الامام علي (عليه السلام)

يوم بدر، ظ: السيرة النبوية لابن هشام 1/282، : 2/253، جمهرة أنساب العرب: 120/1 .

(8)العمدة: 160/2 .

(9)الديوان: 77-78، ابو عمرو: فُرْطَة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، أخو الصحابي عبْدُ بنْ

زَمعة ابن الاسود، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: 282/1، أسد الغابة في معرفة الصحابة 3/510، :

وأورده الجزري في كتابه ضمن ترجمة الصحابي عبد بن زمعة.

(10)الديوان: 78، أبو الوليد: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أحد المشركين قتل يوم

بدر، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: 251/2 - 252 .

وقد أخطأ أبو هفان صاحب الديوان في التعليق عليه فظن أن أبا الوليد هو الوليد بن المغيرة بن عبد

الله بن عمرو بن مخزوم الذي كان يكنى أبا الوليد، والصواب ما ذهب اليه ابن هشام في تعليقه على

الشخصيات الواردة ذكرها في القصيدة اللامية وما بيّنته دلالة الأبيات الذي يعاضدها الحديث النبوي

الشريف، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: 282/1 .

(11)أسد الغابة في معرفة الصحابة: 9/3، ولم أعثر على الحديث في صحيح البخاري، وصحيح

مسلم، وسُنن أبي داود، وسُنن الترمذي، وسُنن النسائي.

(12)الديوان: 78-79 .

(13)الديوان: 79، مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وكان ممن أذى رسول الله (صلى الله

عليه وآله)، وقد طلب رسول الله جواره بعد خروجه إلى الطائف عائدا إلى مكة بعد وفاة عمه أبي

طالب، فطاف بالكعبة وامره برد جواره كراهية أن يبقى في جوار مشرك، أسر ببدر وقتل كافرا صبورا

قتله حمزة بن عبدالمطلب (رضي الله عنه)، ظ: الكامل في التاريخ 2/51، : 64.

(14)الديوان: 243، صدر البيت الرابع غير مستقيم.

(15) ظ: م.ن : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(16) الديوان: ٨١ - ٨٢ .

(17) الديوان: ١٨٣، المرزأ: الذي يصيب الناس من ماله ونفعه كثير، نثأ: ما يقال عن الرجل،

الدَّرب: الحاد السليط اللسان، أحابيش: متفرقون.

و حرب داحس: حرب طويلة دارت بين عبس وذبيان واشتملت الأيام الاتية: المريقب، وذى حُسى

واليعمري والهباءة والفروق والقطن، وأثار حرب داحس والغبراء رهان جرى بين قيس بن زهير

العبسي، وحذيفة بن بدر من ذبيان على سباق لخيئهما، وظلوا يتراوحن القتال أربعين سنة، ظ:

العقد الفريد: ١٤/٦ - ٢١، الكامل في التاريخ: ٣٤٣/١ - ٣٥٥ .

أبو يكسوم: كنية أبرهة الاشم، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٩/١ - ٤٢، ذكر سبب قصد أبرهة

بالفيل مكة ليخرب الكعبة فأهلكه الله تعالى .

(18) أنساب الأشراف: ٦١/١ .

(19) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٠/١ .

(20) الديوان: ١٢٩، في البيت الثالث إقواء، الجبابج: جبال بمكة، ظ: معجم البلدان: ٩٨/٢ .

(21) ظ: الديوان: ٧٤، ٨٥، ٨٨، ٩٦، ١١٥ - ١١٦، ١١٧ - ١١٩، ١٢٢، ١٢٤ - ١٢٥، ١٢٧ -

١٢٨، ١٥٠، ١٨٢، ١٨٧، ٢١١ - ٢١٣، ٢١٥ - ٢١٦، ٢٣١، ٢٤٤، ٣٣٥ .

(22) طبقات فحول الشعراء: ٢٥٩/١ .

(23) الديوان: ٢٥٥ - ٢٥٦، البوائق: الدواهي والخصومات، مفردها بانقة، الأزرق: هو قدار الازرق

الذي عقر ناقة صالح، العرقوب: عَقْب الناقة، «ثمود بن عاثر بن سام بن نوح... كانوا احياء من

العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل (عليه السلام) وكان ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين

الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله»، تفسير ابن كثير. 3/189 :

(24) ظ: تمثيلا لا حصرا: الأعراف/ ٦٥ - ٧٩، هود/ ٥٠ - ٦٨، الشعراء/ ١٢٣ - ١٥٨، النمل/ ٤٥ -

٤٧، فصلت/ ١٣ - ١٨، الأحقاف/ ٢١ - ٢٦، الذاريات/ ٤١ - ٤٥، النجم/ ٥٠ - ٥١، القمر/ ١٨ - ٣١،

الحاقة/ ٤ - ٨، الفجر/ ٩، قصتي: عاد وثمود.

(25) الديوان: ١١٧ - ١٢٠، المعمل: ديار لبني هاشم، تمام: تمام الخلق، جالحه: كاشفه بالعداوة،

الظمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم، ميعة الفرس: أول جريه، المراكل: مفردها المركل وهو

موضع ركل الدابة بالقدم، الهيكل: الفرس الطويلة الضخمة، الكعوب من الرماح: المتينة المتماسكة،
جرور الذيل: صفة للدرع الطويلة، الزغف: الدرع الواسع والطويل وهي صفة ثانية للدرع لؤي بن
غالب بن فھر ابن مالك، وتيم بن مرة بن غالب، وعبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن
مرة بن كعب ابن لؤي، ونوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وهؤلاء من
بطون قريش، ظ: جمهرة أنساب العرب: ٤٦٤/٢ .

(26)الديوان: ٢١٦-٢١٧ .

(27)الديوان: ١٢٧-١٢٨، القماقم: مفردها القماقم، وهو السيد.

(28)ظ: الديوان : ٢١١ .

(29)الديوان: ٢١٢-٢١٣، السوالف: صفاح الاعناق، اترت: قطعت، القساسية: سيوف تنسب إلى

جبل اسمه قساس في أرمينية، الطهم: سود الرؤوس، الكماة: الأبطال المدججون بالسلاح.

(30)الرؤوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٣٣/٢ .

(31)ظ: أنساب الأشراف: ١٣٤/١ .

(32)ظ: الديوان: ٧٦، ٧٧، ٨٠، ١٠٧، ١٢١، ١٧٨، ١٨٠، ٢٥١، ٣٣٩، ٢٤١ .

« (33)وأمه لُبْنَى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن مؤمل بن اسعد، من خزاعة»،

أنساب الأشراف: ٩٠/١ .

(34)الديوان: ١٨٠، صماء: فتنة أو داهية، ضاف: مال ودنا.

(35)ظ: الديوان: ١٧٨ .

(36)ظ: الديوان: ١٧٨ .

(37)ظ: م.ن: ٧٦، ٨٠، ١٧٨ .

(38)الديوان: ١٧٩ .

(39)ظ: الرُّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٩٣ /٣ - ٩٤ .

(40)م.ن: ٩٣/٣ .

(41)السيرة النبوية لابن هشام: ١٥/٢ .

(42)الرُّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٩٣ /٣ .

(43)العمدة: ١٧٢ /٢ - ٢٧٣ .

(44) ظ: الديوان: ١٢١ .

(45) الديوان: ١٢١-١٢٢، بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وبنو هصيص بن كعب، وبنو مخزوم

بن يقظة بن مرة بن كعب، وهؤلاء من بطون قريش، ظ: جمهرة أنساب العرب: ٤٦٤/٢ .

(46) ظ: تمثيلا لا حصرا : السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٢، الكامل في التاريخ: ٥٩/٢ - ٦٠، تاريخ

الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام: ١/ ١٣١-١٣٣، السيرة النبوية لابن كثير 50-2/43 :، البداية

والنهاية في التاريخ: ٨٤/٣-٨٧، امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الاحوال

والاموال والحفدة والمتاع: ٤٣/١-٤٥، السيرة النبوية المعروفة بانسان العيون في سيرة الأمين

المأمون: ٣٣٦/١-٣٦٧ .

(47) ظ: الديوان: ١٢٢ .

(

(48) ظ: الاسس الفنية للنقد الأدبي: ١١٠ .

(

(49) ظ: الحيوان: ١٣١/٣-١٣٢، البيان والتبيين: ١/١٣٦، الشعر والشعراء: ١/٦٤، نقد الشعر -154 :

165، كتاب الصناعتين: ١٥٢-١٦٠، العمدة: ١/١٢٤، دلائل الاعجاز: ٤٥-٤٨ .

(

(50) ظ: اصول النقد الأدبي: ٢٤٧، النقد الأدبي: ١٠٢، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي: ١٨٤، في النقد

الأدبي: ١٦٣ .

(

(51) في النقد الأدبي: ١٦٣ .

الفصل

الخامس

البناء الفني في شعر أبي طالب

مفتتح الفصل

بناء القصيدة

بلغت القصيدة العربية نضجها في البناء الفني قبل الإسلام عبر الموروث الشعري الذي وصل اليها،

فبنيت القصيدة على وفق نسق معين معروف تحدث عنه النقاد القدامى، فرسموا خطوطا لهيكل

القصيدة يتألف من اجزاء بنائها، مبينين الدوافع التي من اجلها أنشئت القصيدة

فقد أوما ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

(1) الى المنهج الفني لقصيدة المديح بصورة مفصلة وبرؤية موضوعية في تحليل مكوناتها وعناصرها ، وفي تبين العلاقة بين اللوحات الثلاث وهي : المقدمة والرحلة والغرض ، وفي كل لوحة من هذه اللوحات ، او الاقسام اساليب متبعة ، « فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدل بين هذه الاقسام » (2) ، ومما لا شك فيه ان ترتيب اقسام القصيدة، وتناسق ابياتها، وحسن جوار الابيات مع بعضها، وملامة ألفاظها لمعانيها الى آخره (3) ، يعد مقياسا لجودة الشاعر؛ لان بناء نظام القصيدة «مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الاخر، او باينئه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله. (4) » وتابع ابن قتيب

ة في توضيح البناء الفني للقصيدة بعض النقاد موضحين هذا الامر بشيء غير قليل من التفصيل، ومنهم: ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) (5) ، (والعسكري) (ت ٣٩٥ هـ) (6) ، وابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) (7) ، وابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ) (8) ، والقرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) (9) ، والعلوي (ت ٧٤٩ هـ) (10) ، مقرررين القواعد والمعايير التي ينبغي للشاعر المجيد اتباعها. وتبنى بعض الدارسين المحدثين

(11) نص ابن قتيبة بوصفه مثالا فنيا للقصيدة العربية، بأن الشاعر يمهّد للموضوع الذي يختاره بالمقدمة الطللية، فتتداعى له ذكري الاحباب الطاعنين عن المنازل، ثم يستطرد الى الصحراء ورحلته التي تجشم فيها المهاول والاطار، وهو يصحب ناقته فيصف هجير الصحراء ، وهطول الامطار، والليل والنجوم الدالة، والصراع العنيف بين الحيوانات، او بين الصياد والحيوان، فاذا فرغ الشاعر من الوصف يلج الى غرضه الذي من اجله انشئت القصيدة. وفي حالات نفسية وموضوعية لا يلتزم الشاعر بهذه المعايير والمقاييس، فقد يختزل المقدمة، ويدخل

الى موضوع

ه مباشرة.

وفي ضوء هذا المفهوم الذي قرره النقاد القدامى لبناء القصيدة العربية دأب النقاد المحدثون في

وضع تعريفات لبناء القصيدة من شأنها تقويم العملية الإبداعية في الشعر

(12)، فهي «بناء علانقي يقوم على العلاقات بين العناصر كل منها حاكم للآخر ومحكوم به(13)»، فالعلاقات التي تحكم البناء الفني للقصيدة يراد بها العلاقات على المستويات المختلفة في بناء الهيكل واللغة والصورة، والأفكار والموضوع، والحالة النفسية التي تعم اطار القصيدة ساعة ابداع الشاعر لعمله المنجز، فهذه المكونات والعناصر كلها تدخل في بنية القصيدة لتشكل بناءً حيا متكاملًا معبرًا عن تجربة الشاعر. سار أبو طالب على وفق منهج الشعراء العرب في بناء القصيدة في بعض قصائد

ه وطوّر وجدد في بعضها الآخر، وتبين التطور والتجديد في بناء الوجدتين: المقدمة، والغرض، والموضوع. وسنبحث في أجزاء بناء القصيدة كأنها وحدات منفصلة؛ لبيان قيمة الأثر الفني في بنائه العام، وفي

بيان عناية الشاعر بتفاصيل الوحدات البنائية، وإلا فالقصيدة لا تتجزأ؛ لأنها بناء حي متكامل.

أولاً: القصائد ذوات المقدمات:

- المقدمة:

عنيّ النقاد العرب القدماء بالمقدمة في وصفهم منهج القصيدة العربية

- كما ذكرنا آنفاً - وتحدثوا عن تعدد أشكالها وأنواعها على وفق مضامينها وتقاليدها الفنية. واستأثرت مقدمات القصائد باهتمام أصحاب الدراسات النقدية الحديثة)

(14)، منطلقين في فهم النص وتفسيره في الاستقراء الموضوعي للشعر العربي الموروث القائم على دراسة الأثرين: بيئة الشاعر، ونفسيته وأثرهما في ولادة الإبداع الشعري، والاستقراء الموضوعي والتفسير الرمزي للشعر الموروث القائم على كشف جملة من الإيحاءات التي تحرك انفعال الشاعر لحظة انجاز عمله الإبداعي الفني في استهلاله للقصيدة، وتبقى مقدمة القصيدة ذات وشيجة بموضوعها الخاضع للدافعين النفسي والفني في قول الشعر. ومن اصناف المقدمات التي وردت في قصائد أبي طالب الطويلة بحسب أهميتها :

- وصف الهموم والشكوى:

إنّ امرأ القيس)

(15)، والنابعة الذبياني (16) لهما سبق في هذا النمط من التقديم، فقد يلجأ الشاعر في ادائه الشعري الى هذا اللون من التقديم بحسب تجاربه الشعرية التي يمر بها، وفيه يجد متنفساً لبث همومه ومعاناته وحزنه وقلقه وحيرته التي استوعبتها تجربته الشعرية بهذا قالب الفني، فقدم أبو طالب خمس قصائد بها. (17) وصورة الليل احدى مقومات وصف الهموم، فهو يوحى بالهموم التي تعتصر النفس الانسانية، وفي

مناجاته وبث الشكوى يجد الشاعر منفذاً واسعاً للتعبير عن ازمته النفسية التي تعتريه لحظة ابداعه

الشعري، ويبقى الباعث الموضوعي للقصيدة الدافع الى اختيار هذا النمط الفني من التقديم الذي

يتناسب مع تجربته الآتية، ويطالعا أبو طالب الذي وجد في هذا التقليد الفني طابعاً لبث شكواه

ومعاناته وأرقه اكثر من أي ضرب اخر من المقدمات فأفصح عن مشاعره، وصرح بالآلام وهمومه،

مما جعل هذه المقدمات تتصف بالتفصيل في بيان سبب معاناته، لأنه فقد الاستكانة والراحة، بسبب هم ذوي القربى من قريش الملازمين العدا لابن أخيه رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، ولهذا نفت الشاعر الاحزان حتى اخر الليل، فقال في قصيدته الميمية وهو يسفه احلام قومه:

{من الطويل }

ألا مَنْ لَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ مُعْتَمٍ طَوَانِي طَوَانِي وَأُخْرَى النِّجْمَ لَمَّا تَقَحَّمِ
وقد نامتْ عَيُونَ كَثِيرَةً لِأَحْلَامِ أَقْوَامِ وسامرُ أُخْرَى قَاعِدٌ لَمْ يُنَوِّمِ بَظْلَمِ
أرادوا محمداً وَمَنْ لَا يَتَّقِي الْبَغْيَ يَظْلَمِ

(١٨)

إنَّ الانفعال النفسي للشاعر من حزن وخوف وقلق على ابن أخيه دفعه الى التفصيل في ذكر مقومات هذا التقديم، فقد واكبت الشاعر الأحزان حتى اخر الليل المظلم، وحين ظل اخر نجم في السماء ولما يغب، وهو يرعاه حين كانت عيون الناس نائمة، وما يقض مضجع الشاعر ويقلقه ما يحلم به أناس من قتل محمد جهلاً وظلماً، وهكذا يتنامى الأداء في مقدمة وصف الهموم وبث الشكوى إلى بيان بواعثها حتى يصل الشاعر الى موضوعه في دفاعه وذوده عن رسول الله)

19).

ويلحظ في المقدمة المضمون الإسلامي الجديد الذي يمتزج فيه معاني ما قبل الإسلام بالمعاني الإسلامية، وهكذا استوعبت هذه المقدمة تجربته الشعرية من همه وخوفه وقلقه على رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عيون الأعداء المتربصين لقتله، فارتبط الموقف النفسي المتعب بالليل ووصف الهموم والشكوى، وهذا ديدن أبي طالب، فهو دائم الخوف على ابن أخيه، فقال في قصيدته الميمية الأخرى التي يخاطب بها قريشاً ويذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم له ولعشيرته الاقربين في الشعب:

{من الوافر }

أرقتْ وقد تصوّبتِ النُّجُومُ وبتتْ وما تسالِمكِ الهمومُ
لظلم عشيرةٍ ظلّموا وعفّوا وغبّ عقوقهم كلاً وخيّم
هُمُ انتهكوا المحارمَ من أخيهم وليس لهم بغيرِ أخٍ حرِيمُ
إلى الرّحمن والرّحمِ استندموا وكلُّ فعّالهم ذنيسٌ ذمِيمُ

(٢٠)

سيطر الهم على الشاعر؛ لأن من يظلمه قومه، ولو كانوا غرباء عنه لما سيطر عليه الهم؛ لأن ذلك يعني الضعف، وهو لا يريد ذلك، فكأنَّ عدم النوم يحفز في نفوس قومه روابط الاخوة، فلعلهم يكفون عنه ظلمهم وعقوقهم وعدوانهم.

إنَّ هَمَّ الشاعر ليس هما شخصيا، وإنما همه هم قضية من أجل الدين الجديد، في الحفاظ على رسول الله ودعوته الإسلامية، وهذا من جديد مضمون هذه المقدمة، وإن إشارة الشاعر الى سهره حتى أقول النجوم، وبقاء همومه تحاربه دلالة واضحة على التأمل والتفكير في معالجة موضوعه، معللا سهره بسبب اضطهاد قريش لصاحب الرسالة، فتنامي المقدمة في التعريض ببعض بطون قريش لظلمهم وعقوقهم، لأنهم انتهكوا محارم الله وعقوا في تركهم صلة الرحم، وما فعلوه يذمهم عليه الرحمن وهذه المعاني أيضاً من المضامين الإسلامية الجديدة التي استوعبت أزمة الشاعر النفسية بهذا التقديم، فكان امتدادا لموضوعه. وتعددت هذه المقدمة في المضمون نفسه في قصائد أخرى

(21)، جسد أبو طالب فيها حمايته لرسول الله ونشر الدعوة، ومما يعلل كثرتها ذلك بان من يعادي أبا طالب هم قومه وهذا يستدعي الهم الذي استوعبه هذا التقديم. ويتخذ طابع بث الهموم سبيلا إلى الشكوى إلى الإخلاء، وبما أن أبا طالب المؤيد والناصر والحامي لدين الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، فهو يشكو ظلم قريش في معاداتهم لنبي الله ولدينه الجديد، مخاطبا خليلين له، ليجد منفذا للترويح عن نفسه وتبديد معاناته، مبينا لصاحبيه بأنه لا يصغي لأقوال بعض قريش في محبته لرسول الله ونصرته له وتفاديه دونه، وإنما يُحكّم عقله ووجدانه، لأن نفسه غير مستعدة لقبول العذل من أحد والإصغاء له، لأنه يعتقد بان الانسان الواحد ربما يكون له رأي صحيح من غير مشاركة احد له، فصاحب الرأي أدري من غيره، ومع مقاطعة قومه له، وعداوتهم ومخاصمتهم بالوسائل كلها، فقد حبس نفسه عن اذيتهم صبرا، واحضر أخوته وأبناء عشيرته حول البيت مستعيذا بجميع مقدسات قريش والعرب؛ لأنه معني ببيان موقف زعماء قريش الذين تحالفوا ضده ومن اتبعه من عشيرته الاقربين، فقطعوا عرى القرابة، فلا بأس أن يتعوذ بالأوان التعويذات التي عهدتها قريش والعرب، فقال:

{من الطويل}

خليلي ما أذني لأوّل عادل	بصغواء في حقّ ولا عند باطل
خليلي ان الرأي ليس بشركة	ولا نهبة عند الأمور التلاتل
ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم	وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى

وقد حالفوا قوماً علينا أظنَّه

صبرتُ لهم نفسي بصفراءِ سمحةٍ

وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأخوتي

قياماً معاً مُستقبلين رتاجه
وحيث يُنيخ الأشعرون ركابهم

....

أعودُ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ

ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبهٍ

وتؤرِّ ومن أرسى تبيراً مكانه

وبالبيتِ ركنُ البيتِ من بطنِ مكةٍ

وبالحجرِ المُسوّدِ إذ يمسخونه

وموطيء إبراهيم في الصخرِ وطأةٍ

وأشواطِ بين المروتينِ الى الصفا

وما حجَّ بيتَ الله من كلِّ راكبٍ

وبالمشعرِ الاقصى إذا عمدوا له

وتوقافهم فوق الجبالِ عشيةً

وليلةِ جمعِ المنازلِ من منى

وجمعِ إذا ما المقرباتُ أجزنَّه

وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها

وكئدةٍ إذا ترمي الجمارَ عشيةً

حليفانِ شداً عَفَدَ ما اختلفا له

....

فهل فوق هذا من معاذٍ لعانذٍ

يطاعُ بنا الأعداءُ ودُّوا لو أننا

وقد طأوعوا أمرَ العدوِّ المزابلِ

يَعْضُونَ غَيْظاً خلفنا بالأناملِ

وأبيضَ ماضٍ من تراثِ المقاولِ

وأمسكتُ من أثوابه بالوصائلِ

لدى حيثُ يَفْضِي نُسكُه كلُّ قافلِ

بمُفضي السَّيولِ من أسافِ ونائلِ

....

علينا بشرّاً أو مُلحقِ باطلِ

ومن مُفترِّ في الدينِ ما لم نحاولِ

وعيرِ وراقٍ في جراءِ ونازلِ

وباللهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ

إذا اُكْتَفَوْهُ بالصُّحى والأصائلِ

على قَدَميه حافياً غيرِ ناعلِ

وما فيهما من صورةٍ وتمائلِ

ومن كلِّ ذي نذرٍ ومن كلِّ راجلِ

إلاَّ الى مُفضي الشَّراجِ القوابلِ

يُقيمونَ بالأيدي صدورَ الرِّواحلِ

وما فوقها من حرمةٍ ومنازلِ

سر

اعاً كما يَفْرَعَن من وقَعِ وابلِ

يؤمُّونَ قذفاً رأسها بالجنادلِ

تُجيرُ بها حُجاجُ بكرِ بنِ وائلِ

ورداً عليه عاطفاتِ الدلائلِ

....

وهل من مُعيدٍ يَتَّقِي اللهَ عادلِ

يُسَدُّ بنا أبوابُ تركٍ وكأبِلٍ (٢٢)

أخذ الشاعر حديث الشكوى عن العادل والعدل سبيلا للولوج إلى هذا النمط من الأداء، ليدلف من خلاله إلى بيان معاناته تجاه زعماء قريش، وهو يعاتبهم لكف أذاهم عن رسول الله (صلى الله عليه

وآله))

23).

بذل الشاعر في هذا الضرب من التقديم جهدا فنيا كبيرا بذكر تفاصيل المقدمة وأجزائها التي بلغت

ثلاثين بيتا

وفيها مال الشاعر الى التآني في وصف جزئياتها بعناية وإمعان شديدين، وامتزجت المعاني غير الإسلامية بالمعاني الإسلامية، فاقتبس من التعبير القرآني «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (24)» وجنح الى تعبيرات الحياة اليومية الإسلامية الجديدة: «أعوذ... من مفتر في الدين، وبالله ان الله ليس بغافل، مُعِيذٌ يَنْقِي اللهُ»، التي تزوجت مع المضمون الإسلامي الجديد للمقدمة، فمال الشاعر الى الحكمة؛ لانه يتروى في الامور ويتبع ما يرشده العقل والوجدان في محبته لرسول الله ونصرته، وموازرتة، والدفاع عنه، والذود دونه، ولا تأخذة أهواء العصبية الجاهلية في محاربة أعداء الرسالة، وإنما حمل نفسه على التجل بالصبير، فاستقطبت الشكوى الآثار النفسية لشاعر تجاه قريش المناهضين للدعوة الإسلامية وحاملها رسول الله (صلى الله عليه وآله). وقد أفضى هذا التقديم

- بعد أن تعوذ الشاعر بحرم مكة وبمكانه منها، تودد إلى أشراف قريش يخبرهم انه غير مسلم رسول الله ولا تاركة أبدا حتى يهلك دونه ومن قومه من بني هاشم وعبد المطلب ليمتد المضمون في تنمية القصيدة إلى الفخر بقومه، ومديح رسول الله إلى اخره. (25)

وهذا اللون من التقديم تأصيل لمضمون المقدمات الإسلامية، بمعنى تأسيس لمضمون أدبي لاحق سار

عليه شعراء الإسلام بعد أبي طالب، وهو التزام فني بالخط المناصر لرسالة الموسومة بالطابع الديني

الجديد.

- الطلل:

تعد المقدمة الطللية من اشهر المقدمات شيوعا في الشعر العربي قبل الإسلام وفيها يجد الشاعر متنفسا لما يختلج في خلده وبما يدور في ذاكرته من ذكريات تحمل الاسى والشجن الماضيين، يحاول الشاعر استعادتها بهذا القالب الفني في عمله الابداعي، على ان هذا التقديم له وشيجة بموضوع القصيدة الذي يكون الشاعر في صدد الحديث عنه.

وقد أرسى شعراء قبل الإسلام أصول هذا التقديم ورسومه الفنية، وحرصوا على المحافظة على

مقوماته في اقدم ما أثر في مطولاتهم، فألموا بمعظم تفصيلاته، وهكذا تباينت صورة الطلل في

مقدمات الشاعر الواحد؛ لأن كل افتتاح له مزاياه الخاصة التي تخالف الافتتاح الآخر.

ثم جاء الشعراء المخضرمون من بعدهم فحرصوا على ما يحاكونه من الشعر العربي الموروث،

فاحتذوا حذوه، فتصدت قصائدهم بهذا التقديم)

(26)، ولا فرق بين شعراء المدن وشعراء البادية في استيفائهم لمقومات المقدمة الطللية ، فشعراء المدن لم يستطيعوا التحلل من التقاليد الفنية البدوية المرسومة ، ولم يخرجوا عليها بحيث يبتدعون نظاما جديدا لمقدمات قصائدهم تغاير في نظامها مقدمات شعراء البادية.(27) ومن المعروف ان أبا طالب من شعراء المدن، فقد عاش في مكة التي تتسم حياتها بالاستقرار والثبات، وهذا الإطار الفني من التقديم المرتبط بحياة التنقل والترحال من مكان الى اخر سعيا وراء الكأ والماء، لا يتناسب مع حياة مكة المرتبطة اجتماعيا بحياة الحاضرة العربية، وحياة التمدن

والاستقرار، بيد أن أبا طالب لم

يعترف عن وصف الأطلال والديار تقليدا ومحاكاة لمقدمات غيره من شعراء البادية من باب المجاز؛ لأنه «لا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازا.(28)» وهذا الأمر يفسر قلة هذا الإطار من التقديم في قصائده الشعرية الذي كان الدافع الى هذا اللون من التقديم محاكاة الموروث الشعري الفني المرسوم، ولهذا جاز ان نقول ان هذا التقديم يتوافر فيه الصدق الفني، وليس الصدق الواقعي، فافتتح أبو

طالب قصيدته الميمية الفريدة بوصف الاطلال، وهو يفتخر ويشكو ظلم قومه(29)، فقال:

{من الطويل }

لمن أربَعُ أقوينَ بينَ القَدائمِ	أقْمَنَ بمدحاةِ الري
فكَلَفْتُ عينيَ البُكاءِ وِخْلَتني	اح الرِّمانم
وكيفَ بُكاني في الطُّلولِ وقد أتتْ	قد انزَفْتُ دمعي اليومَ بينَ الأصارِمِ
عَفارِيَّةَ حَلَّت ببولانِ حُلَّةَ	لها حَقَبٌ مُدُ فارَقَتْ أمَّ عاصِمِ
فدَعُها فقد شَطَّتْ بها عُربَةُ النَّوى	فِينبُعِ أو حَلَّتْ بهضِبِ الرَّجانِمِ
	وشَعَبٌ لَشَّتْ الحَيَّ غيرَ مُلائِمِ(30)

رسم أبو طالب صورة الطلل التقليدية واخضعها لاثار حديث الذكرى، ووجه عنايته الفنية

- التي دفعته الى الاطالة - الى الوصف الذي اتخذ اطار الاستفهام جزءا من طوابعه؛ لأن صيغ الاستفهام احدى مستلزمات المنهج الوصفي للطلل، وهو الاداة المحركة لتنشيط الذاكرة عند الشاعر، فحركت فيه الشجون والالم، ورأى الشاعر الرياح تعصف بالديار، فغيرت من معالم آثارها ومحتها، مما بعث في نفسه الشجن لفراق ام عاصم.

والمرأة هي البعد الثاني الذي يفضي اليه حديث الطلل، لقد فارقتها الشاعر منذ حقبة من الزمن محمدا

اماكن اقامتها ابتداءً بموضع الطلل الذي كانت تسكن فيه ام عاصم، وهو «القوانم»، ويتدرج إلى

أسماء الاماكن والمواضع التي حلت بها، فتخير منها «بولان، فحلَّة، فينبع»، او حلت بهضب

الرجائم؛ لانه غير متيقن من مكان صاحبتة الجديد، واكتفى الشاعر بهذا الحديث عن صاحبتة من أنها

من بني غفار، وحدد الأماكن التي نزل قومها بها، بيد ان ذكرها أجهد نفس الشاعر، ولكي يتخلص من معاناته ترك أمر ذكرها؛ لأنَّ البعد حال بينهما ليتخلص بعد ذلك الى عتاب قومه والشكوى منهم،

والفخر بنفسه في نصره رسول الله

(صلى الله عليه وآله) ومدحه له. (31)
إنَّ هذا اللون من التقديم استوعب تجربة الشاعر في حبه لعشيرته من بني غالب بن لؤي، وعزمه على مفارقتهم، لأنهم اعلنوا عداؤهم لرسول الله وتتحوا عن اتباعه)

(32) ففارقهم، وواصل مسيرته في نصرته وموازرتة، وقد دفعته عنايته الفنية بهذا التقديم بالمامه بتفاصيل الطلل، وذكر اغلب مقوماته في الوقوف عليه، والاستفهام عن اهله الراحلين عنه، وتقدم عهد الطلل به، وتعاور الرياح عليه، وذكر صاحبتة والمواضع التي كانت تسكنها مع قومها، والاماكن والمواضع التي حلت بها وانتقلت عنها؛ ليجد الشاعر متسعا من التنفيس عن معاناته التي ارتبطت بشكل وثيق مع قومه من بني غالب بن لؤي وعتابهم والشكوى منهم، وفي ذلك كله كان أبو طالب مستوعباً لتراث أسلافه. ومن الجدير ذكره أنَّ قصائد أبي طالب ذوات المقدمات تخلو من لوحة الرحلة، وهذه الظاهرة الفنية لا

يتميز بها شعر أبي طالب فحسب؛ وإنما شعر قريش

(33)، ويبدو أنَّ هناك بعض العوامل تضافرت في عزوف أبي طالب عن ذكر لوحة الرحلة بعد التقديم، ومنها النفسية والبيئية والاجتماعية.

إنَّ إغفال الشاعر عن لوحة الرحلة والولوج إلى موضوعه بعد التقديم ناتج من الحالة النفسية التي

يحياها الشاعر ساعة إبداعه الشعري التي جعلته يعزف عن ذكرها؛ لأنه ليس له حاجة بها، وان ذكر

لوحة الرحلة تتناسب مع شعر شعراء البادية اكثر من شعر شعراء الحاضرة، ومن المعروف ان

أباطال زعيم قومه وحاكمهم في مكة، فهو ليس من المادحين الذين رحلوا بشعرهم، وإنما مدح من

ارتبط به بصلة النسب ابن أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن ناصره ووقف الى جانبه وهم

من أهل مكة ومن حق الشاعر ان يختار القالب الفني الذي يتناسب مع طبيعة انماط موضوعاته

الشعرية المتطورة والجديدة التي هو في صدد الحديث عنها، فوجد في اختزال لوحة الناقة انجازا

يخدم عمله الشعري، فلم يلتزم بهذه التقاليد الفنية المرسومة للوحة الناقة.

- الغرض:

يعد الغرض الركيزة الاساس لبنية القصيدة، فهو الجزء المهم من اجزائها التي استوعبت الحدث

الباعث لفن قول الشعر، وفيه خلاصة تجربة الشاعر الآنية، وقد تتباين الموضوعات المطروقة في

شعر الشاعر الواحد لتباين تجاربه وانفعالاته.

ان قصائد أبي

طالب ذوات المقدمات نهضت بمهمة الغرض غير المباشر، وفي الوقت نفسه جاءت القصائد المباشرة تنويجاً للجهود الفني المبذول في عزوفه عن التقديم للقصيدة تبعا لبواعثه النفسية وتجاربه الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها.

ويسلك أبو طالب انواعا مختلفة في بناء قصائده منها ما يضم موضوعا واحدا في بنائها سواء أكان

تقليديا ام متطورا أم متجدداً ينصرف فيه لوجه واحد من فن القول،

ويدعى بالغرض البسيط(34)، ومنها ما يضم اكثر من موضوع في القصيدة الواحدة في بنائها، لانصراف الشاعر فيها لأكثر من وجه في فن القول ويدعى بالغرض المركب(35)، وهاتان الظاهرتان الأدبيتان للبناء الفني نجدهما في القصائد ذوات المقدمات والقصائد المباشرة في آن معا. وتدخل ضمن القصيدة المباشرة المقطعات المستقلة بذاتها، والاراجيز، فهما يندرجان ضمن هيكل بناء

القصيدة المباشرة؛ لانهما يمثلان مظهرا من مظاهر وحدة الموضوع في الاداء للمزايا التي يقومان

عليها، فكلاهما من نتاج لحظة الانفعال السريع، ولنزوعهما من التقديم.

- بناء تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة:

اقتربت قصيدة المديح بنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعوته الإسلامية وموضوعها جزء لا

يتجزأ من بناء القصيدة العام بيد أنها ضمت في الوقت نفسه عددا من الموضوعات التقليدية

المتباينة، فارتدت حلة جديدة ضمن التزام أبي طالب لنمط فني في بناء اطارها لم يكن معهودا قبله

عند غيره من الشعراء.

إن تعدد الموضوعات الشعرية داخل بناء القصيدة التي اصابتها التطوير والتحوير والتغيير تارة،

والتجديد تارة اخرى، تشكلت في بناء القصائد ذوات المقدمات وعلى انماط مختلفة في الترتيب نتبين

احدى هذه الانماط على سبيل التمثيل في إنموذج القصيدة اللامية التي تتدرج فيها الموضوعات

الاتية: النصر، والعتاب، والمديح، والفخر

مه

د أبو طالب في قصيدته اللامية بثلاثين بيتا في الشكوى والاستعاذة بحرم بيت الله، وبمقدسات قريش والعرب جميعا، واحتلت لوحة الغرض واحدا وثمانين بيتا تقاسمتها فنون الشعر المختلفة من نصرة رسول الله والمديح، و الفخر، والعتاب.

إن خشية أبي طالب من أن تعاضد العرب قريشا على قتل رسول الله

(صلى الله عليه وآله) كان السبب في انشاء القصيدة أيام حصار قريش لبني هاشم وعبد المطلب المؤيدين

والمناصرين لرسول الله ودعوته في شعب أبي طالب، ويشمل بناء غرض القصيدة ما يأتي: تصدرت القصيدة بعد التمهيد لها بنصرة أبي طالب وأهله وعشيرته المقربين والحماة لرسول الله

ولرسالته، فهم سيبقون مقيمين في مكة يقاتلون دون نبي الله بسيوفهم ورماحهم مداومين على

نصرته حتى فناء آخر فرد منهم ضد أعدائه ويتقدمهم فتى شريف وسخي وشجاع انه الأمين على الحريم والذمار محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أن الحرب لو بدأت ستدوم شهورا وأياما وسنين حتى تضع الحرب أوزارها ويفتح الله عليهم بالنصر، فقال:

{من الطويل }

كذبتُم	ونظعنُ، الا أمرُكم في بلايلِ
- وبيتِ الله - نترك مكة	ولما نطاعنُ دونه ونناصلِ
كذبتُم - وبيتِ الله - نبرا محمداً	ونذهلُ عن أبنائنا والحلائلِ
ونسلمه حتى نصرع حوله	نهوض الروايا تحت ذات الصلاصِلِ
وينهض قوم في الحديد إليكم	من الصغن فعل الأتكب المتحاملِ
وحتى يرى ذو البغي يركب رذعه	لتلتبسُن أسيافنا بالأمائِلِ
وإنا لَعمرُ الله إن جد ما ارى	أخي ثقة حامي الحقيقةِ باسلِ
بكف فتى مثل الشهاب سميذع	علينا وثاني
شهورا وإياماً وحولاً مجرماً	حجة بعد قابلِ
وما ترك قوم - لا أبا لك - سيذاً	يحوط الذمار غير ذرب مؤاكلِ (٣٦)

حشد أبو طالب كثيرا من التفصيلات التي سردها في اطار فني في حفاظه على رسول الله وتحديه لقريش، ومقاتلتهم فيما لو أشعل فتيل الحرب بين عشيرة الرسول وبين اشراف مشركي قريش، وكان هذا التمهيد في فداء رسول الله والذود عنه سبيل أبي طالب الى بيان معجزته في مديحه لبيبين صدق دعواها التي يعرفها مشركو قريش، فبوجه رسول الله يُستسقى الغمام، وهو ملاذ الفقراء والمساكين من بني هاشم فقال:

{من الطويل }

وابيضنُ يُستسقى الغمام بوجهه	ربيع اليتامى عصمة للأراملِ
يلوذُ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضلِ

(٣٧)

لم يطل أبو طالب في مديح رسول الله؛ لأنه في صدد بيان حجته على تأييده ونصرته؛ ولأنه مشدود بوعيه لمخاطبة اشراف قريش معاتبا لهم في استمرار عداوتهم له ولرسول الله، واصرارهم على هذا الامر، فقال:

{من الطويل}

لعمري لقد أجرى أسيّد ورهطه
جَزَتْ رَحِمٌ عَنَا أَسِيداً وَخَالِداً
وعثمان لم يربّع علينا وقُنُفُذُ
أطاعا بنا الغاوينَ في كلِّ وجهه
كما قد لَهَبْنَا من سُبَيْعٍ ونوفلٍ
فإن يُقْتَلَا أو يُمكن الله منهما
وذاك ابو عمروٍ أبي غير مغضبٍ
يناجي بنا في كلِّ ممسىٍّ ومصبحٍ
ويُقسِمنا بالله ما إن يعشنا
أضاقَ عليه بُغضنا كلَّ تلعةٍ
وسائلُ أبا الوليد ماذا حَبَوْنَا
وكنتَ امرءاً ممن يُعاش برأيه
وغتَبُهُ لا تسمع بنا قولَ كاشِحٍ
وقد خُفْتُ إن لم تزدجرهم وترعوا
ومرَّ أبو سفيان عني مُعرضاً
....
ولا عند تلك المُعظَماتِ الجلائلِ
الى جدلٍ من الخصومِ المساجلِ
وإني متى أوكلُ فلستُ بأيلٍ
عقوبةً شرّاً عاجلٍ غير آجلٍ
له شاهدٌ من نفسه حق عادلٍ
....
أُطعِمُ لم أخدلك في يومِ نجدِةٍ
ولا يومِ قِصمٍ إذ أتوكَ ألدَّةً
أُطعِمُ أن القومَ ساموكَ خُطَّةً
جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً
بميزانٍ قسطٍ لا يغيضُ شعيرةً

(٣٨)

اشبع ابو طالب موضوعه كثيرا من الجزنيات المفصلة لمواقف الاشخاص الفردية او الجماعية في تألبهم لعداء رسول الله، ودعوته الإسلامية في اطار فني محكم ومتسلسل، فوجه خطابه الى اشراف قريش بذكر اسمانهم واحدا واحدا، متوددا ومعاتبا تارة، وداعيا عليهم بشر اعمالهم وسوء افعالهم

تارة اخرى، وكان من دواعي هذا الامر ان يلج الى موضوع الفخر لنلا يظن اشراف قريش ان ابا طالب في عتابه وتودده لهم انه في حال من الضعف والانكسار، ولا سيما ان مكوثهم في الشعب قد

طال

أمدّه؛ فكان الفخر والزهو بمثابة المعادل الموضوعي لذلك؛ ولكي يحقق سلسلة الاتصال في اندماج الموضوعات التي يفرض بعضها الى البعض الاخر ضمن البناء العام للقصيدة، فخر الشاعر بأصالة نسبه الهاشمي، وبمكائنتهم الاجتماعية في توليهم الوظائف الادارية فقال :
{من الطويل}

ونحنُ الصَّمِيمُ من ذُوابةِ هاشِمٍ
وكان لنا حوضُ السَّقايةِ فيهم
وآلِ قَصِيٍّ في الخطوبِ الاوائلِ
ونحنُ الذُّرى منهم وفوق الكواهلِ)

(٣٩)

كان أبو طالب ثقيل النفس على اشراف قريش الذين تألبوا في عدائهم لرسول الله ولناصره فبعد عتابه لاشراف قريش ومفاخرته بمكانة الهاشميين السامقة فيهم، وجد انه لم يستكمل عتابه مع بقية بطون قريش؛ ليحقق الصلة في تلاحم سلسلة موضوعات القصيدة)

(40)، فقال معاتباً إياهم:
{من الطويل}

وسهْمٌ ومَخزومٌ تَمالوا وألَبوا
وشايظُ كانت في لويِّ بنِ غالبِ
علينا العدا من كلِّ طفلٍ وحاملِ
ورهُطُ نُفيلٍ شرٌّ مَنْ وَطىءَ الحصى
نفاهم إينا كلُّ صقرٍ حُلاجلِ
فَعَبْدُ مَنْافٍ أنتم خيرُ قومكم
والأم حافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ
فلا تشركوا في أمركم كلِّ واغلِ)

(٤١)

ويبدو ان القصيدة نظمت في وقت متأخر من حصار الشعب الذي امده ثلاث سنين)

(42)، والذي يعارض رأينا أنّ زهير بن أبي أمية أول من سعى الى نقض الصحيفة (43) قبل انتهاء مدة الحصار، فمدحه أبو طالب ثناءً لعمله، وليوازى بين فعل زهير الجليل وعمل بطون قريش حين اجتمعت على المقاطعة، وليحقق الصلة بين أجزاء بناء القصيدة العام، فمدحه شكراً وعرفانا لصنيعه، فقال:
{من الطويل}

فَنعم ابنُ أختِ القومِ غيرِ مُكذِّبِ
زهيرٌ حَسامٌ مُفردٌ من حمائلِ
أشمٌ من الشَّمِّ الطوالِ إذا انتمى
ففي حَسَبِ في حومةِ المجدِ فاضلِ(٤٤)

ولم يستوف

○ أبو طالب مديح رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ما مضى؛ لانه كان في معرض بيان معجزته لمشركي قريش، فوقف مادحا في بيان حبه وكلفه ووجده به، والاشادة بفضائله في حلمه ورشده وعدله وموالاته لله وحده، وبما اصطفاه الله بالتأييد والنصرة، فقال:

{من الطويل}

لعمري لقد كَلَفْتُ وَجداً بأحمدٍ
وأخوته دأبَ المُحِبِّ المواصلِ
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
وريناً على رِغَمِ العدوِّ المُخَابِلِ
فمن مثله في الناس أومن مُؤَمِّلٍ
إِذا قايِسَ الحُكَّامِ أهلَ التَّفَاضِلِ
حليمٍ رشيدٍ عادلٍ غيرُ طائشٍ
يُوالي إلهاً ليس عنه بذاهلٍ
فأيده ربُّ العبادِ بِنَصْرِهِ
وأظهر ديناً حَقَّهُ غيرِ ناصِلِ)

(٤٥)

ومن الاضافات التي حملتها هذه الجزئية من الغرض المعاني الدينية، فرسول الله موالى إله لا يغفل عنه، وانه مؤيد منه بالنصر في اعلاء دينه، وهذه المعاني تحمل التقريع لاسماع اهل مكة من ان رسول الله مؤيد بالنصر من عنده سواء أكانوا معه أم عليه فضلا عن أن المديح النبوي من الموضوعات الجديدة التي أدخلت في هذا الاطار الفني في القصيدة.

ومديح رسول الله يفضي الى مديح بني هاشم وعبد المطلب الذين حاموه وايدوه ونصروه من اعدائه؛ لأنهما من شجرة واحدة، ومن هنا امتزج المديح بالفخر بهم لنصرتهم رسول الله، ومن خلال هذه الصورة ينطلق صوت الشاعر بفخره الفردي في فدائه وحمائته ودفاعه بنفسه دون النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو يتوعد اعداء الرسالة بالنصر القريب، فمما لا ريب فيه ان الله رافع امر النبي ومعليه في الدنيا ويوم الاخرة، وهذا تصديق لرؤيا جده عبد المطلب وأبيه عبد الله في بشارتيهما في رسول الله، فقال:

{من الطويل}

رجالٌ كرامٌ غير ميلٍ نماهم

إلى العزِّ آباءٌ كرامٌ المحاصيل

شبابٌ من المُطَلِّبِينَ وهاشمٍ

كبيضِ السيوفِ بين أيدِ الصِّياقِلِ

ولكنَّا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ
سيعلمُ أهلُ الصَّنَعِني أَيْي وأْيهم

بهم يعتلي الاقوامُ عند التَّطاولِ
يفوزُ ويعلو في ليالٍ قلانلِ

وأْيهمُ مني ومنهم بسيفه

يلاقى إذا ما حانَ وقتُ التَّنازلِ

ومن ذا يملُّ الحربَ مني ومنهم

ويحمدُ في الأفاقِ من قولِ قائلِ

فأصبحَ منَّا أحمدُ في أرومةِ

تُقَصِّرُ عنها سورةُ المتطاولِ

كأني به فوق الجيادِ يقودُها

إلى معشرٍ زاغوا إلى كلِّ باطلِ

ووجدتُ بنفسِي دونهُ وحميتُهُ

ودافعتُ عنه بالطلِّي والكلاكلِ

ولا شكَّ أن الله رافعُ أمره

ومُغْلِبُهُ في الدنيا ويومُ التَّجادلِ

كما قد أري في اليومِ والأمسِ جدُّه

ووالدُهُ رؤياهما غير آفلِ(٤٦)

استوعبت وحدة الغرض المواقف النفسية للشاعر فعبير عن صدق انفعاله فيها، فهو الناصر لدين رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمعاتب لاشراف قريش وبطونها؛ لتألبهم على رسول الله ودينه، وعشيرته المؤيدين له، والمفتخر بهم، والحامي والمدافع والذاب عن ابن أخيه، ثم يختم وحدة الغرض بما يُشترُّ به جده عبد المطلب ووالده عبد الله، فجاءت وحدة الغرض متلاحمة في بنائها الفني العام، تتبين فيها مهارة الشاعر الابداعية في عرضه لفنون الشعر بألوانه المختلفة، فامتازت القصيدة ببراعة فن القول، وبلاغتها في تأدية المعنى المقصود، وجودة سبكها وقوة تلاحم نسيج بنائها، مما جعل ابن سلام يصف إبداع أبي طالب الفني بقوله: «كان أبو طالب شاعرا جيِّد الكلام، ابرع ما قاله

قصيدته التي مدح فيها النبي (صلى الله عليه وآله):....{البيت}»

(47)، وجعلها ابن الاثير أفحل من المعلقات السبع، فقال: «هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع يقولها إلا

من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعا.(48)»
ان ما حمل ابن سلام وابن الاثير على هذا الوصف للقصيدة اللامية هو تلاحم بنائها وترتيبها على

وفق نظام متزاج بين مضمون القصيدة والفكرة ووحدة الشعور أي بأحكامها للوحدة العضوية التي

يتضح فيها جهد الشاعر الفني المتقن الذي بذله في انجاز عمله.

وسار أبو طالب على منهج بناء الأغراض المتعددة في قصيدة المديح المتزوجة مع موضوع النصر

في بقية قصائده ذوات المقدمات)

(49) الذي أحكم بناءها بما حقق له الترابط في وحدة الموضوع وتناسقها مع بنائها الفني العام.
ثانياً: بناء القصيدة المباشرة والمقطوعات:

اعتاد الشعراء الولوج مباشرة الى موضوع القصيدة، فهي من انماط البناء الفني حيث «يهجم

{الشاعر} على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة)»

50).

إن اختيار الشاعر للدخول المباشر الى موضوعه ناتج من الانفعال النفسي المتصاعد؛ لأن هذا

الانفعال لا يسمح له بالتأمل والتأني ليضع تمهيدا يفتح به أثره الإبداعي، ولأنه يجد في الولوج

لموضوعه ارضاء لنزعه الانفعالية وهو ازاء تجربته الآتية التي لا تحتمل التقديم لها، وقد حدد ابن

رشيق القيرواني الغرض بأنه يتحكم في الاتجاه الفني لبناء القصيدة، فليس «من عادة الشعراء ان

يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء)»

51) وهذا الكلام يحمل على التجويز، فمن حق الشاعر اختيار الهيكل البنائي المناسب لأثره الفني الذي يستوعب تجربته الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها، فقد درج الشعراء على اختيار الهيكل الفني المنزوع التقديم في فنون الشعر المختلفة في المديح(52)، والهجاء(53)، والعتاب(54)، والحادثة المعينة (55) إلى اخره من الموضوعات التي تتطلب المعالجة السريعة في القول.(56) بلغ عدد القصائد المباشرة في شعر أبي طالب اثنتين وثلاثين قصيدة

57)، اخضعها للمعالجة الفنية في سرعة الاداء، ويسلك أبو طالب في هذا اللون من الأداء انماطاً متباينة في بناء القصيدة المباشرة، منها ما يضم غرضاً واحداً في بنائه وهو ما يسمى البناء البسيط، ومنها ما يتفرع من الغرض إلى موضوعات أخرى، ويسمى البناء المركب، اللذان سبق ان ذكرناهما آنفاً، لأن هذه الموضوعات لم تعد مستقلة بذاتها، فكما ان التحوير والتغيير والتطوير والتجديد أصاب شعر أبي طالب في فنونه المختلفة، كذلك الحال في بناء هذه الفنون ضمن بناء القصيدة العام. إن الأداء المباشر في الأثر الفني هو نتاج المؤثرات النفسية والبيئية والاجتماعية والسياسية، وهو

تابع لقوة هذه المؤثرات التي خضع لها الشاعر وهو ازاء تجربته الشعرية المنجزة ، فأثرت في

ابداعه الفني بهذا التغيير الذي طرأ على القصيدة المباشرة.

أ

- بناء الغرض البسيط:

حفل شعر أبي طالب بهذا اللون من البناء بتسع عشرة قصيدة

58)، وهو يعالج فناً واحداً من فنون الشعر الذي قيل في الجاهلية، أو في صدر الإسلام، ومنها قصيدته «الحانية» التي أخضعها الشاعر الى المعالجة السريعة في بنائها الفني، فبلغت عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً تضمنت قصة عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص (59) التي فشت في مكة، فبلغت أبا طالب ، فقال:

{من الطويل }

وَفَعَلَكِ يَا عَمْرُو الضَّلَالَةَ أَقْبَحُ

أَتَانِي حَدِيثٌ عَنْ عِمَارَةَ مُخْزِيٍّ

عَلَى فَجْرَةٍ تَنْثِي عَلَيْكُمْ وَتُفْصِحُ

تَصَاحِبُنَا

- لا بارك الله فيكما -

وز

سقيت الفتى خمراً فأفسدت عقله

وجتتك الحسنى اليه تلوخ
وأنت عيَاءً أصفر اللون أفلح

رأت رجلاً من اجمل الناس مُنتش

فطالبها جهراً بما ليس يصلح

أذنت لها من قبلة من جبينها

ولكن تداعك الرجال وأقبح

فلو كنت يا ابن العاص حراً قتلته

فألقاك في التيار واليَم يطفح

وكان الفتى طباً بما كان منهم

وما كنت ذا علمٍ بأنك تسبح

وقال اعتذاراً: ما أردت سلامة

ومازال للنكراء صدرك أقلح

فداهنته فعمل الذليل مهانة

فصادفها بالبضع للجهل تسمع

فدب إلى عرس النجاشي بجهده

وجاعك بالدهن الذي كان يمسح

وخبرك المشؤوم ما كان منهما

مساءً وتحبوه به حين يصبح

على عارضيه حين يدخل بيئها

إليه به وأنت في ذاك مُفلح

فأورطته عند النجاشي ساعياً

يُقَطِّعُ أجواز الفلاة ويكدح (٦٠)

فصبره بين الوحوش بسحره

إنَّ أسلوب ملامح السرد القصصي حقق تلاحماً فنياً تاماً في بناء القصيدة وكان أبياتها حلقات متصلة

بعضها مع البعض الآخر بشكل منسجم في هيكلها، وفيها يعبر الشاعر عن صدق إحساسه في استنكاره بشدة واستهجانته لعمل عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص، لان فعلهما يستهجنه العُرف والعادات والتقاليد العربية، فكانت القصيدة مستوفية لعناصر بنائها ومتلاحمة الأجزاء على وفق قصائد أخرى ظفرنا بها في ديوانه)

61).

وتندرج ضمن هذا الضرب من البناء المقطوعة، لأنها وحدة مستقلة بشكلها تحتوي على وحدة موضوعية، وتعالج موضوعاً واحداً لا يتفرع إلى غيره من الموضوعات الجانبية كما ذكرنا آنفاً والمقطوعة هي «الأبيات القليلة التي يقولها الشاعر في مناسبة معينة»

62) ويدخل في إطارها البيت الواحد والبيتان، ويرجح أنهما من مقاطع بقايا قصائد ضائعة. والمقطوعة من الظواهر الأدبية في الشعر العربي التي غدت قالباً لبعض فنون الشعر ذات الصلة الأكثر من غيرها من القصيد تتطلبه السرعة في القول والسرعة في إيصاله لأذهان السامعين،

والإيجاز، وعدم المبالغة والإسراف)

63).

وفي نظرة فاحصة في شعر أبي طالب يتبين أن السمة الغالبة في بناء أشعاره المقطوعات التي تشكلت في فنون الشعر المختلفة في الرثاء والحامسة والفخر والمديح والتعريض والعتاب والنصيحة والحكمة والنصرة والحادثمة المعينة الى غير ذلك، وبلغ عددها ثمانى وخمسين مقطوعة)

(64)، ومنها ما يفخر الشاعر بنفسه، فقال :
{من مجزوء الرمل}

أنا يومَ السَّلمِ مكفَى يَّ ويومَ الحربِ فارسُ

حين ما للخُمسِ عاظسُ (٦٥)

أنا للحمسة أنف

وعلق الجاحظ على هذه المقطوعة ما نصه : «وقال أبو طالب قولاً هو اجمل واجمع وأرجح من قول الجميع، وذلك انه قال وفَسَّر... {البيتان}، فزعم كما ترى انه إذا كان في السلم فهو لا يحتاج مع الكفاية الأعوان إلى ابتذال نفسه في حوائجه، وإذا كان في الحرب فهو فارس يبلغ جميع إرداته)»

(66)، وهذا يعني ان أبا طالب على الرغم من خضوعه للسرعة في القول، بالغ في عنايته لربط اجزاء الفكرة وتعليلها وانسجامها مع وحدة الشعور، وبلاغته في تأدية المعنى المقصود في قالب بنائي متماسك ومترايط ببراعة فنية استوعبت تجربته الأنبية في عمله الفني.
ويلجأ أبوطالب إلى الإيجاز

والسرعة في الأداء لما قعدت قريش برسول الله(صلى الله عليه وآله) في القبائل بالمواسم وزعموا انه ساحر،
فقال:

{من الكامل}

زعمت قريشُ أنَّ أحمدَ ساحرٌ كذبوا وربَّ الراقصاتِ الى الحَرَمِ
ما زلتُ أعرِفُهُ بصدقِ حديثهِ وهو الأمين على الحرائبِ والحَرَمِ
بَهتوهُ لا سُدِّدوا بقطرِ بعدها ومضتْ مقالَتُهُم تسييرُ إلى الأَمَمِ

(٦٧)

إن انفعال الشاعر تجاه أقاويل قريش المزعومة لا تسمح له بالتأني والتأمل والإطالة وإنما أثرت فيه روح الانفعال في الرد السريع على أقاويلهم بموجز القول، لان الموقف يتطلب هذا الإطار البنائي الفني الذي استوعب تجربة الشاعر وصدق احساسه ومشاعره تجاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستنكاره لتأويل أقاويل قريش الباطلة فيه.

ب

- بناء الغرض المركب:-

توافرت في قصائد أبي طالب وحدة موضوع القصيدة، «ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى خاتمة

يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على ان تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها،

ويؤدي بعضها الى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر) »

(68) اللذين يجمعها الترابط والانسجام، بيد أن الموضوع الرئيس الذي من اجله انشئت القصيدة قد يتفرع إلى موضوعات أخرى، وهو ليس التعدد في الموضوع وإنما هو تفرع من أغراض الموضوع الرئيس (69)، مما استدعت تسميته ببناء الغرض المركب.

ويبلغ عدد القصائد المباشرة في شعر أبي طالب القائمة على بناء الغرض المركب ثلاث عشرة قصيدة)

(70).

ومنها قصيدته الميمية التي بلغ عددها عشرة أبيات ، يحرض الشاعر فيها أخاه أبا لهب على نصره

رسول الله

(صلى الله عليه وآله) حينما دافع عنه بنو مخزوم في استجارته لأبي سلمة، فطمع أبو طالب بأخيه أبي لهب أن يقوم معه في الدفاع عن رسول الله وحمايته له (71) فقال :
{من الطويل}

لفي مبدُحٍ من أن يُسَامَ المظالمَا

إنَّ امرءاً أبو ع

أبا مُعْتَبٍ تَبَّتْ سَوَادُكَ قَانَمَا

تَيْبَةً عَمُّهُ

أقولُ له - واينَ منه نصيحتي:

تُسَبُّ بِهَا إِمَا هَبَطَتِ المَوَاسِمَا

وَلَا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ خُطَّةُ

فإِنَّكَ لَمْ تُخَلِّقْ عَلَى العَجْرِ جَائِمَا

وَوَلَّ سَبِيلَ العَجْرِ - وبيك - منهم

أخَا الحربِ يُعْطِي الخُسْفَ حَتَّى يُسَالِمَا)

وَحَارِبٍ فَإِنَّ الحربَ نَصْفٌ وَلَنْ تَرَى

(72)

وتفرع حديث أبي طالب في حثه لأخيه أبي لهب ونصحه له في دعوته لنصرة ابن أخيه رسول الله

(صلى الله عليه وآله) فقاده الحديث بتسلسل منطقي إلى معاتبته مستنكرا عداوته لقومه، وهم لم

يحاربوه، ولم يخذلوه، على أية حال سواء أكان رابحا أم خاسرا، فقال:

{من الطويل }

ولم يخذلوك غارماً او مُغَارِمَا)

فكيف ولم يجنوا عليك جناية

(73)

إنَّ معاداة أبي لهب لرسول الله وأهله الناصرين له كانت بسبب ما أثارته الأحياء القريشية من

معارضة وفتنة، ففرقت جماعاتهم مما أثار حفيظة الشاعر في الدعوة عليهم لعقوقهم وأثامهم

معرضا بهم فقال:

{من الطويل }

وتيماً ومخزوماً عقوقا

جزى الله عنا عبدَ شمس ونوفلاً

بتفريقهم من بعد ودِّ وألفه
وماثما
جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا المَحَارِمَا
أطاعوا ابن ذكوان وقيسا وديسماً
فَضُّلُوا وَدَقُّوا لِلْمَلَا عِطْرَ مَنْشَمَا (٧٤)

إنَّ سعي بطون قريش، وعزمهم على قتل رسول الله، كان حقاً على أبي طالب أن يجهر بصوته
للحفاظ عليه وحياطته متوعدا إياهم بملاقاتهم التي لا يقوم لها قائمة، فقال في الخاتمة:

{من الطويل}

كذبتم وبيت الله يُبْزَى مُحَمَّدٌ
ولمَّا تروا يوماً لدى الشَّعْبِ قَانَمَا)

(٧٥)

عالجت القصيدة المباشرة موضوعاً

واحداً في الحث على نصره (رسول الله صلى الله عليه وآله)، بيد أن الموضوع الرئيس تفرع إلى وحدات موضوعية تقاسمتها النصيحة، والحث على النصر، والعتاب، والتعريض، والتوعد والنصرة في ترتيب متسلسل يخدم غاية الشاعر وفكرته المرتبطتين بالموضوع الرئيس، والتفرع البنائي منسوج ببناء محكم اظهر الشاعر فيه إتقان فني معالجة الوحدات المتفرعة ضمن بناء القصيدة العام من خلال تنميته «لأقسام القصيدة تنموية عضوية بحيث ينشأ كل جزء من سابقه نشوعاً طبيعياً مقتعاً ويستدعي الذي يليه استدعاء حتمياً حتى تتكامل أجزاء القصيدة وتشملها عاطفة واحدة (76)»، على نحو قصائد أخرى خبرها أبو طالب بهذا البناء الفني بألوانه المتعددة في الديوان. (77)

فقد انماز قسم من هذه القصائد بأنه رسائل شعرية مرسلة إلى قومه، متخذاً من التعبير المباشر في

عزوفه عن التمهيد وسيلته إلى هذا الأسلوب من التبليغ بإطار متناسق في نمو أبيات القصيدة،

ومنسجم من بعضها؛ لتشكل نمطاً بنائياً فنياً يوظر به عمله الأدبي.

الرجز:

الأرجوزة: هي وحدة موضوعية في بناء متلاحم تقوم على تواشج العلاقات بين الأبيات المشطورة

، وكان العربي يقول الرجز بديهة وارتجالاً في المناسبات المختلفة والمواقف المتباينة من حياته ال

تي يحياها معبرا عن صدق انفعاله، وخلاصة تجربة معينة بأبيات موجزة ومشطورة، وبعيدة عن المبالغة، ومتماسكة في بنائها، وقد عالجت موضوعاً واحداً ضمن بناء الغرض البسيط في بنائها الفني، أو موضوعاً يتفرع إلى موضوعات أخرى ضمن بنائها الفني العام في بناء الغرض المركب.

أ

- بناء الغرض الواحد (البسيط):

عالج أبو طالب موضوعاً واحداً ضمن البناء الفني للأرجوزة التي بلغ عددها في شعره تسع (ارجيز)

(78)، ومنها الأرجوزة التي تضمنت ستة أبيات مشطورة، يفخر أبو طالب فيها بإعادة بناء الكعبة، وذلك عندما اختلفت قريش في أيهم يرفع الحجر الأسود بعد بنائها، فأشار أبو أمية بن المغيرة بأن يتخذوا أول من يدخل الباب حكماً يحتكمون إليه في هذا الأمر، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله (-) وكان ذلك قبل بعثته - فرضوا به لأنه الأمين، فبسط رداءه، ثم وضع الحجر فيه، ثم أمر كل ربع من أرباع قريش أن يأتي فيرفعه، ثم وضعه بيده في موضعه (79)، والى هذه الحادثة أشار أبو طالب بقوله:

{من الرجز}

إن لنا أوله وآخره

في الحكم والعدل الذي لا ننكره

وقد جهدنا جهده لنعمره

وقد عمرنا خيرته وأكبره

فإن يكن حقاً ففينا أوفره

لما وضعنا إذ تماروا حجرة)

(٨٠)

ونلمح في بناء اجزاء الارجوزة ترابط العلاقات بين ابياتها المشطورة والمتلاحمة في تناسق فني مع مضمونها، ووحدة الشعور بالزهو والفخر في ادارة بيت الله، فهم اهل الحكم والعدل، وهم القائمون على عمارة البيت، ولهم شرف وضع الحجر الاسود، ولهذا كله، فهم اصحاب الحق الوافر فيه. إن براعة الاداء المتقن الواضح الذي جنح الشاعر فيه الى التفصيل والتفسير بهذه الوحدة المنظمة والمتكاملة في مقومات بنائها التي عبرت عن لحظة شعورية صادقة ازاء احد الاحداث التي مر بها الشاعر، تمثلت بخلاصة تجربته بهذا العمل الفني المنجز.

ب

- بناء الغرض المركب:

وتندرج ضمن هذا الإطار البنائي الأراجيز ذوات النموذج الفني الذي يحمل موضوعا واحدا متفرعا الى موضوعات جانبية تلتقي بالموضوع الرئيس، وهذا النمط من البناء اشبه بالنهر الذي يتفرع الى فروع عديدة صغيرة ليصب في مجرى النهر الواحد، ففروعه كلها لها وشائج نابغة من النهر نفسه وتعود اليه.

وعلى الرغم من قلة الأراجيز الطويلة في شعر أبي طالب لانعدم أن نجد ثلاثاً منها طويلة)

(81)، بلغت فيها غاية بنائها الفني المقصود في تطويرها وتطويلها، فقد بلغ عدد أرجوزته البانية ثلاثة وعشرين بيتا مشطورا التي عالج فيها أبو طالب موقفا انسانيا بعاطفة صادقة استقطبتها تجربته الشعرية ساعة رجزه عندما أراد والده عبد المطلب أن يذبح شقيقه عبد الله والد الرسول (صلى الله عليه وآله) وفاءً لنذر عليه، فقال أبو طالب ناهيا إياه:

{من الرجز }

كَلَّا وَرَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْأَنْصَابِ

وَرَبِّ مَا أَنْضَى مِنَ الرِّكَابِ

كُلُّ قَرِيبِ الدَّارِ أَوْ مَنَابِ

يَزُورُ بَيْتَ اللَّهِ ذَا الحُجَابِ

مَا قَتَلُ عَبْدُ اللَّهِ بِاللَّعَابِ

(٨٢)

ويسعى الشاعر على تنمية أجزاء أرجوزته، فكلامه السابق يترتب عليه مدح أخيه لبيان منزلته فيشيد

بعراقة أصله من جهة أبيه وأمه، وكأن الشاعر يريد أن يحرض أخواله على أبيه ليمنعوه من ذبح

أخيه فقال:

{من الرجز}

من بين رهطٍ عصبيةٍ شباب

ابن نساءٍ سطةٍ الأتساب

أغرَّ بين البيض من كلاب

وبين مخزوم ذوي الأحساب

أهل الجياد القُبِّ والقباب

(٨٣)

فهب خاله المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مخاطبا عبد المطلب «والله لا

تذبحه أبداً حتى نُعذر فيه فإن كان فداءً فديناه بأموالنا(84)» ، ثم اهتدى أبو طالب إلى حل يخرج منه من هذه الأزمة، فإذا كان أبوه عازماً على أمر، فعليه بقرع القداح ليتبين له الأمر، ولكي يسقط الذنب عن الجميع

:

{من الرجز}

لستم على ذلك بالأذنب

حتى تذوقوا حمسَ الضراب

بكلِّ عصبٍ ذائبٍ اللعاب

ذي رونقٍ في الكفِّ كالشهاب

تلقاه في الاقرا ن ذَا أُنْدَابِ

إن لم يُعجَلْ أَجَلُ الكِتَابِ

(٨٥)

ويحاول الشاعر أن يقتنع أباه متوسلاً سبيل النصيحة في خطابه له، ومحدراً إياه ما سوف يفعله أخواله ان قتل ابنه، ولأن فعل ذلك سيكون سنّة من بعده في أن يذبح الرجل ابنه ما بقي الناس على ذلك:

{من الرجز}

قلتُ

- وما قولي بالمعاب :-
يا شبيب إنَّ الجورَ ذو عقاب
إنَّ لنا إن جرت في الخطاب

أخوالُ صدقٍ كأسود الغاب

لن يسلموه الدهرَ للعذاب

حتى يمصَّ القاعُ ذو التراب

دماءُ قومٍ حُرِّمِ الأسلاب (٨٦)

حقق أبو طالب الانسجام بين أقسام الأرجوزة، الموزعة بين النصيحة، والمديح، والإرشاد، والتحذير التي أظلمها الانفعال المحموم والعاطفة المشبوبة المتشكلان في نسيج وحدة الموضوع الرئيس، ويبدو أنّ أبا طالب قد خطى بالأرجوزة خطوة متقدمة نحو تطويلها وتطويرها اللذين بلغ فيهما النضج الفني في إتقان الأداء، وجمال الأسلوب، وجودة الصياغة، وبراعة الصور التشبيهية، وهي محاولة جادة في مسار بناء الأراجيز التي تحاكي القصيد من ناحيتي الموضوع والفن، ونهج أبو طالب المنهج نفسه

في الأرجوزتين :الفانية)

(87والرائية. (88)

ومن هنا يمكن أن نعد أبا طالب احد الرواد الأوائل الذين سعوا الى تطويل الأرجوزة وتطويرها التي

واكبت صنوها القصيد كما اوما إلى ذلك ابن سلام بقوله: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا

الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قُصِّدَت القصائد وطوِّلَ الشعرُ في عهد عبد المطلب وهاشم بن

عبد مناف) »

(89)، وانما قصد ابن سلام «وطول الشعر» بالرجز لأنه خلاف القصيد ومن هنا يمكن أن نعد رجز عبد المطلب (90) وابنه أبي طالب في تطويلهما له من الرواد الأوائل لنضج هذا النمط الفني وتطويره المتأصل الجذور منذ القدم(91)، بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين من «أن الرجز في الجاهلية كان قصيراً لا يتجاوز الأبيات المعدودات ... ولم يتطور الرجز في صدر الإسلام ولا ازدهر فإن الرجز لم يُطيلوه ولا مدّوا في اطنابه بل ظلوا ينشدون منه البيت أو البيتين أو الثلاثة.(92) »

وإنّ ما يعارض رأينا أن أبا طالب وأباه عبد المطلب من الأوائل الذين طوّلوا الرجز وطوروه ، ما ذكره

ابن رشيق القيرواني عن غيره: ان «أول من طوّل الرجز الأغلب العجلي، وهو قديم، وزعم الجمحي

وغيره أنه أول من رجز، ولا أظن ذلك صحيحاً؛ لأنه إنما كان (الأغلب العجلي) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك) »

93).

ومما تقدم يتبين: ان القصيدة الإسلامية في شعر أبي طالب تنقلص وتتسع بحسب ظرفها الذي وُلدت فيه، فتتقلص في اسقاطها للوحتي المقدمة، والناقة في القوائد المباشرة ذات الموضوعات المركبة، وتتسع في القوائد نفسها بتعدد الموضوعات ضمن هيكلها العام في البناء، وذلك لأن القصيدة تعيش مرحلة جديدة من الحياة الجديدة، وإن كانت تسمية اتجاهات الموضوعات مشدودة الى عهد ما قبل الإسلام، بيد أن حال المجتمع الجديدة التي شهدت تغييرات في الصرع الفكري والعقائدي والاجتماعي وغيرها، أثرت في فن الشاعر فبدأ التجديد في استعماله لآيات الذكر الحكيم، والتعبير الإسلامية الذي احتوى الشكل البنائي للقصيدة الذي يعد تأصيلاً للنماذج شعرية لاحقة.

وتعد المقدمة الطللية من المقدمات التقليدية سلك فيها الشاعر منهج المحاكاة للقصيدة البدوية في قصيدة واحدة، وهذا يفسر التغيير في معايشة الشاعر للإنموذج القديم مع الجديد الذي عاشه، ولكنه مشدود بروحه الى التقليد الفني لمقدمات شعراء البادية، على حين بقيت مقدمات: وصف الهموم والشكوى بدايةً للتحوّل الجديد في بناء هيكل القصيدة الإسلامية.

وبذل أبو طالب غاية جهده الفني في تطويل الأرجوزة وتطويرها والتي بلغت غاية النضج الفني، وبراعة الإبداع، وإتقان البناء.

وانحصرت أشعار أبي طالب في التعبير عن نفسه وعواطفه بألوانها المختلفة فكثرت المقطوعات، وتعددت الأراجيز التي تتطلب الرد السريع بحسب الظرف النفسي الذي يمر به الشاعر على المستويين المضمون والشكل.

إن أبا طالب أجاد في القصيد والرجز، في تطويره لهما، وقلما يجمع الشاعر من الشعراء بين القصيد

والارجاز والخطب)

(94)، فقد «كان أبو طالب شاعراً جيد الكلام(95)»، ومن الرواد الذين طوّروا الأراجيز، وخطيباً مفوهاً كما عهدنا ذلك في خطبه التي ذكرناها آنفاً. (96)



الهوامش:

- (1) ظ: الشعر والشعراء: ٧٤/١ - ٧٥ .
- (2) م.ن: ٧٥ / ١ - ٧٦ .
- (3) ظ: عيار الشعر: ١٢٤ .
- (4) حلية المحاضرة: ٢١٥/١ .
- (5) ظ: عيار الشعر: ٥ - ٧ .
- (6) ظ: كتاب الصناعتين: ٤٨٩ - ٤٩٦ ، ٥١٣ - ٥٢٥ .
- (7) ظ: العمدة: ٢١٧ / ١ - ٢٤١ .
- (8) ظ: المثل السائر: ٩٦ - ١٠٧ ، ١٢١ - ١٢٧ .
- (9) ظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٣ - ٣٢٤ .
- (10) ظ: الطراز: ٢٦٦/٢ - ٢٦٧ ، ٢٧٤ - ٢٧٧ ، ٢٧٩ - ٢٨١ ، ٣٣٠ - ٣٣١ ، ٣٤٤ - ٣٤٨ ، ٣٥٢ -

/ 121- 127. ٣ ، ٣٥٣

- (11) ظ: فجر الإسلام: ٥٨ - ٥٩ ، تاريخ النقد الأدبي: ٩٢ ، في النقد الأدبي: ١٥٤ .
- (12) ظ: الأدب وفنونه: ٥٩ ، النقد المنهجي عند العرب: ٣٦ ، النقد الأدبي الحديث: ٢١٠ ، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: ٢ / ٤٤٥ ، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: 7- 8 :
- (13) الصورة والبناء الشعري: ١٧٩ .

(

(14) ظ: قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (بحث): ٥ ، جمع: د. محمود الجادر آراء الدارسين المحدثين.

(

(15) ظ: ديوان امرئ القيس: ١٠٩ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٧٩ .

(

(16) ظ: ديوان النابغة الذبياني: ٤٠ - ٤١ ، ٦٧ ، ٧٢ .

(

(17ظ: الديوان: ٧٠-٧٣، ٩٥، ١١٥، ١٢١، ١٢٣ .

(

(18الديوان: ١٢٣ .

(

(19ظ: م.ن: ١٢٣-١٢٥ .

(

(20ظ: الديوان: ١٢١ .

(

(21الديوان: ٩٥، ١١٥، ١٢٣ .

(

(22الديوان: ٧٠-٧٣، المقاول: اباؤه شيههم بالملوك، الرّتاج: الباب العظيم، إساف ونائل: صنمان، الكاشح: الذي يضمّر العداوة، الشراج: مفردا الشرج، وهو مسيل الماء، الجنادل: الصخور، ثور وثبير وحرء: جبال في مكة، ظ: معجم البلدان: ٧٣/٢، ٨٦، ٢٣٣، كندة: اسم قبيلة، ظ: جمهرة انساب العرب: ٤٧٧/٢، بكر بن وائل من بني ربيعة من عدنان وهو جد جاهلي، ظ: م.ن: 2/300، 302، 303، 307.

(

(23ظ: الديوان: ٧٦-٨١ .

(

(24الناس/ ١ .

(

(25ظ: الديوان: ٧٤-٨٥ .

(

(26ظ:مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ١١٦-117 -، مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام: ٢٩ .

(

(27ظ: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ١١٦-١١٧ .

(

(28العمدة: ٢٢٦/١ .

(

(29ظ: الديوان: ١٢٦-١٢٧ .

(

(30ظ: الديوان 127-126 :، أقوين: خلون، رمانم: تكنس كل شيء، الأصارم: مفردا الصّرم: وهو الجماعة، والشّعب: القبيلة والحي العظيم، غفار بن مليل قبيلة من كنانة، ظ: جمهرة انساب العرب: ٤٦٥/٢، بولان: موضع على طريق الحاج من البصرة، ظ: معجم البلدان: ٥١١/١، خلة: قرب عدن في اليمن، ظ: م.ن: ٣٨٥ /٢، يَنْبُع: موضع على طريق من المدينة الى البحر، ظ: م.ن: ٤٩/٥-٤٥٠، الرجائم: هضبات حمر، ظ: م.ن: ٢٧ /٣ .

(

(31ظ:الديوان: ١٢٧- ١٢٨ .

(

(32ظ: م.ن. 127 :

(

(33ظ: شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (اطروحة): ١١٠- ١٢٤ ، عزوف الباحث عن دراسة هذه اللوحة بعد بحثه عن المقدمة.

(

(34 و ٣٥) استعمل هذين المصطلحين حازم القرطاجني، فقال ما نصه: «والقصاد: منها بسيط الاغراض، ومنها مركبة: والبسيطة مثل القصاد التي تكون مدحا صرفا او رثاء صرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسب ومديح» منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٣.

(

(36الديوان: ٧٤- ٧٥، الروايا: الإبل التي تحمل المياه، الصلاصل: المزادة ينتقل بها الماء، الضغن: الحدق، السميدع: السيد، الذرب: الفاحش.

(

(37الديوان: ٧٥ .

(

(38 م.ن: ٧٥- ٨٠، التلعة: ما شرف من الارض، الأخاشب: وهي جبال مكة، ظ: معجم البلدان. 1/122 :

(

(39الديوان: ٨٠ .

(

(40ظ: م.ن: ٨١- ٨٢ .

(

(41 م.ن: ٨١ .

(

(42ظ: الطبقات الكبرى: ١/١٨٨ .

(

(43ظ: السير والمغازي: ١٦٥- ١٦٦، التبيين في انساب القرشيين: ٣٣٠، (قصة نقض الصحيفة).

(

(44الديوان: ٨٣، زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمه عاتكة بنت عبدالمطلب، وهي أخت أبي طالب وعمة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨١- ٢٨٢، التبيين في أنساب القرشيين: ٣٣٠.

(

(45الديوان: ٨٣- ٨٤ .

(

(46الديوان: ٨٤ - ٨٥ ، الضغن: الحقد، يوم التجدال: يوم القيامة.
(

(47طبقات فحول الشعراء: ١ / ٢٤٤ .
(

(48السيرة النبوية لابن الاثير: ١ / ٤٩١ ، البداية والنهاية في التأريخ: ٣ / ٥٧ .
(

(49ظ: الديوان: ٩٥ - ٩٦ ، ١١٥ - ١١٩ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ١٢٣ - ١٢٥ ، ١٢٦ - ١٢٨ .
(

(50العمدة: ١ / ٢٣١ .
(

(51العمدة: ٢ / ١٥١ .
(

(52ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان امرىء القيس: ٢١٣ - ٢١٤ ، ٢١٥ - ٢١٩ ، شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: ٣١٦ - ٣١٩ .
(

(53ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان بشر بن أبي خازم: ٤١ - ٤٢ ، ٩٠ - ٩٣ ، ديوان النابغة الذبياني: ٥٤ - ٦٠ ، 112- 113.
(

(54ظ: تمثيلا لا حصرا: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٣١٣ - ٣١٥ ، ديوان الأعشى الكبير -297 : 299.
(

(55ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان النابغة الذبياني: ٧٥ - ٧٨ ، ٨٢ - ٨٥ ، ٨٦ - ٨٨ ، ٩٨ - ١٠٠ ، ديوان الأعشى الكبير: ٢٢٣ - ٢٣٥ .
(

(56) اختلف العلماء العرب في عدد ابيات القصيدة والمقطوعة، ونرجح من بين آرائهم، ان ما زاد على سبعة ابيات فهو قصيدة ، وما قل فهو مقطوعة،ظ: اعجاز القرآن: ٣٩١ ، العمدة 189- 1/188 :، لسان العرب: (قصد).
(

(57ظ:الديوان: ٨٨ - ٨٩ ، ٩٠ - ٩٢ ، ٩٣ - ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٦ - ١٠٨ ، ١٠٩ - ١١٠ ، ١١٣ - ١١٤ ، 120 - 117 ، 131 - 130 ، 133 - 132 ، 138 ، 149 ، 165 - 164 ، 168 ، 172 - 171 ، 177 ، 178 ، 180 ، 182 ، 205 - 206 ، 213 - 211 ، 231 ، 237 - 234 ، 240 - 239 ، 244 - 242 ، 251 ، 258 ، 333 ، 337 - 336 ، 340 ، 344 .
(

(58ظ: م.ن : ٨٨ - ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١٠٦ ، 108 - ، 110 - 109 ، 114 - 113 ، 131 - 130 ، 138 ، 132 - 133 ، 149 ، 165 - 164 ، 168 ، 180 ، 182 ، 240 - 239 ، 251 ، 258 ، 337 - 336 ، 340 .
(

(59 حدث ان عمارة وعمرو خرّجا الى الحبشة تاجرّين، فسارا في البحر ليلاً، أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة طلب من زوج عمرو - التي كانت مرافقة مع زوجها في الرحلة - ان تُقبِّلَهُ، فأمرها زوجها عمرو بتقبيل عمارة، فقبلته فراودها عمارة عن نفسها، فأمتنعت منه، وكان عمرو قاعدا على منجاف السفينة، فدفعه عمارة في البحر ليقتله، فخرج عمرو من البحر، لأنه كان يعرف السباحة، وأضمر فعل عمارة الشانن في نفسه ، ولما وصلا الى ارض الحبشة تردد عمارة على امرأة النجاشي، وحدّث بهذا الامر عمرو بن العاص، فأحتال عمرو عليه بانه غير مصدق قوله ما لم ياتّه من امرأة النجاشي من دهن وعطر زوجها، لكي يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه الى النجاشي للاقاع بعمارة، فلما احضر عمارة الدهن والعطر اللذين اعطتهما له امرأة النجاشي، وشى عمرو الى النجاشي، فاستثبت الأخير بالأدلة المقدمة له، ودعا السواحر، فوضعن عاهة مستديمة يشنّ بها رجولة عمارة، وخلي سبيله فخرج هانما بين الوحوش، ظ :السير والمغازي: ١٦٧ - ١٦٩، الأغاني: ١٠٦ / ٨ - ١٠٧، التبيين في انساب القرشيين: ٣١٤. 315 -

(

(60 الديوان: ٢٥١ .

(

(61 ظ:م.ن: ١٣٠ - ١٣١، ١٣٢ - ١٣٣، ١٦٤ - ١٦٥، ١٦٨، ٣٤٤ .

(

(62 أبحاث في الشعر العربي: ٣٦ .

(

(63 ظ: الشعر في حرب داحس والغبراء: ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(

(64 ظ: الديوان: ٨٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١١١، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨

(

(72الديوان178 :، ابوعتيبة: أبولهب، سوادك: شخصك، النصف: الإنصاف والعدل، الخسف: الأذلال.

(

(73م.ن: ١٧٨ .

(

(74الديوان: ١٧٨.

(

(75م.ن: ١٧٨ .

(

(76الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٤٨ .

(

(77ظ: الديوان: ٩٠-٩٢، ٩٣-٩٤، ١١٧-١٢٠، ١٧١-١٧٢، ١٧٧، ٢٠٥-٢٠٦، ٢١١-٢١٣،

231- 237، 242- 244، 333- 344.

(

(78ظ:الديوان: ١٠٢-١٠٣، ٣٢٩، ٣٣٠-٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٨، وشعر أبي طالب وأخباره: ٨٩،

والمستدرك في الأطروحة: الأراجيز ذوات الاقام: (١، ٢، ٤).

(

(79ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٩٩- ١٠٠ .

(

(80الديوان: ٣٣٨ .

(

(81ظ: م.ن: ١٠٢-١٠٣، ٣٣٠-٣٣١، والمستدرك في الأطروحة: الأرجوزة رقم: (٢).

(

(82الديوان: ٣٣٠ .

(

(83الديوان: ٣٣٠ .

(

(84السير والمغازي: ٣٤.

(

(85الديوان: ٣٣٠.

(

(86الديوان: ٣٣٠-٣٣١ .

(

(87ظ: م.ن: ١٠٢-١٠٣ .

(

(88ظ: المستدرك في الاطروحة: الارجوزة رقم: (٢).)

(

(89طبقات فحول الشعراء: ٢٦ / ١ .)

(

(90ظ: تمثيلا لا حصرا: السير والمغازي: ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩-٤٠، ٤٠، ٤٤، ٤٥-٤٦، ٤٦، ٤٧ .)

(

(91ظ: ديوان امريء القيس: ٣١٢، ١٣٤-٣١٨، ٣٤١، ٣٥٣ .)

(

(92مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي: ١٤٤، ظ: العجاج ودوره في تطوير الأرجوزة في العصر الأموي: ١٦ .)

(

(93العمدة: ٩٠، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢ / ٤٨٤ .)

(

(94قال: «ابو عمرو بن العلاء ... ومن الشعراء من يُحکم القريض ولا يُحسين من الرجز شيئا، ففي الجاهلية منهم: زهير، والنابغة، والاعشى، وأما من يجمعها فأمرؤ القيس وله شيء من الرجز، وطرفة وله كمثل ذلك، وليبد وقد أكثر. ومن الإسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو في ذلك يجيد القريض: كالفردق وجرير؛ ومن يجمعهما فأبو النجم، وحميد الأرقط، والعُماني، وبشار بن برد، وأقل من هؤلاء يُحکم القصيد والأرجاز والخطب» ...، البيان والتبيين: ٨٤/٣ .)

(

(95طبقات فحول الشعراء: ٢٤٤ / ١ .)

(

(96ظ: التمهيد في الأطروحة: ١٥، ٣٠-٣١ .)

الفصل

السادس

لغة شعره

مفتتح الفصل

بناء اللغة

إن فن الأدب يختلف عن الفنون الأخرى، لأنه يركز على اللغة، فاللغة المكوّن الاساس الذي يمنح الشعر سر شاعريته المصورة للمعاني المختلجة في النفس الانسانية، فهي بحق لغة الانفعال المضيقه لمعنى يستحضر الشاعر فيه ماضي ذكرياته، أو واقع حاضره، أو كيان وجوده فيضفي عليها اصداءً أو اظلالا من الايحاءات تختلف باختلاف نفسيته في التعبير عنها باللغة المتكونة من الفاظ وتراكيب، وايقاع المتمثل بالوزن والقافية، والصور المتشكلة بالوانها المتباينة، فتتيح مجالا رحبا في التأويل المتعدد المداليل.

وتتنظم هذه المكونات في قالب بنائي محدد يختبيء وراءه جمال ابداع العمل الشعري بلغة فنية حيّة مشعة بالدلالة، تتحقق فيه قيمة تعبيرية من انتظام التعبير اللفظي مع موسيقى النغم، والصورة المعنوية، لأن غاية الشاعر اثار عواطف المتلقي بتقنيات التعبير الدقيقة، وصدق الاحساس العميق، لنقله اليه.

فلغة الشعر بناء حي متكامل تتفجر فيه طاقات ايحانية متمثلة بمقومات القصيدة التي هي «مجموعة علاقات شكلية ومضمونية مترابطة لغة وجرسا ودلالة وايقاعا وصورة، تؤلف بناؤها الفني المتمثل، من خلال نماذجها وامثلتها الشعرية المتوفرة لدينا، وفي نمط موسيقاها الشعرية ذات القافية الموحدة والوزن الواحد وفي تعدد اغراضها او تفرداها بغرض واحد»

(1) فمن هذه المكونات التعبيرية جميعها يتكون البناء الفني المتكامل للقصيدة، بيد أن هذه العناصر، أو المكونات تبقى خاضعة لطبيعة الشاعر ومنها: روافده الثقافية، وهي الثمرة المتمخضة عن اطلاعه وتدريبه على نماذج شعرية لشعراء سابقين له؛ ليثري لغته بما استثمره من نتاجهم، وليكشف ذاته واصالته في اعماله الشعرية الابداعية التي يحاكي فيها تجاربه الحياتية؛ لأن الموهبة الشعرية وحدها لا تكفي، فتبقى لغته قاصرة عن اداء وظيفتها التعبيرية ما لم يصقلها باغانها بالروافد الثقافية.

وللبينة اثرها في طبع الشاعر، فرقة الفاظ الشاعر الحضري وسهولتها ورشافتها، تباين جفاف الفاظ

الشاعر البدوي وخشونتها وغريبها، وقد يسهل لفظ شعر الشاعر، ويخشن اللفظ شعر شاعر اخر تبعا

لاختلاف الطبع وتركيب الخلق)

(2، وتبقى التجربة الشعورية الطابع الذي يصوره الشاعر، وهو يسكب عواطفه واحساسيه ومشاعره جاهدا في نقل خواطره التي تتدافع في نفسه عبر لغته الى المتلقي(3)، فالثقافة والبينة والتجربة الشعرية تؤثر في لغة أي شاعر.

وبما أنّ اللغة الشعرية لغة انفعالية، فقد تتباين الانفعالات فيها بحسب التجربة الشعرية، ولهذا انمازت

لغة الشعر بالمرونة والحيوية والتجديد تبعا لنوع الانفعال)

(4من حب وبغض، وحزن واسف، وفرح واعجاب، وخوف وقلق، وقوة وشدة إلى غير ذلك، فتخرج بصورة ترانيم ملحنة، لتكتمل بمقوماتها الصوتية اداء انفعال الشاعر الوجداني بلغة موسيقية زاخرة بالنغم مترابطة الاحكام مع انفعالاته، ومتسعة لخياله، لتغدو لغته لغة تصويرية تتشكل فيها وسائل الصورة بألوانها المختلفة، ولهذا كله استوعبت لغة الشعر عناصرها واجزاءها من الفاظ وصياغة، وايقاع، وصور بوصفها بناءً متكاملًا لا يمكن فصل عراه إلى اوصال، بيد أن طبيعة تقنيات البحث في تحديد مداليلها، وايضاح مفاهيمها تتطلب دراسة الوحدات بشكل منفصل في ثلاثة فصول.

الألفاظ :-

الألفاظ؛ هي احدى الدعائم الاساس لبنية القصيدة، واحدى ادوات الشاعر التي يستعملها، ليخلق نصا

ادبيا معبرا عن تجربته الشعرية، ينقلها الى المتلقي سواء أكان المتلقي مستمعا ام قارنا ام ناقدا،

ولهذا كان على الشاعر ان يعنى بالفاظه في نسيجه الشعري، مما يحفره للجنوح الى رصانة

الاسلوب، وانتخاب الألفاظ التي يتحرى فيها الوضوح في تأدية المعنى المقصود، والدقة في التعبير

المشحون بانفعالاته المتباينة بحسب فن القول المطروق ليزود الالفاظ بطاقات ايحانية ومداليل مجازية

اضافية، فتصبح مشعة بالتأثير والحيوية، فيخلق الشاعر عملا فنيا متساوقا مع تجربته الآنية، على

ان هذه الالفاظ ضمن سياقاتها تحمل في الوقت نفسه مداليل معجمية.

والشاعر ينساب وراء الفاظه ليصوغها في تراكيب لغوية تبدأ من مرحلة انتقاء الالفاظ التي تدور في

مخيلته ثم وصفها في عبارات الى ان تتكامل في جمل وانساق، ومما لا شك فيه ان الالفاظ تثمر

دلالاتها من الواقع، فهي تعبير عن واقع الحياة اكتسبت قيمتها الدلالية من تشخيص طبيعة الواقع

على نحو متميز في قالب شعري فني ذي بناء ايقاعي شكّل سر جمال جوهر هذا البناء الشعري بعد

ان طبعت بطابع احاسيس الشاعر ومشاعره وعواطفه وافكاره.

والسمة الغالبة في ألفاظ نسيج شعر أبي طالب قبل الإسلام وبعده الوضوح الذي ينأى عن الحوشي في قول الشعر وغريبه، ذلك بأن بيئته الشاعر لها اثرها في لغته، فأبو طالب عاش في مدينة حضرية تميل إلى استعمال الالفاظ السهلة المألوفة والمأنوسة إلى أذن السامع، والبعيدة عن الحوشي من الكلام، والغريب من الالفاظ، فلغتها لينة سهلة

(5)، وإن الطابع الغالب على شعر أبي طالب متسم بأسلوب عصره، فطبعت الفاظه بطابع واقع الحياة المكية قبل الإسلام وفي بواكيره، فمثلت توكيدا لهذا الواقع وصورة صادقة له، مستنظمة بمظلة خيال الشاعر ونبض روحه ومشاعره وصدقهما في التصوير.

إن من العوامل التي جعلت شعر أبي طالب يحمل المزيتين: البساطة والوضوح، إنه عبارة عن رسائل

موجهة إلى اولاده واخوته وابناء عمومته وعشيرته وقومه من زعماء قريش، لتأييد الدعوة

الإسلامية ونصرة صاحبها، يتخللها النصح والتوجيه والوصية في الثبات على العقيدة واتباع

المصطفى (صلى الله عليه وآله) تارة، والعتاب والتهديد والوعيد والهجاء للذين يعلنون عداهم له

ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) وينأون عن تأييده ونصرته تارة اخرى، وهي تحمل اسلوبا

واضحا، ليسري تأثيرها في نفوس رجال المجتمع المكي للانضواء تحت راية الإسلام؛ وليتوسع

مداها، وليتردد ولينتشر في ارجاء الجزيرة العربية وخارجها، فهذه السهولة في استعمال الالفاظ

فرضتها طبيعة المرحلة التي يحياها الشاعر في الحقبة الزمنية التي واكبت الإسلام، على اننا لا

نعدم من أن نجد في بعض الابيات لحظات تأملية انقاد لها الشاعر من دون تخطيط سابق لها. ونلاحظ سمة البساطة والوضوح في شعر أبي طالب قبل الإسلام في حديث القسامة في الطلب بدم

عمرو بن علقمة بن عبد المطلب بن عبد مناف حين ضربه خدش بن عبد الله بن أبي قيس بعضا

فقتلته، ثم جحد، فلم يعرفوا من قتله وطالت المطالبة بدمه، فسألوا أبا طالب الفصل في الحكم)

(6)، فقال :

{من الطويل}

أفي فضلِ حَبْلٍ لا أباكِ ضَرَبْتَهُ

بِمَنْسَأَةٍ قد جاءَ حَبْلٌ وأحْبُلُ

قتلتَ الفتى، أو تَوَضَّحَنَ بِحَجَّةٍ

فبيِّنَ لنا ما كان إن كنتَ تعقلُ

حكمتُ عليكم فيه خمسِينَ حَلْفَةً

تُبَرِّنكم منه وأنتَ مرملُ

فيحلف قوم يطلبونَ بمثلها

فيؤخذُ بالدم الذي لا يُطلَّلُ)

إنَّ النزعة الخطابية المباشرة في الحوار الذي دار بين أبي طالب وخداش جعلت أبا طالب يسلك مسلك
الطلب متوسلاً بأساليبه وهي الاستفهام والدعاء والامر بالفاظ واضحة لا تحتاج من المتلقي اجالة
فكر، أو تأمل متأن؛ لكشف دلالتها.

ومن ملامح بساطة الالفاظ وسهولتها في شعر أبي طالب في الإسلام، قوله معاتباً أخاه أبا لهب عن
حديث له قد اعانه عليه رجال من قومه، يفصح عن عداوتهم له :

{من الوافر }

حديث عن أبي لهب أتانا	وأكنفَه على ذاكم رجالاً
بَعُوهُ بِذَلِكَ بَعْضَ الْقَوْلِ حَتَّى	تَجَلَّلْنَا بَلُومِهِمْ جِلَالاً
وقد لهجَ العَدُوُّ بنا فقالوا	وقد كُنَّا وليس لهم مَقَالُ
معاشر منهم	لنأماً

- كانوا قديماً -
إنَّ الالفاظ (حديث، القول، لؤمهم، لهج، قالوا، مقال) المستعملة في وصف الحديث في النص الذي
وردت فيه، أُستعملت بدلالات لغوية ذات سمة تقريرية مباشرة تنأى عن الإيحاء الذي يثري اللغة
الشعرية بالجمال، ويبدو ان صيغة حديث العتاب رتبت على الشاعر العزوف عن المحسنات اللفظية
لاثراء لغة النص الشعر بالإيحاء بيد أن الالفاظ لا تفقد تأثيرها في السامع المُعَاتَب، وهي تكشف عن
انفعال الشاعر المُعَاتَب تجاه اولئك اللئام الذين اعانوا أخاه في ازدياد أوار العداوة بينهما.
وقد تحل محل سمة الوصف بالالفاظ التقريرية المباشرة مزية أخرى تتعلق بالتعبير عن احساس
الشاعر الموحية من السياق، فتصور احواله النفسية في التعبير الصادق عن مشاعره ولا سيما في
لحظات الحزن الشديد، وفيها يكون الشاعر أشد صدقا مع ذاته، وهو يردد الحسرات على فراق رسول
الله (صلى الله عليه وآله) فقال:

{من الكامل }

أها أَرَدْتُ حَسْرَةَ لِفِرَاقِهِ	إِذْ لَمْ أَرَاهُ وَقَدْ تَطَاوَلَ
أَتَرَى أَرَاهُ وَاللَّوَاءَ أَمَامَهُ	بِاسِقٍ وَعَلَيَّ إِبْنِي لِلَّوَاءِ مُعَانِقُ)

(٩)

والى جانب التقرير المباشر في ألفاظ شعر أبي طالب يجنح الى الخيال لتقوية الالفاظ واثرائها بجمال
الصورة متمسكا بالصدق الفني والواقعي انطلاقاً من روح الإسلام، فقال:

{من البسيط}

لا تَيَأْسَنْ إِذَا مَا ضَقَّتَ مِنْ فَرْجٍ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ فِي الرُّوحَاتِ وَالذَّلَجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مَعْتَصِمٌ بِاللَّهِ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ بِالْفَرْجِ)

(١٠)

إنَّ الايمان الصادق بالقيم الإسلامية التي نطقت بها الفاظ شعر أبي طالب جعلتها تدنو إلى الكمال في الأدب، فقلما نجد نصا شعريا متعمقا في النظر في الحياة، يرفع الانسان إلى الرقي فيها متبلورا في حكمة استخلصها الشاعر من تأمل فكره الناضج في الحياة الواقعية التي لها صلة وثيقة بثقافته الدينية ليخرجها بنصيحة متشكلة بالفاظ مختصرة ومركزة لها وشيجة بواقع نفس بني جنسه في الحياة، وذات تأثير في نفوس السامعين، وهو يزواج بين الالفاظ التقريرية المباشرة والالفاظ الموحية التي أثرت اللغة الشعرية بجمال الصورة.

وبين الالفاظ التقريرية المباشرة والموحية ألفينا في شعر أبي طالب ألفاظاً تحتاج إلى الكشف عن دلالتها في المعجمات، وهذا الامر يعتمد على علم المستمع وثقافته اللغوية، فمما لا ريب فيه ان الالفاظ التي استغلق فهمها من المتلقي تعود الى ان اليون الزماني الشاسع بين عصر الشاعر وعصره جعلها تشقُّ على فهمه، على نحو ما نجده في قول أبي طالب في وصف فروسيته، وهو يذب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله):

{من المتقارب}

بضَرْبٍ يُدَبِّبُ دُونَ النَّهَابِ حِذَارَ الْوَتَايِرِ وَالْخَنْفَقِيْقِ

....

وَمَا إِنْ أَدْبُ لَأَعْدَانِهِ دَبِيبَ الْبِكَارِ حِذَارَ الْفَنَيْقِ (١١)

اراد الشاعر بالنَّهَابِ: جمع «النَّهَب: الغنيمة»

(12)، و«الوتايير جمع وتيرة الطريقة من الارض(13)»، و«الخنفقيق... الداهية(14)»، و البكار جمع بكر وهو«الفتي من الإبل(15)»، والفنيق: الفحل المكرم عند أهله.(16) ومن قوله مفتخرا

:

{من الكامل}

وأنا ابنُ ب وسليلُ كلِّ مَسْوَدٍ مفضالِ

جُدَّتْهَا وَفِي صُيَابِهَا كيما أُفِيدَ رَغَائِبَ الْأَنْفَالِ)

وقصد الشاعر بالصِّيَاب: الخيار)

(18) و«الرقاحة: الكسب والتجارة، وترقيحُ المال اصلاحه والقيام عليه. (19)»
إن مما يقرب المتلقي الى فهم اللفظة، لجوء الشاعر الى رصفها ضمن غيرها من الألفاظ في السياق؛
ليبين دلالتها من خلال وصفها، فلا يتعثر ذهن المتلقي في المعنى الذي قصده الشاعر على الرغم من
انها تندرج ضمن سياقات جديدة كانت جزءا من بناء النص الذي يفصح عن دلالتها.
ومن خلال دراسة خصائص ألفاظ شعر أبي طالب السالفة الذكر يمكن دراستها بشيء من التفصيل؛
لمعرفة ما اسهمت به تجربة الشاعر في ايجاد لغة ملائمة لها تنسجم مع الموضوع الذي هو في صدد
الحديث عنه.

- الأعلام:

أ

- أسماء الرجال:

طالعنا شعر أبي طالب بمجموعة كبيرة من أسماء الرجال تلونت بدلالات مختلفة بحسب الموضوع

المطروق

(20)، واحتلت اسماء رجال سلالة نسبه واهل بيته، والمقربين الذين تربطهم معه صلة نسب حضورا كبيرا
في البناء اللفظي في شعره.
فمن الاسماء التي وردت في سلالة نسبه، واهل بيته: قصي وابنه عبد مناف، وعمرو: هاشم بن عبد
مناف، وأبو الحارث، شيب

ة :عبد المطلب بن هاشم، والد أبي طالب ، وأخوته، عبد الله والد النبي(صلى الله عليه وآله)، والزيبر،
والحمزة، والعباس، وأبي عتبة، عبد العزى: أبي لهب، واولاده طالب وجعفر وعلي(21)، ذكرهم الشاعر في
المديح والفخر والرثاء؛ لاثبات قيمة معنوية أو مادية جليئة، وليبيان فضائلهم، وشمانلهم، وخلانلهم، وقد
يكون تكرار اسم الفقيد اثارا لشجون الشاعر والسامعين، فيجد الشاعر منفذا في التنفيس عن آلامه بالبكاء
ونديه، أو يردد أسماء اشخاص؛ ليوصيهم برسول الله خيرا في حثهم على مسانئته والوقوف بجانبه والذود
عنه ، والحض على نصرته، والتجمل بالصبر على الاذى، والعتاب لمن ترك مؤازرته، فذكر اسماء الاشخاص
يعني ميل أبي طالب الى تقرير قضايا واقعية ترتبط بها وهذا يفصح عن سمة الوضوح التي اومأنا اليها آنفا.
ومن المفيد أن اذكر ان ما ورد من ذكر أسماء سلالة نسب أبي طالب اقترنت بلفظ «سود»

ومشتقاتها، ومنها السيادة، ولا غرو في هذا الامر، فقصي الجد الاعلى لأبي طالب هو الذي جمع

قريش في مكة وسادها وتولى «الحجابة والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كلّه»

(

(22)، ومن ثمّ توارثها ابناؤه واحفاده من عبد مناف إلى ابنه هاشم ثم عبد المطلب، ثم الزيبر، ثم أبي طالب،
ولذلك نجد السيادة لا تنفك عن اقترانها بتلك الاسماء حية، أو ميتة في المديح والفخر والرثاء، على نحو ما

نجد أبا طالب يرثي أباه ويردد اسمه شبيبة تارة، وأبا الحارث تارة أخرى استمرء في تلفظها بندبه وتأيينه في
آن معا، فقال :
{من البسيط}

أبى العيونَ وأذرى دمعها درراً
مُصابُ شَيْبَةِ بَيْتِ الدِّينِ وَالكَرَمِ
كَانَ الشُّجَاعَ الجَوَادَ الفَرْدَ سُودِدَهُ
لَهُ فَضَائِلُ تَعْلُو سَادَةَ الأَمَمِ
مَضَى أَبُو الحَارِثِ المَأْمُولُ نَائِلُهُ
هُوَ الرَّئِيسُ الَّذِي لا خَلْقَ يَقدُمُهُ
عُدَاةٌ يَحْمِي عَنِ الأَبْطَالِ بِالْعَلَمِ
العَامِرُ النَّبِيتِ بَيْتِ اللَّهِ يَمْلَأُهُ
نوراً فَيَجْلُو كُسُوفَ الفَحْطِ وَالظُّلَمِ

(٢٣)

اقترن اسم أبي الحارث: عبد المطلب بتولي المناصب الاد

ارية المهمة في المجتمع المكي، فهو سيدها ورئيسها وحاكمها(24)، والقائم على عمارة بيت الله الحرام
وسدانة الكعبة(25)،«وساقي الحجيج(26)»، كانت بيده السقاية فضلا عما حباه الله بكرامة الاستسقاء (27)
لوجاهته ومكانته ومنزلته عند ربه.
ومن اسماء المقربين التي تربطهم مع الشاعر صلة النسب من طرف امه اخواله، وهم اولاد اعمامها:

الوليد بن المغيرة، وأبو عثمان هشام بن المغيرة، وأبو العاص اياس بن معبد)

(28)، وترددت اسماء هذه الشخصيات في سياق الفخر والثناء في بيان فضائلهم وسجاياهم في شعره المتمثل
بمرحلة قبل الإسلام، اما من عاش منهم في الإسلام الوليد بن المغيرة، فخاطبه أبو طالب معاتباً تارة، وهاجيا
له تارة اخرى.

إنّ هذا التلوين في القول للشخصية الواحدة المسماة ولا سيما أبو الوليد بمدحه بالفضائل والفخر ثم

عتابه، وهجائه يفسره تبدل مواقف هذه الشخصية، فالوليد له مكانة سامقة في المجتمع القرشي في

الجاهلية وكان عدل قريش كلها، فاذا كست قريش البيت الحرام كساه وحده)

(29)، لكنه في الإسلام كان واحداً من الشخصيات التي ناصبت العداء لرسول الله(صلى الله عليه وآله) واحد
المستهزئين الذين آذوه(30)، ومن هنا تغيرت مواقف أبي طالب تجاهه تبعا لمواقف الوليد، فهجاه قائلاً :
{من الطويل}

وَلَيْدٌ ابُوهُ كانَ عبداً لَجَدْنَا
إلى عِلْجَةٍ رزقاءَ جالَ بها السَّحْرُ

(٣١)

ومن اسماء المقربين أيضا، ابن خاله: أبو جهل عمرو بن هشام، وابن أخته زهير بن جعدة

المخزومي، وابن أخيه أبو أروى: ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فوردت اسماؤهم في التعزية

لاحدهم في موت أبيه، لشد ساعده وعزمه في مصاب الفقيد، أو مديح شكر للشخصية المسماة التي

سعت لنقض الصحيفة الجائرة، أو حث الشخصية على نصره رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو

يتغنى بعراقه ارومتها على نحو ما نجده في قوله لابن أخيه :

{من الكامل}

اعلم أبا أروى بأنك ماجدٌ من صُلبِ شَيْبَةَ فانصرنَ محمداً

(٣٢)

ووردت اسماء رجال تربطهم بالشاعر صفة الصداقة ومنهم : مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد

شمس، وأبو عمارة الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الأسلت من بني وائل)

(33)، وحملت هذه الاسماء دلالات مختلفة منها: نذب الشاعر صديقة وتأيينه، واخذ العزاء في رثائه، أو دعوة صديقه لنصرة رسول الله(صلى الله عليه وآله) والذود عنه، والوقوف إلى جانبه وحمايته، أو ابلاغ صديقه رسالة يمدحه فيها لأصدقاء معروف قد فعله صديقه في نصح قريش ونهيه عن الحرب، وكف الاذى وتحذيرهم من عصيانهم في قطع صلة الرحم، فيمدح صديقه بالشرف، والكرم، وطيب النسب، على نحو ما نجده في مخاطبة أبي طالب لأبي قيس :

{من الطويل}

عليم بما قد قالَ جَمَّ التجاربِ

أبلغ أبا قيسٍ رسالةٍ شاعرٍ

وحذرتهم عصيان ربِّ مُطالبِ

محضتَ قريشاً صَفَوْ نُصْحَكَ جاهداً

وتركهم (....) للعجائبِ

بقطعهم أرحامهم بعد وَصلها

....

....

قَرِيحِ النَّدى وابنِ الكرامِ الأطنابِ)

ومثل أبي قيس المصْفَى من الخنى

(٣٤)

وذكر أبو طالب اعلاما تربطهم به صلة قبلية، فمما يلحظ في غير واحدة من قصائده تتحول ابياتها الى سجل اعلام لشخصيات سجّل التاريخ مواقفهم من الدعوة الإسلامية فحملت شعار العداة لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ولدينه واتباعه، وخلقت الاكاذيب عليه والطعن برسالته، وهم: أسيد (بن ابي

العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف)،

وبكرة) : عتاب) وخالد بن أسيد، وعثمان (بن عبيد الله التيمي)، وقنفذ (بن عمير بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم)، وسبيع (بن خالد)، ونوفل (بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي)، وأبو عمرو (قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وأبي (الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة بن كلاب)، و(عتبة بن ربيعة)، وأبو سفيان (بن حرب بن أمية)، ومطعم (بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.(35)) إن ذكر اسماء هذه الشخصيات يجسد حضور افعال اصحابها في ذهن الشاعر بحكم طبيعة الحياة

الاجتماعية التي تحتم عليه ان يحتفل بها بوصفها زعامات بطون قريش، أو وجهانها، أو حلفانها في

المجتمع المكي، حملت في شعره دلالة العتاب والتودد إليهم؛ لاقتناعهم بما فضل الله به نبيه بالرسالة،

فكان ترديد اسمائهم وسيلة من أبي طالب يستقطبهم بها إلى صف الايمان، وكف عداوتهم عن رسول

الله(صلى الله عليه وآله) وعنه على نحو قوله :

{من الطويل}

نَعْمَرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَرَهْطُهُ
 جَزَتْ رَحِمَ عَنَّا أَسِيدًا وَخَالِدًا
 وَغُثْمَانُ لَمْ يَرَبِعْ عَلَيْنَا وَقَنْفُذٌ
 أَطَاعَا بَنَا الْغَاوِينَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
 كَمَا قَدْ لَهَبْنَا مِنْ سُبُعٍ وَنَوْفَلٍ
 فَإِنْ يُقْتَلَا أَوْ يُمَكِّنَ اللّٰهُ
 هِ مِنْهُمَا
 وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرٍ مُّغْضَبٍ
 يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مَمْسَىٍّ وَمُصْبِحٍ
 وَيُقْسِمُنَا بِاللّٰهِ مَا إِنْ يَغُثَّنَا
 إِلَى بَغْضِنَا وَجَزَاً بِأَكْلِ
 ة آكِلِ
 جَزَاءَ مُسِيءٍ لَا يُؤَخَّرُ عَاجِلِ
 وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
 وَلَمْ يَرْقُبَا فِيْنَا مَقَالَةَ قَائِلِ
 وَكُلُّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُمَآئِلِ
 نَكِلَ لَهُمَا صَاعًا بِكَيْلِ الْمَكَائِلِ
 لِيُظْعِنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
 فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو بِنَا تَمَّ خَامِلِ
 بَلَى قَدْ نَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ خَاتِلِ (٣٦)

اقتترنت بعض أسماء الشخصيات المذكورة أنفا بموضوع التعريض؛ لاصرارهم على عداوتهم وبغضهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وعمه ومن حاماه من عشيرته، فراح أبو طالب يتوعدهم ويحذرهم، فهجاهم بوسائل مختلفة منها: التصغير، والتحقير، والتعريض بعدم نقاء النسب، والنعيت بالعداوة والضغن، والضعفة والحمق، وقلة الحلم والعقل، والدعاء عليهم بسوء العاقبة، ونفي عنهم القيم والفضائل والخلال والشمانل الجليلة التي يتحلى بها العربي الأصيل، وما يلحظ ان هذه الاسماء وردت - في بعض الاحايين - بكنية المهجو، أو الاسم منسوب إلى أبيه، وهذا دليل على قرب مكانة المهجو من الشاعر، وعمق الرابطة التي تربط أبي طالب بالمهجو. وبخلاف المعارضين لدعوة رسول الله في مكة، برز اسم ملك الحبشة النجاشي

(37) المؤيد للدعوة خارج مكة، فحمل اسمه دلالة المدح في الاشادة بحسن معرفه في اجارة المسلمين الفارين من ظلم مشركي قريش وجورهم، فقال أبو طالب :
 {من الطويل}

جوارِ النجاشيِّ الذي ليس مثلهُ
 مليكٌ مجيرٌ للضعافِ الأرامِلِ)

(٣٨)

ونظف ببعض الأسماء التاريخية كأسماء الانبياء: إبراهيم، وموسى، والمسيح ابن مريم، وذو النون، أو أسماء اقوام النبيين: عاد وثمود البائدة، او معجزة ناقة صالح، وهي أسماء ارتبطت بعقيدة توحيد الشاعر، واسم حرب داحس ارتبط ذكره بالتاريخ، وحرب أبي يكسوم: ابرهة الحبشي ارتبط ذكره

بقدسية البيت المحرم)

(39)، فهذه الاشارات الاسمية التاريخية اختزلت احداثاً تاريخية قصصية غايتها في الأداء الشعري الاستبصار والتحذير والوعيد، وبيان عاقبة الأمور لاتعاضد قريش، وردت في شعر أبي طالب الإسلامي، على نحو ما نجده في قوله :
{من الطويل}

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ ورهطِ أبي يكسوم إذ ملأوا لشعباً)

(٤٠)

ووردت أسماء علماء اصحاب الديانة اليهودية والنصرانية من احبار ورهبان وهم: بحيرا، ودريس،

وهمام، وزرير، أو زبير)

(41)، وذكرهم يرتبط بالنبوة، فشكلت هذه الأسماء وظيفة فنية في الحوار ضمن الأداء القصصي لرحلة أبي طالب إلى الشام، فقال :
{من الكامل}

وثنى بحيراً زبيراً فإثنى ونهى في القوم بعد تجادلٍ وتعادٍ

دريساً فإنتهى لما نهي عن قولِ حبرٍ ناطقٍ بسدادٍ)

(٤٢)

ب

- أسماء النساء:

لأسماء النساء حظ في التشكيل اللفظي في بناء لغة أبي طالب الشعرية، المنبثقة من تجربته الآنية،

والمرتبطة بانفعالاته المتنوعة في فنون الشعر، من رثاء، وهجاء، وفخر، وشكوى

(43)، وهي أسماء لها ظل في الواقع - ما خلا اسماً واحداً - سنتحدث عنه فيما بعد. فمن أسماء النساء المقربات لأبي طالب اختاه: صفية واميمة، استمد الشاعر دلالة هذين الاسمين من

دعوته لهما في البكاء على ابنيهما عبد المطلب

- والد الشاعر -، لبيان شدة هول المصاب، والأسى لفراقه نحو قوله :

{من البسيط}

صفيّ بكّي وجُودي بالدموع له وأسعدي يا أميمَ اليومَ بالسَّجمِ)

(٤٤)

وقد يرتبط اسم المرأة في شعر أبي طالب بالتعريض، فذكر اسم أم أبي لهب الخزاعية «سمحج»

بغليظ القول، تنكيلاً باخيه أبي لهب من أبيه الذي لجّ في عداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونابذ

أخاه أبا طالب علانية وجهراً، مما أثار حفيظة أبي طالب عليه، فوجد في هذه الوسيلة من الاداء

اللغوي تنفيساً للترويح عن الضغط النفسي عنه؛ وليحقق توازنه المضطرب الذي سببه اخوه له

بعداوته المستمرة، فقال :

{من السريع }

يُكْنَى بِسَمَحٍ إِذْ يُخَالِفُنَا وَجِدًّا فِي التَّكْرَاءِ وَالْكَفْرِ

فاجعلُ سماحَ وابنها عَرَضًا لكرائم الأكَفَاءِ والصَّهْرِ
صَمَاءٌ ضاقَ اليك عانِرها إسلامنا لنوائب الدهر(٤٥)
وبالمقابل يخضع تعريض الشاعر الى الفخر بأمه «أم الزبير» التي حملت دلالة الطهر والعفة
والشرف والطيب فذكرها بكنيتها؛ للدلالة على عظم مكانتها وشرفها وعزها ومنزلتها، فقال من
القصيدة ذاتها :

{من السريع}

أنا بنو أمّ الزبير وفحلها حملت بنا للطيب والطهر)

(٤٦)

ويجنح أبو طالب إلى تجريد اسم المرأة ويخضعها لمقوماته الفنية في عمله الشعري للوحة الطلل
الذي أفاد لها من الاسلوب التراثي، وهي اسم وهمي؛ لأن «للشعراء أسماء تخف على السنتهم وتحلو
في افواههم، فهم كثيرا ما يأتون بها زورا)»

(47) فوظفها أبو طالب توظيفا فنيا يخدم غاية في نفسه من بث الهموم والشكوى من عداوة قريش له ولابن
أخيه رسول الله(صلى الله عليه وآله) فاستهواه ترديد اسم (أم عاصم) على لسانه؛ لأنه وجد به فضاء رحبا
لما يريد أن يقوله، فأنشد:
{من الطويل}

وكيف بُكائي في الطلّول وقد أتت لها حَقْبٌ مُدٌّ فارقتُ أم عاصم)

(٤٨)

ج

- أسماء القبائل:

بيّنت القراءة الفاحصة لشعر أبي طالب ترديد اسم قريش، وهي عمارة انحدرت من فهر بن مالك بن
النضر بن كنانة وقد تفرعت الى بطون عديدة، وكانت متفرقة في كنانة إلى أن جمعها قصي بن كلاب،
الى الحرم بعد أن ولي امر البيت ومكة

(49)، وتكررت أسماء بطون قريش(50)، في شعر أبي طالب للدلالة على الترابط الوثيق بين الشاعر
وبينها، فشكلت صورة من صور انتماء الفرد بأبناء مجتمعه الذي يظلم ذلك البطن ولا سيما ان بعض هذه
البطن تمثلت بكيانات صغيرة متزعمة في المجتمع المكي تربطها اواصر صلة النسب فأكثرها يعود الى عمود
النسب النبوي.(51)
فمن أسماء القبائل الكبرى التي ينتسب أبو طالب إليها متشكلة في البناء اللفظي لشعره كنانة، وفهر،

(وقريش)

(52)، وترددت في الرثاء بندب القبيلة على المرثي لعظم هول المصاب، او في الفخر للدلالة على علو
مكانتها، أو في التحذير لمغبة سوء افعال من ينتسب إليها، والرد على الخصم منهم، أو التبليغ بخطاب موجه

إليهم يحمل دلالة التعنيف على غرورهم وتأييدهم لاتخاذهم قرارا في قتل محمد رسول الله(صلى الله عليه وآله) زورا وبهتانا واستنكار أفعالهم، ومن ذلك ما قاله أبو طالب:
{من الوافر}

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت
وكل سرانير منها غرور

أيامر جمعهم أفناء فيهر
بقتل محمد والأمر زور
وكيف يكون ذاكم من قريش
وما منا الضراعة والفتور(٥٣)

وذكر أبو طالب أكثر بطون قريش من بني غالب، ولؤي بن غالب، وكعب بن لؤي، وعامر، وهصيص، وكلاب بن مرة، وتيم، ومخزوم، وسهم، وجمح، وزهرة، وقصي، وعبد مناف، وعبد شمس، ونوفل)

(54)، فقد عارض الجزء الاوفر من بطون قريش رسول الله(صلى الله عليه وآله) ودينه، واتخذوا العداة سلاحا ضده بأساليب متنوعة منها السخرية، والافتراء، والتكذيب، والظلم، والجور، والتهديد بقتله، والظعن بدعوته، واجهاضها؛ لأنهم يمثلون كيانات سياسية في المجتمع المكي بوصفهم حماة بيت الله الحرام وجيرانه، ولهذا وردت اسماؤهم لتحمل دلالة الهجاء تارة، والعتاب تارة اخرى، فقال أبو طالب:
{من الطويل}

أخص خوصاً عبد شمس ونوفلا
هُما نَبَدانا مثلاً يُنبئ الجمر(٥٥)

ومن الجدير ذكره ان اسمي: عبد شمس ونوفل متلازمان في شعر أبي طالب دائما)

(56) وهذا لأنهما اخوان فأبوهما عبد مناف.(57)
ويستيع

ن أبو طالب بالله على ظلم قومه وبغيهم من بني لؤي بن غالب فقال :
{من الطويل}

فقلت لهم: الل
على كل باغٍ من لؤي بن غالب)

ه رَبِّي وَنَاصِرِي (٥٨)
ويخص أبو طالب ذكر أسماء بعض بطون قريش: عبد مناف، وهاشم، وعبد المطلب)

(59)، في المديح، والثناء بشخصية الممدوح؛ ولبيان عراقة اصله الذي ينتمي اليه، قال أبو طالب في أبي لهب رجاءً في نصرة ابن اخيه (صلى الله عليه وآله):
{من الطويل}

فلا تركب الدهر منه ذمامة
وأنت امرؤ من خير عبد مناف)

(٦٠)
وأشاد أبو طالب بذكر اسم بني هاشم في مدحه لهم فقال:

{من المتقارب}

عليها المراجيح من هاشم هم الأتجبون مع المنتجب)

(٦١)

وفي الوقت نفسه تتشكل أسماء البطون: بني هاشم وعبد مناف وقصي)

(62) للدلالة على الفخر والزهو والعز والمجد والرفعة والعلو وعراقة الاصل؛ لأنهم يدخلون في عمود النسب الهاشمي فقال، أبو طالب مفتخرا بنسبه :
{من الطويل}

ونحن الصميم من ذوابة هاشم و آل قصي في الخطوب الأوائل)

(٦٣

- الأمكنة:

لأسماء الأمكنة ظل في بنية قصيدة أبي طالب، فهي تحمل شحنات دلالية متباينة)

(64)، يتخيرها للتدليل على واقعتها، وفنيتها بحسب تجربته الشعرية الآتية.
وردت أسماء أماكن في شعر أبي طالب كان لها أثرها الكبير في تاريخ حياته، فشكلت معتقدا دينيا له أهميته بوصفها أماكن مقدسة عند العرب ولا سيما عند قريش، كانت تمارس فيها شعائر دينية معظمة، فتعوذ أبو طالب بها من شرور مشركي قريش لقداستها وعظمتها بعد أن تعوذ «برب

الناس) »

(65)، في قصيدته اللامية التي جمع فيها قدرته الفنية، فقال:

{من الطويل}

وَتَوْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَعَيْرٍ وَرَاقٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِالْبَيْتِ رُكْنَ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةِ وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
وَبِالْحَجْرِ الْمُسَوَّدِ إِذْ يَمَسُّ حَوْنَهُ ه لَيْسَ بِغَائِلِ
وَمَوْطِي إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ وَطَاءَ إِذَا اِكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرَوْتَيْنِ إِلَى الصَّفَا عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا عَيْرَ نَاعِلِ
وَمَا حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَاثِلِ
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
وَتَوَقَّافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً إِلَّا إِلَى مُفْضَى الشَّرَاجِ الْقَوَائِلِ
وَلَيْلَةَ جَمْعِ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَابِلِ
وَمَا فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ

....

وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا

....

وَكَئِنَّةً إِذْ تَرْمِي الْجَمَارَ عَشِيَّةً

يُؤْمُونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ

تُجِيرُ بِهِمْ حُجَّاجَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ (٦٦)

حشد أبو طالب عددا

كبيراً من أسماء المواضع التي تؤدي فيها شعائر الحج، وهو يتعوذ بها، فمن أسماء مواضع الجبال التي تقع في مكة، وبقرتها جبال: «ثور، وثبير، وحراء»، وأشار إلى جبل حراء (67)، بعبادة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فيه، فتعوذ براق ليستعلي عند ربه بعبادته، وبكل نازل متعبد من الجبل بعد رقيه للبر (68)، وبالبيت «واخص» «ركن البيت» في داخل مكة، يأمه الحجيج من كل حدب وصوب؛ لأداء شعائرهم الدينية، ومناسكهم العبادية من حج بيت الله الحرام، وهم يمسحون بأيديهم موضع الحجر الأسود تبركا به، وبموضع «موطىء إبراهيم» خليل الله (عليه السلام)، فأبقى الله اثر قدمه آية للناس عندما رفع القواعد من البيت (69)، وبالسعي ما بين موضعي الجبلين: الصفا والمروة «وما فيهما من صور وتمائيل» التي تعظمها قريش، فاستعاذ بها مجارة لهم؛ لأنهم يعرفون فضل الكعبة بيد أنهم يعظمون اصنامهم ويعبدونها ويطوفون بمواضعها كطوافهم بالكعبة.

ويستمر الشاعر في تعوذه بالاماكن المقدسة بمن حج «بيت الله»، «وبالمشعر»: بعرفة، وبالوقوف

ب «الالى»: موضع جبل بعرفة الى منتهى «الشراج»: موضع سيل الماء، وافاضتهم من عرفات الى

«جمع»: المزدلفة، فهذه المواضع ما فوق حرمتها حرمة، ولا فوق هذه المنازل منازل في مكائنها

ومنزلتها عند الناس، والوقوف بها ليلة المزدلفة من المواقف العظيمة، وبعدها يقصد الحجيج مكان

منى وهو بالقرب من مكة واطرافها من الاعلى الى موضع «الجمرة الكبرى»: جمرة العقبة، لقذف

الحجيج رأسها بالحصى، وبالوقوف على هذه المشاهد من مواضع، تتم شعائر الحج.

فصل أبو طالب في بيان دلالة المواضع والاماكن التي تؤدي العرب فيها طقوسها الدينية، في بيان

اعمال الحجيج والوقوف بالمشاهد المذكورة التي تحمل دلالة التمجيل والتعظيم والتقدیس في نفوس

العرب، ونادرا ما نجد شاعرا يُعنى بهذا الحشد من التركيز عليها، وهذا يدل على حب الشاعر، وحب

العرب لها، وتشبثهم الروحي والنفسي بها؛ لأنهم باجلالهم هذه المواضع يجلون الله، فهم يعرفون الله،

لكنهم وثنيون يشركون بعبادته ظنا منهم أن اوثانهم تقربهم من الله منزلة.

وفي ذكر هذه الأسماء التي تدخل في معتقدات العرب يؤكد الشاعر واقعيته؛ لأنها أماكن شعائرهم

الدينية التي يعظمونها، ويعظمها أبو طالب، فقال مخاطبا قريشا

:

{من الطويل}

لأعظم حَقَّ البيتِ والركنِ والحجرِ)

لقد كان مني ما رأيتم وإنني

المواضع المستقاة من البيت الشعري وهي «البيت والركن والحجر»، وغيرها التي ذكرناها آنفاً، تدل على تجاه الشاعر للديانة الحنفية وشدة معتقده بها، وتبين من تكراره لها ومن كثرة قسمه بها، ولاسيما مكان «الكعبة»، وهو يخاطب بني قصي في حصار الشعب فيتعجب من عدائهم لابنائهم وهم ذو حسب واحد، وأهل ديانة)

(71)، فأقسم بالكعبة ذات الكسوة المحيطة بها أن لا ينالوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تلتقي رؤوس الرماح والسيوف القاطعة: فيما بينه وبينهم فقال :
{من المتقارب}

فَأْتِي وَمَنْ حَجَّ مِنْ رَاكِبٍ
وَكَعْبَةَ مَكَّةَ ذَاتِ الْحُجْبِ
تَنَالُونَ أَحْمَدًا أَوْ تُصْطَلُوا
ظُبَاةَ الرِّمَاحِ وَحَدَّ الْقَضْبِ)

(٧٢)

أثرى المكان «كعبة مكة» السياق بالحيوية الواقعية، فلونه الشاعر بانفعاله الذي استأثر عمق عاطفته من حب واعتزاز وتقدير وتقديس، وهو يقسم بأفضل القسم بكعبة مكة وما يحيط بها من حُجُب، وهذه من الزيادات الفنية؛ متحديا بقسمه من يعادي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعوته. ويحشد أبو طالب في قسمه كثيرا من المواضع الدينية، وهو يخاطب بني لؤي، ويكذبهم بقتل رسول الله، واذلال بني هاشم)

(73)، فاكد بقسمه خبيبة امالهم في أن يتلم ركن الإسلام، فقال :
{من الطويل}

كَذَّبْتُمْ
وَمَكَّةَ وَالْإِشْعَارِ فِي كُلِّ مَعْمَلٍ
بِمَدْمَاهِ وَالرُّكْنَ الْعَتِيقِ الْمُقْبَلِ
تَنَالُونَهُ أَوْ تَعْطِفُوا دُونَ قَتْلِهِ
صَوَارِمُ تَفْرِي كُلَّ عَظْمٍ وَمِفْصَلِ)

(٧٤)

أثمر القسم بالمواضع المذكورة في النص الشعري سياقات مجازية، جعلت النص أكثر حيوية، وهو يقسم ببيت الله وبمكة، وبمكان نحر النوق: موضع الأضاحي المرتبطة بالشعائر الدينية، فهي بمثابة الرابط الدموي بين العبد وسيده الاعلى، سواء أكان ذلك الذي يدينون له بديانة التوحيد لله، أم من يدينون بالوثنية لآلهتهم المتعددة، فتقربهم الى الله، وبالْحَجَرِ الْاَسْوَدِ الَّذِي يَقْبَلُهُ النَّاسُ تَبْرَكَا بِهِ، بأن لايتلم ركنه، وأراد الشاعر مجازا

رُكْنَ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، وهذه التعددية في اسماء المواضع الدينية والقسم بها بهذه التفاصيل الذي احتواها شعر أبي طالب تعدد من الزيادات الفنية الجديدة التي لم نعهد لها في شعر غيره من

الشعراء (75) وتركيز أبي طالب على المواضع الدينية وأماكنها التي تحمل دلالة التمجيد قد جاءت في شعره لأنها من بقايا عهد خليل الله - النبي إبراهيم (عليه السلام) - الذي بنى بيت الله ومسجده، وحفر بئر زمزم، وأقام الشعائر الدينية لتعظيمها في الطواف بها، والوقوف عليها، ونحر الإضاحي تقرباً إلى الله بها وغير ذلك من الشعائر والطقوس العقائدية.

وقد حملت بعض المواقع دلالة التحذير والتوعيد في شعر أبي طالب لقومه وهو يسفه احلامهم

ويكذبها في قتل رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله) مؤكداً بقسمه ببيت الله فقال

{من الطويل}

يُرْجُونَ أَنْ نَسْخِيَ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ وَلَمْ تَحْتَضِبْ سُمُرَ الْعَوَالِي مِنَ الدَّمِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ آلِ جَمَاعِمَ تُلْقَى بِالْحَطِيمِ وَزَمَزِمَ

(٧٦)

له حتى تعرفوا

ساعد القسم بذكر «بيت الله» على تنشيط معاني النص في بناء الصورة واثرائها بالايحاء بما تحمل

من دلالة انفعال الشاعر من تهديد لقريش فيما لو عزمت على قتل محمد رسول الله(صلى الله عليه

وآله) فإنهم سيرون رؤوسهم تتهاوى في موضعي (الحطيم): جدار البيت، وفي بئر زمزم، للدلالة

على شدة غضبه، بيد أن الحطيم وزمزم لم يذكرهما أبوطالب بدلالة دينية صرفة، وإنما جنح إلى

تعجيز خصومه من ان يمسوا رسول الله(صلى الله عليه وآله).

ويعد أبو طالب بحق أكثر الشعراء احتفالاً بالاماكن الدينية، ولا سيما «مكة» بوصفها مركزاً دينياً

وإدارياً وسياسياً، مرتبطة بسيادته، وسيادة ابانه، فهم سدنة بيت الله وحجابه، ولهم الرفادة والسقاية،

وهم الرؤساء والحكام والسادة الأعلون فيها)

(77)، فقال مفتخراً :

{من المتقارب}

فَإِنَّا بِمَكَّةَ قَدِمْنَا لَنَا بِهَا الْعِزُّ وَالْخَطَرُ الْأَعْظَمُ

وَمَنْ يَكُ فِيهَا لَهُ عِزَّةٌ حَدِيثًا فَعِزَّتْنَا الْأَقْدَمُ

وَنَحْنُ بِبَطْحَانِهَا الرَّانِسُو نَ وَالْقَائِدُونَ وَمَنْ يَحْكُمُ

نَشَانَا فَكُنَّا قَلِيلًا بِهَا نُجَيْرُ وَكُنَّا بِهَا نَطْعِمُ

إِذَا عَضَّ أَرْزَمُ السَّنِينِ الْأَنَامَ وَحَبَّ الْقَتَارِ بِهَا الْمُعْدِمُ

(٧٨)

سجل أبو طالب مكان بطحاء مكة؛ لأنه موطن اقامته واقامة ابانه، وعشيرته منذ القدم، فاستحضارها في فن الفخر يثير في نفسه معاني الزهو والعلو والعز والمجد والكرم والرفعة والاجارة والمكانة السامقة بين العرب.

ووردت أسماء اماكن دينية في فن الرثاء بصورة متخيلة ومملوءة بالايحاء، صاغها أبو طالب باناقة فنية تجاوز فيها التعبير التقريري المباشر إلى التعبير المعنوي الذي يكشف جانبا من جوانب نفسيته وهو يرثي خاله هشام بن المغيرة:

{من الطويل}

فقدنا عميدَ الحيِّ فالركنُ خاشعٌ لفقد أبي عثمان والبيتُ والحجرُ)

(٧٩)

بث الشاعر حزنه على من يحبه، فتخطى حاجز الواقع إلى الخيال المتزاج مع العاطفة، فأثرى المكان بفاعلية الخيال في وصف عميد الحي، وخشوع الركن والبيت والحجر لوفاته، فلم يكن وصف الشاعر للمكان وصفا تقريريا مباشرا، وانما اغناه بالخيال الموحى المؤثر، فأثار ألواناً من الدلالات من التقدير والتبجيل والالم والحزن، والخسارة لفقد أبي عثمان.

وهناك أسماء ارتبطت بالصورة المتخيلة في الحديث عن ذكرى الطفل، وهي: «بولان، وخلّة، وينبع، وهضب الرّجائم، والحي» أثارت في نفس الشاعر الوانا من المشاعر الانسانية من حزن وبكاء وألم وحسرة لنوى الاحبة، وفراقهم، تحمل ذكريات الماضي لروابطهم الاجتماعية على نحو قول أبي طالب في الشكوى من ظلم قومه له :

{من الطويل }

فكَلَفْتُ عَيْنِي النُّبَاءَ وَخَلْتَنِي قَدْ انزَفْتُ دَمْعِي اليَوْمَ بَيْنَ الْأَصَارِمِ

...

...

غَفَارِيَّةً خَلَّتْ بِبُولَانَ خَلَّةً فَيَنْبُعٍ أَوْ خَلَّتْ بِهَضْبِ الرَّجَائِمِ

فَدَعَهَا فَفَدَّ شَطَّتْ بِهَا عُرْبَةُ النَّوَى وَشِعْبٌ لِشَتِّ الْحَيِّ غَيْرُ مُلَابِمِ)

(٨٠)

منحت أسماء الاماكن، ولاسيما المتتابعة بحروف العطف في السياق اللغوي للنص كثافة ايحائية في اشارة نفس الشاعر وشجونه للذكرى المتخيلة التي طواها الزمن، فبعثها المكان من جديد فكانت محطة

لتفريغ الشاعر عن ضغطه النفسي المبتوث في المقدمة الطللية التي جاءت استجابة لطبيعة موضوع

القصيدة المطروق في اقتران افتراق الحبيبة بافتراق قومه عنه.

وقيد أبو طالب أسماء الأمكنة في نسيج شعره منها: «أرض، عرين، دور، منازل، معقل، بلاد، فلاة،

فيفاء، قبور، حي)»

(81، مفردة، او مضافة إلى اسم مكان، وهي اماكن تتعلق بشؤون الشاعر العامة، أو بشؤون عشيرته و قومه، وقد وردت استجابة لطبيعة تجربته الشعرية، وتأطرت بلغة تعبيره الشعري التقريرية المباشرة، أو بمراتع خياله في التعبير المجازي.

فمما ورد من الفاظ المكان في سياقات التعبير التقريري المباشر متخذة وظيفة فنية تحمل عنصرا من

عناصر ملامح السرد القصصي في حديثه عن رحلته إلى الشام قوله :

{من الطويل }

فلَمَّا هبَطْنَا أَرْضَ بَصْرَى تَشَوَّفُوا
لَنَا فَوْقَ دَوْرٍ يَنْظُرُونَ عِظَامِ)

(٨٢

وقوله

أيضاً:

{من الطويل }

فَرَحْنَا مَعَ الْعَيْرِ الَّتِي رَاحَ رَكْبُهَا
يَوْمَؤُنَ مِنْ غُورِينَ أَرْضِ إِيَادِ)

(٨٣

شكلت الأماكن في البناء اللفظي وصف رحلات الشاعر وهو في طريقه إلى الشام، فتمثلت جزءاً من

معالجة قصص رحلاته متخذة حضوراً واقعياً غير موحٍ، وغير مرتبط بسياقات مجازية، وقبل هذا

الامر نجد أسماء أماكن ارتبطت بسياقات مجازية، وحققت حضوراً واقعياً على نحو قول أبي طالب

مفتخراً بصوت الجماعة في حمايتهم لأرضهم :

{من الوافر }

مَنْعْنَا أَرْضَنَا مِنْ كُلِّ حَيٍّ
كَمَا إِمْتَنَعَتْ بِطَانِفِهَا ثَقِيفُ

أَتَاهُمْ مَعْشَرٌ كَيْ يَسْلُبُوهُمْ
فَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ السُّيُوفُ)

(٨٤

حلَّقَ خيال الشاعر الى توضيح بيان حماية قومه لارضهم، فهم حراس عليها مثلما يحمي العيسيس

أرض ثقيف ممن أراد الاعتداء عليهم، فحمل المكان دلالة صونه، وحفظه، ومنعته، وحمايته، والدود

عنه ضد من يطمع فيه.

الصياغة:

سبق أن تحدثنا عن الألفاظ ودلالاتها المعجمية، ودلالاتها ضمن السياق الذي وردت فيه؛ لأن الألفاظ المجردة لا تشكل لغة أدبية ما لم تكن في انساق لغوية منظمة تقوم أساساً على الصياغة المتمثلة في تراكييب، والموافقة لفنية بناء النص الأدبي وتقنياته، وإن عملية انتقاء الألفاظ وطريقة تصنيفها وانتظامها في انساق غير كفيلة بخلق نظام لغوي في قالب شعري مؤثر ما لم تنصهر بجوهر عاطفة الشاعر من احساسه ومشاعره وانفعالاته وتجربته التي هو في صدد الحديث عنها، فتنجز بمجموعها عملاً شعرياً إبداعياً له درجة من الأثارة بحسب ما يحمل من إحياءات شعورية متباينة في نقل احساسه وفكرته إلى المتلقي، ولهذا وجب على الشاعر أن يحقق التوافق والانسجام بين هيئة التركيب ومحتواه؛ لكي تظهر قدرته الإبداعية في عمله الذي حقق فيه الصلة بين الشكل والمحتوى. وفيما سبق عرضنا الخصائص الفنية لألفاظ شعر أبي طالب المشاعة فيها سمتان: البساطة والسهولة، فاستقطبت حضوراً لمزايا ثلاث هي الوضوح؛ فئات الألفاظ عن حوشي الكلام وغريبه وبما إن الألفاظ جزئيات مبعثرة رصفها الشاعر في تراكييب منسقة ومنظمة تصور تكوينه النفسي والعاطفي في منظومة شعرية، فلا بد من أن تطبع آثارها في تراكييب لغوية تحتويها، فامتازت بمزايا الألفاظ للأسباب التي ذكرناها آنفاً، فاحتفلت التراكييب بالبساطة والسهولة والوضوح المتشكلة في الخطاب الشعري، فنهض خيال الشاعر الرحب، وبطاقاته القائمة على تنويع التراكييب في النص الواحد مصوراً جانبه المسيطر الذي يمتلك السلطة الجماعية؛ لتوافر إمكانات الإرشاد والوعظ والنصح والتوجيه التابعة لسلطته عن طريق أكثر التراكييب الطلبية برسالة شعرية تحمل مداخل كثيرة محكومة بتجربة الشاعر المرسل.

وجنوح أبي طالب لهذه النزعة الخطابية الطاغية في أكثر شعره يعود إلى أنه سيد قريش وزعيمها وحاكمها ورئيسها، فهو معني بابلاغ خطابه الموجه إلى المجتمع القرشي لا يصلح فكرته التي ينادي بها في رسالة شعرية موجهة اليهم، أو إلى شخص بعينه، فيلجأ إلى هذا الأسلوب الذي يظهر فيه الجهر والانفعال والجدة التي يفصح عنه النص من خلال استعماله للوسائل الخطابية المنسجمة مع فنون القول المختلفة من هجاء وتوعد وتهديد وتحذير وعتاب والموافقة لانفعالاته صعوداً وهبوطاً

والمتباينة سلبيًا

وإيجاباً.

ومما ساعد على ابراز ظاهرة النزعة الخطابية في شعر أبي طالب أنه تصدّر ساحة الشعر العربي في

فجر الإسلام، فدعا إلى نصره ابن أخي

ه رسول الله صلى الله عليه وآله) وحمائته وموازته بكثير من القصائد ذات الأساليب الطلبية المنشدة امام جمهور قريش في بيت الله الحرام، أو في دار الندوة، أو في مجالس قريش، فكان الانشاد وسيلة الشاعر الإقناعية في تبليغ ما يجول في ذهنه من وعظ وتوجيه وإرشاد ونصيحة ووصية الى الجهة التي يرغب إيصال صوته إليها وأذاعته وانتشاره؛ لاستقطابهم إلى صف الإيمان، وعلى الشاعر ان يكون خطابه الموجه إلى الطرف الآخر حانزا على الرضا والقبول والتأثير، لذلك كله، فهو يُعنى بصياغة تراكيبه اللغوية المنصهرة بأفكاره ونفسيته وخياله؛ ليستولي على عقول مستمعيها، ويؤثر في نفوسهم. إن عناية أبي طالب بلغته الشعرية، ولا سيما التراكيب الطلبية المتنوعة في خطابه الشعري الموجه،

يترتب عليها اقناع الطرف الآخر بما يصبو اليه من إيصال فكرته؛ لأنه الرجل المساند لابن أخيه رسول الله، ولدعوته وكلاهما يواجه خطرا حقيقيا متمثلا بعداء زعماء الشرك من قريش المتربصين بهما، لوأد الدعوة الإسلامية، والقضاء على صاحبها ومن ساندته وحاماه، وهذا ما أفرزه شعر أبي

طالب بقصائد ومقطعات شعرية.

اما شعر فن الرثاء فيتوجه الشاعر فيه بخطابه الى المفقودين، وهو خطاب يباين خطابه الاحياء يعبر فيه عن حرارة انفعاله وصدق عاطفته ومرارة لوعته لفراقهم؛ ليشاطر المعزين المستمعين انفعالاته من بكاء وحزن وألم وحسرة وهو نادب ومؤين ومعزٍ، ومن هنا كان الخطاب الشعري موجها الى الاحياء والاموات.

ويتوكأ أبو طالب في خطابه الشعري بوسائل الخطاب الجهرية من استفهام ونداء وأمر ونهي ودعاء وتحضيض وافعال الخطاب وضمانره، وقد تتلاقح أكثر من وسيلة من وسائل الخطاب لنتاج سياقات معبرة تثير انتباه السامع للخطاب.

ويعمل الخطاب الشعري على تعزيز حضور الشاعر والمتلقي أو المستمع سواء أكان الشاعر منشدا خطابه بنفسه، أم انشده راوية اخر عنه، فهذا لا يقلل من اهمية الخطاب؛ لأن المرسل والمرسل اليه ركيزتان مهمتان في عملية التبليغ، وعلى نحو ذلك كان خطاب أبي طالب الشعري مباشرا أو بوساطة راوٍ اخر يحمل خطابه إلى الطرف الآخر لتبليغ ما يرغب في إيصال رسالة تتعلق بامر معين متوسلا

فيها أساليب الطلب مقترنا، - ولاسيما

- بفعل الامر «ابلق(85)»، وخطابه الشعري اما ان يكون موجها إلى قريش جميعها، أو يخص بعض البطون لقرابته منها، أو إلى أفراد يسميهم ويبلغهم أمور بعينها، بحسب تجربته الشعرية التي هو في صدد الحديث عنها، على نحو قوله مخاطبا قريش في قصيدته الرائية حين افتقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وظن أن قريشا اغتالته :
{من الوافر }

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت

وكل سرانير منها غدور

فإني والضوايح عاديات
لأل محمّد راع حفيظ
ولست بقاطع رحمي وولدي

وما تتلو السفاسرة الشهور
وود الصدر مني والضمير
ولو جرت مظالمها الجور

فلا وأبيك ما صدقت قريش
أيامر جمعهم أفناء فيهر

و لا أمت رشاداً إذ تشير
بقتل محمّد والأمر زور
وأطلق عقل حرب لا تبور

ألا ضلت خلومهم جميعا

وما ذاكم رضى لي أن تبورا

أترضى منكم الخلماء هذا

وأبيض ماؤه غدق كثير

بني أخي ونوط القلب مني

وأحمد قد تضمّنته القبور

وتشرب بعده الشبان ريا

وما منا الضراعة والفتور

وكيف يكون ذاكم من قريش

أبي أمركم عنه نفور

فإما تفعلوه فإن قلبي

....

....

بوادر لا يقوم لها ثبير

هنالك يا بني تكون مني

إذ ما الأرض زلزلها النذير

كذهبة الصخور من الروابي

وما حلت لكعبته الندور

فلا تحفل لقبيلهم فإني

بك الدهياء أو سالت بحور

وقي دون نفسك إن أرادوا

كان جبينك القمر المنير

أيا ابن الأنف أنف بني قصي

تجنّب الفواحش والفجور

لك الله الغداة وعهد شيخ

من الأعمام أعضاء نُصور

بتحفاظ ونصرة أريحي

(٨٦)

تمت عملية ابلاغ الخطاب الشعري بوسيلة اداء الطلب «ألا» مع فعل الطلب الأمري «أبلغ» من الشاعر المخاطب المرسل برسالة تحتوي على سياقات فنية أدبية مشبعة بدلالات موحية صورت ألواناً من انفعالات الشاعر وعواطفه من غضب وزهو وحب وحنان وشفقة منقولة الى الطرف الاخر المرسل اليه «قريش» بوساطة شخص معين تقع عليه مهمة تبليغ الرسالة، وهذا ما يفصح عنه لفظ «ابلق»، بيد أن هذه الصيغة الطلبية لا تعني عزوف الشاعر عن مخاطبة قريش مباشرة، وانما أراد أن يبلغ الحاضر منهم الغائب بما يود قوله من تحذيرهم ولهذا تزوج في تعبير الخطاب الشعري ما

يدل على الحاضر والغائب والمخاطب من خلال الأفعال والضمائر الدالة عليهم، وظهرت صورة المخاطب المرسل هي الأكثر بروزاً في نص الرسالة تتجلى في فخره الذاتي، وهو يسبغ على نفسه صورة الرجل الناصر الذي يتولى مهمة الذود عن محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حفظه وحمايته، مجددا العهد في تبليغ رسول الله، وقريش بأنه ماضٍ على مواصلة المسيرة في حماية ابن أخيه ونصرته.

وانساق الشاعر في عتاب قومه في خطابه الشعري، وهو يتخير من أساليب الطلب: العرض والتحضيض، أما صيغة العرض، فاستعمل «لوجرت» فافادت اللطف والملاينة الممزوجة بالعتاب في ترك ما عزمت عليه قريش من أذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويظهر من السياق الطلب المنجر تناغم أصوات الألفاظ في صيغة العرض في بيان عزوف الشاعر عن قطيعة صلة رحمه، وانصرافه عن اولاده مهما نجم عن ذلك من حروب، وهو يخاطب قريشاً عندما قررت قتل رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله).

وافادت الصيغة الطلبية للتحضيض «ألا ضلت» التائب واللوم في ضلالة حلوم قريش وعدم الاهتمام الى طريق الحق، فاستعمل أداة التحضيض حملت دلالة الطلب بالحث والشدة، والشاعر ساق هذا الأسلوب لتهديد قريش وتحذيرها من حرب لا هوادة لها.

ويلجأ الشاعر في خطابه إلى إحدى طرائق الطلب ومنها: الاستفهام بوصفه وظيفة تعبيرية عن استنكاره في تأمر افناء قريش لقتل محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتسفيه احلامهم في «أيامر جمعهم افناء فهر...»، أو يفيد الاستفهام دلالة النفي في خطاب الشاعر «أترضى منكم الحلماء هذا»، «وكيف يكون ذاكم من قريش» أي: لا ترضى منكم الحلماء هذا، ولا يكون ذاكم من قريش. ولكي يعقد أبو طالب موازنة نفسية بسبب ما سببته قريش من أذى نفسي له ولرسول الله كان من حكمته أن يخفف حدة انفعاله، فجنح بقدر معين إلى المعادل في تقوية النفس في التعبير عن القيم

الاجتماعية والخلقية في الخطاب الموجه إلى ابن أخيه فناد

اه بصيغة الطلب مادحاً «يابني...» و«أيا ابن الأنف أنف بني قصي...» معاضدا ندائه بصورتين تشعان بهاء مستمدة الأولى من تشبيه ثورة انفعال الشاعر بدهمة الصخور إذا أصابت الأرض الزلزال، والصورة الثانية من تشبيه جبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقمح المنير، وهو يعاهده بالحفاظ عليه ونصرته. إن تلازم أساليب الطلب المتنوعة من أداة استفتاح وتنبية، وصيغ الأمر، والعرض، والتحضيض،

والاستفهام، والنداء ساعدت على علو نبرة الشاعر الخطابية في بناء نص الرسالة الموجه الى قريش

وتلوين انفعالاته، فاسهمت في تدفق صور حيوية معبرة.

واختلف خطاب أبي طالب الشعري الموجه الى قريش، ولاسيما أبناء لؤي بن غالب باختلاف اساليبه،

وهو يقوم بوظيفة وعظية وحكمية في قصيدته الميمية، فيشكو ظلم قومه، ويفخر بنصرة رسول

الله (صلى الله عليه وآله) فقال :

{من الطويل}

ألا أبلغن عني لؤي بن غالب
ألم تعلموا أنّ القطيعة مائتم
فإنّ سبيل الرشد يُعلم في عد
فلا تسفهوا أحلامكم في محمّد
تمنّيتم أن تقتلوه وإنّما
فإنكم
- والله - لا تقتلونه
ولما تصل للقوم منّا ملاحم
وتدعوا بأرحام أو اصبر بيننا
وتسمو لخيّل نحو خيّل يحثّها
أترجون أنا مسلمون محمداً
بكلّ فتى ضخم الدسيعة ماجد
نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه

وأفنا قريش عند نصّ العزانم
وأمر تلاقيتم به غير حازم
وأنّ نعيم اليوم ليس بدائم
ولا تتبعوا أمر الغواة الأشائم
أمانتكم تلکم كأحلام حالم
ولما تروا نثر الطلى والجماجم
تحوم عليها الطير بعد ملاحم
وقد قطع الأرحام وقع الصّوارم
إلى الرّوع أبناء الكهول القماقم
ولما نقاذف دونه بالمراجم
تمكّن في العلياء من نسل هاشم
فمن قال: لا، يقرع بها سنّ ناديم)

(٨٧)

ألزم الشاعر نفسه تبليغ رسالته لافراد قريش جميعا، ولاسيما رهطه الذين يدخلون في عمود النسب النبوي، فهم أولى من غيرهم من قريش في نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستفتح خطابه باداة العرض «الأ» الدالة على التنبيه لطرق الاسماع، وايصال الشاعر خطابه عبر رسالة معبرا عما يرغب تبليغه بسياقات أدبية غايتها الفهم والوعظ مصاغة بأسلوب يميل إلى الحكمة بعدم قطع صلة الرحم، لأن فيها اثما عظيما؛ وان طريق الرشاد سيعلم غدا وان السعادة ليست دائمة، مستعملا صيغة الأمر المؤكدة بنون التوكيد «أبلغن» حرصا منه لتوكيد تبليغ الرسالة، وهو يجنح إلى استعمال صيغة الاستفهام «ألم تعلموا ان القطيعة مائتم...» الدالة على كمال علم قريش بحدوث ما تسببه القطيعة من أثم، ويتضمن الاستفهام نوعا من الاستبعاد في قول الشاعر «أترجون أنا مسلمون محمدا...» الدال على استبعاد حدوث تسليم رسول الله للقتل المرتبطة بعجز امكانات قريش، وبقوة الشاعر المؤكدة بـ

«إن»، ويتلو الشاعر افعال الطلب بصيغة النهي «لاتسفوها احلاكم في محمد، ولاتتبعوا امر الغواة»
الدالة على الردع وطلب الكف، معقبا بالافعال المضارعة المبدوءة بتاء المضارعة الدالة على الخطاب
ومكثرا من ضمائر الخطاب نحو كاف الخطاب وتاء الفاعل في «تمنيتم أن تقتلوه، أمانيكم تلکم، إنکم،
لاتقتلونه، تروا، وتدعوا، وتسموا، ترجون» على الترتيب، وختم الشاعر رسالته بخطاب وعظي في
ان محمدا نبي مرسل نُزِّل عليه الوحي من عند ربه، ومن رفض، فلات ساعة مندم.

إن التنوع في اسلوب الخطاب من وعظ وحكمة وتهديد ووعيد وتحذير في آن معا يدل على سيطرة
الشاعر وتمتعه بسلطة قوية منحت له امكانيات هذا التلوين الخطابي وساعدت على علو نبرته، وهو
يسفه امانى قريش، ويهددهم ويتوعددهم بالحرب والقتل، راسما من خياله صورا غنية بالايحاء مما
افرزته دلالات الخوف والرعب والاشمزاز ازاء صورة قطع الرؤوس وتهاويها، وصورة حوم الطيور
حول جثث القتلى جراء القتل بحدّة السيوف، فرقد الشاعر لغته بخصوبة خياله، واستعمل وسائل
الخطاب المتنوعة من صيغ العرض والامر والنهي والمضارع المسند الى ضمير المخاطب وضمائر
الخطاب الظاهرة، بيد أن الشاعر لا يركن الى استعمال صيغ الطلب والخطاب فحسب، وانما يتحول
فخره بالذات المختزلة في فخره الجماعي إلى وسيلة وعظية تدعم خطابه لتقوم بوظيفة ايصال
رسالته إلى قومه وافهامهم اياها، فنتجت منها حكمة وعظية انطلقت من بداية الرسالة وختمتها
بحكمة وعظية أيضا.

حاول الشاعر في رسالة اخرى موجهة الى بني لؤي من ابناء عمومته الأقربين وهم تيم وعبد شمس
ونوفل، أن يستعيض من الوعظ في افهامهم بما يود ايصاله إليهم باسلوب تعبيرى اخر يظهر فيه علو
صوت (الشاعر) المرسل، وحضور صوت المرسل إليه (قومه) بشكل واضح من خلال الفعل
«يقولون» والضمير المخاطب «انتم» في قوله :

{من الطويل }

بِحَقِّ وَمَا تُغْنِي رِسَالَةَ مُرْسِلِ	أَلَا أْبْلِغَا عَنِّي لَوْيَا رِسَالَةَ
وَإِخْوَانِنَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَنُوفَلِ	بَنِي عَمَّنَا الْأَدْنِيِّينَ تَيْمًا نَحْصُهُمْ
وَأَمْرَ عَوِيٍّ مِنْ غَوَاةٍ وَجُهَلِ	أَظَاهَرْتُمْ قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَةَ
أَقْرَبَتْ نَوَاصِي هَاشِمٍ بِالتَّدَلُّلِ	يَقُولُونَ إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا مُحَمَّدًا

...

...

صَوَارِمُ تَفْرِي كُلَّ عَظْمٍ وَمَفْصَلٍ	تَنَالُونَهُ أَوْ تَعْطِفُوا دُونَ قَتْلِهِ
مَصَالِيَتٍ فِي يَوْمٍ أَعْرَّ مُحَجَّلٍ	وَتَدْعُوا بِأَرْحَامٍ وَأَنْتُمْ ظَلَمْتُمْ
بَيِّنِينَ تِمَامًا أَوْ بَأَخَرَ مُعْجَلٍ	فَمَهْلًا وَلَمَّا تُنْتِجِ الْحَرْبُ بِكَرَاهَا
نُجَالِحُ فَنَعْرُكَ مِنْ نَشَاءٍ بِكُلِّكَلٍ	فَأِنَّا مَتَى مَا نَمِرْهَا بِسَيُوفِنَا
عَلَى رِبْوَةٍ فِي رَأْسِ عَيْطَاءٍ عَيْطَلٍ	وَتَلْقُوا رَبِيعَ الْأَبْطَحِينَ مُحَمَّدًا
عِرَانِينَ كَعَبٍ آخِرًا بَعْدَ أَوَّلٍ	وَتَأْوِي إِلَيْهِ هَاشِمٌ إِنَّ هَاشِمًا
فَرُومًا بِمَا جَمَعْتُمْ نَقْلًا يَذْبُلُ	فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ قَتْلَ مُحَمَّدٍ
وَذِي مَيْعَةٍ نَهْدِ الْمَرَائِلِ هَيْكَلٍ	فَأِنَّا سَنَحْمِيهِ بِكُلِّ طَمْرَةٍ
وَعَضْبٍ كَأَيْمَاضِ الْغَمَامَةِ مَقْصَلٍ	وَكُلُّ رُدَيْنِيَّ ظَمَاءٍ كَعُوبَةٍ
دِلَاصٍ كَهَزَاهَا زِ الْغَدِيرِ الْمُسَلْسَلِ (٨٨)	وَكُلُّ جَرُورٍ الدَّيْلِ رَعْفٍ مُفَاضَةٍ

تركبت الرسالة من خطاب الشاعر؛ وخطاب قومه في ابداء رأيهم حول قضية الدعوة الإسلامية وموقفهم منها، ومن صاحبها بدلالة الفعل «يقولون» الدال على غياب المرسل اليه، وكان تبليغ الرسالة بوساطتين: الأولى، موجه إلى بطن تيم، والثانية، موجه إلى الأخوين عبد شمس ونوفل بدلالة القرينة السياقية لصيغة الامر «ألا ابلغا» الدالة على التثنية، واداة الاستفتاح والتنبيه لقرع الاذنان لسماع الخطاب، ويبدو أن سلطة قوم الشاعر محدودة في نص الرسالة، فسرعان ما تنتقل الى الشاعر متوسلا بأدوات الخطاب المتنوعة من استعمال الفعل المضارع المبدوء بالهمزة أو التاء، على نحو ما نجده في «اظهارتم، تنالونه أو تعطفوا، تدعوا»، وضمير المخاطب الجمعي «أنتم»،

وصيغة الدعاء المفهومة من سياق النص «... أقر

ت نواصي هاشم بالتدلل»، واستعمال احدى طرائق الخطاب الطلبية ومنها: اسم فعل الامر «مهلا» وفعل الامر «فروموا» الذي ألزم الشاعر فيه قومه بعدم القدرة المحددة بالعلاقة الشرطية بين جملة الشرط وجوابها المبنية على التقابل:

«ف

إن كنتم ترجون قتل محمد
فقتل محمد مرهون بتعجيز القوم في نقل جبل يذبل ال

ى مكان اخر، أي لا يستطيعون؛ لأنه في حماية حصينة، ولهذا علت نبرة الشاعر الخطابية في مديح رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فخره الجماعي وهو يثري سياقات الخطاب بالصور المجازية من العالم الخارجي الذي ابتدعتها لغته الفنية، مما ساعدت على بيان القيمة الجمالية للخطاب الشعري وهيمنة صوت الشاعر في توضيح فكرة الابلاغ، وافهام قومه للرسالة التي شكلت بنية تعبيرية حملت فكرته وانفعالاته.

وخلاصة القول إنَّ نص الرسالة سلط الضوء في الخطاب الشعري المشترك بين الشاعر وقومه وما نتج عنه من ائصال فكرته في غواية القوم من قتل رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم انفصام الخطاب المشترك، واعلاء نبرة الشاعر المسيطر في الرسالة الموجهة، وجنوحه لتقديم صور من العالم الخارجي نهضت باعلام الطرف الاخر في اشعال اوار نار الحرب، وما يدور في ساحة المعترك اذا ما أصرَّ القوم على غوايتهم وهذا هو جوهر توصيل ابلاغ الرسالة، فتحول الخطاب الشعري من تنبيهه بواسطة اداة الاستفتاح في بداية الخطاب الى وسيلة اقتناعية في التبليغ، وعلى هذا النحو نهج أبو طالب في قصائد أخرى خبرها بهذا الأسلوب التبليغي)

89).

وهناك اساليب لغوية متعددة وردت في شعر أبي طالب اتخذها سبيلا لقول الشعر استوعبت تجربته الشعرية وسنورد منها ما يأتي:

- النفي:

النفي اسلوب اخبار سلبي يدل على النقص والانكار للاشياء المادية والمعنوية على السواء وهو ضد الايجاب يراد به ازالة ما في ذهن المخاطب من اقتناع بشيء معين، وورد تركيب النفي في شعر أبي

(طالب)

90) بطرائق متبانية بحسب طبيعة التجربة الموضوعية التي يكون الشاعر في صدد الحديث عنها في نقض موقف معين وانكاره، يتبين في بنية السياق التعبيري من استعمال الادوات (لا، لم، ما) في رثانه لخاله أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فقال :

{من الطويل}

تَوَلَّوْا وَلَا أَبُو أُمِيَّةَ فِيهِمْ	لَقَدْ بَلَغَتْ كَظَّ النُّفُوسِ الْحَنَاجِرُ
تَرَى دَارَةَ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرُ وَسَطَهَا	مُكَلَّلَةً أَدَمَ سِمَانٍ وَبَاقِرُ
...	...
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَحْمٌ عَرِيضٌ فَإِنَّهُ	يُكَبُّ لَهُمْ أَفْوَاهُهُنَّ الْعَزَائِرُ
فَيَصِيحُ أَلُ اللِّ	كَسَتْهُمْ حُبُوراً رَيْدَةً وَمَعَاوِرُ

(٩١)

ه بيضاً كأنما

حدد الشاعر وظيفة النفي اللفظية والمعنوية، فاستعمل (لا) النافية المشبهة بـ (ليس) (الدالة على معنى السلب وترتبط بمضمون الكلام في انكار فكرة رجوع أبي أمية مع المسافرين العاندين من الرحلة، مما تراحم في نفس الشاعر الغم، والحزن، والالام لموت خاله، ويبدو أنَّ النفي بـ (لا) الداخلة على الجملة الاسمية أكد وابلغ مما لو دخلت على الفعل المضارع، فتجعل زمنه شاملا للحاضر والمستقبل على

نحو قول الشاعر «ترى داره لا يبرح الدهرُ وسطها» فدل سياق النفي على عدم براح الدهر، لزهو دار أبي أمية بكثرة الجمال المعدة للذبح لأكرام الضيوف فيما مضى ويمتد الى زمني: الحاضر والمستقبل في تصور الشاعر الذهني؛ لأن موت خاله يصطدم مع زمني: الحاضر والمستقبل، الحائل دون عادة الكرم.

ويجتهد الشاعر في استعمال اداة النفي (لم) الدالة على قلب دلالة زمن المستقبل الى الماضي في نفي ان تكون لحوم النوق غير طرية يريد أن النوق المذبوحة للضيوف سميحة للدلالة على عظم كرم خاله، وافادت (ما) من السياق دلالة لفظية في تقوية الصورة التشبيهية وتوكيدها في «كأنما...» فقريش اهل الله بيض الوجوه كأنهم كستهم ثياب الحبيرية بكرم المرثي عليه، فإرشد النفي بتوسيع دائرة توكيد التشبيه، وكان ذلك كله دافعا قويا لتأبين الشاعر لخاله بفضيلة الكرم.

واستعمل أبو طالب تركيب النفي وسيلة لدفع أقاويل قريش في اتهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالزور والبهتان مخاطبا قومه :

{من الطويل}

وَمَنْ يَخْتَلِقْ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يُكْذِبُ

عَلَى سَاخِطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبٍ

لدى غُرْبَةٍ مِنَّا وَلَا مُتَقَرَّبٍ

...

طَلِيحٍ بَجَنَبِي نَخْلَةٍ فَالْمَحْصَبِ

لِنَحْلِفَ بَطْلًا بِالْعَتِيقِ الْمُحَجَّبِ)

وَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلًا

فَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ آلِ

له فينا مصدقاً

فَلَا تَحْسِبُونَا خَائِلِينَ مُحَمَّدًا

...

فَلَا وَالَّذِي يَحْدِي لَهُ كُلُّ مَرْتَمٍ

يَمِينًا صَدَقْنَا اللَّهَ فِيهَا وَلَمْ نَكُنْ

(٩٢)

حشد أبو طالب أدوات النفي من اسم وفعل وحرف وهي «غير، ليس، ما، لا، لم» منفردة، ومكررة، لاثبات حقيقة ونفيها باحدى أدوات النفي ومنها أداة النفي (لا) التي افادت ازالة ما في ذهن السامع من قناعة بصدق اقوال قريش، المفترية بالكذب، فأتت الشاعر أن ما ادعته قريش باطلٌ وهو محض افتراء، ويبطن الشاعر الاثبات في موضع النفي في جملة الشرط، فأتحت له أن يمد العبارة في قوله: «ومن يخلق ما ليس بالحق يُكذَّب» فطول التركيب ساعد على توضيح فكرة الشاعر في تثبيت حقيقة تلازم اختلاق الاحاديث بدلالة الزمنين الحال والمستقبل.

ويتوحد صوت المخاطب بالصيغة الجمعية في خطاب الشاعر الموجه إلى قريش لاثبات صدق ابن عبد الله النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فيما ذكره من فعل الأرضة لأكلها الصحيفة، فينفي عن قريش العتب بالاسم «غير»، وبعد اثبات صدقه برسول الله يعلو صوت الجماعة مفتخرا بنصرتة ومنعته في عدم تركه بلا عون، وخذلانه بلا ناصر، وهذا غريب عند الشاعر لا يكون ابداً، ويؤكد الشاعر بحرف النفي (لا) بالقسم في مقدساته وصدق الله في قسمه؛ ليؤكد نفيه بالحرف (لم) الذي قلب دلالة الزمن من المستقبل الى الماضي، فيؤكد مرة أخرى بالقسم بعدم حلفه بالكعبة بالباطل، وبهذا كله اتاح الشاعر بناء تركيب النفي المجال في الافادة من طاقات الانفعال المتنوعة، فشكلت ضمن تراكيب النفي تراكيب اخرى مثل: الشرط والقسم وجملة العطف، فشحن انفعالاته في صور رفع الظلم والضميم والافتراء عن رسول الله الموجهة من قومه، ومن ثمّ اعلان نصرتة وحمائته، فيصل بهذه التراكيب إلى عنصر مكمل للعبارات الممتدة في تراكيب طويلة دالة على طول النفس الشعري عند الشاعر.

- التوكيد:

يورد المتكلم أحيانا حديثاً خالياً من التوكيد؛ لأنه يشعر أن المستمع يتقبل كلامه بلا شك، أو انكار، وهو يسوق خبراً، أو اقراراً بحقيقة معينة، فاذا احسَّ الشاعر أنَّ كلامه سيقابل بالارتياح والانتكار من الطرف الآخر، لجأ الى توكيده بأحد انواع التوكيد، بمؤكد واحد أو اكثر بحسب درجة الانكار والارتياح؛ لدفع غفلة السامع عنه، ولتقوية كلامه وتثبيته في نفس المخاطب، وأفاض أبو طالب باستعمال تركيب التوكيد بطرائقه المختلفة)

93) بحسب علاقته بمضمون تجربته الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها، التي لها وشائج بمواقف حياته، ولاسيما في خطاباته الموجهة الى قريش يحثهم فيها على تصديق دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونصرتة ومؤازرته على نحو قوله مفتخراً بمقاتلة مشركي اشراف قريش إذا ما استدعاه الامر لذلك : {من الطويل}

وإِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبَسَنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَاثِلِ

(٩٤)

أكد الشاعر باكثر من مؤكد واحد؛ لتقوية كلامه المرسل إلى مشركي قريش المعادين للإسلام، فيتباهى بانه يقاتل السادة الاشراف اكفاءةً، وبسط هذه المؤكدات على مساحة البيت، فأكد ب (ان) والقسم «لعمرو الله»، وب (ان) مرة اخرى، والفعل المضارع المسبوق بلام الطلب المؤكد بنون التوكيد

«لَتَلْتَبَسَنَّ» رغبة منه في تثبيت ما

قرره في أذهان مشركي اشراف قريش، وازالة الارتياب في عدم مقاتلتهم إذا اصرروا على عنادهم في معاداتهم، وتمكن التركيب اللغوي في جملة النفي «ما ارى» الدالة على الحال والاستقبال على اطالة العبارة؛ لتوضيح دلالتها.

وأكد أبو طالب بالتوكيد المعنوي باللفظ «كل» الدال على التعميم والشمول، وبالجملة المرادفة التي

تعبر عن معنى واحد في مديح رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال:

{من الطويل}

مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا تَخَبُّ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الدَّوَامِلُ

(٩٥)

راعى أبو طالب ما اقتضاه المقام في اختيار اللفظ المؤكد في الموضوع المناسب بطريقة فنية متقنة، واردف بضرب آخر في توكيد العبارة الأولى بالمعنى نفسه لازالة الارتياب في ارادة الجمع، فرسول الله مثاب «القبائل كلها» من دون استثناء للدلالة على علو مكانته وسمو شأنه بوصفه رسولاً للأمة، وللدلالة على أن القبائل كلها خاضعة لامره، وتابعة له، بما اصطفاه الله لهذه المهمة، وقد اكد الشاعر المعنى نفسه في الشطر الثاني، لتثبيت المعنى في ذهن السامع لما قرره في الشطر الاول، بيد أنه حذف الرجال الذين يأمون الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وابقى إبلهم النجيبة التي تَخَبُّ إِلَيْهِ، للدلالة على انقيادهم وطاعتهم له، وكأن الإبل النجيبة تشارك اصحابها هذا السفر الميمون لما عرف من حرص العربي على مشاركة ناقته معه في مواقف الرفعة والسمو، والتعبير «تخب اليه اليعملات الدوامل» تقوية لصورة «مثابا لأفناء القبائل كلها» فابرز التوكيد رغبة الشاعر في اماطة أي شك يخالج ذهن المخاطب في غير امر الطاعة والانقياد والتبعية، وليثبت عمق ايمانه بما يقول بهذا الاسلوب في ذهن السامع.

- الاستفهام:

الاستفهام من الأساليب اللغوية التي يراد بها طلب الافهام، وهو تركيب خاضع لقدرة الشاعر على استعماله استعمالاً فنياً، وتوظيفه توظيفاً ابداعياً في السياق، ويبرز فيه تجربته الشعرية، ويثري عمله بامكاناته اللغوية في تقديم تجربة اكثر عمقا وشمولا في التعبير عن مثار انفعالاته التي تعتريه لحظة ابداع عمله الشعري، ليتعرف على حقيقة ذهنية معنوية، أو حسية مادية، فيكشف ما يخشاه من رؤية وحيرة.

وقد ينسج الشاعر تركيب الاستفهام في بناء لغته الشعرية مفتوحا ومغلقا في آن معا، أي في حال طلب الجواب على الحقيقة، أو عدمه في حال المجاز عندما يخرج الى معانٍ مجازية يراد بها التقرير، والانكار، والتوبيخ، والتعجب، والتذكير، والافتخار، والسخرية، والتهكم، والتهويل إلى آخره، بيد أن صيغ الاستفهام لا تتحدد بهذه المعاني تحديدا تاما؛ لأن دلالة تراكيب الاستفهام ترتبط بالاطار العام للموضوع الذي يتفرع منه، مما يؤدي الى تداخل المعاني واتساعها، واسلوب الاستفهام له أثره في تنعيم الكلام، وطريقة السؤال لها وقعها على السامع في تصنيف صور الاستفهام المختلفة بالوانها

المذكورة، وترتبط طبيعة الاستفهام في شعر أبي طالب

(96) في صورته المتعددة والمتعلقة بامور حياته العامة التي تتطلب من الشاعر نبذة عالية في التعبير - سواء أكان الاستفهام حقيقيا ام مجازيا - المتفاعل مع عناصر التراكيب الأخرى على نحو عتابه لأخيه أبي لهب فقال :

{من الكامل}

هل تُنكرن عند المقامة محضري؟

أبلغ أبا لهب مقالة عاتب

عنه الغوائل بعد شيب المكبر؟

أم هل أتى أني خذلت وغالني

...

...

تكلتك أمك أي لحم تجزري؟

أجزرتهم لحمي بمكة سادراً

(٩٧)

استفهم الشاعر بالاداتين: (هل، أي) بحسب مقتضى طبيعة كلام العتاب، ورغبة منه في توصيل ما يريد ايصاله، وهو يعبر عن ثورة انفعاله، فكرر الاستفهام بالحرف «هل» الذي لا يريد به معرفة شيء مجهول فحسب، وانما توقع الشاعر النفي في عدم نكران مكانته، أي اراد «لا تنكرن» ومما يعزز الاستفهام المتضمن معنى النفي توكيد فعل المضارع جوازا بنون التوكيد، فهو استفهام عن فعل مؤكد، وليس مجرد عن حدوث الفعل، وانما عن حدوث اكيد له، ونلاحظ ان الشاعر في الاستعمال الثاني لحرف الاستفهام «هل» نزع التوكيد من الفعل «أتى» جوازا؛ لمراعاة منظور المعنى في التعبير عن مكانه المناسب له، إذ اراد في المرة الاولى توكيد نفي عدم النكران، وفي المرة الثانية اراد استحالة ان يتلمس اخوه منه الخذلان، فاستعمل أبو طالب حرف الاستفهام «هل» في غاية الدقة في اختياره مع التركيب الاخر بطريقة فنية متقنة.

ويتضمن استفهام الشاعر بـ «أي» تفخيم شأنه وتعظيمه، وهو ازاء حال كشف ما يفعل اخوه ابو

لهب مع قومه بجزرهم لحم أبي كناية عن غيبتهم له بما لا يحق لهم به.

وتت

ظافر قوة انفعال الشاعر مع صيغة الاستفهام التي أوجت مشاعره واحاسيسه الحزينة؛ لفقدان صديقه مسافر، فلا يكتفي بصيغة استفهامية واحدة، وإنما يردد بعض أدوات الاستفهام المقدرّة والظاهرة متأثرة مع الوان التركيب اللغوية في قوله راثياً:
{من الخفيف}

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بَنِّ أَبِي عَمِّ رُو وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ؟

أَيُّ شَيْءٍ دَهَاكَ أَوْ غَالِ مَرًّا كَ وَهَلْ أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ الْمَنُونُ؟

... ...

كَمْ خَلِيلٍ يَزِينُهُ وَإِبْنُ عَمِّ وَحَمِيمٍ قَضَتْ عَلَيْهِ الْمَنُونُ؟

كأنّ منك اليقين ليس بشافٍ كيف إذ رجمتك عندي الظنون؟ (٩٨)

أظهر الشاعر حزنه وألمه وحسرتة على فقدان صديقه وهو يحشد ألوانا من أدوات الاستفهام

«الهمزة المقدرّة، وأيُّ، وهل، وكم، وكيف» سعيًا منه في تنويع التعبيرات الاستفهامية، فعندما يخاطب

الشاعر الفقيده وهو يتعلّق بكلمة (ليت) التي لاتجدي نفعًا أخفى حرف الاستفهام (الهمزة) الدالة على

استحالة تحقيق امنيته في الاجتماع بصديقه مسافر في يوم بعينه، لاختطاف الموت له، فبينتها دلالة

السياق المقدر في الكلام: ليت شعري يا مسافر أنجتمع أم لا؟ فتجاوز الشاعر نمط استعمال الاستفهام

باحدى ادواته الظاهرة الى استعماله باحدى ادواته المقدرّة، وكأنّ غياب الاداة استوعبت الحدث في

دلالة غياب الامنية في الاجتماع بصديقه، بيد أنّ المقابلة في الاجتماع وعدمه لا تعني التضاد وإنما

هي نمط من التباين الذي يرتبط بالتركيب، وبهذا كله افادت الهمزة التعيين عندما كان الاستفهام بها

تصورًا.

والشاعر يتخير أداة الاستفهام «أي» في التعبير عن تعجبه بما اصاب صاحبه، فاهلكه في غفلة،

ويردّف باستفهام آخر بالحرف (هل) توكيدا للتعبير عن تعجبه في اختطاف المنية صديقه.

إن هذه التساؤلات المشحونة بانفعال الشاعر تحولت الى خاطره عن الموت في تغذية فكره وتعميقه

باسلوب الاستفهام في الأداة «كم» الدالة على الكثرة العددية في رحيل الخليل والصديق والقريب

الذين اختطفتهم المنية، ولكن في الوقت نفسه، فإن الشاعر لم يمنح بعض الرؤية في استكناه حقيقة

موت صاحبه باليقين استعظاما لموته، ولهذا تولد في شعور الشاعر اضطراب الحقيقة بشأن موته،

فتراه يطلق استفهاما آخر بالاداة «كيف» الدالة على الحال.

ومن انعامنا للنظر في بناء نسيج اسلوب الاستفهام يتبين أن أبا طالب تصرف بليغا يرتفع بمستوى الاداء في التنعيم بادواته الموظفة في سياقات فنية اقتضت نبرة عالية في الاداء، انكشفت من خلال انفعالاته الحزينة وهو يخاطب الفقيد.

- الأمر:

احد وسائل الطلب الذي يحمل المخاطب على الالتزام بالاستجابة لفعل الامر، وتحمل صيغة الامر نزعة خطابية فيها استعلاء وظفها أبو طالب في رسائله الشعرية بكثرة، فمكانته في قريش تتيح له هذا النمط من اساليب الامر التي تُقبل منه على اية حال، فهو ممن لا يعترض على كلامهم في قبيلتهم لما تعرفه من سامق مكانته، وقد ورد هذا الاسلوب في خطابه الشعري

(99 بحسب تجربته الشعرية الآنية في الموضوعات التي تقتضي منه الجهر والنبرة العالية في اصدار الاوامر إلى المخاطب بشيء معين يتعلق به، أو بغيره، أو بالامور العامة، تبرز من خلالها انفعالاته، ويوظف أبو طالب صيغة الامر بوصفها وسيلة ابلاغية لدعوة قبيلة كنانة، ولاسيما من اتصف بمكانته السامقة، وكرمه الوافر، لقبول الدين الجديد، ولنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :

{من الخفيف}

قَلْ لِمَنْ كَانَ مِنْ كِنَانَةٍ وَأَهْلِ النَّدَى وَأَهْلِ الْفَعَالِ

في العزّ

قد أتاكم من المليك رسولٌ

وانصروا أحمداً فإنّ من اللدّ

تظهر صيغة الامر (قل) في السياق الواردة فيه انه طلب فيه الزام في تبليغ رسالة شعرية الى قبيلة

كنانة، وتفرع الخطاب التبليغي بحروف العطف إلى أهل الندى، وأهل الفعال، مما ساعد على طول

النفس الشعري، وشد انتباه السامعين إلى تتبع فحوى مضمون الرسالة في انبائه ببيعة رسول الله

(صلى الله عليه وآله) معززا الرسالة بالفعلين الامريين: «اقبلوه، وانصروه»، ولكي يقتنع الشاعر

قبيلة كنانة ببيعة النبي عند كلامه بتعليقات افادت بان رسول الله سيبيذل لهم الاعمال الصالحة؛ ولهذا

يتوجب عليهم الزام قبول دعوته. واسهم تركيب التوكيد لتعليل امر نصرته بانه يلتحف برداء رباني لا

يزول عنه ابداء، ليحتم الشاعر على القوم الالتزام باوامره الصادرة عنه في القبول والنصرة.

ويوظف أبو طالب صيغة اسم فعل الامر وسيلة لطلبه المتلازم مع صيغة النهي؛ لاتمام دلالة السياق

في خطابه الموجه إلى قومه، يذكرهم ظلهم وعقوقهم وحصارهم في الشعب

(101، فقال :

{من الوافر}

فمهلاً قومنا لا تتركبونا

بمظلمة لها أمر عظيم

ألزم الشاعر أشراف قومه من هم بمنزلته بصيغة اسم فعل الامر «مهلاً» في تحذيرهم من ظلمهم، وقد اسهم تركيب طبيعة النهي «لاتركبونا» في الكف وترك حدوث الظلم، ليكمل الشاعر دلالة الصيغة الامرية.

- النداء:

صيغة النداء هي إحدى طرائق الخطاب الموجه من المنادى إلى من يريد الاقبال عليه وتنبئيه، والانتفات لسماعه، وهي وسيلة لتصوير انفعاله في التعبير عن تجربته الشعرية وقد يخرج النداء من انه وسيلة لجلب الانتباه والاقبال والانتفات إلى وسيلة للمناجاة بحسب التجربة الشعرية التي يكون الشاعر في صدد الحديث عنها، وتعددت صورة المنادى في شعر أبي طالب)

(102) بتعدد تجارب حياته عبر اسلوب تقريرى مباشر - في أكثر الاحايين - فهو لا يميل الى استعمال صيغة النداء لغرض التنبئيه فحسب، وانما بوصفها وسيلة ابلاغية يبرز فيها علو النبوة، وجهارة الصوت ولا سيما مع حرف النداء «يا» ليفصح عما يعتريه من انفعال كان مدعاة الى استعمال هذا اللون من التركيب من دون غيره من التراكيب، متمثلاً بنذب الفقيده وتأبينه، ونصح الابناء والاهل والاقارب والعشيرة وارشادهم، وتهديد الخصم وتحذيره، وحماسة القوم وحثهم على مصالوة الاعداء، بيد أن وظيفة النداء تتشكل مع واحد او اكثر من التراكيب اللغوية التي تم بها مداليل صيغة النداء المستعملة على نحو قول أبي طالب:

{من السريع}

بكلّ مقصالي على مسيل

يا قوم ذودوا عن جما هيركم

(١٠٣)

ويلحظ أن نداء أبي طالب في هذا البيت بعيد عن الانشاء الفني؛ لانه معني بالدلالة الصريحة التي يوصل من خلالها الى ما يريده إلى المنادى، فاستعمل تركيب النداء لقرع اذهان القوم وشد انتباههم إليه، ومن ثم ابلاغهم امرا معيناً، فتعاقد التركيب الطلبي للنداء مع تركيب طلبى آخر ورد بصيغة الامر؛ للنهوض بمدلول النداء الذي عبر عن غليان انفعاله في اثاره حماسة القوم للذود عن اشرافهم واعلامهم.

إن نداء الشاعر المتأزر مع طبيعة الطلب ذي النبوة العالية المسيطرة تنسجم مع حال اعتداده بنفسه، وتدلل على جليل مكانته، وعلو رئاسته في قومه، ولهذا كله برزت سمة السلطة في النداء وهو يصدر الاوامر لقومه.

وفي صيغة النداء قد لا يقصد أبو طالب لفت انتباه السامع للاقبال، وإنما يجنح الى المناجاة في التعبير الذي ينأى عن التقرير، فصوت الشاعر يرجع الى داخله اذ ينادي نفسه؛ بل ينادي عينيه لتأذن له بالبكاء إلى آخر الحياة على رحيل أخيه عبد الله والد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :

{من البسيط}

عيني انذني ببكاءٍ آخر الأبدِ ولا تَمَلِّي على قَرَمٍ لنا سَنَدِ

(١٠٤)

حذف الشاعر حرف النداء؛ لأنه في حال لايسمح معها باظهار هذا الحرف؛ إذ بلغ من الحزن في ندبه وتأبينه لأخيه درجةً دعته إلى حذف حرف النداء، ودعوة عينيه مباشرة لهول المصيبة، فاراد أن ينادي سريعاً ليطلب الاعانة منهما، وبرز مدلول تركيب النداء المتزواج مع تركيب الطلب النهي في السياق، اثناء صورة المرثي الممدوح بالقيم المعنوية، فهو السيد والسند؛ ليمنح صيغة النداء دلالة قيمة فقدان أخيه الذي ترك خسارة عظيمة لذويه، وهو يغذي خيال المستمعين ويندب؛ لمشاركتهم احساسه الصادق المشحون بحرارة العاطفة.

أثر الإسلام في لغة شعره:

إن لغة الامة شديدة الحس والتأثر في كل ما يعترئها من تحولات على المستويات كلها: السياسية والدينية والاجتماعية، ومقدار قوة التأثر تتوقف على مقدار قوة التحولات وضعفها، فتتأثر اللغة في ذلك كله صعوداً أو هبوطاً.

ولاشك في أن الإسلام حدث كبير في حياة العرب غير مجرى حياتهم مما ترك اثره في التحول والتغير والتطور الذي طرأ على اللغة.

وكان من نتاج هذا الأثر ان بعض الشعراء حادوا باللغة من القديم إلى الجديد فعزفوا عن الالفاظ الغريبة والحوشية، واستحدثت معانٍ والفاظ جديدة، وغدِل عن موضوعات إلى موضوعات جديدة، والمعين الذي امدهم في هذا الشأن هو القرآن الكريم المعجز بلفظه ومعناه واسلوبه، فكان المثل الحي الذي ينهل منه الشعراء في محاكاته لما بهرهم اعجازه ببديع اسلوبه، وصياغة آياته، وتلاوم فواصله إلى آخره، فطفقوا يقتبسون منه وظهر في كلامهم لفظاً

أسلوبياً ومعاني وأغراضاً. (105)

ولغة شعر أبي طالب سارت موازية لحركة تطور الحياة الإسلامية الجديدة في ابنيها الشعرية الجديدة

الى جانب الابنية الشعرية القديمة والمتطورة)

(106) التي اسهمت في التعبير عن متطلبات الحياة الجديدة المواكبة للمرحلة الانتقالية من الجاهلية الى الإسلام، وبالتحديد بداية الدعوة الإسلامية وانتشارها، فكان هذا دافعا للوقوف عند تأصيل الظاهرة اللغوية في بيان اثر الإسلام في شعره: الفاظه ومعانيه وتعبيره الجديدة، لأن أبا طالب اول شاعر أيد الرسول (صلى الله عليه وآله) وناصره وأزره ودافع عنه، ويعد شعره البذرة الأولى لتأصيل اثر الإسلام فيه، ورائد الشعراء الإسلاميين في استعمال الالفاظ الإسلامية ضمن سياقاتها الجديدة التي اوجدها التعبير القرآني في انتقال دلالة بعض الالفاظ من معانيها القديمة إلى معان جديدة غير معروفة قبل الإسلام. على أن البحث لم يغفل عن أن أبا طالب عاش في بيئة دينية قبل الإسلام، فقد كان هو ووالده من الموحدين، ونشأ في مكة من اسرة تتمتع بمراكز دينية من سدانة بيت الله الحرام، وسقاية الحجيج فضلا عن ان اعلاء صوت الحق ويزوغ نور الهدى خرج من بيته، وقد واكب الحقبة الزمنية لنزول الوحي على ابن أخيه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فلاغزو بعد ذلك كله ان يتأثر في لغة التنزيل الحكيم في شعره، فنصه الشعري قد زخر بالفاظ القرآن ومعانيه وتعبيره بوصفه نصا لغويا معجزا يمتلك الخصائص الفنية فضلاً عما يتمتع به من الجوانب الاخلاقية والتربوية والارشادية التي اولاهها أبو طالب عناية كبيرة في استعمالها، واستثمار الافكار التي جاء بها القرآن في قصائده الشعرية.

ومن خلال القراءة الفاحصة لشعر أبي طالب يتبين أن أثر الإسلام في لغة شعره الملتزم بقصائده

الإسلامية الجهادية لنصرة رسول الله يختلف من قصيدة إلى أخرى بحسب تعدد طبيعة الموضوعات

في القصيدة الواحدة من حث على النصر، والمجاهدة في سبيل الله، ودعوة رسوله، والعتاب،

والتعريض، والانذار، والتوعد والتحذير، فنجد اقتباسه من آيات الذكر الحكيم لفظا ومعنى تارة،

واستثماره القصص القرآني تارة ثانية، وتزيين شعره بالألفاظ القدسية لاسم الجلالة وتعظيم صفات

رسول الله (صلى الله عليه وآله) تارة ثالثة، إلى جانب استعمال الالفاظ الإسلامية التي فرضتها طبيعة

الحياة الجديدة في ظل الدين الجديد)

(107) التي سنتطرق إليها بالتفصيل.

إن الكم الكبير الذي نزل من السور القرآنية المكية)

(108) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لها بالغ الأثر في الثقافة الدينية للشاعر فصقلت موهبته وأثرت في أسلوبه، فكانت الفاظ التنزيل العزيز وتعبيره تزين شعره في أغلب قصائده قبل غيره من الشعراء. ويلجأ أبو طالب

- في بعض الأحيان - الى تغيير صوغ المفردات والتعبير القرآنية المستعملة في نصه الشعري مراعاة للوزن، أو رغبة بالافادة من صور التمثيل القرآني في الانتفاع من دلالة الالفاظ التي تبرز من خلالها خبرته وثقافته الدينية.

ومن اثار اقتباساته القرآنية في القصيدة البائية التي حذر فيها بطون قريش عندما اجتمعت على

خلافه بشأن دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حذرهم من ويلات الحرب المسعرة مذكرا إياهم

بحرب داحس والغبراء، وحرب ابرهة الاشرم وما جرت فيها من ويلات)

(109)، بيد أن رحمة الله الذي لا أحد غيره تداركتهم فأنشد:

{من الطويل}

فوالله لولا الله لا شيء غيرُه
لاصبحتم لاملكون لنا سربا)

(١١٠)

استمد أبو طالب دعوة قريش إلى الإسلام وعبادة الله الذي «لا شيء غيره» من قول الحق...: «ما لكم

مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) « ...

111) معللا ذلك بالبراهين العقلية بما انفرد به الله من الملك والقدرة، فهو مالك الملك لمليك الناس، ومالك
السموات والارض وما بينهما وكل عبيد تابع له، وهو الوهاب، والمبدئ الخلق، والذي يعيدهم بعد نشأتهم

الاولى فقال :

{من الوافر}

هو الوهَاب والمُبدئ المُعِينُ

مليك النَّاسِ ليس له شريك

وَمَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ عِبِيدُ

وَمَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ لَهُ لَحَقُّ

(١١٢)

زين أبو طالب ابياته الشعرية من تعبير التنزيل العزيز من قوله: «...وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ...»

(

113)، وقوله تبارك وتعالى «إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ(114)»، وقوله تبارك وتقدس «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ. (115)» ...

إنَّ هذا الاقتباس لفظا، أو معنى في شعره يدل على مقدرته الفنية في اجادته في التعبير عن فن قول

الشعر المذهب بكلام الله، وعلى تشرب نفسه بالحب الصادق، والايمان العميق بما انزل الحق تبارك

وتعالى، فضلا عن ان الشعراء من بعده كانوا يقتبسون شيئا من آي الذكر الحكيم في قصائدهم؛

«ليكسبوا معانيها قوة، ويضيفوا على الفاظها حلاوة ورونقا، ويبرزوا بذلك مقدرتهم على التفنن في

التعبير) «

116).

ويصدق أبو طالب ابن أخيه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ويتحدى مشركي قريش، ومخاطبا أبا

جهل بنشر دعوة ابن أخيه بما امره الله به)

(117)، فقال:

{من الكامل}

فتميزوا غيظا به وتقطعوا

صدق ابن أمانة النبي محمد

سيقوم بالحق الجلي ويصدع

إن ابن أمانة النبي محمداً

(١١٨)

استثمر أبو طالب دلالة «فتميزوا غيظا» من التعبير القرآني وهو يومئذ إلى الآية «تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنْ

الْغَيْظِ) «...»

119) التي تصف حال غضب جهنم على المشركين، وكأنه يشير إلى ما ينتظر المشركين من عذاب يوم القيامة، فجاء استثمار هذا التعبير لغابتين: الأولى: فنية، والثانية: وعظية دينية، وهو يوميء إلى حقيقة صدق النبي، فمن آمن بالصادق فهو المنى، ومن لا يؤمن، فليتميز بغيظه كتميز جهنم يوم الحشر. وبعد مرور ثلاث سنين من نشر الدعوة السرية امر الحق تبارك وتعالى نبيه الكريم بأن يصدع بأمره

وينشر دعوته جهاراً)

120)، وهذا ما توقعه أبو طالب بيقين في قوله: «سيقوم بالحق الجلي ويصدع»، فأعان ابن أخيه وايدته وناصره وحاماه وشد من أزره، وطلب منه أن يصدع بما امره الله به، فقال:
{من الكامل}

فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة فكفى بنا دُنْيَاً لديك وديننا)

(١٢١)

تمثلاً لما امر الله به نبيه في معنى قوله المجيد «فَاَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»

122)، كأن شعر أبي طالب صدى للآيات القرآنية، إذ حرص على تصوير معاني هذه الآيات؛ لأن الدعوة الإسلامية لها حاجة إلى من يقف مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وجه طغاة قريش بشعره، فكان له ذلك.

ومن هنا فإن ترجيح الدوافع الدينية لاستثمار الفاظ القرآن ومعانيه

أقوى من الدوافع الفنية كما يبدو .
ومن الأبيات التي وشحها أبو طالب من آي التنزيل العزيز في القصيدة اللامية التي انشدها في الشَّعب

أيام الحصار الذي فرضه مشركو قريش على رسول الله

(صلى الله عليه وآله) ومن اتبعه وحاماه، فتعود أبو طالب من شرورهم، فقال:
{من الطويل }

أعودُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ علينا بِشَرِّ أَوْ مُلْحَقِ بَاطِلٍ)

(١٢٣)

استمد أبو طالب من النبع القرآني «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»

124) فنلاحظ أن استعمال أبي طالب الالفاظ والتعبير القرآنية امر واضح في شعره يصور حسه الممزوج بالشعر الديني النابع من صدق وجدانه، وادراكه ان لغة التنزيل المجيد تمتلك قيمة فنية تترك اثارها العميقة في معاني النص الشعري.

وربما وجد الشاعر بهذه الوسيلة لفت انتباه المشركين إلى لغة القرآن، وهي لغة تستهوي من

يسمعها، فإذا كان المشرك مكابراً ولا يريد أن يسمعها من القرآن فليسمعها من أبي طالب من خلال

شعره، ومن هنا أدى أبو طالب خدمة كبيرة للإسلام بهذا المفهوم.

ونستطيع أن نلاحظ التأثير القرآني في قصيدة أبي طالب النونية التي اوما فيها إلى أن كتاب الله المنزل

على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) يماثل ما أنزل على النبيين موسى وذي النون، فلا انحراف فيه

ولا اعوجاج، وقد افادت في بيان هذا الكلام سورة ياسين فقال في قصيدته التي ناصر بها صاحب

رسول الله (صلى الله عليه وآله) عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) حين عذبتة قريش فغضب عليهم

وهدهم)

(125) مستنكرا عدم ايمانهم وتصديقهم برسول الله (صلى الله عليه وآله)
{من البسيط}

أو يُؤْمِنُوا بِكِتَابٍ مُنَزَّلٍ عَجَبٍ على نبيِّ كموسى أو كذبي النَّونِ
يَأْتِي بِأَمْرٍ جَلِيٍّ غَيْرِ ذِي عَوْجٍ كَمَا تَبَيَّنَ فِي آيَاتِ يَاسِينَ)

(١٢٦)

نعت أبو طالب كتاب الله المنزل على نبيه بالعجب مستأنسا بمعانٍ من قول الحق حكاية عن انكار

المشركين لكتاب الله)

(127)، واصفا إياه بالاستقامة الذي لا يأتية الباطل مثلما وصفه الجليل، فهو «فُرَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي
عَوْجٍ (128)»... قد جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على منهج قويم وشرع مستقيم، كما بيّنته
آيات ياسين في قوله تعالى: «يَس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (129)»
إنَّ خطاب أبي طالب الشعري موجه الى من أسلم ومن لم يسلم، فمن أسلم فيمكن أن يقرأ سورة

ياسين من خلال هذه الإشارة؛ ليقف على استقامة الدين من خلال الدليل المتين، ومن لم يسلم يمكنه

الاطلاع على هذه السورة لعله يهتدي بهدي القرآن.

اطلع أبو طالب على كتاب الله المتضمن للصور المكية التي واكبت زمن البعثة ومنها ماورد ذكرها في

قصيدته الميم

ية التي يحث فيها على نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال :
{من البسيط}

وقد أتانا بحق غير ذي عوجٍ مُنَزَّلٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَعْلُومٍ
فيه عجائب يرتاح الفؤاد لها مِمَّا تَنْزَلُ فِي صَادٍ وَحَامِيمٍ
من العزيز الذي لا شيء يُدرُّكهُ فيه بصائرٌ من حقٍّ وتعظيمٍ)

(١٣٠)

ومن عجيب نظم القرآن المجيد حسنه وبديع تأليفه، فلا نقص، ولا تفاوت في نظمه، فهو بحق غير

ذي عوج، وقد استمد أبو طالب هذا المعنى من اكثر الايات المكية)

(131) التي تضمنته.

إنَّ حصول ثبات القلب والاطمئنان يؤديان الى اليقين الصادق بمعجزة الله (القرآن المجيد) فهو المعجز

بنظمه ومن بديع نظمه حروف الهجاء)

(132) في فواتح السور التي تدل على براعة الاستهلال (133)، ليعرف العرب «ان هذا الكلام منتظم من
الحروف التي ينظمون بها كلامهم (134)»، ولكنهم في الوقت نفسه عاجزون عن الاتيان بمثله، ويومىء

أبو طالب الى السور القرآنية المرتبطة إلى بعض حروف الهجاء، ومنها حرف الـ (صاد) الذي يفتح به سورة «صاد» نفسها، والحرفان «حاء» و«ميم» اللذان تفتتح بهما السور الآتية على الترتيب القرآني : غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والأحقاف.

وتأتي أهمية توظيف القصص القرآني في شعر أبي طالب من اتخاذهما حجة قوية لدعم ارائه وافكاره

التي يراد بها أن تعم في عقول مشركي قريش واندازهم؛ لبيان حقيقة مغبة طغيانهم واصرارهم على

الكفر، والهدف من هذه القصص القرآني موعظتهم وتوجيههم ونصحهم، وهذا ما يتناسب مع موضوع

القصيدة المطروق، ففي القصيدة القافية حذر فيها مشركي قريش عندما رأوا من العبرة ما كان مقتعاً

بنبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان حسدهم قد أضلهم من الاهتداء إلى سبيل الرشاد، فحذروهم

من عنادهم على الكفر، واصرارهم في معاداة رسول الله مؤكداً بقسمه «... بِرَبِّ آل

مَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ (135)»...المستمد من التعبير القرآني؛ خشية ان يحل بهم العذاب مثلما حلَّ بقومي: عاد وثمود، الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه: «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (136)» وأوماً

أبو طالب إلى هذه الدلالة في شعره، وذكر القصتين فقال:

{ من المتقارب }

عَنِ الْبَغِيِّ فِي بَعْضِ ذَا الْمَنْطِقِ

أَفِيقُوا بَنِي غَالِبٍ وَأَنْتَهُوَا

بِوَانِقٍ فِي دَارِكُمْ تَلْتَقِي

وَإِلَّا فَيَأْتِي

وَرَبَّ الْمَغَارِبِ وَالْمَشْرِقِ

- إِذْنٌ - خَانِفٌ

ثَمُودًا وَعَادًا فَمَنْ ذَا بَقِي

تَكُونُ لِغَابِرِكُمْ عِبْرَةً

وَنَاقَةَ ذِي الْعَرْشِ إِذْ تَسْتَقِي

كَمَا نَالَ مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ

مِنْ اللَّهِ فِي ضَرْبَةِ الْأَزْرَقِ

عَدَاةً أَتَاهُمْ بِهَا صَرَصَرًا

حُسَامًا مِنَ الْهِنْدِ ذَا رَوْنَقِ

فَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِهَا سَخَطَةٌ

عَدَاةً يُعْضُ بِغُرُقِوبِهَا

(١٣٧)

استلهم أبو طالب قصص هلاك قوم عاد وثمود الذين كذبوا انبياءهم فاصابهم عذاب الله، فتمثلت قصة

عاد

- وهم قوم نبي الله هود (عليه السلام) في قوله تعالى: «وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحَ صَرْصَرَ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ قَوْلٌ تُرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (138)»، واستشهدنا بهذه الآيات من دون غيرها من الآيات؛ لأنها أكثر الصاقا بدلالة الآيات الشعرية،

وكذلك قصة ثمود أيضا. (139)

وتتمثل قصة ثمود

- وهم قوم نبي الله صالح (عليه السلام) في قوله تعالى: «كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ أَعْلَقِي الذُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ سَيَعْلَمُونَ عَدَاً مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ فَنِنَّةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرُ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ. (140)»

أشار أبو طالب بإيجاز الى ما فصله التعبير القرآني للقصتين معتمدا على معرفة المستمع المسلم تفاصيليلهما، وعلى معرفة المستمع المشرك الشكل العام لهما، ولهذا اوجز القول في هذا المعنى، وان الاستثمار لهاتين القصتين في شعره تبيان ان الأفكار التي تحكم اذهان قريش هي الأفكار نفسها التي تحكم اذهان قومي النبيين: هود وصالح 8 حول رفض فكرة تمثيل النبوة بالبشر، ومواجهة النبي محمد(صلى الله عليه وآله) بالكذب والافتراء، فلغة شعر أبي طالب في هذا المقام توجهت توجها : ترهيبيا يتحدد في موقف المشركين من معاداة رسول الله، وترغيبيا في الدعوة إلى الاستفادة من تاريخ الامم السابقة التي ورد ذكرها في التنزيل الحكيم، وبهذا كله توجهت لغة الأبيات إلى النصح والإرشاد والعظمة.

وترد ظاهرة الأسماء كثيرا في الالفاظ الإسلامية في القوائد التي نظمت بعد بزوغ فجر الإسلام، ومنها الالفاظ القدسية للفظ الجلالة (الله) تبارك وتعالى، وأسماء نبي الهدى المرسل الى الناس كافة رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله.)

فقد وردت بعض الصفات القدسية التي تتعلق بالله تبارك وتقدس تبين عظمة جلالته، وتدل على ايمان الشاعر الصادق وحبه وتقديسه للذات الالهية بوصفه رب الناس، الله ليس بغافل، الها، رب العباد، رب المغرب والمشرق، رب الورى، الحق، الله وحده ، الرب، الملك، ذو العرش، ربّ قاهر، الله ناصرأ، الله اوحده، ربّي، ملك الناس، ليس له شريك، الوهاب، الميدي، المعيد، العزيز، ذو العزة (141)فهذه الصفات تقوم مقام اسم(الله) تبارك وتعالى، بيد أنّ اسم الله مستول على الأسماء كلها وإليه تنسب الأسماء جميعها(142)، قال تعالى: «وَاللّٰهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنٰى فَادْعُوهُ بِهَا»(143) ... وقد اقتضت طبيعة الموضوع الشعري والتزام أبي طالب بقضية نصره رسول الله وحبه له، وايمانه بصدق قضيته، في كونه حامي حماة الإسلام، دفعه إلى ذكر صفات ابن أخيه نبي الهدى في مدانحه النبوية، فنجدها مسجلة في الديوان، ماثلة عبر أسمائه ونعوته، وهي :محمد، صاحب الله، أمين، النبي محمد، الرسول، رسول الملوك، أحمد، رسول الله، المصطفى، خير من وطأ الترابا، ابيض يستسقى

ى الغمام بوجهه، فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها، يوالي الإله، حبيبا، مسوما بخاتم، برهانا عليه وهيبه، صادق القول، ابن عبد الله، لا يعاب لقوله كوجي الكتاب، يدعو الى الهدى، تنزل عليه من ذي العزة الكتب، أنف بني قصي، أمين الله، المتقي، المؤيد، وزير، إمام العالمين، مسود، رسول الاله ... إلى آخره.(144) وتقترب لغة أبي طالب الشعرية من ألفاظ الحياة الإسلامية اليومية الجديدة من لغة المخاطبين، وهي

مفردات تنحى منحى النصح والارشاد، والدعوة للدين الحنيف، والتحذير والانذار والتوعد، واعلان نصرته لموازرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذود عنه، مفردات تتكرر في لغة شعره الإسلامي، فقد قرر اللغويون الى ان معاني إسلامية سميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعانٍ اخر مثل: المسلم،

والمؤمن، والكافر، والصلاة، والسجود، والهدى، والتقوى والجهاد إلى آخره من المفردات التي لم

تعرفها العرب قبل الإسلام بدلالاتها الجديدة)

(145)، وذكرها أبو طالب في شعره. (146)

وهذه الحصيلة اللغوية في التحول الدلالي للالفاظ ناتجة من تأثر أبي طالب في ألفاظ الكتاب المجيد التي اعطاها التعبير القرآني سمة دينية متطورة لها اثرها في لغته الشعرية، فمن الألفاظ القديمة التي ارتدت حلة جديدة في ظل الحياة الإسلامية الجديدة ومتطلباتها، اللفظ المشتق من مادة «سجد» الذي ورد في شعر أبي طالب بدلالته القديمة والمتطورة.

فما جاء في دلالاته القديمة ما نتأمله في قصيدته الميمية التي تصف حال الراهب بحيرا عندما رأى

احدى علامات النبوة في ابن أخيه فخر الراهب ساجدا له تصديقا به فقال أبو طالب :

{من الطويل}

حنى رأسه شِبْهَ السَّجُودِ وَضَمَّهُ إلى نحره والصدرِ أيَّ ضَمَامٍ

(١٤٧)

والأصل في «سجد» تطلق على كل من طأطأ رأسه وانحنى)

(148)، وبهذه الدلالة القديمة قصد بها الشاعر الاحترام والتقدير لمكانة النبي المرتقب، ولا يخفى - في البيت - ان السجود يعني التعظيم لقدر النبي لما عرف الراهب بحيرا انه سوف يكون النبي المنتظر المبعوث اخر الزمان، فقد «كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم (149)»، قبل أن ينهي المشرع الإسلامي عن هذا الاداء، فلم يجوز السجود لغير الله تبارك وتقدس، فسجد الراهب سجود تعظيم لا سجود عبادة.

ثم تحولت دلالة «السجود» إلى دلالة تحمل معنى آخر، فالمسجد هو المكان الذي يؤدي فيه شعائر

تعبدية، ومدح أبو طالب نبي الله محمد (صلى الله عليه وآله)، وفي مديحه)

(150) تطرق إلى فخره بتولي بني هاشم منصبى: سقاية الحجيج وسدانة بيت الله الحرام: فقال:

{من مجزوء الكامل}

وَلَنَا السِّقَايَةُ لِلْحَجِّبِ جِ بِهَا يُمَاتُ الْعُنْجُدُ

وَالْمَأْزَمَانُ وَمَا حَوَتْ عَرَافَاتُهَا وَالْمَسْجِدُ

(١٥١)

على الرغم من أن بيت الله الحرام كان يأمه الحجاج العرب جميعا؛ لاداء شعائرهم الدينية وان الصلاة

لم تكن على الشكل الذي يمكن ان يتصور، كانت دلالة المسجد - فيما بعد

- اطلقت على بيت الله الحرام، ومكان مصلى الجماعات (152)، وعلى هذا يكون أبو طالب - هنا - قصد مكان التعبد لله تعالى والخضوع له، ولاسيما ان الصلاة فرضت - في الحقبة التي عاشها - ركعتين ركعتين في العشي والابكار (153) فيحتمل أنها كانت تؤدي هذه الشعيرة التعبدية في المسجد، ومن هنا فلفظ المسجد، دلالة متطورة لم تكن شائعة وقت ذلك.

ومن الألفاظ التي تحمل الدلالة القديمة والجديدة في شعر أبي طالب كلمة «شفع» في القصيدة الرائية

التي أبّن بها والده عبد المطلب، فذكر فضائله فيها، فقد كان وجيها عند الله مستجاب الدعاء

(154)، فبشفاحته كان يستسقي أهل مكة أيام نضوب الماء، فمدح أبو طالب والده بهذه الفضيلة فقال :
{من الطويل}

أبونا شفيعُ الناسِ حتّى سَقُوا بهِ
من الغيثِ رَجَاسُ العَشيِّ بَكُورُ
وَنحنُ سَنينَ المَحَلِّ قامَ شَفِيعُنَا
بمكّة يدعو والمياه تُغُورُ

(١٥٥)

فالأصل في لفظ «الشَّفَعُ» خلاف الوتر، ويقال شفع فلان لفلان اذا جاء ثاني

ة ملتصقا مطلبه ومعينا له(156)، وقد تكون «الشفاعة: كلام الشفيح للملك في حاجة يسألها لغيره(157)»، وقد كان عبد المطلب حاكم مكة ورئيسها، ومن الموحدين وله منزلة عظيمة عند الله تعالى، ولذلك كان يسأله أهل مكة أيام المحل في نزول المطر عليهم.

ثم تحولت دلالة لفظ الشفاعة في العهد النبوي إلى دلالة أخرى مستمدة معناها من الخطاب القرآني

(158)، فالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) الشفيح عند الله يوم يقوم الحساب، فيسأل الله الغفور المتجاوز عن ذنوب عباده(159)، فالجديد في لفظ الشفاعة ان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يكون شفيعا لأمته في الدنيا والاخرة، وإلى هذا المعنى الجديد تمنى أبو طالب أن يشفع له ابن أخيه يوم المحشر فقال :
{من الطويل}

أترأه يشفع لي ويرحم عبرتي؟
هيهات إني لا محالة راهقُ

(١٦٠)

ولا يخفى من دلالة جديدة في طلب رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله) الشفاعة لأمته يوم الحساب،

وهذه الدلالة الجديدة المستمدة من التنزيل الحكيم غير معروفة عند الشعراء الموحدين قبل الإسلام)

161).

ومن الألفاظ الجديدة غير المعهودة في الاستعمال اللغوي عند العرب التي أوجدها الإسلام)

(162)، لفظ الإسلام: وتعني دلالة اصل المادة اللغوية «سَلِمَ»: براءة الناس من العاهة والاذى(163)، ثم انتقلت دلالة الاسم المشتق منه «الإسلام» الى الانقياد والخضوع لاوامر الشريعة الإسلامية والزام اتباعها.(164)

وقد تعارف الناس عليه بوصفه لفظا دينيا إسلاميا معروفا ومتداولاً في عهد النبوة، فاطلق اسم

الإسلام على الدين الجديد الذي اتى به النبي محمد(صلى الله عليه وآله) (وذكره التعبير القرآني)

(165) واستعمله أبو طالب في شعره، فورد الاسم «مسلم(166)»، والفعل «اسلموا(167)» و«إسلام» مضاف الى النبي، فقال أبو طالب في الذود عن النبي (صلى الله عليه وآله):
{من الطويل}

نفارقه حتّى نُقتلَ حوله
وما نالَ إسلامَ النبيِّ المُقَرَّبِ)

(١٦٨)

والمؤمن من الالفاظ الإسلامية التي تحمل دلالة جديدة غير معروفة عند العرب قبل الإسلام، «وان

العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان وهو التصديق،

ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا (169) «ومن شرائط الايمان واوصافه
«اظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما اتى بعد النبي(صلى الله عليه وآله) واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن
كان على هذه الصفة فهو مؤمن.(170) »
وبهذه الدلالة الإسلامية الجديدة المستلهمة من الكتاب المجيد

(171)استعملها أبو طالب في شعره بصيغ متعددة فمن المادة «أمن» اشتق الاسم :
«الايمان»

(172)، و«الامين(173)»، و«المؤمن(174)»، والفعل «أمن(175)»، و«آمنوا(176)»، و«تؤمنون»
(177)، فقال في قصيدته اللامية في وصف مناصري رسول الله(صلى الله عليه وآله) من بني هاشم:
{من الطويل}

بأيمانٍ شَمَّ من ذُوابِ هاشمٍ مَغاويرَ بالأبطالِ في كلِّ جَحْفَلِ

(١٧٨)

إنَّ لغةَ أبي طالبِ الشعرية التي نظم القصائد فيها بروح الإسلام الناتجة من تأثره في التعابير القرآنية،

ابرزت ظاهرة أدبية ولغوية بالغة الأهمية في التحول الدلالي للألفاظ التي استعملها بدلالة إسلامية

تتناسب والحياة الدينية التي استحدثت فيها تطورات في المستويات جميعها، ومنها اللغة الشعرية.

وفي ضوء ما تقدم يتبين: أنَّ لغة شعر أبي طالب جاءت استجابة لشمولية الحياة، واتساع ميدان

الشعر بالوانه المختلفة المتمثلة بمرحلتين قبل الإسلام، وبعده، فغلب على شعره السهولة والوضوح

والسلاسة المتناسبة مع طبيعة حياة المدينة التي يحياها الشاعر البعيدة عن حوشي الكلام، والغريب،

والصنعة، والقريبة من لغة الحياة الإسلامية اليومية الجديدة، وذلك لان موضوعات شعره تنطوي

على اهداف تدعو إلى قيم اجتماعية ودينية وعاطفية، ولهذا كله برزت السهولة والوضوح ليس في

الالفاظ فحسب؛ وانما في الصياغة والاساليب الظاهرة في الخطاب الشعري المنسجم مع التوجيه

والوعظ والحث والتحذير والتهديد إلى آخره.

ورفد شعر أبي طالب بالفاظ ومعانٍ مستمدة من النص القرآني في قصائد سهلة الاسلوب متقاربة

المعاني تبرز فيها ظاهرة التأثير بالدين الحنيف الذي يفصح عنها سياق النص الشعري، واخذت بعض

مفردات أبي طالب الشعرية بعدا جديدا في تحولها الدلالي المستوحى من الذكر الحكيم المعجز ومن

تطور الحياة الإسلامية، فازدهرت ألفاظه بدلالاتها المتغيرة في قصائده الإسلامية بشكل واسع توضح

من خلالها ما يحويه المعجم الشعري الإسلامي من الفاظ وظفت وتوظيفا حيا في شعره قبل غيره من

شعراء الإسلام بحكم مواكبته للحقبة المبكرة لظهور الإسلام.

الهوامش:

(1) بناء القصيدة عند الشريف الرضي (بحث): ١٩٨. ظ: مكانة القصيدة العربية بين نقاد والرواة

العرب: ٥، نقد الشعر في المنظور النفسي: ١٠٢ .

(2) ظ: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧ - ١٨.

(3) ظ: لغة الشاعر (بحث): ٤١.

(4) ظ: الأسس الجمالية في النقد العربي: ٣٤٠، الأسلوب: ٧٤ .

(5) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٢٤٥/١ .

(6) ظ: الديوان: ٢٦٠ - ٢٦١ .

(7) م.ن: ٢٦١ - ٢٦٢ .

(8) الديوان: ١٨١، قُلال: أي قليل.

(9) الديوان: ٣٤٠ .

(10) الديوان: ٣٣١ .

(11) الديوان: ١١١ - ١١٢ .

(12) لسان العرب: «نهب.»

(13) م.ن: «وتر.»

(14) م.ن: «حنفق.»

(15) م.ن: «بكر.»

(16) ظ: م.ن: «فندق.»

(17) الديوان: ٢٠٩، (انا ابن بجدتها) مثل: ظ: جمهرة امثال العرب: ٣٨/١، فصل المقال في شرح

كتاب الامثال: ٢٩٧/١، مجمع الامثال: ٢٢/١، المستقصى في امثال العرب: ٣٧٦/١ .

(18) ظ: لسان العرب: «صيب.»

(19) م.ن: «رقح.»

(63)الديوان : ٨٠ .

(64)ظ: م.ن: ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٧، ١٠٤، ١٠٦، ١١٢،
١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٦،
١٧٤، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦،
٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٣، ٣٣٠، ٣٣٢،
٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠.

(65)م.ن: ٧١ .

(66)الديوان: ٧١-٧٣ .

(67)يعرف اليوم بجبل النور.

« (68) كانت قريش اذا دخل رمضان، خرج من يريد التحنث (التعبد) منها إلى حراء، فيقيم فيها شهرا، ويطعم من يأتيه من المساكين، حتى اذا رآوا هلال شوال، لم يدخل الرجل إلى أهله حتى يطوف بالبيت اسبوعا، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفعل ذلك». أنساب الأشراف: ١٠٥/١ .

(69)ظ: الرُّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٢١-٢٢، خزانة الأدب: ٢ / 62 /

(70)الديوان: ٢٤٥ .

(71)ظ: م.ن: ١١٦ .

(72)م.ن: ١١٦ .

(73)ظ: الديوان: ١١٧ .

(74)م.ن: ١١٧-١١٨، المعمل: الطريق للحب المسلوك.

(75)ظ: تمثيلاً: شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: ١٤، ديوان النابغة الذبياني: ٢٥ .

(76)الديوان: ١٢٤ .

(77)ظ: الديوان: ٨٠، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٠١، ١٠٧، ١١٤، ١٢٠، ١٤٩، ٢٣٥، ٣٣٣ .

(78)م.ن: ٩٤، القنار: دخان الطعام المطبوخ.

(79)م.ن: ٣٣٥، ظ: م.ن: ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٣٦، ٣٣٧ .

(80)الديوان: ١٢٦-١٢٧ .

(81)ظ: م.ن: ٨٠، ٩٠، ١٠٦، ١٧٤، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٣٣٩ .

(82)م.ن: ١٣٢ .

(83)م.ن: ١٣٤ .

(84)الديوان: ٣٣٩ .

(85)ظ: الديوان: ٨٢، ١١٧، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤٢ .

(86)م.ن: ٢٤٢ - ٢٤٤، الضوايح: مفردها ضابحة، وهي الفرس التي ترسل صوتا حين عدوها ليس بالصهيل ولا بالمحممة، السفاسرة: مفردها السّفير، وهو العالم بالاصوات والقيّم بالامر المصلح له، الشهور: العلماء، نصور: جمع ناصر، وصدر البيت التاسع غير مستقيم.

(87)الديوان: ٢٢٧ - ٢٢٨، القماقم: مفردها القمقام، وهو السيد، الدسيعة: العطية الجزيلة.

(88)الديوان: ١١٧ - ١١٩، المُعجل: صفة للناقة التي تلد قبل استكمال الحول، نمرها: نمسح ضرعها، جالح بالشيء: جاهر به، نعرك: ندلك، الككل: الصدر، العيطاء: الطويلة العنق، والعيطل: الطويل العنق في حسن، الطمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم، ميعة الفرس: اول جريه، المراكل: موضع ركل الدابة بالقدم، الهيكل: الفرس الطويل، والكعوب من الرمح قدر ما بين العقدتين، حرور الذيل: صفة للدرع الطويل، الزغف: الدرع الواسعة الطويلة، الدلاص: اللينة التبراقة .

(89)الديوان: ٨٢، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٣٩ .

(90)الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٩ .

340، 341، 342، 344.

(91)الديوان: ١٣٨، الأدم: شديد البياض، الباقر: جماعة البقر، الحبير: الثياب الموشاة والناعمة

الجديدة، ريدة ومعافرة: بلدان في اليمن اشتهرا بالثياب الحبيرية.

(92)م.ن: ٩٦، يحدي: يسرع، المرتمي: الساقط، الطليح: الهزيل، جنبأ نخلة: واديان قرب مكة،

ظ: معجم البلدان: ٢٧٧/٥، المحصب: موضع رمي الحجار، ظ: م.ن: ٦٢/٥ .

(93)ظ: الديوان: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤،

٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧،

١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤،

١٢٦، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٢، ١٧٧،

١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢،

٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١،

٢٧٤، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢.

(94)الديوان: ٧٥ .

(95)م.ن : ٣٤١، اليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة التجيبة، والدوامل: صفة لها وهي المصابة

بجروح بسبب طول الطريق.

(96)ظ: الديوان: ٧٣، ٧٨، ٨٥، ٩٧، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٢٣، ١٢٦،

١٢٧، ١٣٢، ١٧٧، ١٨٤، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٨،

٢٦١، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٢.

(97)م.ن : ١٨٤ .

(98)الديوان (التونجي): ٩٣ - ٩٤ .

(99)ظ: الديوان: ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١٧،

١١٨، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٤، ١٣٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠،

٢٣١، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٣٥، ٣٤٠،

٣٤١.

(100)الديوان: ٢٠٧ .

(101)م.ن: ١٢٢ .

(102)ظ: الديوان: ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٩٢، ٩٦، ٩٨، ١٠١، ١٠٩، ١١٥، ١٢٤، ١٦٩، ١٧٧،

١٧٨، ١٨٣، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٠.

(103)الديوان : ١٠٩، مقصال: سيف قاطع، مُسبِل: فرسٌ طويل الدَّنْبِ.

(104)م.ن : ٩٨ .

(105)ظ: تاريخ الادب العربي في العصر الإسلامي (السباعي): ٩ - ٤ .

(106)ظ: الفصل الخامس: البناء الفني في شعره من الاطروحة: ١٦٢ - ١٨٨ .

(107)ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٧، ٨٥، ٩٠، ٨٨، ٩١، ٩٣،

٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٧، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٠، ١٢٤،

١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٠، ١٤٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥،

١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٩٨، ١٩٣، ٢٠٧،

٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١،

٢٥١، ٢٤٦، ٢٤٤، ٢٤٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨، ٣٢٩، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣،

٣٣٤، ٣٤٠، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٤.

(108)ظ: القرآن الكريم: الفهرس باسماء السور فقد بلغ عددها ستاً وثمانين سورة مكية من

مجموع مائة واربع عشرة سورة من القرآن والرسول(صلى الله عليه وآله) هاجر الى المدينة بعد

وفاة عمه بثلاث سنين، تخللت هذه المدة خروجه الى الطائف وعرضه نفسه على القبائل، ظ: السيرة

النبوية لابن هشام: ٤٦/٢ - ٥٣ .

(109)ظ: الديون: ١٨٣ .

(110)الديوان: ١٨٣، السرب: الطريق.

(111)هود/ ٥٠، ٦١ .

(

(112)الديوان: ١٥٨ .

(

(113)الفرقان/ ٢ .

(

(114)البروج/ ١٣، ظ: يونس/ ٤ .

(

(115)الجاثية/ ٢٧ .

(

(116)اقتباس الآي القرآني في الشعر العربي (بحث): ١٢٣ .

(

(117)ظ: الديوان: ٣٣٩ .

(

(118) الديوان: ٣٣٩ .

(

(119) المُلْك / ٨ .

(

(120) ظ: السير والمغازي: ١٤٥ .

(

(121) الديوان: ٨٧ .

(

(122) الحجر / ٩٣ .

(

(123) الديوان: ٧١ .

(

(124) الناس / ١ .

(

(125) ظ: الديوان (التونجي): ٩٥ .

(

(126) الديوان: ٩٥ .

(

(127) ظ: الاعراف / ٦٣ ، ق / ١ - ٢ .

(

(128) الزمر / ٢٨ .

(

(129) يس / ١ - ٤ .

(

(130) الديوان: ٢٤١ .

(

(131) ظ: الأعراف / ٤٥ ، ٨٦ ، هود / ١٩ ، إبراهيم / ٣ ، الكهف / ١ ، طه / ١٠٧ ، ١٠٨ ، الزمر / ٢٨ .

(

(132) ظ: تفسير ابن كثير: ١ / ٦٤ - ٦٩ ، اختلاف آراء المفسرين في الحروف المقطعة في اوائل السور.

(

(133) ظ: الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٢٠٦ .

(

146)ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٧، ٨٥، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٧، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٤٧، ١٣٧، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٠٥، ١٩٨، ١٩٣، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤.

(

147)الديوان: ١٦٦، ظ: م.ن: ١٦٨ .

(

148)ظ: مقاييس اللغة: «سجد.»

(

149)لسان العرب: «سجد.»

(

150)ظ: الديوان: ٣٣٣ .

(

151)ظ: الديوان : ٣٣٣، يمانث: يذاب، العنجد: الزبيب.

(

152)ظ: لسان العرب: «سجد.»

(

153)ظ: السيرة النبوية لابن هشام (الهامش): ٢٤٣/١ - ٢٤٤ .

(

154)ظ: الديوان: ١٤٩ .

(

155)ظ: الديوان : ١٤٩، غيث رجاس: ذو رعد شديد وصوت، بكور: مُبَكَّر في وقته.

(

156)ظ: مقاييس اللغة: «شفع»، اساس البلاغة: «شفع.»

(

157)لسان العرب: «شفع.»

(

158)ظ: يونس/ ٣، مريم/ ٨٧، طه/ ١٠٩، الأنبياء/ ٢٨ .

(

159)ظ: تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٤، ٥٤٩/٥ .

(

160)الديوان: ٣٤٠ .

(

(161) أمثال زهير بن أبي سلمى، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، ظ: شرح ديوان زهير ابن ابي سلمى، زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، ورقة بن نوفل حياته وشعره.
(

(162) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ١/١٤٠، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها 45:، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/٢٩٥ .
(

(163) ظ: مقاييس اللغة: «سَلِمَ»، اساس البلاغة: «سَلِمَ» .
(

(164) ظ: لسان العرب: «سَلِمَ» .
(

(165) ظ: الانعام/ ١٢٥ ، الزمر/ ٢٢ .
(

(166) الديوان: ٢٥٤ .
(

(167) م.ن: ٢٥٩ .
(

(168) الديوان : ٢٣٠ .
(

(169) فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٤٥ .
(

(170) لسان العرب: مادة «أَمِنَ» .
(

(171) ظ: الانعام/ ١٥٨ ، الأعراف/ ٧٥ ، إبراهيم/ ١١ ، النحل/ ١٠٦ ، طه/ ١١٢ ، الانبياء/ ٩٤ ، غافر/ ١٠ ، الشورى/ ٥٢ ، الطور/ ٢١ .
(

(172) الديوان: ٢١٥ .
(

(173) م.ن: ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٢٤٦ ، ٣٢٩ .
(

(174) م.ن: ١٦٠ ، ٢٥٣ .
(

(175) م.ن: ٣٣٤ .
(

(176) م.ن: ٢٤١ .
(

(177م.ن: ٣٤٤ .
(

(178الديوان: ٢١٥ .

الفصل

السابع

الإيقاع في شعره

مفتتح الفصل

اللغة الإيقاعية

إن لغة الشعر لغة موسيقية زاخرة بالنغم الذي يعد جزءاً من مكوناتها المتأزرة مع التعبير اللغوي، فالألفاظ تتواكب في وحدات ترنيمية ملحنة في سياق إيقاعي يعمل على إشباع رغبات وحاجات وجدانية عميقة تجذب الآخرين إليه، والأبيات الشعرية تتعاقب وتشع منها أصوات موسيقية تطرب لها الأذن، وصدور الأبيات في عدد وحداتها الصوتية متساوقة مع اعجازها في عدد وحداتها الصوتية بطريقة مرتبة، أما المقطع الصوتي المتمثل بالقافية، فهو القرار الأخير لنغم البيت. ومن هذا كله تتكون عملية بناء هيكل هندسة القصيدة العربية من الوزن والقافية التي يحتويها البيت، ويتمثل الإيقاع فيها بضربات منظمة ومتناسقة لوزن التفعيلة الداخلية ذات الذبذبات المتوافقة لانفعالات الشاعر التي يمر بها وهو يقوم ببناء فكرته بانتقاء ألفاظ دقيقة تعبر عن مشاعره واحاسيسه وخلجاته المتوائمة مع موسيقى الألفاظ والمتشكلة مع الأبيات الأخرى، فتقوم الموسيقى التعبيرية الشعرية «بدور المساعد للعبارة اللغوية على تحقيق الغاية من التأثير ونقل المشاعر والاحاسيس)»

(1) بطريقة موحية إلى المتلقي، فالإيقاع بناء كيان متلاحم متكامل يقوم على جمع صياغة الألفاظ والعبارات المتلونة بالايحاء النفسي من ارتفاع وانخفاض، فيصدر لحناً فنياً متناسقاً له اثره الخلاب في شد المتلقي

بسبب تدفقات النغم الشعري المتولد من الترانيم الملحنة المتساوقة مع موقف الحياة، والمصور للشعور والاحساس منظمة في عمل فني متقن.
على اننا لا نغفل عن أن اختيار الشاعر الموسيقي من الوزن والقافية يبقى اختيارا عفويا منضبطا مبنيا على ما يمتلكه من خزين ثقافي يتيح له تلك الاختيارات التلقائية، وإحساس الشاعر بها لحظة انجاز عمله الابداعي الشعري تعتمد على الأذن الموسيقية في اختيارها، ومقتضى طبيعة التجربة الشعرية.

• أولاً: الوزن:

الوزن: هو تردد الوحدات الصوتية المتشكلة في التفعيلة التي يرمز لها بالمتحرك والساكن (٥/)، وتمنح التفعيلة القصيدة جمال نظام هيكلها في كل بيت من أبياتها المتكررة، ويعزف الشاعر على اوتار أصوات انغام التفعيلة في البناء الصوتي الداخلي للقصيدة في الحروف المتناغمة والمؤلفة بوسائل فنية محاولة منه لتطبيق هندسة عقلية متولدة من انفعالاته المحدودة بقلب الوزن الذي تصدح منه حدة نبرته الصوتية، فتكاد تملو على الوزن العروضي، ولا ندركها إلا بقراءة الشعر بصورة مسموعة، فهو إيقاع باطني سحري يستوعب تجربته الشاعر ايا كان نوعها، وفي الوقت نفسه تكون تفعيلة الوزن خاضعة لسيطرته فتتنظم ب

أنغام موسيقية محكمة الترتيب في البيت تستثير عناية المتلقي بهذا النظام المتناسق للجمل الموسيقية وتعد أوزان الشعر الستة عشر الذي ضمها الشعر العربي في قوالب هيكلية شعرية بحرا دافقا يغترف

منه الشاعر ما يريده بحسب التصاق تجربته الشعرية، ليمنحها ذاتها الفنية، ولا يخفى أن انتقاء

الشاعر هذا البحر الشعري، أو ذلك يأتي بصورة عفوية؛ لأن الشاعر القديم لا يعرف طبيعة البحور؛ وأوزانها وقوافيها، لأن ملاذه في هذه العملية الاختيارية الموهبة الشعرية الفطرية، والأذن الموسيقية

(2)، وانتقى أبو طالب من الدوائر الوهمية لأوزان الشعر العربي بفطرتة ما يتلاءم مع عاطفته وحالته الشعورية والنفسية المستوعبة لتجربته الأنوية وذوقه الفطري الذي ينأى عن تحديد الإيقاع، والقوالب التي تنظم الشعر، وكما هو مبين في الجدول رقم (١) بحسب الكم.
جدول احصائي رقم (١)

لعدد الأوزان، وعدد القصائد، والمقطوعات، والاراجيز، والنسبة المنوية

النسبة	عدد القصائد	البحر	التسلسل
المنوية	والمقطوعات		

٤٢/٨٥	٤٥	الطويل	١
١٤/٢٨	١٥	الكامل	٢
٩/٥٢	١٠	البسيط	٣
٩/٥٢	١٠	الرجز	٤
٧/٦١	٨	الوافر	٥
٥/٧١	٦	المتقارب	٦
٥/٧١	٦	الخفيف	٧
١/٩٠	٢	السريع	٨
٠/٩٥	١	الرمل	٩
٠/٩٥	١	المنسرح	١٠
	١٠٥	المجموع	

أفرز الاحصاء نتائج استثمار أبي طالب لبحور الشعر العربي، فقد نظم في أكثرها بمختلف فنونه الشعرية الدالة على جودة طبعه وقوته، فإحساسه الفني الدقيق دفعه إلى براعة النظم بها، فكان من نتاج هذا الامر تنوع الإيقاع بمختلف طبقاته ونغماته الموسيقية التي اتاحت له اثناء تجاربه الشعرية المتباينة والمتوانمة مع الألفاظ ضمن تراكيبها السياقية التي احتوتها الاطر الفنية بجمل موسيقية تتدفق منها انفعالات نفسية بالوان مختلفة، وقد احتل البحر الطويل الصدارة في نظم قصائد أبي طالب ومقطوعاته الشعرية، فبلغت نسبتها

(85)، (42% من بقية البحور المستعملة، وبحر الطويل بحر شائع، فقد نظم فيه ما يقارب ثلث الشعر العربي(3)، ويعود ذلك إلى أنه يمتاز بانه ذو «بهاء وقوة (4)» في ذبذباته الموسيقية، وذو امكانات متسعة تتيح للشاعر ان ينظم في شتى الموضوعات التي تحتاج الى طول النفس؛ لأنه سخي النغم يضم ثمانية واربعين صوتا، يعطي الشاعر الحرية في التصرف بالتعبير عما يجول في ذهنه بهذا القالب الإيقاعي، واستثمر أبو طالب البحر الطويل الذي منح إحساساً موسيقياً للقصيد المتظافرة مع عناصر المحتوى: الألفاظ والتراكيب التي تكون الشكل، والمتلاحمة مع عناصر الصورة: المعاني والافكار التي تكون المضمون، فمُنحت الامكانات الفنية في تشكيل إيقاع مكثف، وهو يتوقد فيه صوت الفخر، والحماسة، والعتاب، والرثاء، والمديح وموضوعات أخرى تتعلق بالنصرة الى اخره.(5)

ويحتل البحر الكامل المرتبة الثانية في ترتيب القصائد والمقطوعات في شعر أبي طالب، إذ بلغت

نسبته

(28)، (14% وللبحر الكامل «جزالة وحسن اطراد (6)» في نغماته الإيقاعية المناسبة بدفق، لبيان مواقف الحياة التي يمر أبو طالب بها موجهها وناصحا، أو باديا لرأي في قضية معينة. (7)

واحتلت الأبحر

«البيسط، والرجز، والوافر، والمتقارب، والخفيف، والسريع، والرمل، والمنسرح» المرتبة الثالثة، فقد بلغت نسبتها (52)، (9% ولكل بحر منها مزاياه الخاصة حيث يعزف الشاعر انغام تجربته الشعرية المصورة للنسيج اللغوي في موجات صوتية هادئة، أو عالية تبعا لتلون انفعالاته الخاصة بظرفها الذي يعترى الشاعر ساعة نظم ابداع عمله الشعري، وقد انتقينا من هذه المجموعة للابحر الشعرية، البحرين: الرجز والمنسرح، فالرجز هو الذي يرتجل ارتجالا مباشرا في مواقف الحياة اليومية وملايستها المختلفة(8)، ويبدو أن هذا اللون من الإيقاع يتناسب مع مناسبات الحياة المتباينة لتوافر النغم المقترن بالجمل الموسيقية التي تشكل التفعيلة المتدفقة باثر انفعالات الشاعر المصورة للحركة الدائبة للحياة في تلوين اجزائه، وصقل محتوياته، واثرائه بالصور في محاكاة الاحداث اليومية.

وقدم أبو طالب انجازا صعبا في استعماله البحر المنسرح الذي «عليه بعض اضطراب وتقلقل، وان

كان الكلام فيه جزلا)»

(9)تفعيلاته مركبة، فقد استوعب بحر المنسرح تجربة الشاعر في بث ما ينشده في عرض موضوعه من الحث على النصره وتهديد الخصم وتوعيده.(10)

ونأى أبو طالب عن استعمال البحور: المضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك، فلم ينظم فيها، وهي

من البحور المهملة، لم يقل بها الشعراء القدامى)

(11)، وبهذا كله ارتسم أبو طالب طريقا موازيا لشعراء قبله ومعاصريه، فلم يخرج على المعايير الوزنية لموسيقى الشعر العربي، وانتقاء أبي طالب هذا الوزن أو ذاك كان بدافع الحال الشعورية التي حددت اختيار الوزن في احداث الفعل المؤثر ليصل الى العقول والقلوب على السواء، وهذا لا يتم إلا إذا كان الإيقاع على درجة قوية من التأثير والنفوذ وهو يحشد فيه كثيراً من التفاصيل والجزئيات في استثمار التلون الصوتي المؤثر والتصوير الفني الدقيق ومكونات اللغة الفنية التي تستلزم الاتقان المتأني إلى جانب صدق العاطفة وقوتها المنسكبة في بنية الإيقاع.

ثانياً: القافية:

هي الجزء المكمل لإيقاع البيت الشعري، وهي الدفقة التي تمنحه وظيفة جمالية بتريديها في آخر الأبيات بوصفها اخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الشعري إذ يصل الإيقاع إلى مداه فيها بما توفره من انسجام صوتي بين حروفها تلك الحروف التي يشكل الروي والرديف والتأسيس أبرز مظاهرها، فتشترك مع إيقاع البيت وتتجاوب معه في النسق العام، والإيقاع الشعري لا يمكن أن يحصر الشحنات الوجدانية للشاعر ما لم تتفق القافية معه، فهما المنظمان لانفعالاته ولاسيما القافية، بيد أنها لا تحول دون انطلاق الاحاسيس والعواطف ضمن المعاني والافكار التي تنتظمها، والألفاظ والتراكيب الفنية عندما تتشكل مقومات العمل الشعري، أو تقيدها، وانما هي الضابط الذي يحصر الشاعر ساعيا في تنظيم المكونات الشعرية إلى آخر وحدة موسيقية في البيت، ثم يعود لتنظيمها، في البيت الآتي بعده وهلم جر

١٥؛ لأن هذه المقومات الشعرية ممتدة إلى آخر القصيدة، أو المقطوعة بنظام فني متلاحم ينساق الشاعر وراءه ليشكل خطأ لإبداعه الشعري لا خيار له في سواه. ومن هنا طبعت القافية بطابع الدلالة والنغم في بناء العمل الشعري

(12)، فترديد موسيقى القافية في نهاية العمل الإبداعي الشعري تمنح قوة للإيقاع وتخلق شعورا ذا وقع طيب في أذن السامع إذا كان المعنى المطروق في البيت يدل عليه، وبخلافه إذا كان المعنى ينبو عن ذوق السامع. (13)

ومن أبرز مظاهر القافية وأوضحها حرف الروي، و«هو النبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت

ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة؛ ليكون الرباط بين هذه الأبيات يساعد على حبكة القصيدة

وتكوين وحدتها، وموقعه آخر البيت وإليه تنسب القصيدة) »

(14)، أي أنه تردد صوتي واحد في أواخر الأبيات ذو جرس موسيقي ناشيء من انفعال الشاعر ساعة إبداع عمله الشعري، يحدث رنيناً موسيقياً متناغماً يشد انتباه السامع إليه، ويثبتته في ذهنه عند قراءة القصيدة بصوت مسموع، فهو أهم عناصر مقومات الأصوات في القافية، فلولا وجوده لعمت الفوضى والاضطراب والتبعثر والتشتت في نظام بناء القصيدة.

استثمر أبو طالب أربعة عشر حرفاً من حروف المعجم العربي خدمة للقافية بوصفها قيمة تعبيرية

موسيقية يرمز لها بالصوت كما مبين في الجدول الإحصائي رقم (٢) بحسب الكم.

جدول إحصائي رقم (٢) (لحرف الروي، وعدد القصائد، والمقطوعات، والأراجيز، والنسبة المئوية

النسبة المئوية	عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز	حرف الروي	التسلسل
١٦/١٩	١٧	الباء	١
١٦/١٩	١٧	الذال	٢
١٤/٢٨	١٥	الراء	٣
١٤/٢٨	١٥	اللام	٤
١٤/٢٨	١٥	الميم	٥
٥/٧١	٦	القاف	٦
٤/٧٦	٥	الفاء	٧
٣/٨٠	٤	النون	٨
٢/٨٥	٣	التاء	٩
٢/٨٥	٣	السين	١٠
١/٩٠	٢	الهاء	١١

٠/٩٥	١	الجيم	١٢
٠/٩٥	١	الحاء	١٣
٠/٩٥	١	العين	١٤
	١٠٥	المجموع	

وأفرزت نتائج الاحصاء استعمال أبي طالب لحروف الروي التي يمكن تصنيفها إلى صنفين: الأول:

يضم حروف الروي: «الباء، والذال، والراء، واللام، والميم»، ويحتل نسبة عالية في شعره، والثاني:

يضم حروف الروي: «القاف، والفاء، والنون، والتاء، والسين، والهاء، والجيم،

والحاء، والعين»، ويحتل نسبة متوسطة، أو قليلة

في شعره.

وعند موازنة هذين الصنفين بالإحصاء التقريبي لآحد الدارسين للشعر العربي)

(15) يتبين أن الصنف الأول من حروف الروي التي وظفها أبو طالب في شعره تحتل الصدارة في نظم الشعراء، أما الصنف الثاني منها، فهو متوسط الاستعمال، أو قليل في نظم الشعراء. ومن هنا نتوصل إلى أن أبا طالب درج على منهج سابقه من الشعراء، ومعاصريه في البناء الصوتي

لحروف الروي في نظام القصيدة، أو المقطوعة، أو الأرجوزة، فهو متمكن من صناعته الشعرية بما

يمتلك من امكانيات عالية وواسعة تؤهله لانجاز عمله الفني، وتمتعاً بمادة لغوية كثيفة تمكنه من

التصرف بها كيفما شاء، وأنى شاء في أفانين الكلام بأية وسيلة يختارها من دون ان يشعر بعوائق

القافية الموحدة في جميع أبيات العمل الشعري، ولاسيما وهو يطيل في أر

اجيزه التي تدل على طول نفسه الشعري.

ولهذا كله أتاحت حروف الروي للشاعر التنوع في استعمالها بحسب التجارب التي عالجت

موضوعاته الشعرية.

قسمت أصوات حروف الروي في شعر أبي طالب بحسب أهميتها في ضوء شدتها إلى: أصوات

متوسطة أو مانعة)

(16)، فإظهرت نتائج الاحصاء إلى شيوع حروف الروي: «الراء، والعين، واللام، والميم، والنون» في شعر أبي طالب من بين الأصوات المرتبطة بالبناء الموسيقي، فقد بلغ تردد مجموعها في الاستعمال خمسين مرة، أي بنسبة (61)، (47% من عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز، فاحتلت الصدارة في استعمال حرف الروي. وحروف الروي: «الراء، واللام، والميم، والنون» من حروف الذلاقة، فمن خصائصها قدرتها على

الانطلاق من دون تعثر في تلفظها، ولمرونتها وسهولة النطق بها «كثرة في ابنية الكلام»

(17)، ومما يسوغ كثرة استعمالها انها من الأصوات المجهورة (18)، «أذ لولا ذلك لفقدت اللغة اهم عنصر فيها وهو تنغيمها وموسيقيتها ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت (19) «وهذا الأمر

يفسر وجود الانتلاف بين هذه الأصوات وطبيعة التكوين الشعري، أو التجارب الشعرية المعبر عنها، وارتباطها بالفاصلة الموسيقية للقافية المتلاحمة مع الحال النفسية للشاعر وهو يعزف على انغام بنانه الموسيقي في الموضوعات: الرثاء والنصرة والعتاب والفخر والحماسة والتعريض والمعاناة الذاتية (20) التي تحتاج إلى النغم والرنين العالين لتشكل جزءاً من الوحدة الموسيقية الشعرية التي يتوقع السامع تكرارها، وهي أصوات ذات قيمة تعبيرية تحقق التأثير المطلوب في السامع، ومنها ما قاله أبو طالب في شأن الرهط الذين نقضوا الصحيفة في مديحه لهم:
 {من المتقارب}

سقى الله رهطاً هم بالحجون	قيامٌ وقد هجع النوم
قَضُوا ما قَضُوا في دُجى ليلهم	وَمُسْتَوِسِّنُ الناسِ لا يَعْلَمُ
بِهاليلٍ عُرُّ لَهُمْ سورَةٌ	يُداوى بها الأبلحُ المجرمُ
كشبهه المُقاوِلِ عِنْدَ الحُجو	نِ بِلِ هُمِ أَعَزُّ وَهُمِ أَعْظَمُ
لدى رَجُلٍ مُرْشِدٍ أَمْرُهُ	إلى الحَقِّ يَدْعُو وَيَسْتَعَصِمُ
فَلَوْلَا حِذاري نَشا سَبَّةٍ	يُشيدُ بها الحاسِدُ المُفْعَمُ
وَرَهْبَةً عارٍ على أُسْرَتِي	إِذا ما أتى أَرْضنا المَوسِمُ
لَتابَعْتُهُ عَيرَ ذي مَريَةٍ	وَلَو سِياءِ ذُو الرَعْمِ
كَقَوْلِ قَصىِّ أَلّا أَقْصِرُوا	وَالْمُحْرَمُ وَلا تَرَكبُوا ما بِهِ المَأْتَمُ

(٢١)

منح الشاعر حرف الروي «الميم» قيمة موسيقية ضمن الوحدة الإيقاعية الكامنة لدلالة الانغلاق في

الوحدات التعبيرية اللغوية «النوم، لا يعلم، المجرم، أعظم، يستعصم، المفعم، الموسم، المحرم،

المأتم.»

وصوت «الميم» مجهور فطريقة التلفظ به تتراوح بين انضمام الشفتين وانفراجها التي تتناسب مع

حالات انغلاق النوم والعلم والاجرام، والتعظيم والاستعصام إلى آخره، التي استقصيت تجربة الشاعر

الفنية.

ووظف أبو طالب الأصوات الشديدة «الانفجارية»

(22) ومنها «الباء، والتاء، والجيم، والذال، والقاف» في ثلاث وأربعين قصيدة ومقطوعة وارجوزة، أي بنسبة (95)، (40%) عالجت موضوعات: الرثاء والنصرة والمديح، والعتاب، والتحذير والنصيحة (23)، وقد نجح أبو طالب في خلق تجربة شعرية معادلة لتجربته الحياتية، وهو يقف سدا منيعا بوجه المعارضين لدعوة ابن أخيه (صلى الله عليه وآله)، وينذرهم عاقبة عداوتهم منتقيا حرف الروي المناسب مع البحر الطويل المستعمل، فحرف الروي «الباء» غني بالرنين لمزاياه التي يتمتع بها في أنه شديد الانفجار يجد الشاعر فيه متنفسا للموقف النفسي العنيف في الحال التي يرغب فيها إيصال صوته إلى بطون بني لؤي بن غالب، فقال:
 {من الطويل }

ألا أبلغا عني على ذات بيننا
 ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
 وأن عليه في العباد محبة
 وأن الذي نمقتم في كتابكم
 أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
 ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا
 وتسنجلبوا حرباً عواناً ورُبما
 فلسنا

- وبيت الله - نُسَلِّمُ أَحْمَدًا
 ولما تبين منا ومنكم سوائف
 بمعتركِ ضنكِ ترى كسر القنا
 كأن مجال الخيل في حبراته
 أليس أبونا هاشم شد أزره
 ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
 ولكننا أهل الحفاظ والنهي

ورد حرف الروي «الباء» في القافية منساقا في خدمة البناء الموسيقي للقصيدة المطبوعة بطابع
 انفعال الشاعر المتلون، وهو يبلغ ويحذر ويهدد ويتوعد ويفخر، فعند النطق به تنطبق الشفتان
 انطباقا محك

ماً، وبعد انفصالهما فجانيا ينفجر النفس المحبوس محدثا صوتا انفجاريا مدويا(25)، وهذه الأمر يتفق مع
 طبيعة تجربة الشاعر الأنبية، وهو ازاء تحدي معارضي بطون قريش من لؤي بن غالب.
 ومن الاضاعة بالجدول الاحصائي رقم «٢» يتبين أن أبا طالب استعمل في شعره الأصوات الرخوة

والاحتكاكية

(26)، فقد ترددت أربع مرات في مقطوعات شعرية، بلغت نسبتها (80)، (3% من مجموع عدد القصائد
 والمقطوعات والأراجيز، ويتضح أن أبا طالب لم يتركها إلى استعمال أصوات الأطباق(27)، وهي من اصناف
 الأصوات الرخوة والاحتكاكية التي انمازت بالفخامة، و«لها رنة قوية في الأذان، مما يلائم طباع البدو
 وخشونتهم (28)» ويبدو أن عيش الشاعر في بيئة حضرية مثل مكة استدعت ان يكون لها اثرها في هذه
 الموسيقى وذوقه الفني وهو ينتمي الروي الذي يتناسب وذوقه الحضري، وهو ذوق الشعراء السابقين
 والمعاصرين له، وربما عزف الشعراء عن هذه الحروف؛ لأنها قليلة الدلالة لا تتناسب مع ذوق المستمع،
 ولذلك استعملها أبو طالب في قصيدة ومقطوعتين وبيت يتيم(29)، فمما ورد في شعره حرف الروي
 «الحاء» في قصة عمار بن الوليد وعمرو بن العاص البعيدة عن الخلق العربي، فقال:
 {من الطويل}

على فجرة تنثي عليكم وتفصح

تصاحبتما

وز

وجتك الحسنى إليه تلوح
وأنت عياءً أصفر اللون أفلح

فطالبها جهراً بما ليس يصلح (٣٠)

- لا بارك الله فيكما -

سقيت الفتى خمراً فأفسدت عقله

رأت رجلاً من اجمل الناس منتش

أذنت لها في قبلة من جبينها

لم يرفل حرف الروي «الحاء» بالإيقاع النغمي ذي الجرس الموسيقي الذي يساعد على اشارة

المتلقي، فهو من الحروف المهموسة)

(31)، فمن خصائصه عند التلفظ به يسمع منه نوع من الحفيف في الحلق، ويرتبط ببنية القافية بنغم موسيقي هاديء يعبر عن تجربة الشاعر في استنكار قبح العمل المخزي الذي تنأى عنه العادات والتقاليد العربية الاصلية، فعبر الشاعر عن همسه في بنية الوحدات اللفظية والتعبيرية «تفصح، تلوح، أفلح، يصلح» المتوائمة مع الوحدات الإيقاعية في خلق تجربة شعرية. ومن مظاهر القافية الأصوات الساكنة والردف والتأسيس المعتمدة على ما

تقدمه أصوات المد للشاعر من نغمات موسيقية منتظمة في إيقاع القافية، وهي تضيء نفس الشاعر ببطء الحركة المتساوقة مع احساسه ومشاعره، والمتناسقة مع المعنى الشعري في ايجاعات قوية وضعيفة لتتحد في بناء موسيقى القافية، وقد استعمل أبو طالب الحروف الساكنة ومنها حروف الروي الموصولة بالف الاطلاق المترددة عشر مرات بنسبة (52)، (9% من عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز (32)، على نحو ما انشد أبو طالب عندما اجتمعت قريش على خلفه في متابعة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخطبهم معاتباً ومحدراً ومادحاً لابن أخيه: {من الطويل}

سوى أن منغنا خير من وطىء التراب)

وما إن جنينا في قريش عزيمة

(٣٣)

تعامل أبو طالب مع القافية المطلقة التي حركها الروي بحركة مد طويلة في تموجات القافية المتشكلة بتفعيلة الوحدة الموسيقية المتكونة في الضرب؛ ليصبح حرف المد جزءاً من بنية القافية فهو يحمل الدلالة الشعورية التي منحت احساس الشاعر بالضيق الخفي، فاطلق حرف الالف محاولة منه للتفريغ عن نفسه وهو يوقع الوحدات اللفظية «التربا، ذربا، حربا، النكبا، الشعبا، سربا» في المقطوعة نفسها، مادحاً رسول الله صلى الله عليه وآله ومحدراً قومه مغبة عنادهم في معاداته)

34).

واستعمل أبو طالب الردف)

(35) بالالف في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة بنسبة (38)، (12% والردف بالياء في خمس قصائد ومقطوعة بنسبة (76)، (4% والردف بالواو في قصيدة واحدة بنسبة (0.90% من القصائد والمقطوعات والأراجيز (36)، على نحو يذكر ما جرى في سفره إلى الشام مع النبي صلى الله عليه وآله: {من الطويل}

بفرقة حر من أبين كرام)

ألم ترني من بعد هم همته

(٣٧)

فالالف ردف، والميم روي، ويكرر الشاعر القافية المردفة بالالف «بسلام، زمام، سجام، لنام، شامي، عظام، طعام، غلام، امام الى اخر القصيدة»، فيضفي الشاعر ظلالات احيانياً في جرس القافية المرسوم فيها نغم الروي، وهو يحاول شد المستمع الى معنى اللفظة ضمن بنية القافية، فيتوقع معه ترديد الوحدة اللفظية المتضمنة لردف القافية.

وقد تتناوب الحروف المردفة (الواو مع الياء) في بنية قافية القصيدة الواحدة، وبها التزم أبو طالب ثماني قصائد ومقطوعة ورجز)

(38 بنسبة 61%)، (7% على نحو خطابه لبطون قريش يذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشعب: {من الوافر}

أرقت وقد تصوّبت النجومُ وبيت وما تسالمك الهومُ
إظلم عشيرةً ظلموا وعقوا وعب عقوقهم كلاً وخيمُ)

(٣٩)

فالياء والواو ردف والميم روي، ويتردد الواو والياء في بنية القافية «حريم، نديم، قسيم، عديم، الحلوم، مليم، الحطيم، عظيم، ظلوم، تريم، الخصوم، العموم الى نهاية القصيدة.»

إن موسيقى القافية المردفة بالواو تارة، وبالياء تارة اخرى تتيح لشاعر اثراء تجربته بالانغام الموسيقية المتوافرة، وهو يلون اوتارها النغمية بهذا التباين الصوتي بحسب احوال حركة النفس المقننة باطار فني مراعي فيه النبرة ضمن الوحدة اللغوية في القافية، والردف المتناوب لا ضير منه؛ لوجود تشابه في الطبيعة الصوتية ودرجة الوضوح السمعي)

(40)، فكل الصوتين له فاعليته الموسيقية ضمن تقنيات الإيقاع. والت

زم أبو طالب التأسيس في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة (41 بنسبة 38%)، (12% نحو عتابه لقومه في ظلمهم لرسول الله صلى الله عليه وآله) فقال: {من الطويل}

ألا يا لقومٍ للأمور العجائب وصرف زمانٍ بالأحبةِ ذاهبٍ)

(٤٢)

فالالف تأسيس، والهاء دخيل والباء روي، ويردد الشاعر التأسيس في بنية القافية: «ضرائب، عاتب، كاذب، واجب، اطانب، اقارب الى آخر القصيدة»، وقد غني أبو طالب بموسيقى القافية وهو يؤسس لها بجرس نغمي متناسق في بنائها، ذي قيمة إيقاعية مكثفة فكان للنغم أثره في اذهان قومه؛ لأنه يتناغم مع صوت الروي في ترديد الوحدة الموسيقية للقافية.

ويحاول الشاعر انجاز عمله الفني في توفير عدد من الأصوات المطلوبة بنظام متقن، فإذا اختل عدد الأصوات، أو تغير شكلها، أو ترتيبها عد ذلك عيبا على صناعته الشعرية، فالشاعر القديم تمرد على قواعد العروضيين قبل وضعها؛ لأنه يستمد أصول عمله الفني من استماعه لتراث اسلافه الذي تحاشى الميل إلى التجاوزات العروضية إلا عند الضرورة الشعرية لأنها رخصة منحت له فيجوز بموجبها خرق القواعد العروضية خدمة لعمله الفني ، ومن هذه التجاوزات :

أ

- التجميع، ويطلق على القصائد غير المصرعة بالتجميع «وهو أن تكون قافية المصراع الاول من البيت الاول على روي مُتَهَيء لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه(43)»، وهذا التنوع الإيقاعي فيه نبو عن النغم الموسيقي المرتقب، ولهذا عد من عيوب القافية بسبب ما يخالف ظن المتلقي في متابعة إيقاع البيت، ومنه قول أبي طالب في رسالته الموجهة إلى أبي وهب فقال:
{من الوافر}

ألا بَلِّغْ أبا وَهَبٍ رسولاً فانك قد دأبتَ لما تُريدُ)

(٤٤)

عزف الشاعر عن التصريح في مطلع قصيدته؛ لأن طبيعة الولوج المباشر إلى موضوعه اقتضت السرعة في الاداء، وهو ازاء تبليغ خطابي لأبي وهب، فحتم عليه ترك التصريح، وهذا ما يلحظ في شعره بشكل عام، ومن هنا يمكن ان نقول ان ظاهرة التجميع لا تعد عيبا على إيقاع الشاعر، فالشاعر له الحرية في استعمال الطريقة التي تتناسب مع معالجة موضوعه، ولاسيما أن اكثر شعر أبي طالب يعالج موضوعات الحياة اليومية الجديدة المواكبة لعصر الرسالة.

ب

- الإقواء، وهو العدول عن حركة بحركة أخرى في حرف الروي ، على نحو عدول الشاعر بالضمة عن الكسرة(45)، وربما حمل الشاعر على هذا الامر ليشد انتباه المستمع الى جرس موسيقي جديد لم يألفه المستمع؛ ليكسر الرتابة الموسيقية التي اعتاد سماعها في بنية القافية، ويظالعا أبو طالب في شعره وهو متألم من افعال قومه في معاداة صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) فقال :
{من الطويل}

ألا مَنْ لَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ مَنْ وَشَعْبِ الْعَصَا مِنْ قَوْمِكَ الْمُتَشَعَّبِ
وَجَرَّبِي أَرَاهَا مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ مَتَى مَا تَزَاجِمُهَا الصَّحِيحَةَ تَجَرَّبِ
إِذَا قَانِمٌ فِي الْقَوْمِ قَامَ بِحُطَّةٍ أَقَامُوا جَمِيعاً ثُمَّ صَاحُوا وَأَجْلَبُوا
وَمَا ذَنْبُ مَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ وَدِينِ قَدِيمِ أَهْلِهِ غَيْرِ حُيِّبِ)

(٤٦)

لجأ الشاعر إلى تنويع الإيقاع الموسيقي لنغم حرف الروي، فحركة روي البيت الاول والثاني بالكسرة، ثم عدل في البيت الثالث إلى الضمة، وعاد في البيت الرابع وبقية أبيات القصيدة إلى الكسرة. فمن الملاحظ أن الشاعر لم يخالف الاستعمال المطرد للغة، وإنما خالف المعايير الوضعية والقواعد الموسيقية رغبة منه في تنويع الإيقاع الذي يستدعي انتباه المتلقي وهو في غفلة عن المعنى، ونغم الإيقاع، فيأتي المعنى بخلاف النغم؛ ليقصر انتباه المستمع إليه.

جـ - الايطاء، وهو ترديد الكلمة خطأً ومعنىً في القصيدة الواحدة)

(47)، ولا يعد هذا الترديد عيباً إذا جاءت الكلمة المكررة نفسها لفظاً ومعنىً بعد سبعة أبيات؛ لأنها عندئذ تعد كما لو أنها مفتتح قصيدة جديدة (48)، على رأي من يعد القصيدة سبعة أبيات (49)، على نحو ما روى أبوطالب قصة عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص فقال: {من الطويل}

أتاني حديثٌ عن عمارةٍ مخزِيٍّ وفعلك يا عمرو الضلالة أقبِخ

وبعد اربعة أبيات قال:

فلو كنت يا ابن العاصِ حُرّاً قتلتهُ ولكن تداعاك الرجالُ وأقبِخ)

(٥٠)

إنَّ لفظ «اقبِخ» تكرر لفظاً ومعنىً في القصيدة؛ لأن الشاعر أراد أن يروي قصة حدث لشخصيتين معينتين اقترنت بقبح عملهما؛ ليبينه إلى المتلقي، فلما سرد ملامح القصة استدعى منه أن يُذكر المستمع بشناعة عملهما، فكرر اللفظ تأكيداً لاستنكاره بهذا الإيقاع المفعم بالدلالة والنغم، وهذه مخالفة فنية مقصودة الغاية منها تكثيف النغم الموسيقي، والدلالة الشعرية. وهناك ظواهر إيقاعية تتعلق بالوزن والقافية على السواء لها أهميتها في تحقيق الانسجام الموسيقي، وتحقيق كثافة موسيقية ودلالية في الألفاظ والعبارات.

التكرار:

إنَّ من مظاهر جمال التناسق الموسيقي، التوائم في الوحدات الموسيقية التي تتكرر في البيت، ثم تمام الأبيات ضمن التكوين البنائي العام للقصيدة، وان تردد الوزن والقافية اللذان يشكلان وحدة بنائية للقصيدة المتولدة عن التكرار يمنح جرساً نغمياً تطرب إليه النفس عند سماعه (51)، وهذا التكرار للوحدة الصوتية لا يتولد عن التكرار الموجود في الوزن والقافية فحسب، وإنما يتولد من تكرار الألفاظ والعبارات التي يتخيرها الشاعر ليؤدي وظيفة إيقاعية خاصة في بقية أجزاء القصيدة، فضلاً عن الحلاوة في الأسلوب، والسمو في المعاني، والعذوبة في الإنشاد، فالتكرار «هو تناوب

الألفاظ {والتركيب والمعاني} واعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصدّه الناظم»
(٥٢) .

وترجع الوحدة الصوتية المتمثلة بالتركرار سواء أكانت لفظاً، أم عبارة، أم معنى «يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها (53)»، وتفصح عن نفسيته، ويلفت سمع المتلقي له، وهذا يرتبط بالدلالة.

وتكون الغاية من التكرار زيادة القيمة الإيقاعية للفظ، أو للعبارة، أو للمعنى من خلال ترده، فيعطي نغماً مضافاً للبيت ومن ثم للقصيدة، وهذا يرتبط بالإيقاع، ومن هذين الأمرين يحقق التكرار وظيفتين دلالية وإيقاعية.

ويلجأ أبو طالب في شعره إلى التكرار ويلح عليه - في بعض الأحيان

- رغبة منه في إبراز الفكرة التي هو في صدد الحديث عنها، ومنها التابين لفقيد عزيز عليه، أو الافتخار بنفسه أو بقومه، أو التأكيد على حقيقة مهمة لبعض الناس فيحثهم عليها، أو الإشادة بذكر الممدوحين، أو التوعيد والتهديد والتعريض بخصوصه إلى آخره، على أننا لا نغفل عن أن ظاهرة التكرار بألوانها المختلفة ظاهرة أدبية اعتمدها أبو طالب بوصفها أسلوباً احتداه شعراء العرب قبل الإسلام. (4)

إن قراءة فاحصة في شعر أبي طالب الذي بين أيدينا؛ تكشف شيوع ظاهرة تكرار الألفاظ، والتركيب

و المعاني (55) وعلى النحو ال

آتي :

- التكرار اللفظي:

إنَّ ترديد اللفظ يحمل معنىً معيناً يحاول الشاعر التركيز عليه في سياق النظم؛ لا يصل قوة النغم

الإيقاعي إلى السامع فيحظى بانتباهه، ويشد سمعه إلى هذه اللفظة التي لمعها الشاعر أكثر من

غيرها.

ويطالعنا أبو طالب في شعره الجاهلي بتكرار لفظي يشد من وقع الكلمة في النفس الإنسانية «وأولى

ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجعية وشدة القرحة التي يجدها المتفجع وهو كثير حيث

ألتمس من شعر وجد »

(56)، فندب أبو طالب أخاه الزبير الذي كان أحد حكام مكة ورئيسها (٥٧) ، بتكرار صفة من صفات منزلته الجليلة وهي السيادة، ليترجم عن حزنه وفداحة خسارته بفقده، فقال بعد ندبه بذرف الدموع، وسكب العبرة، ونفت الحسرة (٥٨) ، مؤبناً :

{من الخفيف}

لَاخِ سَيِّدٍ نَجِيبٍ لِقَرْمٍ سَيِّدٍ سَيِّدٍ فِي الذَّرَى مِنَ السَّادَاتِ
وَإِبْنُ سَادَةٍ أَحْرَزُوا الْمَجْدَ دَ قَدِيمًا وَشَيَّدُوا الْمَكْرُمَاتِ

....

حَيْهُم سَيِّدٌ لِأَحْيَاءِ ذَا الْخَلْدِ

قِي وَمَنْ مَاتَ سَيِّدُ الْأَمْوَاتِ (٥٩)

استعان أبو طالب بترديد لفظ «سيد» وتصريفاته سبع مرات، فأسهم هذا التكرار المتتابع في الأبيات اسهاما فاعلا في تصوير فداحة غياب أخيه؛ فراح يكرر بعناية صفته المتوغلة في نسب الأجداد، فهو سيد كريم من أب سيد في ذروة السادات، وأبناء سادة احرزوا المجد، والمنزلة الرفيعة في قومهم. وكشف التكرار اللفظي جانبا من جوانب شعيرة الحزن على الفقيد، فليس على القلب اقسى من فراق الأحباب فرقا ابديا، فجاء التكرار تعبيراً عن لوعة نفس الشاعر التي لا تتبدد؛ أنه عندما يرثي أخاه

إنما يرثي صفاته بنغم إيقاعي يستثير أذهان السامعين، وتوجج نفوسهم حسرة ولوعة على الفقيد بصدق الاحساس ذي الدلالة المكثفة في التعبير الذي أفاده التكرار من ترجيع الوحدة اللفظية «سيد» ومشتقاتها. وقد عني الشاعر بنتاج القيمة الصوتية والدلالية للفظ «سيد» لأن هذا السبيل، هو الأداة الحسية

الوحيدة التي يمتلكها الشاعر للفت الاسماع إلى المضامين التي يريد التركيز عليها، فالمخالفة

الصوتية هنا بين لفظ «سيد» التي ركز عليها بالتكرار وغيرها من الألفاظ التي لم تتكرر هي التي تشد الانتباه الى اللفظ اكثر من غيره، وهنا يقدم التكرار للشاعر زيادة على ما ذكره تقنية فنية للدلالة التي سيتم التركيز عليها أيضاً من خلال تصور فقدان المرثي.

إنَّ تكرار الألفاظ ظاهرة شاخصة في قصائد أبي طالب في فنونه الشعرية المختلفة، فلم تبرز في الرثاء فحسب، وإنما في قصائد الفخر والمديح والهجاء وغيرها.

ففي فن الفخر نجد للتكرار حضوراً واضحاً، فقد افتخر بخاليه هشام والوليد على أبي سفيان بن حرب، فجعلهم سادة القوم وصدارتهم في الشجاعة والكرم، فقال من شعره قبل الإسلام :

{من الطويل }

وَخَالِي هِشَامُ بِنُّ الْمُغِيرَةِ إِذَا هَمَّ يَوْمًا كَالْحُسَامِ الْمُهَيَّبِ

وَخَالَ أَبِي سُفْيَانَ عَمْرُو بِنُّ مَرْتَدٍ (٦٠)

ثاقب

وَخَالِي الْوَلِيدُ الْعَدْلُ عَالِ مَكَانِهِ

ردد الشاعر لفظ «خالي»؛ لبيان شمائل خاليه التي اقتضتها طبيعة الفخر الذاتي فقد اضفى خصلاً

وخلالاً رفيعة ومحمودة لهما. فخاله الاول، هشام بن المغيرة المخزومي «من سادات قريش

وأشرافها، وهو سيد بني مخزوم في حروب الفجار وغيرها، وكان يقال له فارس البطحاء (61) »

والآخر هو الوليد بن المغيرة من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش كان يدعى العدل في

الجاهلية؛ لانه كان عدل قريش كلها، فإذا كست قريشا البيت كساه وحده، وإذا ترافدت قريش بالماء

والزبيب رقد وحده (٦٢).

وعلى الرغم من أن خال أبي سفيان عمر بن مرثد الضبعي من قيس بن ثعلب

كان سيدا في قومه (63)، لم يبلغ مبلغ هشام والوليد في علو السيادة والشجاعة والكرم. فكانت القيمة التعبيرية للتكرار كفيلا بالاستحواذ على مسامع المتلقي في احياء ذكرهما في الذاكرة، وهو ينعتهما بالمعاني السامية التي بها اشراف قوم أمه من بني مخزوم؛ ليرسخ اعمالهم الجليلة في أذهان الناس. إن تكرار الشاعر للفظ في أوائل الأبيات والأشطر في تشكيل عمودي في البيت الأول والثاني، وتشكل

أفقي في البيت الثاني، يكشف عن تقن

ية كان الشاعر يتقصدها في تكراره، وهذا يرتبط بالإنشاد، فاللسان يسبق النطق بهذا اللفظ بعد السكوت عند انتهاء البيت، والشاعر كان قادرا على ذكر لفظه «أخوالي» ثم يذكر من ذكره منهم، ولكن أثر هذه الصياغة، وكأنه يستعذب تكرار هذا اللفظ ويريد أن يدفع المتلقي لمشاركته في هذا الامر. وبذلك كله منح التكرار قوة دلالية، ونغما موسيقيا مسابير لتفعيله الوزن في صدري البيتين، وأول عجز البيت الثاني، وحقق غاية طموح الشاعر بالمفاخرة التي اكتسبت قيمتها التعبيرية من تناوب اللفظ. وفي المديح يطالعنا أبو طالب في قصيدته اللامية التي يخاطب فيها بني لؤي بن غالب من ابناء

عمومته الادنيين، يعرض بهم

(64)، ويمدح بني هاشم المناصرين لرسول الله (صلى الله عليه وآله) والذاندين عنه فقال :
{من الطويل}

بِأَيْمَانِ شَمِّ مِنْ ذَوَابَةِ هَاشِمٍ مَغَاوِيرَ بِالْأَبْطَالِ فِي كُلِّ جَحْفَلٍ
وَتَأْوِي إِلَيْهِ هَاشِمٌ إِنَّ هَاشِمًا عَرَانِيْنَ فَهَرٍ آخِرًا بَعْدَ أَوَّلِ

(٦٥)

عبر أبو طالب في ترجيح الوحدة اللفظية «هاشم» تعبيرا عن اعجابيه بالقيم البطولية من شجاعة، ومقارعة الأعداء التي من سماتها: القوة والحماية، فبنو هاشم حماة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبطال كرماء ذو أنفه، وسادة شرفاء ذو مجد عالٍ . فانبهار أبي

طالب بسجاياهم جعلهم مثالا رفيعا في شعره، فالقيمة التعبيرية للتكرار سلطت الضوء في المعنى النفسي لمنشئه، ومنحت كثافة دلالية في تعظيم شأن بني هاشم في نفوس اعدائهم المناوئين للرسالة المحمدية، وهو يطرق اسماعهم بجليل صفات بني هاشم؛ وليأنس أذهان الممدوحين بذكر شمائلهم. وينبغي أن يلحظ أن ما يذكره الشاعر أبوطالب معروفاً عند المتلقي من فضائل آبائه بوصفهم ذروة

الشرف من قريش، فسعى إلى التفرد بما ينظم ليس من خلال المعاني التي يعرفها غيره، وانما من

خلال الطريقة التي يعبر بها عن هذه المعاني، فالتكرار يهيء له ما يريده من الوضوح الإيقاعي أو

لنقل الصوتي يتناسب مع وضوح المضامين الدلالية التي يتحدث عنها ومن هنا كانت عناية الشاعر

أبي

طالب بال تكرار.
وعمد الشاعر أبو طالب إلى التكرار في الهجاء وهو يخاطب عشيرته قريشا، ويذكر ظلمهم وعقوقهم
وحصارهم في الشعب)

(66)، ولاسيما أبناء عمومته الأقربين من بني تيم وهصيص، وأخواله من بني مخزوم فقال:
{من الوافر}

بَنُو تَيْمٍ تَوَارَتْهَا هُصَيْصٌ وَمَخْرُومٌ لَهَا مَنَا قَسِيمٌ
فَلَا تَنْهَى غَوَاةَ بَنِي هُصَيْصٍ بَنُو تَيْمٍ وَكُلُّهُمْ عَدِيمٌ
وَمَخْرُومٌ أَقَلُّ الْقَوْمِ حِلْمًا إِذَا طَاشَتْ مِنَ الْعَدَةِ الْخُلُومُ (٦٧)

ردد الشاعر أسماء بعض بطون قريش، ومنها: «بني تيم» في صدر البيت الأول، وأول عجز البيت
الثاني، و«هصيص» في آخر صدر البيتين: الأول والثاني، و«مخزوم» في أول عجز البيت الأول،
وصدر البيت الثالث.

أراد الشاعر في المرة الأولى من ذكر أسماء بطون قريش أن يُعدد القبائل التي اجتمعت على ظلم بني
هاشم الذين ناصرُوا النبي (صلى الله عليه وآله)، وحاصروهم في شعب أبي

طالب بدلالة لفظ «قسيم»: نصيب. وعندما كرر الشاعر في المرة الثانية أراد أن يفصح عن صفاتهم
المذمومة في كل بطن منهم، فنعت بني تيم، وبني هصيص بالضلالة والحمق، وبني مخزوم بالطيش وخفة
العقل، واشتركت هذه البطون الثلاث بصفات نفسية هي النزق وانعدام العقل، وقلة الحلم، والضلال، فحقق
التكرار قيمة تعبيرية في زيادة المعنى بتوضيح المهجو، والازدراء منه، وبغضه، والتشهير به، أي أن
الترجيح اللفظي اكسب الكلمة كثافة دلالة، ومنح نغما إيقاعيا مكثفا مؤذيا في مسامع المهجو.

ومما يحسن الإيحاء إليه أن الشاعر أبا طالب لجأ إلى التكرار الحرفي ضمن التكرار اللفظي فلوّن

المقطع بصوت «الميم» عشر مرات بنغم إيقاعي مؤلم لمسامع خصمه، فمنح التكرار اللفظي مع
التكرار الحرفي كثافة دلالية؛ لأن تردد الحرف وجد لتقوية المعنى كما لو كان لفظا مكررا. وهو في
الوقت نفسه يزيد من دلالة الألفاظ المكررة، فاستعمال الشاعر المزاجية في تكرار اللفظ والحرف في
آن معا كان استعمالا موقفا يدل على قوة طبعه وإدراكه لاسرار صناعته بهذا التلوين النغمي في
الإيقاع، وقد ساعد صوت الميم الذي انماز بخفته على ذلك؛ لأنه من حروف الذلاقة (68) التي يسهل
النطق بها دون التعثر في الكلام، وهو من الحروف المجهورة يقع بين الشدة والرخاوة (٦٩)، ويعبر
عن الضيق، فحركه الشاعر في أكثر من بيت خدمة لموضوع فن الهجاء.

ومن الجدير قوله: إنَّ الشاعر القديم كان يحتفي بالأصوات اللغوية احتفاءً يصوّر ولعه العنيف بلغته
وما تقدمه له من امكانات صوتية، فهو يتلذذ بهذه الوحدات الصوتية في اثناء الانشاد وتكرارها يهيء
له ما يحتاج إليه من دفع شبح الوهن والضعف في نفسه .

فأكثر شعر أبي طالب هو دفاع عن الرسالة واحتفاؤه بال تكرار يعطيه دفعا قويا ليبدو قويا متماسكا أمام الخصم من خلال نشوة التكرار، ولا سيما ان اللغة وسيلته، ووسيلة غيره للتباهي أمام الآخرين بقدرته على مسك زمامها في وقت نزول القرآن بها، وتحدى الحق تبارك وتعالى ان يأتيوا بمثله وهو مُنزل بهذه اللغة محط التفاخر بين العرب.

وثمة تكرار آخر للفظ «حلم» وقع في آخر صدر البيت الثالث وآخر عجزه، وهذا النوع من التكرار أحد انواع رد الأعجاز على الصدور (70)، ويلزم ترجيح لفظ القافية وعلى النحو الاتي:
فقد يكون أحد اللفظين المكررين في أول صدر البيت، والثاني في آخر عجزه، ويجمعهما الاشتقاق،
نحو قول أبي طالب :

{من الطويل}

وجربى أنتنا من لويّ بن غالب متى ما تزاخما الصحيحة تجرب (٧١)

أو يكون أحد اللفظين المكررين في حشو البيت، والثاني في آخر عجزه، نحو قول أبي طالب :

{من الطويل}

نقول لعمرٍو : انت منه، وأننا ل نرجوك في جلّ الملمات يا عمرو (٧٢)

أو يكون احد اللفظين المكررين في اخر صدر البيت، والثاني في اخر عجزه نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

فثار إليهم خيفة لِعرامهم وكانوا ذوي دهي معاً وِعرام (٧٣)

أو يكون احد اللفظين المكررين في حشو عجز البيت، والثاني في آخره ويجمعهما الاشتقاق، على نحو

قول أبي طالب:

{من الوافر}

عليّ دماء بُدنٍ عاطلاتٍ لننّ هذرتْ لذلّكم الهدورُ (٧٤)

إنّ الترجيع اللفظي في القافية «تجرب، عمرو، عرام، الهدور» يعود إلى رغبة الشاعر في اشتراك

المتلقي بتوقع الفاصلة التي يرمز لها بالمقطع الأخير من البيت في كونها تحرك نفس المستمع

وتستثير نشاطه في متابعة بقية اجزاء القصيدة، وان الكلمة المكررة تمنح كثافة إيقاعية ودلالية في

تأكد المعنى مما يزيد من جمال الجرس الإيقاعي في موسيقى القافية.

ثمة نوع آخر من التناوب اللفظي يقع في نهاية بيت سابق وفي بداية بيت لاحق، نحو قول أبي طالب في مديحه النبوي:

{من مجزوء الكامل}

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ قَرَمَ أَعَزَّ مُسَوِّدُ
لِمُسَوِّدِينَ أَكْرِمِ طَابُوا وَطَابَ

المولّد المولّد (٧٥)

حقق التردد اللفظي لـ «مسود» وصيغة جمعه انسجاما موسيقيا مترابطا بين البيتين، ليؤكد الشاعر موسيقى القافية في البيت الأول وهو يمدها بموسيقى صدر البيت الثاني، فأفاد الترجيع اللفظي كثافة في المعنى المطروق، وزيادة في الإيقاع الموسيقي، ليخلف تأثيرا نفسيا طيبا، واستجابة حسنة في مسامع النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يعدد فضائله وفضائل آبائه.

وفي المقطع المذكور نمط آخر من التكرار يسمى الترصيع «يتوخى فيه {الشاعر} تصيير مقاطع الاجزاء في البيت على سجع أو شبيهه به أو من جنس واحد في التصريف (76)»، يتمثل في تكرار القوالب المتماثلة لبعض الكلمات، وهو لون من ألوان التقسيم يراعي الشاعر فيه التصريف اللفظي في السجع دون مراعاة التقسيم الوزني، فتقسيم الشاعر الجزء «محمد

- مَفْعَل» و«مَسَوِّد - مَفْعَل» يخالف تقطيع طبيعة مجزوء الكامل: «متفاعلن متفاعلن» مرتين، بيد أنّ هذه المخالفة الوزنية أثرت نغمات الأصوات داخل الوحدات التقسيمية بإيقاع جميل وموثر في مسامع الممدوح. ولا نغفل أن التقسيم لا يبتعد

- في كثير من الأحيان - عن التكرار، فكل تقسيم وزني من حيث التقطيع الكمي للأصوات التعبيرية هو تكرار، ولكن الاختلاف يكمن في تغيير الدلالة في التقسيم للوحدات الصوتية؛ لأن التكرار تردد الوحدات الصوتية نفسها.

وقد يقع هذا النوع من التكرار في بداية عجز بيت سابق، وصدر بيت لاحق، في لفظ قوي الدلالة،

على نحو قول أبي طالب في نصرته رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومديحه له :

{من الخفيف}

قَدْ بَدَلْنَاكَ لِفِدَاءِ النَّجِيبِ وَابْنِ النَّجِيبِ

- وَالْبِلَاءُ عَسِيرٌ - قَبِ وَالْبَاعِ وَالْفَنَاءِ الرَّحِيبِ (٧٧)
لِفِدَاءِ الْأَعْرَ ذِي الْحَسَبِ الثَّ

إنّ تناوب لفظ «لفداء» يؤكد زيادة المعنى في تأييد النبي ونصرته، والذود من دونه، والدفاع عنه؛

ليواصل الشاعر تأكيده وحدة الشعور مع موضوعه في ذكر صفات النبي (صلى الله عليه وآله) ؛

ليخلق جوا نفسيا مفعما باريح صفاته وهو يعددها على مسامعه.

ب

- التكرار التركيبي :

ينهض التكرار التركيبي بفكرة القصيدة، وفيها يحتاج الشاعر، الى فكرة واضحة، فيلجأ إلى التمهيد

بعبارة ثانية مكررة؛ ليجعل تأثيراً نفسياً تلقائياً للمستمع، ويزيد من القيمة الإيقاعية للعبارة فيتيح نغماً

مضافاً لسياق البيت والقصيدة في آن معا

°

وتظهر أهمية هذا التكرار في شعر أبي طالب في النصوص الشعرية

(78) التي وظف فيها الجمل الاسمية، أو الفعلية، أو اساليب الطلب من استفهام ونداء وتراكيب أخرى مختلفة، تتعلق بارادة تعبير الشاعر في نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتأييده وحمايته ومدحه، أو في المفاخرة، أو في التعريض والرد على الخصم، وما يتصل بابرار معاني الشجاعة والحرب على نحو قول أبي طالب في قصيدته اللامية في الرد على مشرقي قريش الذين تحالفوا على محاصرة بني هاشم في شعب أبي طالب فقال :

{من الطويل}

وَنَظَعْنَ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِي بِلَالٍ

كَذَّبْتُمْ - وَبَيْتِ اللَّهِ

وَلَمَّا نَطَاعِنَ دُونَهُ وَنُنَاضِلَ (٧٩)

- نَتْرُكُ مَكَّةَ

كَذَّبْتُمْ - وَبَيْتِ اللَّهِ - نَبْرَى مُحَمَّدًا

ردد أبو طالب التعبير التركيبي «كذبتهم

- وببيت الله - « المتكون من الجملة الفعلية المتبوعة بجملة القسم في الخطاب الشعري الموجة لمشرقي قريش بعدم التخلي عن النبي (صلى الله عليه وآله) لتأكيد المعنى في أذهانهم وهو يطرق أذهانهم بنغمة التحدي، فأفادت الوحدة التركيبية للتكرار زيادة في المعنى الذي أدى إلى زيادة في نغم الإيقاع المسابير للوزن. ونشهد في القصيدة نفسها التكرار بعبارة أطول في صدر البيت وعجزه، وهو تكرار لا يخل في المعنى

وانما يؤكد ويعبر عن ارادة الشاعر في التعبير الخطابى الهجائي لبني كعب بن لؤي، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

فَلَا بُدَّ يَوْمًا مَرَّةً مِنْ تَرَائِلِ

فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيٍّ تَجَمَّعَتْ

فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنَّهَا فِي مَجَاهِلِ (٨٠)

فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ كُعُوبٍ كَبِيرَةٍ

ردد الشاعر التركيب «إن تك كعب... فلا بد يوماً» بكثافة دلالية تفصح عن نغمة المأساة المؤلمة،

والخسارة الكبيرة التي ستحل يوماً ببني كعب الذين اعتمدوا كثرة نفوسهم، وعلو شرفهم، فلا بد من

وقوعهم في شذاند لا يهتدون إلى الخروج منه

ا ، ولابد من أنهم في جهل ان حاربوا نبي الله وعشيرته التابعين له ، فالتكرار هنا ضرب مؤثر يضيف ظلاله نغماً إيقاعياً شاحباً في نفوس بني كعب ، إذا ما استحضر معناه في أذهانهم، وتعبيراً انفعاليا وجد فيه الشاعر متنفساً عما يجيش بخلد من ثورة نفسية تجاه المعاندين لرسالة السماء، وإيداعهم رسول الله،

بمعنى آخر ان هذا الترجيع التركيبي قد ساير الوزن ورسّخ موسيقى الإيقاع الشعري بنغم مؤثر في أذن السامع.

ويمنح تكرار الاسم في الصيغة الطلبية لاسلوب النداء قوة دلالية في التعبير عن العتاب في طلب

الانصاف من الاكفاء على نحو ما يعاتب أبو طالب مطعم

ابن عدي الذي تخلى عن نصره النبي وعشيرته، فقال أبو طالب من القصيدة نفسها:
{من الطويل}

أَمْطِعُ لَمْ أَخْذَلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ وَلَا عِنْدَ تِلْكَ الْمُعْظَمَاتِ الْجَلَائِلِ

....

أَمْطِعُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً وَإِنِّي مَتَى أَوْكَلْتُ بَأَيْلِ (٨١)

دأب أبو طالب في الترجيع التركيبي لاسلوب النداء «أَمْطِعُ»؛ ليؤكد شدة عتابه لمطعم بن عدي من أبناء عمومته الأقربين.

فعندما تحالفت قريش على اخراج النبي وعشيرته من مكة إلى شُعب أبي طالب عنوة، كان على مطعم وهو من اشراف رجال قريش وأبطالها أن يرد رجال قريش عن غيهم، فعاتبه أبو طالب عتاباً قاسياً:
انا لم أخذلك في جلّ شذاندك، ولكن خذلتني حيث لا اجدك عند الأمور الجلائل.

فترديد الخطاب باسلوب النداء له وقع مؤثر في نفس السامع، ولكي يحقق الشاعر تواصلًا في الكلام في البيت اللاحق أكد التكرار زيادة في المعنى وترسيخاً لنغم الإيقاع التركيبي المسابير للوزن، وهو اسلوب معروف في التراث الشعري الجاهلي. (82)

وكرر أبو طالب الجملة الاسمية إلى جانب اسلوب الاستفهام في قصيدته الدالية التي يفخر بقومه فقال
:

{من الطويل}

مَتَى شَرِكِ الْأَقْوَامِ فِي جُلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقَرُّ ظِلَامَةً وَنُدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ
فِيَا لَقُصَيِّ هَلْ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ الْعُدُّ (٨٣)

وقع التكرار التركيبي «وكنا قديماً» في أول عجز البيت الاول وصدر البيت الثاني؛ ليقوي نغمة الافتخار في عدم مشاركة الناس لهم في امورهم العظيمة، ورفضهم للظلم، وازالته من غير عنف. إنَّ تناوب الوحدة الصوتية «نا» ضمن التركيب منحت الخطاب الشعري رنة موسيقية موحية، كثيفة الدلالة في مسامع بني

قصي، فعاد الشاعر مرة أخرى وردد بأسلوب الاستفهام في حشو البيت الثالث وأول عجزه «هل لكم في» تأكيدا في اثراء الجملة بالنغم الإيقاعي الذي كانت له فاعلية في تصنيفها إلى العرض الطلبي بشدة: ألا ترغبون بالحفاظ على نفوسكم وارواحكم؟ وألا تسعون إلى اتباع محمد حفاظاً لخدمكم؟ فلون الشاعر موسيقى الخطاب بجرس إيقاعي مساير للوزن ومؤثر في أذان السامع.

ويلجأ أبو طالب الى التكرار لتأكيد حقيقة نبوة ابن اخيه في خطابه لأبي جهل فقال :
{من الكامل}

صدق ابنُ أمانة النبيِّ محمَّدًا فتميّزوا غيظاً به وتقطّعوا

إن ابنَ أمانة النبيِّ محمّداً سيقومُ بالحقِّ الجليِّ ويصدغُ (٨٤)

تناوب في صدر البيتين عبارة «ابن أمانة النبي محمد» تناوبا متقصداً؛ لاثبات صدق نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) التي كانت سبباً لملء نفوس الكافرين غيضا، وهي تكاد تنفصل بعضها عن بعض، فأكسب التكرار قيمة تعبيرية في تكثيف صورة شدة الغيظ من خلال تسليط الضوء على الوحدة التركيبية التي شغلت تفعيلات الشطر، وان الإيقاع المتولد منه ذا وقع في أذن السامع لتوالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في كل تفعيلة من الشطر التي تمثل وحدة الإيقاع في البيت مما أدى إلى زيادة في نغم الإيقاع المساير للوزن.

ويحسن بنا أن نو

مى إلى أن تكرر اسم السيدة أمانة يكشف عن الباعث النفسي في عناية الشاعر في التعبير عنها؛ لبيان مكانتها؛ وهذا لا ريب فيه، إذ منها خرج نور النبوة.
ج - تكرر المعنى

:
ورد تكرر المعنى أقل من الألفاظ، «فاكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني»

(85)؛ لأن الشاعر يلجأ إليه بحسب الرخصة الممنوحة له، ويقع في المقطع الأخير الذي يرمز إليه بالقافية (٨٦) ، ليحقق قوة في جرسها الإيقاعي في ذهن السامع، وكثافة في دلالتها، ويلجأ الشاعر إلى استعمال اللفظ المرادف، لتأكيد المعنى المقصود، وكأنه استعمل معنى اللفظ المرادف بالوظيفة نفسها التي أفادها اللفظ المكرر، وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم (٨٧) ، والشعر العربي (٨٨) على السواء، ومما جاء في شعر أبي طالب في قصيدته اللامية بعد أن تعوذ بالله، وبحق البيت الحرام وبالحجر الأسود (٨٩) قال:

{من الطويل}

وموطيء إبراهيم في الصخر وطأة على قدميه حافياً غير ناعل (٩٠)

تعوذ أبو طالب بمحل اقدم النبي إبراهيم (عليه السلام) في الصخر، وأكد بتكرار الوحدة الترجيحية اللفظية بالمشتق «المفعول المطلق»، «وطأة»؛ ولتوضيح صورة موطيء النبي إبراهيم، فقال :
«حافياً» فجردهما من النعال، ثم أردف بوحدة لفظية مرادفة فقال «غير ناعل»؛ لبيان الحال التي كانت عليها قدماه واثرها في الصخر، فأفاد تناوب لفظ المعنى المرادف كثافة دلالية في كلام الشاعر

المقصود؛ ليستثير اسماع مشرقي قريش باستعادته بموطىء إبراهيم الخليل (عليه السلام)؛ ليتعاضم في نفوسهم أمر مقاطعتهم لبني هاشم في الحصار المفروض عليهم في شعب أبي طالب، مبالغة منه في هذا الأمر، ومن ثم أفاد تكرار المعنى المرادف تقوية جرس القافية؛ لوقوعه من البيت مكان القافية.

وقال أبو طالب في القصيدة نفسها، منذرا آل قصي الذين تحالفوا على المقاطعة بالخذلان والذل:

{من الطويل}

فَأَبْلَغَ قَصِيًّا أَنْ تَنْشَرَ أَمْرُنَا وَبَشَّرَ قَصِيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ (٩١)

ذكر الشاعر اللفظين «أبلغ، وبشر» وهما معنيان متقاربان يدلان على الإبلاغ، وإبلاغ الخبر اما أن يكون خيرا أو شرا، فلما كان آل قصي من المناهضين لبني هاشم فقد طلب أبو طالب من المرسل إبلاغهم بالشرا في طلب الدم، وأبشروهم بالخذلان والذل بدلالة اللفظ الواقع مكان القافية «بالتخاذل» فكان تكرار لفظ المعنى الثاني من باب التهكم؛ ليستثير الشاعر أذهان آل قصي بهذا المعنى المقصود مبالغة منه، فيهز نفوسهم بهذا التهديد، وهو يردد «قُصِيًّا» زيادة لتأكيد المعنى. إن تناسب الألفاظ واستواء دلالاتها أفادت زيادة في المعنى المطروق، وأدت الوظيفة نفسها فيما لو كرر الشاعر اللفظ بعينه أو بأحد مشتقاته، ومن ثم ان هذا النوع من التكرار يزيد النغم الإيقاعي لتفعيله الوزن، فضلا عن أنه يبرز مقدرة الشاعر الإبداعية في صناعة فن الشعر.

•

التدوير:

يعد التدوير أحد عناصر البناء الموسيقي للغة العمل الشعري في محاولة من الشاعر على فتح صدر البيت على عجزه، فهو «ما كان قسيمة متصلا بالآخر، غير منفصل منه، قد جمعتما كلمة واحدة» (92)، فامتداد البيت واندماجه خرق لاستقلالية الشطرين على المستويين: الصوتي والدلالي، على حين يبقى كل شطر محتفظا بقيمته الوزنية بما يحتويه من عدد التفعيلات التي اقتضتها طبيعة البحر المنجز (٩٣).)

ويلجأ الشاعر إلى التداخل بين شطري البيت؛ ليتيح مجالا موسيقيا أرحب يمكن من خلاله تكرار الوحدة الموسيقية سواء أكانت ذات تفعيلية واحدة (مفردة)، أو ذات تفعيلتين (مركبة)، فيتيح امتداد البيت تلاحما دلاليا على مستوى الفكرة التي بصدد الحديث عنها، فيكون دمج الشطرين معناينا في

التعبير عما يجول في خياله من دون ان يقف شطر البيت وعجزه حانلا بينه وبين ما يريد، فلا يقف في انشاده آخر صدر البيت، وانما ينشده بنفس واحد حتى يقف على القافية؛ لأنه يلاحق الدلالة الموزعة بين الشطرين، فيحدث هذان زحما إيقاعيا لا يتوافر عند انشاد البيت غير المدور، فيكون الدمج بين الشطرين قد استوعب المعنى المراد ذكره، فيمنح هذا الاندماج النص ثراءً موسيقيا وداليا في آن معا، ومن هنا تظهر أهمية التدوير بوصفها انجازا إيقاعيا للشاعر لا يقل عن كونه انجازا دلاليًا. وتعتمد الفاعلية الشعرية لظاهرة التدوير على احساس الشاعر بأزاء تجربته الشعرية، وعلى إمكاناته الاسلوبية في التعبير، وهي مرهونة بـ«ضرورات موضوعية وفنية». (94) » وردت ظاهرة التدوير في شعر أبي طالب في جزء من مقطع، أو قصيدة كاملة (95) بحسب تجربته الشعرية المنجزة، ونجد هذه الظاهرة الأدبية في البحور ذات التفعيلتين أكثر منها في البحور ذات التفعيلة الواحدة.

فقد سُجِلت حالتان لهذه الظاهرة الإيقاعية في البحور الصافية، تشكلت في مجزوء البحرين: الرمل والكامل، على حين سجلت في القصائد والمقطوعات ذات التفعيلة المركبة سبع مرات منظومة في البحرين: الخفيف والمتقارب، ويبدو أنَّ الوحدة الموسيقية في البحور ذات التفعيلتين تتطلب من الشاعر تكرارهما معا بوصفها وحدة موسيقية، فهي لا تتيح للشاعر الحرية الكافية والمرونة اللازمة في التعبير عما يجول في خاطره، فيلجأ إلى دمج الشطرين معا ومدهما بنفس واحد ليوقف في آخر البيت، وليمنح الأبيات ما تحتاجه من عمق وتلاحم دلالي، وتلوين موسيقي في بناء النص. إن نظرة متأملة في شعر أبي طالب تكشف عن قدرته وبراعته التي تتماشى والتشكيل الإيقاعي المدور، وافصاحه عن المضمون الذي ينشده، ليبيرز التدوير شكلا متجانسا مع الدلالة المرادة، وموسيقى البيت، على نحو ما نجده في المقطع الـ

آتي من فخره بذاته:
{من مجزوء الرمل}

أنا يومَ السَّلمِ مُكْفٍ	يَّ ويومَ الحربِ فارسٍ
أنا للحمسة أنفٌ	حين ما للحمسِ عاطسٌ (٩٦)

اتاح التدوير للشاعر المرونة في استعماله في البيت الاول، وان عزوفه عن دمج الشطرين في البيت الثاني لايعني أنه لم يحقق اندماجا صوتيا وداليا للبيت، وانما يتحقق من خلال الانشاد، أو بفعل قراءة القاريء بنفس واحد ليوقف عند القافية، فيتضح التواصل بين الشطرين، ووجد الشاعر في مجزوء

الرمل ذي التفعيله الواحدة الحريه الكافيه في احكام الصله في البيت لخفته؛ وذلك بقطع عروض البيت

وضربه، ودمج الشطرين معا، ليزيد من تلاحم البيت موسيقيا

ودلاليًا.

وإن افساح امكانات الضرورات العروضيه أباحث للشاعر استعمال «الخبين» في تفعيله «فاعلاتن»

وهو حذف الالف لتصبح «فاعلاتن»، وهو أمر «مستحسن»

(97) فحقق تمايزا موسيقيا فضلا عن التمايز التعبيري الذي افصح عن قوة انفعال الشاعر التي تبرز مع حركة النفس «أنا... فارس»، «أنا... أنف» وهو يفخر باقدامه في الحرب في شجاعته وفروسيته. ويقتضي أن نوضح أن استعمال مجزوء بحر الرمل الذي انماز بالسهولة والليونة (98)، وبما يمتلك

من مقومات الخفة في الاستعمال، اقترن بظاهرة التشكيل الإيقاعي المدور، فالشعراء كانوا يستخفونه

في البحور القصيرة والمجزوءة (99).)

وتظهر واقعية التشكيل الإيقاعي المدور في كسر رتابة الشطرين واثراء الإيقاع بالقيمة الصوتية

والدلالية المتولدة من الأبيات التي يخاطب فيها أبو طالب أخاه أبا

لهب وبنى هاشم جميعا، فقال:

{من الخفيف}

وَبَنِي هَاشِمٍ جَمِيعاً عَزِينَا

قَل لِعَبْدِ الْعَزَى أَخِي وَشَقِيقِي

وَأَنْ طُرّاً وَأَسْرَتِي أَجْمَعِينَا

وَصَدِيقِي أَبِي عِمَارَةَ وَالْإِخ

مَ سَنَاءً وَكَانَ فِي الْحَشْرِ دِينَا

إِنْ يَكُنْ مَا أَتَى بِهِ أَحْمَدُ الْيَوْمِ

رَ وَمَجْرٌ بِقَوْلَتِي الْخَادِلِينَا

فَاعْلَمُوا أَنَّي لَهُ نَاصِرٌ دَهْدَه

نِي وَكُونُوا لَهُ يَدَا مُصَلِّتِينَا (١٠٠)

فَأَنْصُرُوهُ لِلرَّحْمِ وَالنَّسَبِ الْأَد

استعمل أبو طالب في هذه القطعة ظاهرة التدوير أكثر من سابقتها، فقد ارتبط التدوير بحاجات نفسية

ملحة في الاداء الشعري ذات الصلة القوية بالتقنيات الفنية والموضوعية، وعمق احساس الشاعر

أزاء تجربته الشعرية.

فمن الناحية الفنية استعمل الشاعر في البناء الموسيقي بحر ال

خفيف، وفيه «جزالة ورشاقة» (١٠١).)

وتوظيف ظاهرة التدوير فيه «دليل على القوة» (١٠٢) وهو يتكون من تفعيلتين «مركبة» فاعلاتن

مستفعلن... وقد اتاحت له كثرة استعمال الزحافات السيطرة على البحر، واضفت على النص مزيداً من

النغم الموسيقي المؤثر.

واستعمل الشاعر الوانا من تقنيات اللغة الفنية التي لَوَّنت امتداد الأبيات بمزيد من الحركة والحيوية، فكثره ورود حرفي العطف: الواو الذي يفيد الترتيب والجمع، والفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب مع التراخي (103)، أي أن تكون هناك مهلة زمنية بين المتعاطفين لتم

نح القارئ فسحة من الزمن ليستريح بهذه الوقفات الخفيفة وراء كل جملة بعد التدافع العروضي المتشابك فيها.

ولجأ الشاعر أبو طالب إلى التضمين ليحكم الصلة بين الأبيات «إن يكن...فاعملوا...»؛ ليوفر تلاحما منسجما وعميقا في المعنى، وهو يستتبعها بحركة الأصوات الممتدة إلى آخر القافية.

اما من الناحية الموضوعية فقد ارتبطت بالحركة النفسية وبرزت فيها انفعالات الشاعر في الخطاب الذاتي «أخي، شقيقي، صديقي، أسرتي، إنني، ناصر، دهري، ومجر بقولتي «بايقاعات متساوقة مع موضوع النص في الطلب من أخيه وخاله وأسرته، وبني هاشم جميعا، أن يكونوا يدا واحدة في نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالكلمتان «ناصر» و«أنصروا» المحور الذي يدور عليهما مضمون النص الشعري المطروح؛ لأن الحياة العربية فرضت على الواقع الاجتماعي الحماية والنصرة، لصلة الرحم أو لقرابة النسب، أو لاعتبارات أخرى.

إن بثّ هذه الفكرة التي ينشدها الشاعر بنفس واحد، والوقوف عند آخر البيت تتواعم مع خرق رتابة إيقاع البيت .

وقدم أبو طالب من خلال هذا التمايز الإيقاعي والتعبير الفني انجازا شعريا غنيا في لغته الإيقاعية والتعبيرية التي استوعب تجربته الأنية.



الضرائر :

الضرائر الشعرية، هي عملية خرم رتابة القواعد والمعايير اللغوية والنحوية والعروضية وغيرها التي تواضع عليها اللغويون والنحويون والعروضيون في آخر القرن الأول الهجري، وبداية القرن الثاني الهجري، فقد تشكلت طبقة من العلماء المهتمين بلغة التنزيل، فعملوا جاهدين فيما بعد على تخريج ما يخرق نظام قواعدهم ومعاييرهم التي تواضعوا عليها، ولحل اشكالية هذه الخروقات قالوا بالرخصة والجواز والضرورة.

وعلى الرغم من اختلاف مواقف ارائهم من الضرائر الشعرية

(104)، إنهم يتفقدون على أن الشعراء يلتجأون إلى استعمال الضرائر لما كان الشعر «كلاماً موزوناً يخرج الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه ما لا يجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك أم لم يضطروا إليه؛ لأنه موضع ألفت فيه الضرائر» (١٠٥) ، ويفسر هذا الكلام ان الشعر نفسه ضرورة. وان الشعراء الجاهليين والذين أتوا من بعدهم لم يكونوا مضطرين لاستعمالها، وإنما قصدوها قصداً؛ لأنهم لم يعرفوا القواعد والمعايير التي تقتن اللغة، فالشاعر يستعمل حقاً من حقوقه عند نظم الشعر في اتمام المعاني التي اقتضتها طبيعة التجربة الشعرية المنجزة، وفي اقامة الوزن والقافية والموجه في ذلك كله حالته النفسية ساعة ابداعه الشعري.

وحمل الشعراء على استعمال حقوقهم هذه في لغتهم الشعرية بسبب «المضايق التي يدفعون إليها عند

حصرة المعاني الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة، والاحراج الذي يلحقهم عند اقامة القوافي التي لا

محيد لهم عند تنسيق الحروف المتشابهة في أواخرها، فلا بد من ان يدفعهم استيفاء حقوق الصنعة

الى عسف اللغة بفنون الحيلة (106)» فصناعة الشعر تقتضي التغيير والتبديل والحذف والزيادة في

ابنية الكلمات.

وبما أن الشاعر مبدع يريد لابداع فنّه الشعري الذروة في

أفانين القول، فإنه يوجه عنايته باغناء لغته الشعرية بالمعاني والصور والأخيلة، واثرائها بكل ما هو جميل ومبدع ليصل بعمله الشعري القرب إلى الكمال، فيلجأ إلى ممارسة حقه في انجازه؛ لأنه يجد أن قوانين اللغة تعوقه عن ايراد هدفه في استيفاء المداليل؛ لأن «غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن (107)» المتساوقة مع وزن موسيقى نظام القصيدة، أو المقطع، وهذا دليل على عدم التعارض بين حقوق الشاعر وبين التعبير الشعري الذي يراها بعض الباحثين (١٠٨) (المهتمين بشؤون اللغة خلاف القواعد، انه دليل على ضعف موهبة الشاعر في مقدرته اللغوية .

إن ما يسمى بالضرائر هي من خصائص اللغة الشعرية الفنية الخاصة التي انمازت بها العربية

(109)، واحدى مكونات بنية لغة الشعر، وكل ما ورد من كسر لقيود القواعد والمعايير اللغوية والنحوية والعروضية هو حق من حقوق الشاعر الذي يتمتع به في استعماله للغة الخاصة من ألفاظ وتراكيب ومعان ، يتصرف في أفانين الكلام كيفما شاء على وفق قوانين النظم الشعرية؛ لأن «الشعراء أمراء الكلام يُصَرِّفُونَهُ أنى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والنفرق بين صفاته واستخراج ما كُتِّبَ الالسن عن وصفه ونعته والاذهان عن فهمه وايضاحه، فيقرَّبون البعيد ويبعدون القريب ويَحْتَجُّ بهم ولا يُحْتَجُّ عليهم» (١١٠) . وفي ضوء ذلك لم تسلم دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي في قصيدة من بيت أو أكثر من لفظ أو

معنى أو نظم أو ترتيب أو تقسيم أو إعراب وغيرها، من قدح، ولكن أهل الجاهلية جدوا بالتقديم،

واعتقد الناس فيهم انهم القدوة والاعلام والحجة، وان الاعتقاد الحسن في الحمل على التجويز ستر

عليهم، ونفي الظنة عنهم (111)، ومن الضرائر الشعرية التي وردت في شعر أبي طالب الخاضعة

لسلطة الوزن والقافية التي اعتمدها الشاعر بوصفها حقاً من حقوقه خاضعة لقانونه الشعري على

وفق النظم المرسومة لعمله الشعري ضمن المستويات المختلفة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية،

والخطية وغيرها التي لاتخلو منها قصيدة في شعره.

ومنها «ترخيم الاسم في غير النداء، إجراء له مجرى النداء عند الاضطرار إلى ذلك. وهو جائز

باتفاق من النحويين على لغة من لا ينوي رد المحذوف، بل يجعل ما بقي من الاسم كاسم غير

مرخم... واختلفوا في الترخيم على لغة من نوى رد المحذوف (112) «وليس ذلك خاصا بالنداء، وكان عليهم ان يبينوا ان الشعر لغة فنية خاصة، وان الشاعر يلجأ إلى الترخيم في حذف حرف أو اكثر من اسم العلم لمقتضيات نفسية وفنية تتطلبها المستويات الالسنية ساعة ابداعه الشعري، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ بِمُقْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ (١١٣)

رَحَّمَ الشاعر «نانلة» فاسقط الحرف الأخير؛ لأنه واقع تحت سلطة قافية القصيدة اللامية؛ لمناسبة حرف روي القصيدة التي تم له نظم القافية للبحر الطويل ذي الضرب المقبوض «مفاعن // // ٥» بحرف اللام، فاستغنى عن الحرف الأخير؛ ليوازي بين عروض الشطر الأول من البيت، وضرب الشطر الثاني منه، فهذه المرونة في الاستعمال من بنية لغة الشعر وخصائصه، ونحو ذلك من القصيدة نفسها الاجتزاء بالكسر عن الياء، فقال أبو طالب في وصف الإبل:

{من الطويل}

تَرَى الْوَدَعِ فِيهَا وَالرُّخَامَ وَزِينَةَ بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةَ كَالْعَثَاكِلِ (١١٤)

ذكر الشاعر «العثاكيل»: أراد العثاكيل فحذف الياء ضرورة (115) «، وهو جمع «عثكال وعثكول...:العُقُ» (١١٦)، وانما اجتزأ الشاعر بالكسر عن الياء للمجانسة، وحذف الياء ليستوي وزن تفعيلة الضرب الثاني من البحر الطويل ذي الضرب المقبوض التي نظم بها الشاعر القصيدة، فلو قال: العثاكيل، لكان الضرب على وزن مفاعيلن وليس بالجائز أن يأتي الشاعر في قصيدة واحدة من ضربين: «مفاعن // // ٥»، ومفاعيلن // // ٥/٥» فحذف الياء لتكون الأبيات كلها على ضرب واحد «مفاعن» وهذه الضرورة من لوازم بنية اللغة الشعرية.

ومنه اضمار الجازم وابقاء عمله، نحو قول أبي طالب في مدح الرسول:

{من الوافر}

مُحَمَّدٌ تَفَدَّ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خُفَّتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا (١١٧)

أراد الشاعر «لتفد» فاضمر لام الأمر وهذا قبيح عند النحاة (118) وليس لي ان اقول بالرخصة في الذهاب إلى التأويل؛ لازالة ما مرَّ في وصف النحاة من تقبيح هذا اللون من الحذف؛ لأنه لم يمر في

خلد الشاعر هذا الأمر، فعندما نذهب إلى التأويل نريد الوصول إلى حلّ هذه القضية، إنما لجأ الشاعر إلى الحذف؛ لأنه أمن اللبس في المعنى، ولقبول الأذن العربية لهذا النوع من الخروج في موسيقى الشعر وهو ما ينبغي أن يُسمح للشاعر به، ويهم الشاعر مطابقة كلامه للاستعمال المطرد للغة إلا في المواطن التي يقرر ان يخرج عليها بالرخصة الممنوحة له، فهو يخاطب رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله) «تَفَدِّ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ...» فكان الشاعر صانع للغة الشعرية يقوم ببنائها كما بدا له من الأجدود والأصوب والأفضل، وهذا ما لم ينتبه إليه النحوي؛ لأنه معنى بقواعد النحو ومعاييرها، والتمسك بها من دون التفكير بالخروج عنها حتى لو اقتضت الضرورة لذلك.

ويلجأ الشاعر بادراكه الفني إلى ابدال حرف من حرف آخر، ليحرك ساكناً، أو يسكن متحركاً(١١٩) مسايرة لتفعية الوزن، أو القافية، ومنه ابدال الألف من الهمزة نحو قول أبي طالب في منعه لرسول الله (صلى الله عليه وآله):

{من المتقارب

}ل

ولكن اسيرُ لهم سامتاً كما زارَ ليثَ بغيلٍ مضيقٍ(١٢٠)

أراد الشاعر «زار» فابدل الالف من الهمزة؛ ل

أن الهمزة متحركة والألف ساكن مراعاة لسلامة الوزن «فعلون//٥/٥» «كما زا» للبحر المتقارب من دون الاخلال بوزن أول عجز البيت.

وتسهيل الهمزة من خصائص لغة قريش، وهي من الأصوات الشديدة؛ لأن مخرجها المزمارة نفسه ولا

عمل للوترين الصوتيين معها، فأهل البادية يخففونها في النطق ليجعلونها واضحة تتناسب مع سماع

الأذن على مسافة قد تختفي فيها الأصوات المهموسة، وأهل الحضر يسهلونها لتتناسب مع خفض

الصوت وانسجامها مع طبيعة تحضر البيئة(١٢١)

وعلى الرغم من أن لغة قريش لغة حضرية تمتلك خصائص اللغة الأدبية المشتركة التي نزل بها

التنزيل الحكيم، كان تسهيل الهمزة من خصائص لغتها التي مال الشاعر أبو طالب إلى النطق بها؛

لأنها من مزايا لغته القرشية التي تنسجم مع بينته وطبيعته اللهجية. ولا يخفى أن الهمزة اشد في

الميزان الصوتي من الالف، وهي رخصة منحت للشاعر سواء أكان قرشياً أم غير قرشي.

ومنه أيضاً ابدال الياء من الهمزة، فقال أبو طالب في القصيدة الرائية عندما افتقد رسول الله (صلى

الله عليه وآله) وظن أن قريشا اغتالته :

{من الوافر}

كَانَ الْأَفْقَ مُحْفُوفًا بِنَارٍ وَحَوْلَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ (١٢٢)

أراد «تزار» وانما ابدل الهمزة ياء؛ ليسوغ تحريك الراء وتسكين الياء لسلامة وزن قافية البحر الوافر ذي الضرب «فعولن//٥/٥» في القصيدة الرائية التي يتناوب فيها الردف الواو تارة، والياء تارة أخرى؛ لتوافق قوافي القصيدة كلها.
وقد يعتمد الشاعر على ابدال حركة من حركة أخرى على نحو تسكين الحرف المتحرك «الميم» الذي من حقه الضم، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

وَحَطْمُهُمْ سُمْرَ الرَّمَاحِ مَعَ الظُّبَا وَإِنْفَادُهُمْ مَا يَنْتَقِي كُلُّ نَابِلٍ (١٢٣)

أراد الشاعر «سُمُر» وانما لجأ إلى تسكين حرف الميم لاقامة وزن البحر الطويل في صدر البيت «فُعُولٌ//٥// - مَفَاعِلُنْ//٥/٥/٥...»، «حطم/هموسُمُرَ ر/...» فضلا عن استعمال الشاعر حق من حقوقه في اقامة الوزن، فاشبع حرف الميم بالحركة في لفظ «وَحَطْمُهُمْ» فهذا الوعي الحسي لأذن الشاعر بحسن صحة الوزن لموسيقى البيت شيء من تمام لوازم لغة الشعر.
ويدخل ضمن حقوق الشاعر في ابدال حركة من حركة أخرى، ابدال الكسر من السكون: أي تحريك الساكن، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

وَكَلا لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَخْرُجُونَنَا وَنَخْرُجُ مِنْ حَقَاتِهَا لَمْ نَقَاتِلِ (١٢٤)

عمد الشاعر إلى ابدال حركة الاعراب السكون بالكسر في لفظ «نقاتل» ومن خصائص حرف «لم» اذا دخل على الفعل المضارع احدث في حركة آخره القطع فيجزم الفعل وعلامة جزمه السكون، وقد لجأ الشاعر إلى كسر آخر الفعل «اللام» لمناسبة حركة الروي في القصيدة اللامية المكسورة،
ولمناسبة تقع

يلة وزن ضرب البيت «مفاعِلن//٥//٥» في بناء القافية للبحر الطويل، فسلامة القافية كانت وراء هذا الابدال الذي هو من ضرائر القافية. ويعني الشاعر بابدال حركة من حركة لمناسبة معايير حركة روي القصيدة، نحو قول أبي طالب:
{من الكامل}

أَهَا أَرَدُّ حَسْرَةَ لِفِرَاقِهِ إِذْ لَمْ أَرَاهُ وَقَدْ تَطَاوَلَ بِاسِقٍ (١٢٥)

اراد الشاعر «باسقا»، لانه حال، وانما رفع اخر اللفظ؛ لأن حركة الروي في القصيدة «القافية» مرفوعة، فمراعاة منه لمعايير الشكل البنائي المنجز لجأ إلى هذا التغيير في بنية حركة الحرف ، وهذا ما يلحظ في قصيدته البانية الساكنة (126) أيضا

وحملا على خصوصية اللغة الشعرية التي انمازت بها من غيرها من أصناف الكلام، فقدم الشاعر ما حقه التأخير؛ لإقامة الوزن والقافية، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

بَكَيْتُ أَخَا لَأَوَاءٍ يُحْمَدُ يَوْمَهُ كَرِيمٌ رُؤُوسَ الدَّارِعِينَ ضَرُوبُ (١٢٧)

الشاهد في قوله «رُؤُوسَ الدَّارِعِينَ ضَرُوبُ» حيث أعمل صيغة المبالغة «ضروب» فنصب بها «رُؤُوسَ الدارِعِينَ» فقدم المعمول على العامل، ولو قال: ضروب رؤوس الدارعين؛ لاختل وزن بيت البحر الطويل، فلجأ الشاعر إلى تأخير ما حقه التقديم؛ لإقامة الوزن والقافية.

وفي ضوء عرض الظواهر الإيقاعية يتبين ما يأتي:

شكلت الوحدات الترجيحية سواء أكانت لفظاً أم عبارة أم معنى في موسيقى الخطاب الشعري تأكيداً لوحدة احساس الشاعر الذي تعتريه ساعة ابداعه للعمل الشعري، وهو يلجأ إليها بحسه الفني لإقامة الوزن، أو لتقوية الجرس الإيقاعي للقافية التي يشترك المتلقي في توقيعها، أو لايضاح الدلالة وزيادتها، أو لتأكيد وحدة الصورة، على أن هذا الترجيع اللفظي، أو التركيبي، أو المترادف خاضع لطبيعة السياق في النص الشعري.

وتوجب طبيعة التجربة الآنية للشاعر

- في بعض الأحيان - نظمها بالطريقة المدورة، وهي محاولة منه في الخروج عن اطار الإيقاع المحدد، ويعد التدوير جزءاً من الحركة النفسية للشاعر التي تثري النص بالدلالة الوجدانية في وقت انخراط الشاعر مع مديبات الإيقاع الواسعة والمنفتحة والشديدة المرونة، فيلغى فيها نظام الشطرين ويمد البيت بتشكيل صوتي متتابع وسريع الى آخره، فيحقق غنى في الإيقاع، وان مد البيت بنفس واحد والوقوف على قافيته وهو ينشد بث الفكرة التي يعالجها الموضوع ضمن الإيقاع المنجز فيحقق غنى دلالي أيضاً.

وان انخراط الشاعر وراء ما يسمى بالضرورة الشعرية؛ انما هو حق من حقوقه الممنوحة له في بناء

صناعته الشعرية، وهي ناشئة من ضغط البناء الشعري المقيد بقيود الوزن والقافية وطرح الافكار

التي لا يستوعبها القالب الشعري المحدد.

(

1) قضايا النقد الادبي: ١٦٩ .

(

2) ظ: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ٤ .

(

3) ظ: موسيقى الشعر (انيس): ٥٩ .

(

4) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٩ .

(

5) ظ: الديوان: ٧١- ٨٥، ٩٠- ٩٢، ٩٥- ٩٦، ١٠٦- ١٠٨، ١١٣- ١١٤، ١١٧- ١٢٠، ١٢٣- ١٢٥، ١٢٦- 128، 129، 136، 138، 139، 149، 150، 168، 177، 178، 183، 205، 213- 211، 222، 231، 234- 237، 245، 247، 251، 254- 253، 258، 259، 262- 261، 332، 334، 342، 341، 340، 339، 335

(

6) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٩ .

(

7) ظ: الديوان: ٨٧، ٩٨، ١٠١، ١٣٠- ١٣١، ١٦٤- ١٦٥، ١٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٩، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٠، المستدرك في ملحق الاطروحة نفسها الرقمان (٦، ٥).

(

8) ظ: الديوان 103- 102 :، 329، 331- 330، 334، 338، الديوان (التونجي) 25 : (، وشعر أبي طالب وأخباره (مؤسسة البعثة): ٨٩، والمستدرك في الاطروحة نفسها الارقام (١، ٢، ٤).

(

9) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٨ .

(

10) ظ: الديوان: ١٧١- ١٧٢ .

(

11) ظ: موسيقى الشعر العربي (عياد): ١٧ .

(

12) ظ: عيار الشعر: ٥، كتاب الصناعتين: ١٥٧، ١٦٠، منهاج البلغاء وسراج الادباء: 276٢٧٥-، تنبه النقاد العرب القدامى إلى الوشيجة الوثيقة في ارتباط بناء القصيدة بالقافية على المستويين المعنى والمبنى.

(

13) ظ: لزوم ما لايلزم (المقدمة): ٣٧/١ .

(

14) شرح تحفة الخليل: ٣٠٧ .

(

15) ظ: موسيقى الشعر (انيس): ٢٤٨ .

(

16) من خصائصها ان الهواء ينساب بين اعضاء النطق عند التلفظ بها، فهي ليست من الأصوات الانفجارية ولا من الاحتكاكية الرخوة، وهي اللام والنون والميم والراء، ويضيف اللغويون المحدثون صوت العين إليها، ظ: الأصوات اللغوية: ٢٤ - ٢٥، فقه اللغة العربية: ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(

17) العين: ٥٨/١ .

(

18) الأصوات المجهورة: «هي تلك الأصوات التي تنقبض - عند النطق بها - فتحتة المزمارة، فيقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر... هي: أ، ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، غ، ل، م، ن، ي، و»، فقه اللغة العربية: ٤٤١، ظ: الأصوات اللغوية: ٢٠، فقه اللغة وخصائص العربية: ٥٠ .

(

19) فقه اللغة العربية: ٢٤٤ .

(

20) ظ: الديوان: 70، 87، 93، 97، 104، 100، 106، 109، 113، 117، 121، 123، 126، 132، 136، 138، 149، 178، 180، 181، 184، 185، 207، 209، 224، 241، 242، 245، 337، 335، 339، 341، 342، 343، المستدرك آخر الاطروحة: (٢، ٦) .

(

21) الديوان: ٩٣ - ٩٤، البهاليل: السيد الجامع لكل خير، السورة: السطوة، المقاول: مفرداها مقول: وهو الملك في اليمن.

(

22) وهي عند النطق بها «يضيق معها مجرى النفس» الأصوات اللغوية: ٢٣، والأصوات الشديدة هي: «الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والباء» الكتاب. 4/434 :

(

23) ظ: الديوان: ٨٨، ٩٠، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١١، ١١٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٠، 158، 169، 183، 205، 208، 211، 220، 231، 239، 247، 274، 323، 329، 330، 331، 333، 334، 3340، الديوان (التونجي): ٢٥، شعر أبي طالب واخباره (مؤسسة البعثة): ٨٩، والمستدرك في نهاية الاطروحة: (١، ٢) .

(

24) الديوان: ٢١١ - ٢١٣، الراغية: الناقة التي ترسل رغاءها، السقب: ولد الناقة، الكماة: الابطال المدججون بالسلاح.

(

25) ظ: الأصوات اللغوية: ٢٣ .

(

« (26) وهي تلك الأصوات التي لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسا كاملا...{وهي {السين والصاد والضاد والشين والذال والطاء والفاء والهاء والحاء والخاء والعين والغين» فقه اللغة العربية: ٤٤٨ .

(27) وهي اذا نطق بها رفع مؤخر اللسان الى الاعلى، وحروف الاطباق هي : الصاد والضاد والطاء والظاء، ظ: دراسة الصوت اللغوي. 279 :

(28) في اللهجات العربية: ١١٥ .

(29) ظ: الديوان: ٢١٠، ٢٤٦، ٢٥١، المستدرك في اخر الاطروحة : الرقم (٣).

(30) ظ: الديوان : ٢٥١، نثيه: اشاعته واطهاره.

«(31) وهي تلك الأصوات التي ينفرج معها الوتران الصوتيان، مفسحين مجالا للهواء بأن يمر خلالهما ... ويمكن جمعهما بعبارة حثه شخص سكت فقط»، فقه اللغة العربية 444- 443 :، ظ: فقه اللغة وخصائص العربية: ٥٠ .

(32) ظ: الديوان: ٨٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١١٣-١١٤، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٣، ٢٧٤ .

(33) م.ن : ١٨٣ .

(34) ظ: م.ن: ١٨٣ .

(35) يتشكل من أحد حروف المد الساكنة الألف، أو الياء، أو الواو التي تسبق حرف الروي، ظ :مختصر القوافي: ٢٤ .

(36) ظ: الديوان: ٨٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٣٢-١٣٣، ١٣٤، ١٥٨، ١٧٧، ١٨١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٤٦، 331- 330، 340، 343، المستدرك في آخر الاطروحة: الارقام (٣)، ٤، ٦).

(37) الديوان: ١٣٢ .

(38) ظ: م.ن : ١١١-١١٢، ١٢١-١٢٢، ١٤٩، ٢٢٠-٢٢١، ٢٤١، ٢٤٢-٢٤٤، المستدرك في آخر الاطروحة: الرقم (٢).

(39) الديوان: ١٢١ .

40) ظ: موسيقى الشعر (انيس): ٢٩٤ .

(

41) ظ: الديوان: ٧٠-٨٥، ١٧٧، ١٣٦، ٢٠٥-٢٠٦، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٥٣-٢٥٨، ٢٥٤، ٢٧٤،

٣٢٩، 342، 339.

(

42) الديوان: ٢٣١ .

(

43) نقد الشعر: ١٨١، ظ: العمدة: ١٧٧/١، منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٨٣ .

(

44) الديوان: ٢٣٩، ابو وهب بن عمرو بن عائد بن عبد عمران بن مخزوم خال ابي طالب، وعبد الله والد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كان شريفا ممدحا، لم تذكر سنة وفاته، ظ: السيرة النبوية لابن كثير:

٢٧٧/١ .

(

45) ظ: الكافي في العروض والقوافي: ١٦٠ .

(

46) الديوان: ٩٥، رأب: اصلاح الفساد .

(

47) ظ: الكافي في العروض والقوافي: ١٦٢ .

(

48) ظ: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٧٨ .

(

49) ظ: العمدة: ١٨٨ /١ .

(

50) الديوان: ٢٥١ .

(

51) ظ: التفسير النفسي للادب: ٧٧-٧٨ .

(

52) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩ .

(

53) قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٦ .

(

54) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان قيس بن الخطيم: ٧١، ٨١، ١٣٠، ديوان الحارث بن حلزة: ١٣، 14، ديوان شعر الحادرة: ٦٢، ديوان الخنساء: ٣١٣-٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٥، ٣٤٦، 351، 365،

371، 413، 416.

(

55)ظ: الديوان: ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٧، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨،
١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٠، ١٦٧، ١٧١، ١٧٨،
١٨٠، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٢٢، ٢٢١-٢٢٠،
٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٣١، ٣٣٢،
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢.
(

56)العمدة: ٧٦/٢.

(

57)ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢٢٠/١.

(

58)ظ: الديوان: ٩٩.

(

59)الديوان: ٩٩.

(

60)الديوان: ٣٣٤.

(

61)التبيين في أنساب القرشيين: ٣١٦.

(

62)ظ: أنساب الأشراف: ١٣٣/١.

(

63)ظ: جمهرة أنساب العرب: ٣١٩/٢ - ٣٢٠.

(

64)ظ: الديوان: ٢١٤.

(

65)م.ن: ٢١٥، العرائن: السادات والأشراف.

(

66)ظ: الديوان: ١٢١.

(

67)م.ن: ١٢١، العديم: الاحمق الذي لاعقل له.

(

68)ظ: فقه اللغة: ١٦٢.

(

69)ظ: فقه اللغة وخصائص العربية: ٤٩، الأصوات اللغوية: ٢٤.

(

(70) اختلف النقاد في تسمية المصطلح، فقد سمّاه قدامة بن جعفر التوشيح، ظ: نقد الشعر 167 :، وسمّاه أبو هلال العسكري رد الاعجاز على الصدور، ظ: كتاب الصناعتين: ٤٢٩، وسمّاه ابن رشيق القيرواني التصدير، ظ: العمدة: ٣/٢، واخترنا التسمية التي في المتن لمناسبة ترديد اللفظ في حشو البيت وقافيته، أي « أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني»، الإيضاح في علوم البلاغة: ٥٤٣/٢.

(71) الديوان: ٢٢٩، ظ: م.ن: ١٨٤، ٢٢٩.

(72) م.ن: ٣٣٥، ظ: م.ن: ٨٧، ٩٥، ١٢٣، ٢٢٩، ٣٣٩.

(73) م.ن: ١٦٧، العرام: الشدة والقوة والشراسة، ظ: م.ن: ١١٧، ١٢١، ١٩٢، ٢٣٥.

(74) م.ن: ٢٤٣، ظ: م.ن: ١٨٧، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٢٩.

(75) الديوان: ٣٣٣.

(76) نقد الشعر: ٨٠.

(77) الديوان: ٢٢٠ - ٢٢١.

(78) ظ: الديوان: ٧٤، ٧٩، ٨٢، ٩١، ٩٢، ٩٥، ١٢٤، ١٥٠، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٧، ٣٣٩.

(79) م.ن: ٧٤، البلايل: الوسوس.

(80) ظ: الديوان: ٨٢، كعوب: مفردا كعب وهو الشرف مجازا.

(81) الديوان: ٧٩.

(82) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان أوس بن حجر: ٢١، ديوان الخنساء: ٣١٣ - ٣١٤، ٤١٦، ديوان عدي بن زيد العبادي: ١٠٢، ١٠٣ - ١٠٤.

(83) الديوان: ٩٢.

(84) الديوان: ٣٣٩.

85)العمدة: ٧٣/٢ .

(

86)ظ: المثل السائر : ٣٦/٣، الطراز: ١٨٢/٢، ١٨٨ - ١٩٠، يعاب الناظم على استعمال تكرار المعاني في صدور الأبيات الشعرية وما والاها، ولا يعاب على استعماله في الاعجاز؛ لأنه مضطر إليها، والمضطر يحل له ما يحرم على غيره، ظ: المثل السائر : ٣٦/٣ ، اسرار التكرار في لغة القرآن الكريم: ١٧ - ٢٠ .

(

87)ظ: المثل السائر: ١٥/٣، ١٩ - ٢٠، اسرار التكرار في لغة القرآن الكريم: ١٤ - ١٨ .

(

88)ظ: العمدة: ٧٧ / ٢ - ٨٠ .

(

89)ظ: الديوان: ٧١ - ٧٢ .

(

90)م.ن: ٧٢ .

(

91)ظ: الديوان: ٨٢ .

(

92)العمدة: ١٧٧/١ .

(

93)ظ: لغة شعر ديوان الحماسة لابي تمام (اطروحة): ١٥٨ .

(

94)دير الملاك: ٣٣٠ .

(

95)ظ: الديوان: ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٨، ٣٣٣ .

(

96)الديوان: ٢١٠، الأنف المقدم، والعاطس: الأنف، الحمس: ابتدعت قريش في تسميتهم الحُمس، وهو الشدة في الدين والصلابة في تعظيم حرمة البيت، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٨/١، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٨/١، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٢٨٤/١ .

(

97)ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ٦٨، الهامش.

(

98)ظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩ .

(

99)ظ: العمدة: ١٧٨/١ .

(

100)الديوان: ١٠٠ .

- (
- 101) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩.
- (
- 102) العمدة: ١٧٨/١.
- (
- 103) ظ: شرح ابن عقيل: ٢٢٦/٢ - ٢٢٧، معاني النحو: ٣ / ٢١١ - ٢١٢، ٢٢٥ - ٢٢٦.
- (
- 104) ظ: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ١٥٥ - ١٧١، فضاء البيت الشعري: ١٤٣ - ١٤٨. (آراء علماء العربية)
- (
- 105) ضرائر الشعر: ٧.
- (
- 106) التنبية على حدوث التصحيف: ١٥٧ - ١٥٨.
- (
- 107) المثل السائر: ٥٥/١.
- (
- 108) ظ: الخصائص: ٣٢٩/١، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ١٥٧ - ١٥٨، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢ / ٤٩٨ - ٥٠٤، واتبع رأيهم أحد المحدثين، ظ: البناء الفني للملحقات في جمهرة اشعار العرب: ١٢٥.
- (
- 109) ظ: الضرورة الشعرية: ٦٤.
- (
- 110) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٤٣ - ١٤٤، القول للخليل بن أحمد الفراهيدي.
- (
- 111) ظ: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤.
- (
- 112) ضرائر الشعر: ١٠٦ - ١٠٧.
- (
- 113) الديوان: ٧١، الأشعرون: الحجاج الذين لم يخلقوا رؤوسهم، إساف ونائلة: صنمان.
- (
- 114) م: ٧١.
- (
- 115) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٩/٢.
- (

(116) ظ: لسان العرب: (عثك).
(

(117) الديوان (التونجي): ٦١، غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ١٧٧، وينسب البيت في خزنة الادب: ١١/٩ له ولأعشى أو لحسان، والشاهد المذكور ليس في ديوانهما.
(

(118) ظ: ضرائر الشعر: ١١٧ .
(

(119) ظ: م.ن: ١٧٣، وما يجوز للشاعر في الضرورة: ٩٠ .
(

(120) الديوان: ١٧٤، سامت: القاصد المتعمد، الغيل: عرين الأسد وموضعه.
(

(121) ظ: في اللهجات العربية: ٦٥-٩٦، ٩٩-١٠٠ .
(

(122) الديوان: ٢٤٤ .
(

(123) م.ن: ٧٣، الضبا: مفردها ظبية، وهي حد السيف أو السنان، إنفاذهم: إنفاؤهم، النابل: الضارب بالنبل.
(

(124) الديوان: ١٩٣، ٣٣٢ .
(

(125) م.ن: ٣٤٠ .
(

(126) الديوان: ١١٥-١١٦ .
(

(127) الديوان (التونجي): ٢١، اللأواء: الشدة.

الفصل

الثامن

الصورة الفنية في شعره

مفتتح الفصل

بناء الصورة

يصور الأدب ولاسيما الشعر تجارب حياة الوجود الانساني في ماضيه وحاضره ومستقبله بموضوعات متنوعة، وهو يوحى باللحظة النفسية الاشبه بنافاذة تفضي إلى آفاق بعيدة تطوف في الخيال، فيكتسب الشعر اصداً من الحقيقة والخيال، فيكون مزيجاً منهما على نحو فريد. وقد يتسع الخيال عند الشاعر فينقل سرانر روح الكون إلى خياله عبر انفعالاته النفسية محلقة في آفاق خيالية يتحرر فيها قليلاً أو كثيراً عن حياته المادية واغلالها الثقيلة، فتضح

ي لغته لغة ساحرة معبرة عن صدق احساسه بما تحتوي من تعبيرات مجازية وتشبيهية واستعارية وكنائية، ومن هنا تتضح العلاقة بين بناء اللغة الشعرية والصورة. فالصورة الشعرية وسيلة الأديب، ل

إيقاظ النفس وتهيج العاطفة بتجربة شعورية ذات نمط فني ابداعي يجمع الشاعر فيها حقانق الكون الخارجية المختلفة يوحدتها ويعيد خلقها على وفق رؤيا نفسية عميقة تعبر عن منطلقه الفكري والوجداني، فتنبض بالحياة والحركة بالوانها الاسلوبية وباشكالها الفنية المشخصة بالألفاظ وصياغة العبارات التي فيها قدر من الخيال، وهو القوة النفسية التي تنهض برسم الصورة، فتمنحها قوة ايحائية مؤثرة تجعلها قابلة لتعدد التأويلات عند المتلقي. والصورة الشعرية هي التي تبرز مدى تمكّن الشاعر من صناعته الشعرية بما يمتلكه من قوة الملكة اللغوية التي تنفذ إلى معان جمالية، أو انسانية، فيفيض الشاعر خياله عليها، ويلصق احساسه بها، فيصور الاشياء المادية والمعنوية على السواء بما يحقق التناسب بين اتحاد الألفاظ بالمعاني التي تتجلى فيها قدرة الشاعر على صوغ صورته ضمن تجربته الآنية، فالصورة تقوم بوظيفة جزئية داخل التجربة الشعرية الكلية، فتشارك في الحركة العامة للنص بشكل متنامٍ ينأى عن الاضطراب والاختلال، أو تنافر الفكرة، أو العاطفة بين مكونات عناصر النص الشعري فالصورة مليئة بالحيوية والنمو، ولهذا لايمكن بترها، أو تحديد قالب فني معين لها؛ لأنها قد تتشكّل في نص، أو بيت، أو عبارة، أو مفردة، بحسب روافد الطاقة الايحائية التي انشأها مبدعها ووسائل تصويره لها ضمن بناء النص الشعري العام.

ومن هنا لا بد من أن نتعامل مع الصورة في بناء الأثر الأدبي على وفق التحامها اللغوي والموضوعي والفكري والشعوري بكمال انسجامها وتناسقها وتماسكها؛ لأنها بمجموعها تمثل بنية واحدة لايمكن فصل عراها؛ لأنها جزء من مبنى النص، ولكن طبيعة الدراسة تتطلب التجزئة بوصفها وحدة

منفصلة؛ لبيان القيمة التصويرية للأثر الفني بقصد اظهار براعة الشاعر، وإلا فهي لا تتجزأ عن بنائها العام في النص.

وانطلاقاً من هذا المفهوم يمكن دراسة الصورة الفنية في شعر أبي طالب الخاضعة لملكاته اللغوية والبيانية وبواعثه النفسية وتجربته الشعرية، المختومة بأفكاره وخياله، والمنطبعة بأحاسيسه ومشاعره.

- مصادر الصورة في شعره:

تنوعت الينابيع التي استقى أبو طالب منها صورته الفنية بوصف شعره مظهراً من مظاهر الحياة الانسانية في تسجيل احداثها، ولا سيما الحياة الإسلامية الجديدة، فغير عما يعتدل في نفسه من عواطف واخيلة وافكار على وفق الحياة التي تشتمل مرحلة الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام ومواكبة حركة الصراع والمعارضة للدين الحنيف في زمن البعثة الشريفة، فاكثر صورته الشعرية

- إذا استثنينا شعره في فن الرثاء وبعض المقطوعات في الفخر والحماسة الجاهلية - تمثل المرحلة الجديدة لبواكير الظاهرة الأدبية الإسلامية، بيد أنه في بعضها يحذو حذو التقليد لصور سابقه من الشعراء ضمن شعره الإسلامي؛ لأن الظاهرة الأدبية الإسلامية لم تكن قد تبلورت وتكاملت مقوماتها الفنية الجديدة بعد، وإنما غرسها أبو طالب في شعره واينعت وقطف ثمارها شعراء الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته إلى المدينة أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فبعض صورته الشعرية في المرحلة الإسلامية وان كانت جاهلية في ظاهرها بيد أنها تختلف في الفكرة والموضوع الإسلاميين المطروقين، فنظام الحياة الجديد: الفكري والاجتماعي والسياسي والاخلاقي غذى خيال الشاعر وذوقه في انتقاء صورته الحسية والمعنوية معاً.

وثقافة أبي طالب الدينية في اعتناقه للدين الحنيف بما يتصل به من اخلاق ومعتقدات لها اثر كبير في

ترقية عقله وتقوية شعوره العقائدي في خلق موضوعات إسلامية يتردد صداها في صورته الشعرية،

ولاسيما المستمدة من التعبير القرآني، فالتعبير الجديد عن الحياة الإسلامية اليومية جعل أبا طالب

يصح بصوته الصريح الصادق بأساليب تعبيرية وموضوعية؛ لاستقطاب قريش إلى صف الإسلام،

فكانت صورته ثمرة فنية تعبر عنها القصيدة التي تشكل الصورة احدى مرتكزاتها الأدبية.

وأبو طالب ذو ثقافة عالية ناشئة من تحصيله الأدبي من ثقافة معاصريه من الأدباء: شعراء وخطباء،

فقد كانت اسواق مكة: عكاظ، والمجنة، وذو المجاز، ميداناً فسيحاً يتبارى الشعراء والخطباء في

انشاد فنهما، فهذه الأسواق احدى وسائل نشر الأدب التي نهضت بالوحدة اللغوية بين قبائل العرب

التي نزل بها القرآن مؤيداً ومذيعاً للغة قريش)

(1)، وكان لأدباء قريش الحظ الأوفر من نهل هذا المنبع الثقافي الصافي؛ لأن هذه الأسواق كانت معرضاً للأدب: الشعر والنثر، ومما لا ريب فيه أن أبا طالب قد تأثر في هذا التحصيل الأدبي فأثرى صورته من شعر الشعراء السابقين له والمعاصرين في آن معاً، ويبدو أن طبيعة مكة التجارية جعلها ساحة واسعة لعرض الآراء والافكار والمفاخر، ونادياً للقاء الشعر في انديتها، وأبو طالب كان له حظ من التجارة سواء أكان في

مكة أم في خارجها، وهذا الأمر اتاح له ولغيره من شعراء مكة أن يتبادلوا ثمار العقل والفن في هذا التلاحق الثقافي بينهما، فكثير من الشعراء من داخل مكة وخارجها مدحوا النسب الهاشمي ولاسيما عبد المطلب واولاده (2) بوصفهم رؤساء قريش وزعماءها والقائمين على بيت الله الحرام، ولهم السقاية والرفادة فهذا له اثره في بناء صور أبي طالب الشعرية.

بقي ان اقول ان البيئة احد روافد صور أبي طالب الشعرية التي لها الأثر العميق في ذوقه، فالصورة

المتشكلة في لغة الشاعر الحضري قد انمازت أحيانا من الصورة المتشكلة في لغة الشاعر البدوي،

ومن هنا جاءت صوره عذبة رقيقة في استقصائها للبيئة

الحضرية قاصدا فيها الوضوح والافهام للنهوض الحثيث في الصورة الفنية الاتيقة .فصور أبي طالب الشعرية قد تكون مستمدة من الموروث الثقافي للشعراء السابقين له أو مستثمرة من شعراء عصره، أو من أثر الحياة الفكرية الإسلامية الجديدة، أو من أثر تجارب الحياة الواقعية في وقت واحد، ومن هنا لايمكن القطع بشكل دقيق بين هذه الصورة، أو تلك في بيان الأثر الفني .
فمن صور أبي طالب البيئية التراثية صور جثث القتلى طعاما للطيور

(3) التي اثارته مخيلته، فشرع يرسمها في سياق التهديد والوعيد، خالعا عليها تجربته الشعرية في تسفيه احلام قريش بقتل رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال في القصيدة الميمية:
{من الطويل}

أمانئهم تلکم كأحلامِ نائمٍ	يُمنونكم أن يقتلوه وإِنما
وَلَمَّا تَرَوْا قَطْفَ اللَّحَى وَالْغَلَّاصِمِ	فَأِنَّكُمْ
تَحَوُّمٌ عَلَيْهَا الطَّيْرُ بَعْدَ مَلَاحِمِ	- وَاللَّهُ - لَا تَقْتُلُونَهُ
وَقَدْ قَطَعَ الْأَرْحَامَ وَقَعَ الصَّوَارِمِ	وَلَمْ تُبْصِرُوا الْأَحْيَاءَ مِنْكُمْ مَلَاحِمًا
إِلَى الرَّوْعِ أَبْنَاءَ الْكُهُولِ الْقَمَاقِمِ	وَتَدْعُوا بِأَرْحَامٍ أَوْاصِرَ بَيْنِنَا
	وَنَسْمُو بِحَيْلٍ بَعْدَ حَيْلٍ يَحْتُهَا

(4)

عندما يزعم المرء على شن الحرب على الأعداء والايقاع بهم، يصف ساحة المعترك بالقسوة والشدة، فجثت قتلى الأعداء ستصبح طعاما للطيور الضارية، من هنا ساق أبو طالب هذا المشهد مصورا الملاحم بصيغة الجمع للمبالغة في التهويل لمشهد قطع الرؤوس، وصك السيوف بالسيوف وتدافع الخيل، وهي صورة توحى بشدة الفتك والبطش بالأعداء، وقد زج أبو طالب هذه الصورة؛ لبيان حقيقة آمال قريش في قتل رسول الله فهي كأحلام نائم، فلم ولن يتمكنوا من تحقيقها، فاحضع الصورة البيئية التراثية إلى تجربته الأنوية بعد أن ادخل فيها التغيير والتحوير في تصوير واقعة

الحرب في معرض التهديد والوعيد، فهو لم يستعملها في واقعة حرب

ية فعلاً.

ويرينا أبو طالب بوضوح الجهد الفني المبذول في انجاز صورة شعري

ة متنامية في بناء قصيدته التي تماثل نظيرتها في الشعر الجاهلي بيد أنها تباينها في رسم تفاصيلها.

ويرسم أبو طالب صورة فنية أخرى تضارعها في التصوير في مكان آخر، فهو يستعمل الصورة التراثية مع اضافة في ملامحها ومظهرها العام، وكأنها صورة تباين أختها، فيحدث فيها تغييرا وتحويرا بألفاظها الدالة على معانيها الملونة، بحسب قدرته الابداعية لصناعته الشعرية على نحو ما نجده في قصيدته البانية، وهو يهدد قومه ويتوعدهم عاقبة قتل رسول الله

(صلى الله عليه وآله (5) فقال :
{من الطويل}

بِهِ وَالنَّسُورُ الطُّهْمُ يَعْكُفْنَ كَالشَّرِبِ) بِمُعْتَرِكٍ ضَنْكَ تَرَى قَصْدَ الْقَنَا

(٦)

قابل أبو طالب صورة الطيور العاكفة على جثث القتلى

- بعد ان بين ملامحها المرئية فهي، نسور ذات رؤوس سوداء - بصورة عكوف الجماعة لشرب الماء، فصورة المشبه والمشبه به متناسقتان في تشكيلهما الفني ومطابقتان في هيئة الوصف بمعالجة فنية متقنة. ومن صور التراث صورة الفارس الشجاع المأخوذة من صورة الأسد، أو الليث فاستعملها أبو طالب للدلالة على الإقدام والمصالوة والغضب والزهو والشموخ، على نحو ما يذكر في منعه لرسول الله (صلى الله عليه وآله):
{من التقارب}

وَلَكِنْ أَزِيرُ لَهُمْ سَامِتًا كَمَا زَارَ لَيْثٌ بَغِيلٍ مَضِيقِ)

7)

على الرغم من تقريرية صورة الأسد، منح أبو طالب الصورة الحيوية من خلال الموازنة بين زنيره وذنير الأسد، فزار أبو طالب على اعدائه بشموخ كما يزار الليث في عرينه الضيق، كناية عن غضبه عليهم، ولوح أبو طالب بهذه الصورة في فخره الذاتي في الذود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والجامع بين صورة زنير الشاعر، وصورة زنير الليث هو الحالة النفسية لكليهما الدالة على الغضب والقوة والشموخ.

إن استعمال أبي طالب لهذه الصورة لا يخلو من التغيير والتطوير، فقد طرقها بحسب تجاربه الشعرية المختلفة، وبألفاظ متباينة

نة؛ ليمنح صوراً متنوعة لشيء واحد، متجنباً إعادة الصور بعينها على نحو ما نجده في مديحه لقومه، فموقف قومه في الحرب اشرف موقفاً، فهم كأسد يُهزَّ جبل الصفا من زنيرها، فقال :
{من الرجز}

وَمَوْقِفٌ فِي الْحَرْبِ أَسْنَى مَوْقِفَا

أَسَدٌ تَهْدُ بِالزَّنِيرَاتِ الصَّفَا)

تتجلى الموافقة بين الصورتين بانسجامهما، فصورة أبطال القوم في الحرب الذين يتطلب منهم الاقدام والمصالوة والشجاعة تهزُّ قوة العدو، وهي صورة تضارع صورة زئير الأسد الذي يهزُّ قوة جبل الصفا، والجامع بين الصورتين القوة والشدة والبأس والشموخ.

ويعالج أبو طالب صورته الشعرية المستمدة من صورة الأسد في اطارها العام معالجة تقنية فنية وهو يلجأ إلى اساليب التعبير المتنوعة، فقال من القصيدة الميمية مفاخرها بعشيرته:

{من الطويل}

هُمُّ الْأَسَدِ أَسَدُ الزَّرَاتَيْنِ إِذَا عَدَّتْ عَلَى حَنْقٍ لَمْ تَخْشَ إِعْلَامَ مُعَلِّمِ)

9)

ف

أبناء قوم أبي طالب اسود الزارتين لا يخشون الأبطال المعلمين الذين يعرفون بأقدامهم في حالة الغضب. وتنوعت صورة الفارس المشبه بالأسد واختلفت بعض ملامحها في صور شعر أبي طالب

10) على الرغم من ان رافد الصورة التراثية واحد، فحور وطور وغير في تشكيلها، فجعلها تشارك الرافد نفسه وتباينه في اطار الشكل، وهو مستعين بقدراته الفنية ووسائله التقنية في صناعة صورته الشعرية. ومن صور المشاهدات اليومية صورة الحاضرة والتمدن التي اقيمت فيها مظاهر العمران قبل الإسلام

وبعده، فكانت مكة مركزا دينيا حضريا قديما، والكعبة كانت بناء قديما فيها أيضا.

ومن دواعي فخر أبي طالب أن والده عبد المطلب، كان قائما على اعمار البيت، فكانت نفس أبي طالب

تبرق من حين إلى آخر، لتحلق في الخيال فتضيء الزوايا المظلمة من الكون بصورة فنية تمنح

الادراك العمق في النفس البشرية؛ لترفع الانسان الاعتيادي إلى درجة عالية من الجمال الروحي وهو

يرثي والده، فصوّره عندما عمّر الكعبة، وكأنّه ملأها نورا يجلو الجذب والظلم عن الناس، فقال:

{من البسيط}

العَامِرُ الْبَيْتِ بَيْتِ اللَّهِ يَمْلَأُهُ نورا فيجلو كسوف القحط والظلم
رَبُّ الْفَرَاشِ بِصَحْنِ الْبَيْتِ تَكْرِمَةً بِذَلِكَ فَضَّلَ أَهْلُ الْفَخْرِ وَالْقَدَمِ)

11)

في الصورة الاستعارية شبه أبو طالب دعاء عبد المطلب بالنور الذي يملأ بيت الله الحرام الذي يوحى

بالسمو الروحي، والايمان الخالص، فيكشف شدة الفقر والظلم عن الناس، لما عرف عنه انه من

الموحدين وأنه مستجاب الدعاء، واغفل الشاعر ذكر المشبه (المستعار عنه) وهو الدعاء، واثبت

المشبه به (المستعار له) وهو النور، وكلا الطرفين حسي، فالدعاء صورة سمعية، والنور صورة مرئية، ولكنهما يتجازوان عوالم الحس إلى عالم الروح.

ولجليل قدر عبد المطلب كان يوضع له فراش في فناء الكعبة يجلس فيه اكراما له، واستقصى أبو طالب هاتين الصورتين؛ لبيان عظم مكانة أبيه، وكأنه أراد أن يصور هذه المعاني التي هي موضع فخره، واعجاب السامعين، فيهبز القلوب لفقده، بوصفه قيمة انسانية تتجمع فيها المباديء السامية، ففقده صورة لفقدان تلك القيم، ولهذا كان لهذه الصور اثرها البالغ في التهاب مشاعر السامعين حزنا عليه، فشاركوا احساس الشاعر نفسه وهو يوبن فقده بصور متنوعة بعاطفة حب الشاعر لأبيه.

ومن نشاطات الحياة الحضرية: الحياة الاقتصادية والتجارية التي وفرت حياة الاستقرار في المجتمع القرشي في مكة ، والدالة على مخالطة البلدان المتحضرة والتمدنة، فقد كان بعض رجال قريش يأتون بالبضائع المتنوعة من الشام، ومن التجار أبو أمية بن المغيرة المخزومي، فالتقط أبو طالب صورة عودة خاله أبي أمية من رحلته التجارية من الشام، فاخضعها لتجربته الشعرية، وهو في صدد رثاء له، فقال قصيدته الرائية:

{من الطويل}

وَكَانَ إِذَا يَأْتِي مِنَ الشَّامِ قَافِلًا فَيُصْبِحُ
تَقَدَّمَهُ تَسْعَى إِلَيْنَا الْبِشَائِرُ
أَهْلُ اللَّهِ بِيضًا كَأَنَّمَا
كَسَتْهُمْ حَبِيرًا رِيْدَةً وَمَعَاوِرُ)

12)

رسم أبو طالب صورة مجازية في تفاؤل أهل مكة بعودة القافلة من السفر، بلفظ «البشائر» بما تحمل من دلالة الحبور برجوع أبي أمية من رحلته فتشيع الاخبار السارة، ويصبح اهل الله بيضا، والمراد بقريش؛ لأنهم بجوار بيته، يخدمونه ويخدمون حججه، واستعار أبو طالب البياض لهم لحسن حالهم الذي يماثل كسوتهم بالثياب الموشاة الجديدة من ثياب الحبيرية والمعاوية المصنوعة في اليمن، وهي صورة تدل على الرفاهية والسعادة.

وعلى الرغم مما يشيع من الوان البهجة والسرور في نفوس قريش بمقدم القافلة التجارية، كان أبو طالب قد استثمر هذه الصورة في رثاء خاله نفسه لتأجيج نفوس السامعين في مشاركته حزنه، فبالامس طالما اسعدهم بمقدمه واليوم احزنهم برحيله، وقد منح أبو طالب بناء صورته المنجزة الدقة والتأني في نكر تفاصيلها وهو يبرز جوانب النمو والحيوية والرؤية الواضحة في اظهارها إلى

المتلقي مستعملا الوانا من الاداء التصويري: الحسي والمعنوي متملسا بعض الصور من المجاز

البياني من استعارة وتشبيه باداء فني أنيق.

اما الصورة المستمدة من طبيعة الثقافة الدينية الإسلامية المستثمرة من التعبير القرآني، صورة «... الميزان بالقسط» (13) ، فورد في توبيخ أبي طالب لبني عبد شمس وبني نوفل الذين وافقوا قريشا على قطيعة عشيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) فقال في قصيدته اللامية: (14)
{من الطويل}

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا عُقُوبَةَ شَرِّ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ
بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يَغِيضُ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ حَقَّ عَادِلٍ

(15)

شبه أبو طالب الصورة المعنوية «عقوبة شر» بشيء موزون، فحذف المشبه به (أي المستعار منه)، الشيء الموزون، وأوما الى (المستعار له) : الميزان، فعقوبة الشر غدت مجسدة بالوزن تكال في الميزان لا تزيد ولا تنقص مقدار شعرة، وبهذا كله جسد أبو طالب الصورة المعنوية بالصور المادية، فأفعم الصورة بجمال الخيال، وإثراء الأيحاء الدال على الغضب والسخط والاستياء من ظلم بعض بطون قريش المعارضين للإسلام.

واستثمر أبو طالب من التعبير القرآني الصورة الحسية: «... لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ»...

(16)، وهو يتوعد قريشا ويذكرهم ظلهم وعقوقهم وحصارهم في الشعب (17)، فقال:
{من الوافر}

وَأَنَا سَوْفَ نوردُهُمْ حِيَاضًا يَكُونُ شَرَابُهُمْ مِنْهَا الْحَمِيمُ

(18)

نهضت الصورة الذوقية في تحذير قريش بالنقمة، فسيشربون من حوض الحميم جزاء اعراضهم عن الإسلام، وتماديهم في غيهم للنيل من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والصورة توحى بالعذاب الاليم

ل

أولئك المشركين وقد التقط أبو طالب هذه الصورة من الذكر الحكيم، واخضعها لتجربته الشعرية مانحا اياها الرؤية الجليلة للتعبير عن حسيتها باطار فني مرسوم في التعبير القرآني.

وللمثل اثر واضح في صور شعر أبي طالب وتتجلى قيمة المثل في لفت انتباه السامع إليه مباشرة بما

يحتوي من صورة مكثفة دلالية غنية بالايحاء على نحو تسفيهه أبي طالب رأي قريش حين عرضت

عليه عمارة بن الوليد بدلا من ابن أخيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ليكون له ولدا وسندا)

(19).

فقال أبو طالب في القصيدة الرائية:

{من الطويل}

فقد سفّهت أحلامهم وعقولهم

وكانوا كجفر بنس ما ضغطت جفر)

20)

احسن أبو طالب في تشويه صورة المشبه من رجال قريش الممثلين عشائريهم، والصاق صفات شائنة

بهم، تحط من منزلتهم، ليضارهم بصورة ولد المعزى الذي «بال فأدر فبال جفراه»

21) في سلوكهم المتوارث في العدا، والجامع بين الصورتين الجهل، للدلالة على التحقير، ولا يخفى ما لقول أبي طالب المستمد من المثل «وكانوا كجفر شر ما ضغطت جفر»، من كثافة دلالية في أذن السامع وترسيخها، وإيضاح الصورة وتوكيدها.

وفي شعر أبي طالب تحفل القصيدة الدالية بصورة مثل أخرى عندما يفخر أبوطالب على بني قصي)

22) ، فقال:

{من الطويل}

لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ

فَأَتِي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ

23)

أسهمت الصورة المستمدة من المثل «لديك البيان لو تكلمت اسود»، في تحديد طبيعة الصورة

السمعية بدلالة «قال قائل»، في فخره، فلو تكلم «أسود» لأخبر بني قصي بفضل بني هاشم فيهم، ولا

شك في ان اصداء الصورة السمعية لقول المثل لها اثرها في آذان مستمعي بني قصي الموحية بعراقه

أرومة بني هاشم عليهم.

ومما تقدم يتبين: أن أبا طالب استمد معظم مكونات صورته من ينباع ثقافته الأدبية والدينية المعبرة

عن وعية الذاتي لمطالبات تجربته الشعرية، فباينت أصل الصورة التراثية بتحويلها وتطويرها.

و عني أبو طالب برصد المشاهدات الواسعة من الحياة اليومية على المستوى الفكري والاخلاقي

والأدبي، والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتضمنت صوراً متنوعة شكلت جزءاً من بناء

اثره الفني بعد أن اخضعها لانفعالاته المتباينة بما يتناسب مع الموضوع الشعري الذي هو في صدد

الحديث عنه مانحا صورته الوانا من ابداعه ومهارته الفنية.

- وسائل الصورة البيانية:-

ضمت اساليب البيان العربي أهم وسائل الصور الفنية غير المباشرة في التعبير عن المعنى الواحد

بدلالات مجازية متنوعة، فالفكرة الواحدة يمكن ادائها باساليب متباينة، وبطرق ادائية مختلفة تتبعها

تغييرات

- زيادة أو نقصان - في المعنى بحسب بناء الألفاظ؛ لأن الألفاظ صور المعاني، فإذا تغير تشكيل الألفاظ تغيرت المعاني المصورة.

ومن الأساليب البيانية التي يتوسلها المبدع في رسم صورته الفنية: المجاز، والتشبيه والاستعارة والكنائية، ومن جمال هذه الوسائل البيانية، أنها تمنح النص الشعري الأثر، وبعد المرمر الذي تهدف إليه، وهي أكثر جمالا من الأساليب الحقيقية)

(24)؛ لامتلاكها الامكانات الإيحائية المؤثرة في جلب انتباه السامع، فتهز مشاعره ووجدانه بعد أن نبضت بأحاسيس مبدعها، وتضمنت أفكاره وانفعالاته. والصورة البيانية لغة مجازية ضمن بناء تشكيل لغة القصيدة مرتبطة بأجزائها، تحمل مضامين متنوعة يحلق الشاعر فيها على أجنحة من الخيال فيطلقها حرة نامية في صور حسية، أو عقلية بنوعها: الوهمي والوجداني، وهي خاضعة لمهارة منشئها، في قدرته على رسم صورته وبها يتفجر إبداعه، وتضيء موهبته وملكاتة الشعرية بروعة التعبير في صناعة صورته. ونظرة فاحصة في آثار أبي طالب الشعرية تكشف عن صدارة التشبيه والكنائية على الاستعارة، ويعود تقدم الكناية على الاستعارة إلى الخاصية الفنية لشعر أبي طالب في تنشيط الثروة الثقافية التراثية للوسيلة الكنائية ووضعها بقلب تجربته الشعرية؛ ولأنها تتعلق بالحقائق المختلفة من فكرة معينة، أو موقف شعوري، أو تجرب

ة إنسانية، أو حالة نفسية، على الرغم من أن الاستعارة من الفنون البيانية الرفيعة المستوى، والعميقة في النفس، كانت الكناية أبسر سبيلا، وأسهل مولجا، فاعتمدها أبو طالب في شعره أكثر من الاستعارة، وسنقف على الوسائل البيانية لكشف المعاني وإبانته والخواطر الكامنة في النفس ضمن تشكيل الصورة التعبيرية في شعر أبي طالب.

● التشبيه :

التشبيه ضرب من المجاز تأتي الصورة فيه لإبرازه، وتوضيحه، وجلاء هيأته، وهو عماد الصورة البيانية؛ لكثرة توسل الأديب صورته له؛ ولاتساع أساليب التعبير به، فيتردد في مستويات التعبير المختلفة، ويراد به «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى»

(25) أو أكثر، أو وجه أو أكثر من وجه، وتعقد به مماثلة لوجود صفة مشتركة بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبّه به، بإداة ملفوظة أو محذوفة، لغرض يقصده الأديب. والمماثلة بين طرفي التشبيه تتفاوت بين الزيادة والنقصان، أو بين الوضوح والغموض بحسب المعنى المستعمل سواء أكانت الصفة التشبيهية مفردة أم متعددة، ويرمي المبدع إلى رسم أبعاد الموازنة بين طرفي التشبيه إلى الربط بينهما في حال يكشف فيه عن جوهر الجمال الذاتي الذي استحوذ عليه، يدلك على تشكيل صورة المعنى التي هي لوحة تشكلت من المعاني الجزئية بصياغة فنية دقيقة لتشكل المعنى الكلي بشكل متساوق ضمن جزينات إقامة البناء الأساس للقصيدة، وتمنح

النص بعدا جماليا يظهر مهارة الشاعر، وقدرته الابداعية في رسم صورته، فتبرز انفعالاته بكلمات معبرة يحاول فيها تصوير مشاعره بانتقاء الألفاظ والتعبير الموحية التي تنقل عاطفته، لتتم المشاركة

بين المنشيء والمتلقي

- سواء أكان مستمعا أم قارنا - فيحس انفعالاته المتباينة، ويفهم أفكاره المتنوعة، ويدرك خياله الواسع، فالصورة التشبيهية أكثر تناغما بين المبدع والمستمع لما تحمله من روابط نفسية تكسيها تلك المزية، وتكتسب أهميتها من أنها تقرب المعاني إلى افهام المتلقي وتوضحه، وتتوسع في ادائها اللغوي وفي احداث معانٍ جديدة تعطي الألفاظ الوضعية دلالات جديدة نستشفها من علاقات استعمال المفردات في سياقاتها الأدبية.

ورفدت صور أبي طالب التشبيهية بالقديم والجديد المنسجمة مع واقع الحياة المعاش في مرحلتين:

قبل الإسلام، وبعده

(26)، وأفادت من معطيات هاتين المرحلتين من الزمان؛ لأن الشاعر عاشهما بابعادهما الحضارية والروحية والمعنوية، فكانت صورته متناغمة مع حركة الحياة الصادرة عن فهمه لها، فهي نتاج الواقع والثقافة والاحساس، تتجلى في هذا النتاج حقيقة الحال الشعورية والفنية الذي عاناه الشاعر في اثناء انجاز عمله الابداعي، فشكلت انماطا اسلوبية مختلفة، تختلف باختلاف تجاربه الشعرية، وبتباين أدوات الصورة التشبيهية التعبيرية، ولذلك وردت الصور التشبيهية متنوعة فمنها: الصورة الحسية التقريرية، وهي صور تحاكي عالم المحسوسات المدركة في الخارج، بسيطة في تركيبها، تنأى عن الخيال، لانصرافها عن الأمور العقلية في تقريرها، ومنها الصورة البصرية التي التقطها أبو طالب لرواحل الحجيج إلى بيت الله العتيق، فقال يصف زينتها في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

بأعناقها معقودة كالعناكل

ترى الودع فيها والرُخام وزينة

27)

ضارع الشاعر بين صورة الإبل المتزينة بالخرز والرُخام وانواع أخرى منتظمة برباط في اعناقها، بحبات التمر المنتظمة بعنق شجر النخيل، لبيان حياة شكلها، والجامع بينهما شيء منظم ومرتب ومنسق مقلد في العنق، فهذه الصورة المرئية دقيقة في فنيها نيقة في رسمها، بيد أنها غير نامية لا تحقق استجابة في اشارة المتلقي.

والصورة الحسية على الرغم من انها تجنح الى وضوح الحقيقة المدركة ادراكا حسيا التي تقتضيها طبيعة الماديات في الوجود الانساني، فتجلوها للمتلقي، هي مرهونة بالحالة النفسية للشاعر وهو يصور شعوره واحاسيسه في عقد مشاركة بين امرين حسيين على نحو ما نجده في قول أبي طالب وهو يصف رحلته إلى الشام، وقد تعلق ابن أخيه محمد (صلى الله عليه وآله) - عندما كان صبيا

- بركابه حين ازمع على السفر، فقال من القصيدة الدالية :

{من الكامل}

مثل الجمان مُفَرَّقٌ ببداد

فارفضَّ من عيني دمعَ ذارِف

28)

رصد أبو طالب الصورة الحسية للجمان المتلألئ

ئ في الواقع، فاحضعها لتجربته الشعرية، فشاكل بين دموعه المتلألئة والمتتابعة في عينيه وحببات اللؤلؤ المتساقطة على مفارق الجواد، فتشبيه دموعه بالجمان لشيء يفخر بنفسه، فبكاؤه عزيز، وإذا بكى فهذا بكاؤه، فالباكي والمبكي عليه يستحقان هذه الصورة مثلما يرى الشاعر، وانمازت الصورة بالاتقان في بيان تفاصيل هياتها وشكلها التي افضت إلى الوضوح في التعبير عن مشاعر مبدعها. والشاعر يكرر الصورة نفسها بيد أنها أكثر ارتباطا بحالته النفسية وأكثر تميزاً من سابقتها في رسم مشاعره وهو يشكو همومه في القصيدة البائية التي يخاطب بها بني قصي في حصار الشعب فقال:

{من المتقارب}

تَطَاوَلَ لَيْلِي بِهِمْ وَصَبَّ
وَدَمَعِ كَسَخِ السَّقَاءِ السَّرْبِ
لِلْعَبِ قُصَيِّ بِأَحْلَامِهَا
وَهَلْ يَرْجِعُ الْحَلْمُ بَعْدَ اللَّعْبِ)

29)

قابل الشاعر بين صورة انحدار دموعه، بانصباب الماء من القربة وكشفت الصورة التعبير عن احساس الشاعر المتوغلة في اعماقه من هموم واحزان متواكبة عليه، فاخرجت صورة تشبيهية ذاتية مستمدة ابعاد طرفيها من العالم المادي؛ لبيان حقيقة نفسية في المبالغة في المعنى الحسي المرسوم بطريقة فنية انيقة متلونة بنقاء السريرة، وشفافية الروح لتصوير غاية نفسية. والتشبيه الخيالي مستمد جذوره من الصورة الحسية فطرفا كل منها يدرك بالحس، وله اثر في الواقع، بيد أن تركيبه ليس له مثيل حقيقي واقعي، وانما هو مستوحى من الخيال، ومن امثلة هذا اللون من التصوير ما رسمه أبو طالب من صورة خيالية استمد مقوماتها مما بصره من مناظر حقيقية، فكانت وسيلة لنقل تجربته وهو في صدد تهديد قريش عندما افتقد ابن أخيه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وظن أن قريشا قتلته، فقال متوعدا وبالحرث مهددا في القصيدة الرائية:

{من الوافر}

مُجْمَعَةُ الصَّفُوفِ أَسْوَدُ فَهْرٍ
وَكَانَ النَّفْعَ فَوْقَهُمْ يَثُورُ
كَأَنَّ الْأَفْقَ مَحْفُوفٌ بِنَارٍ
وَحَوْلِ النَّارِ أَسَادٌ تَزِيرُ
بِمَعْتَرِكِ الْمَنَايَا فِي مَكْرٍ
تَخَالَ دِمَاعُهَا قِدْرًا تَفُورُ)

30)

رسم أبو طالب في المشهد التصويري العام للمصالاة والقتال صورة بسيطة تولدت منها صور خيالية مركبة، فقد شبه الشاعر قومه بالاسود، وذوبان الفوارق بين طرفي التشبيه جعل الشاعر يحذف الأداة، ومن هذه الصورة البسيطة في تركيبها تولدت صورة أخرى فتخيل الشاعر أنهم جالوا في

المعركة ومن نتاجها تصاعد الغبار حتى اضحى بهيأة العجاج، فتناثرت الاتربة فوق رؤوس المقاتلين للدلالة على اثر احتدام القتال وسرعة الحركة التي تثير الغبار من الارض بحركة اقدام المتحاربين، ولهذا التفصيل حظ وافر من الدقة التي افادت الحقيقة في وصف المعركة المتخيلة، بيد أن هذه الهيأة المرسومة لم توضح معالمها بصورة متخيلة اكثر لتشوق المتلقي إليها، فانتزع الشاعر من هذا المشهد صورة أخرى ليضارع فيه صورة اجتماع القوم على هيئة وشكل صفوف بصورة مركبة لمشهد الأسود المتجمعة حول النار تملأ آفاق الأرض بجموعها وزئيرها الذي يوحي على الغضب في الانقضاض على العدو.

ومن صورة القتال والانقضاض على العدو تولدت صورة أخرى في تشبيه دماء القتلى بالماء في القدر والجامع بينهما الغليان والفوران في بيان الحركة والاضطراب، والصورة بسرعة القتل وكثرة عدد القتلى وبشدة القتال وقسوة المقاتلين على اعدائهم في ساحة المعترك .
فالصورة الفنية الكلية التي ابدع الشاعر في رسمها وهو يهدد قريشاً مستمدة عناصرها من العالم المادي وهي الاسود، والغبار، والنار، والماء، والقدر، فجمع خيال الشاعر بينها بعلاقات تعبيرية تقوي الصورة الواقعية فتصهر معها، وتقربها من الواقع بجمال التعبير التصويري.
ومن أنماط الصورة التشبيهية الصورة العقلية، أو الذهنية، وهي ما لا يدرك طرفاها بالحس، وإنما بالعقل، وان كانت الحواس وسيلة الذهن في الادراك، وجمال هذا النمط من التصوير يرجع إلى قدرة الشاعر الابداعية على تقديمه المعنى وتقريبه من الأذهان باخراجه من خفي إلى جلي)

(31)، بنقله من المعنوي إلى الحسي، وما يتبع ذلك من متعة الخيال في ادراك الحقائق الأدبية التي تعبر عن فكرة تحمل موقف من مواقف الحياة والكون مثل: الموت والخلود، أو تعبر عن موقف نفسي متخيل مثل: اللذة والالام والحب والبغض والفرح والحزن، يستعملها الشاعر استعمالاً فنياً تنم عن تجربته الشعورية في الحياة، فيتفاعل معها تفاعلاً تاماً في احداث التخيل التي تتولد منه ألفاظ موحية مثيرة للوجدان، فينقاد المتلقي وراءها في متابعة استحكام الاثر التخيلي لمشاعر مبدعها الخاضعة لمعالجته الفنية، ومن امثلة هذا النمط من التصوير ما نجده في رثاء أبي طالب لصديقه مسافر بن أبي عمرو، في قوله :
{من الخفيف}

بُورِكَ المَيِّتِ الغَرِيبِ كَمَا بو رِكَ نُضْحِ الرِّمَانِ وَالزَّيْتُونِ)

32)

إنَّ بركة الله لاتدرك بالحس، وإنما تدرك بالعقل، فتشعر بها النفس ويحس معانيها الوجدان ، وقد عقد أبو طالب وهو يدعو لصديقه مسافر مماثلة في احلال بركته في الأرض التي دُفِن فيها، ببركة رشح الرمان والزيتون، فابعد الصورة المعنوية تتحد وتتكشف من معرفة البركة في ابسط صورها الدالة

على الكثرة في كل خير عاند على بني الانسان بالنفع في الحياة، فنتج من هذه الصورة متعة حية نابضة، توحى بالنماء والزيادة في الخير على الرغم من أن الشاعر في صدد رثاء الفقيد. ومن الأمثلة التي تظهر فيها براعة الخيال الصورة الذهنية التي سفه بها أبوطالب أحلام قريش لتمنيهم قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال في القصيدة الميمية :

{من الطويل}

يُمَنُونَكُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَإِنَّمَا أَمَانِيَهُمْ تَلْكَمْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ

33)

ضارع الشاعر بين «الأماني»، وهو لفظ لا يدرك معناه بالحس وإنما بالوجدان، بامر آخر وهو «الأحلام» الذي لا يدرك معناه إلا بالذهن المتخيل، وكلا طرفي التشبيه يدل على أَنَّ الأماني غير مجدية والاضغاث أحلام غير نافعة، وقد استندت الصورة إلى الشعور والعقل في استعمال فني انيق ضمن سياق التشبيه الذي اكسب المفردات الوانا وظلالا تمد الصورة بتلك الفنية البيانية التي تظهر فيها قدرة الشاعر الخيالية ازاء تجربته الشعرية في معالجة موضوعه الذي يحمل دلالة السخرية والاستهزاء في تسفيه أحلام قريش بقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد تتألف الصورتان الحسية والعقلية بصورة واحدة في خلق صورة كلية تنسجم مع بصيرة أبي طالب في فهم الاشياء وربطها بالذهن والفكر، معبرا عنها في رثاء أخيه عبد الله والد النبي (صلى الله عليه وآله) فقال:

{من البسيط}

أَوْ عَاشَ كَانَ لِفِيهِ كَلِّهَا عِلْمًا إِذْ كَانَ مِنْهَا مَكَانَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

34)

وَأَلَّفَ الشَّاعِرُ بَيْنَ صُورَةِ عَالَمِ الْحَسِّ فِي وُجُودِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْمِهِ قَرِيْشٍ وَشَيْءٍ لَيْسَ مَدْرَكًا فِي عَالَمِ الْحَسِّ، وَإِنَّمَا بِالْوَهْمِ

35)، وهو «الروح»، فلا وجود لها في نظر الانسان؛ لأنَّه لا يعرف ماهيتها وشكلها فهي شيء وهمي، ولكن حركة نشاط الانسان توحى بوجودها في الجسد. وتكمن أهمية هذه الصورة في تمثيل المعاني المحسوسة بالمعقولة، فعدم استغناء قريش عن عبد الله ، بعدم استغناء الجسد عن الروح في بيان اهميتها ومكانتها؛ لتقوم الصورة بوظيفة تحريك النفس في تأجيج مشاعر السامع بطيب الكلام في التعبير الصوري المؤثر؛ ليدلل الشاعر على حجم الخسارة الكبيرة في فقدان أخيه وهو يصور علو منزلته في قريش كلها.

• الكناية:

الكناية احدى اساليب البيان العربي ووسيلة من وسائل تصوير المعنى فنياً، ومظهر من مظاهر

الابداع التعبيري في تجسيد المعنويات ونقلها الى المحسوسات)

(36)، وهذه طبيعة التصوير البلاغي التي تكشف عن جمال التعبير الذي يتمثل في طبيعة الوسائل التي تشخص المجردات فتجعلها محسوسة، والمراد بالكناية «ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه ورؤفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه(37)»، وتكمن مزية الكناية في طريق اثبات المعنى وتقريره، وليس في المعنى نفسه الذي يقصد إليه المتكلم، فزيادة اثبات المعنى يجعله ابلغ واكد واشد، وبهذا كله جاءت الكناية ابلغ من التصريح(38)، وهي تمتاز بالدقة والغموض فتبعث المرء على التفكير واجالة الذهن في معرفة شأنها، بيد أنها تحقق جمال التعبير، وعمق التأثير في نفس المتلقي الذي لا يدركها إلا بفحص المعاني والتعرف على ماهيتها في أثرها الايحائي الذي يقدمه المعنى في اطار فني حسن تتم عن ذوق مبدعها، وصفاء قريحته، فتخرج باشكالها المتنوعة من تعريض وتلويح واشارة ورمز بحسب السياق الذي ترد فيه.

واعتمد أبو طالب الصورة الكنائية في شعره لتأليف حقائق تحمل تجربته الشعرية المستوعبة لنظام

الحياة في مستوياتها المختلفة ولاسيما النظام الاجتماعي، فحملت طابع ابداعه الفني في موضوعات متبانية تدل معانيها على الوقوف على المحمود والمذموم منها في تعابير ابداع في عرضها، وتفنن في

ادائها بحسب انماط كنائية متنوعة)

(39)، فمن ذلك الصورة الكنائية للقيمة الاجتماعية لظاهرة الكرم التي لها وشيجة قوية بالسيادة وشرف صاحبها فاتحفاً أبو طالب بكناية صفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) السيد الكريم في قومه، فقال مادحا له في القصيدة الدالية :

{من الطويل}

عظيم الرماد سيّد وابن سيد يحضّ على مقرى الضيوف ويحشّد

40)

لوح أبو طالب عن كرم ابن أخيه «عظيم الرماد» ويتطلب عظم الرماد كثرة احراق الحطب، بيد أن ما ورد في عجز البيت يعزز الكناية في صدره فحشد الضيوف يدل على كثرة الطبخ، وأهم ما انمازت به الصورة اثبات المعنى وتقريره في تكراره، فقد أردف الشاعر ان رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يحث على اقرء الضيوف، الذي يحقق لوناً من الارتياح في نفوسهم، فتلون كرم الرسول بالمعنى المادي والمعنوي في آن معاً.

وفي شاهد آخر يذكر الشاعر الموصوف بالكرم وصفته، بيد أنه لا يصرح بالنسبة المراد ذكرها على

نحو ما نجده في مديحه لأبي قيس بن الأسلت الشاعر المعروف، فقال من القصيدة البانية:

{من الطويل}

ومثلُ أبي قيسِ المصْفى من الخنى قريع الندى وابنِ الكرام الأطنابِ)

41)

لم ينسب أبو طالب الى الممدوح أبي قيس صفة الكرم بصريح العبارة وإنما كنى عن نسبة الكرم إليه فهو «قريع الندى»: سيد الكرم، فحملت القيمة المعنوية للكرم دلالة السيادة والشرف، فهو «المصطفى من الخنى»، ومما يقوي نسبة الكرم إلى أبي قيس نعتة بابن الكرام، وهذا التوكيد في المعنى أثره في تشديده في ذهن السامع وترسيخه.

وأصل أبو طالب لزم القيمة المعنوية للكرم؛ فلوح إلى كرم قومه للفقراء والمعوزين بعد الميسر، فقال في القصيدة الدالية:

{من الطويل}

ونُطعمُ حتى ينزلَ الناسُ سورنا إذا جعلتُ أيدي المُفِضِينَ تُرْعَدُ

(42)

لايكنى أبو طالب عن اطعام الناس، وإنما أكد هذه القيمة بشدة، بدلالة العبارة «أيدي المُفِضِينَ تُرْعَدُ»، ويعني الشاعر «أيدي المفيضين بالقداح في الميسر، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا السخي {...} يريد أبو طالب: إنهم يطعمون إذا بخل الناس)»

(43) فنلاحظ المزج بين اللعب بالميسر والكرم، ومن هنا رسم الشاعر البعد الزمني لتأصيل ظاهرة الكرم التي هي موضع فخره في التعبير الكنائي ضمن بناء قصيدته. وترد ظاهرة الكرم مرتبطة بشدة الحال لتكون دليلاً على كرم صاحبها، فقال أبو طالب في رثاء خاله أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وهو يعدد فضائله ذكراً أهم مستلزمات الكرم:

{من الطويل}

تَرى دارَه لا يبرُخُ الدَّهرَ عِنْدَها مُجْجَعَةٌ كَوْمَ سِمانٍ وَبَاقِرُ
إذا أَكَلتُ يَوماً أتى العَدُّ مِثلَها زَواهِقُ زُهْمٍ أو مَخاضٍ بِهازِرُ
ضَروبٌ بِنَصلِ السَيفِ سَوقِ سِمانِها إذا عَدِموا زاداً فَأَنَّكَ عاقِرُ

(44)

أخفى الشاعر المنعوت بصفة الكرم، وذكر ما يدل على صفته، فأنت ترى في داره «مججعة» كناية عن كثرة الأصوات العالية المتألفة من أصوات النوق السمينة وجماعة البقر، وهذه إذا ما اطعمت للضيوف ذبح في اليوم القادم مثلها من الإبل السمينة الكثيرة الشحم والحوامل، وخص أبو طالب «النوق المخاض»: الحوامل؛ لأنها نواتج تعوض الكريم ما فقده، بيد أن أبا أمية يقدم أفضل ما يملك من النياق الدالة على عزه ومكانته لإقراء الضيف، وهذه غاية الكرم المتمثلة بدعائمه القائمة به.

ويكون الكرم في أي وقت ولكن تزداد الحاجة إليه في انعدام الزاد أي وقت العسرة، «إذا عدموا زاداً»
لنكون شاهداً آخر عن كرم صاحبها في تأصيل القيمة المعنوية لسجية الكرم الموحية بفقدانها برحيل
أبي أمية، ليحقق الشاعر إثارة شجون السامعين، فيندبون به بحرارة المشاعر، وقد منح الشاعر
الصورة الكنانية بعداً قوياً في بنائها.

وهكذا اتسمت القيمة المعنوية للكرم في شعر أبي طالب بصورة مشهودة يمكن رؤية آثارها للعيان
متوسماً بدقة العبارة ولطفها وانسجامها في بناء القصيدة المستوعبة لتجربته الشعرية .
وكان لقيمة الشجاعة نصيبها في شعر أبي طالب في الصور الكنانية، ومنها الصورة التي تستتر فيها
صفة الشجاعة المراد ذكرها والمكملة لصورة الكرم في مديح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال
أبو طالب في قصيدته الدالية:

{من الطويل}

طَوِيلُ النَّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ عَلَى وَجْهِهِ يَسْقَى الْعَمَامُ وَيُسْعِدُ

45)

شمل البيت وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: «طويل النجاد» كناية عن طول قامته،
فالنجاد يعني حمائل السيف، وطول النجاد يلزم طول صاحبه القوي القادر على القتال، وهي من
مستلزمات المقاتل الشجاع.

ولكي يؤكد الشاعر طول قامته ومدوحه الرسول الكريم، وصفه بأنه «خارج نصف ساقه» للدلالة على
همته، فطول الثوب يعوق حركة صاحبه في اثناء المصاولة بسرعة.
وتأتي صفة الكرم مقترنة بالشجاعة ومتضافرة معها لتكوين شخصية مثالية عالية، وأهم ما انمازت
دلالة هذه الصورة من غيرها من صور الشعراء ال

آخرين (46)، ان أبا طالب جمع صورتين كنانيتين بدلالة مكثفة في نصف بيت.
ومن سمات الشجاعة الملازمة: السيادة والقيادة في المعركة، فقال أبو طالب في مديح الرسول الكريم

في القصيدة ذاتها:

{من الطويل}

هُوَ الْقَائِدُ الْمُهْدَى بِهِ كُلُّ مَنْسَرٍ عَظِيمُ اللَّوَاءِ أَمْرُهُ الدَّهْرَ يُحْمَدُ

47)

وصف أبو طالب تولي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) أمر قيادة الجيش في المعركة، ولكي يؤكد الصورة ويقويها، أردفها بصفة كنانية له، فالرسول «عظيم اللواء» كناية عن امرته وسيادته وشجاعته، ومن محاسن التعبير الكناني انه استثمر لتوكيد المعنى وترسيخه في ذهن السامع. ويجد أبو طالب في الصورة الكنانية اسلوبا فنيا واضحا للتعبير عن التحدي في مواجهة مشركي قريش في دفاعه عن النبي (صلى الله عليه وآله) وحمايته له، في فخره الذاتي في القصيدة اللامية، فقال :

{من الطويل}

وَجِدْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتَهُ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالطَّلَى وَالْكَلَالِ

48)

اوحى الصورة التعبيرية بدلالة «الطلّى والكلال» المراد بهما الاعناق والصدور في مواجهة العدو وجها لوجه على الكرّ والاقدام والفروسية والمصاولة، وهذا لا يتم إلا بقلب شجاع جسور. وعبر الشاعر في هذا الأسلوب الرائق الموحى عن زهوّه في محاماة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معالجة فنية متساقفة مع اجزاء بناء قصيدته.

ومن موجبات الشجاعة القوة، فوصف أبو طالب بني هاشم وعبد المطلب اللذين شذاً أزره وازر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعاناهما لقوتهما، فقال في قصيدته البائية :

{من المتقارب}

هُمَا أَخْوَانِ كَعَظْمِ الْيَمِينِ أَمْرًا عَلَيْنَا بِعَقْدِ الْكَرْبِ

49)

استعمل أبو طالب التعبير الكناني

«عظم اليمين» كناية عن القوة، فبنو هاشم وعبد المطلب في موازرتهم لرسول الله بمثابة عظم اليمين في القوة للدلالة على محبتهم له. إن جمال الصورة الكنانية تكمن في شدة مبالغتها، وبراعة ادائها، وقوة بلاغتها؛ لأنها تنأى عن التصريح بلفظ التعبير اللطيف، المكثف الدلالة، الغني بالايحاء. وتأتي سمة السيادة تتويجا لقيمتي: الكرم والشجاعة، فالسيادة في المجتمع العربي لها مؤهلاتها التي تجعل المرء زعيما ورئيسا في قومه، وتعطي الكناية صورة لحياة أولئك السادة في اعمالهم، ومنها الصورة التي حفل بها شعر أبي طالب، فتصور عبد المطلب عماد بيت الله الحرام، فقال في القصيدة الميمية يرثيه:

{من البسيط}

بَكَتْ قَرِيْشٌ اَبَاها كُلَّها وَعَلَى

اَيامِها وَجَمَهاها الثابِتِ الدَّعَمِ)

50)

اشاد أبو طالب بصفة الموصوف بعبد المطلب، فهو «الثابت الدعم» كناية عن البناء الراسخ في حماية بيت الله الحرام؛ لأنه صاحب سدانة البيت والقائم على استقبال الحجيج الوافدين إلى مكة لاداء مناسكهم على اختلاف الوانهم واصولهم، ومن كانت بيده الرفادة والسقاية والسدانة، فهو الرئيس، ولهذا كله وصفه عماد البيت؛ لسماقة مكانته، وسموه ورفعته باعماله الجليلة المشرفة. وتتأزر صفة السيادة مع الشجاعة فحماة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذاندون عنه هم من سادات بني هاشم، فقال أبو طالب من القصيدة الميمية:

{من الوافر}

وَدُونَ مُحَمَّدٍ مِمَّا نَدِيٍّ هُمُ الْعَرْنِيُّ وَالْأَنْفُ الصَّمِيمُ

51)

كنى أبو طالب التعبير «الأنف الصميم» عن السادة الخُص في اصلهم، توكيدا لدلالة «العرانيين» وهم السادة الأشراف؛ لتقوية المعنى في ذهن السامع في تزيين أورمتهم، ولبيان قدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيهم، فلا يدود عنه إلا السادة الأشراف الخُص الأصل، فكنى الشاعر باللفظ الاتيق الذي يتناسب وحال فخره وتحديه لقريش بحماية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومساندته والذود عنه. وإذا كانت هذه الصورة مرتبطة بأصل السيادة في صميم الأرومة فان صورة القباب تومىء إلى الزعامة والرئاسة لبني مخزوم، فقال أبو طالب في بيان مكانتهم لأبيه عندما ازمع على ذبح ابنه عبد الله وفاء لندوره، لعل تهديد أبي طالب)

(52) بمكانة أخو له ترد عزم أبيه عبد المطلب عن ذبح أخيه:

{من الرجز}

وبين مخ

زوم ذوي الأحساب
أه

ل الجياد القُبِّ والقباب (53)

أراد أبو طالب أن يبين مكانة بني مخزوم فصوّر ان القباب الجيدة كانت تضرب لهم تمييزا من غيرهم في الزعامة، وساق أبو طالب هذه الصورة الكنائية رغبة منه في استنهاض همم أخواله من بني مخزوم، ليعترضوا سبيل فعل عبد المطلب في ذبح ابن أختهم، فلا يُرد طلبهم لمكانتهم وعلو شأنهم وسيادتهم بين العرب.

ومن جمال الكناية أنها تُصَوِّر المعاني بوصفها جزءاً من معطيات العقل في صورة محسوسة تثير
عجاب المتلقي بروعة ادائها، لامتلاكها الخيال الذي هو من ابرز وسائلها فقد يرد الأسلوب الكناني
في تهجين شيء معين من اعمال البشر التي ترفضها الأعراف الأخلاقية والدينية والاجتماعية ومنها:
الغيبية الصفة المذمومة، فصَوَّر أبو

طالب المعارضين من قريش للدعوة الإسلامية والمناهضين لقوم رسول الله(صلى الله عليه وآله) لمساندته
إياه، بصورة جزر قريش للحوم قوم الرسول بالسكين والسيف بالقول الشائن، فقال ابوطالب في قصيدته
اللامية:
{من الطويل}

وَكُنَّا بَخِيرٍ قَبْلَ تَسْوِيدِ مَعْشِرٍ هُمْ ذَبَحُونَا بِالْمُدَى وَالْمَعَاوِلِ)

54)

رسم أبو طالب صورة ايداء مشركي قريش بالكلام الشائن والفعل الهجين بصورة جزر لحم الانسان،
ولا يخفى ما لهذه الصورة من تنفير نفس السامع، ووقعها المؤثر في الصورة المتخيلة من فعل ذبح
الانسان لأخيه الانسان.

وساعد أبو لهب في حديث مغرض مع بعض الرجال في مكة عن أبي طالب، فقال أبو طالب معاتباً له
ومستهجناً فعله بصورة كنانية مؤثرة :

{من الكامل}

أَجَزَّرْتَهُمْ لِحْمِي بِمَكَّةَ سَادِرًا تُكَلِّتُكَ أُمَّكَ أَيَّ لِحْمٍ تُجَزِّرِي؟)

55)

كنى أبو طالب في التعبير «أَجَزَّرْتَهُمْ لِحْمِي... أي لحم تجزري» عن القيل والقال بالكلام المريب الذي
صوره خيال الشاعر بمشهد جزر الانسان لحم أخيه الانسان بما فيه من فعل التخيل بأدوات الذبح
القاطعة التي تثير في النفس المقت والكره لبشاعة هذا الفعل الهجين الذي يتجرد فيه الانسان من
انسانيته والمنفر للأعراف الانسانية كلها.

وتأتي بشاعة هذه الصورة بشكل أكثر تميزاً، لترسيخها في ذهن المتلقي، عند اسراع أسيد بن أبي
العاص بن أمية، وبكره خالد، ورهطهما في سعيهم بقطع لحوم قوم رسول الله(صلى الله عليه وآله)
إلى أجزاء وأكلها، فقال أبو طالب في القصيدة اللامية :

{من الطويل}

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَرَهْطُهُ إِلَى بُغْضِنَا وَجَزَاءً بِأَكْلِهِ أَكِلِ)

56)

ساق أبو طالب التعبير «وَجَزَأً بِأَكْلِهِ آكِلٍ» كناية عن غيبة أسيد وخالد وقومهما لقوم الرسول (صلى الله عليه وآله) فجعلوهم طعمة في أفواههم.

إنَّ التصوير الكنائي لمشهد قطع لحم الانسان من مثله من بني البشر ومضغه بصورة الطعام في الأكل تضاعف من بشاعة الصورة، بما تثيره من الاشمزاز والتقرز، لهول فعل القائم بهذا العمل البغيض. وصورة الغيبة والنميمة التي اثارها خيال أبي طالب توحى باثم مشركي قريش بمعاداتهم للإسلام، وارتكابهم الخطأ الشنيع بحقه، ويعلل ابوطالب هذا الأمر إلى ضعف عقولهم الذي ابعدهم عن الصواب، فاتحفنا بصورة كنائية أخرى في القصيدة نفسها :

{من الطويل}

لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ وَجِنْتُمْ بِأَمْرِ مُخْطِيٍّ لِّلْمَفَاصِلِ

(57)

كنى أبو طالب بموجز العبارة «وجنتم بأمرٍ مُخْطِيٍّ للمفاصل» لمن اخطأ الرشد، وهو يصور مشهد قاطع اللحم الذي يبدأ بالمفصل فإن لم يصب خطأ وافسد؛ لأن حزَّ المفصل يحتاج الى معرفة ودراية بالجزر، ولذلك ضرب العرب المثل بمن لا يجيد معالجة الأمور «انك لتخطيء الحز وتخط

ئ المفصل(58)»، فدلالة الصورة الكنائية بليغة؛ لبعدها عن التصريح في استتار المعنى الذي لا يستساغ في الأذان بعبارة مكثفة متساوقة مع الذوق الرفيع. وقد تجنح الصورة الكنائية الى بيان حركات معينة لتدل على موقف نفسي مثل كنايات الندم والحسرة والغیظ والحقد، فيلمح بها إلى عضو الوجه؛ للتعبير عن الانفعال النفسي ايا كان نوعه، وقد يشاركه اعضاء الجسم الأخرى مثل: اليد والاسنان والقلب في الايحاء؛ لتعبر عن حالات الانفعال الانساني على نحو ما وجد أبو طالب سبيله في الكناية عن الندم في الصورة التي يُرْعَبُ بها قريش؛ لاعتناق الدين الإسلامي، فقال في القصيدة الميمية:

{من الطويل}

نَبِيٌّ أَتَى بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَمَنْ قَالَ: لَا، يَقْرَعُ بِهَا سِنَّ نَادِمٍ

(59)

استعمل أبو طالب التعبير «سن نادم» كناية عن الحسرة التي تملأ نفوس قريش اسفا إذا هم رفضوا دعوة رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد تقديمه دليل نبوته، فهو نبي نزل الوحي عليه من عند ربه، ومن دواعي الندم عض الأصابع بالأسنان، ويلجأ المرء إلى هذا التصرف عندما يكون في حال صراع مع نفسه.

وقد يعطي الأسلوب الكناني صورة فنية تدل على الحقد والبغض على نحو ما نجده في خطاب أبي طالب لقريش عندما تحالفوا مع المتهمين في عداوتهم للإسلام ضد من ساند رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قومه، فهم حاقدون عليهم، ولكنهم عاجزون عن حريهم، فقال أبو طالب في القصيدة

اللامية :

{من الطويل}

يَعْضُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ) وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظْنَّةَ

(٦٠)

الصورة مفعمة في الدلالة النفسية لتصوير مشهد عض الأنامل كناية عن الحقد والعداوة المستوحاة من التعبير القرآني، وقد اكتسب الشاعر اللفظ «غَيْظًا» الكناية فعل قوة، وأزرها تكرار المعنى، فالصورة تخرج من أنها أسلوب كناني عن الحقد والغضب إلى معنى آخر، وهو شدة الحقد والغضب في توكيد المعنى الذي عبر عنه بعض الأصابع وما يتبعه من حالة الغضب احتقان الوجه وتغيير لونه في الكيفية التي يتخيلها المتلقي.

وتبرز صورة الحالة النفسية لمعارضى الدعوة الإسلامية بشكل واضح أكثر من سابقتها في الصورة الكنائية التي خاطب فيها أبو طالب أبا جهل فقال:

{من الكامل}

صدق ابنُ أمانة النبيِّ محمدًا فتميّزوا غَيْظًا به وتقطّعوا)

61)

يجد أبو طالب في الصورة الكنائية «تميّزوا غَيْظًا» أسلوباً فنياً مستثمراً من التعبير القرآني «تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ»...

62) فكنتى عن حقد الذين لم يؤمنوا بصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبغضهم له، فيشتد حقدهم في نفوسهم، ويعاضد المعنى لفظ «تقطّعوا» للدلالة على امتلاء النفس بالحقد والبغض الكبيرين، وكأنهما يقطعانهم أوصالاً، لشدة توترهم النفسي وهذه صورة جديدة تكشف طوايا النفس الذميمة. وينقل أبو طالب صور نفسية تحمل شعور الحقد الذي يكنه المرء بداخله في عرقاة العظم، فرسم

المنظر الكناني النفسي وهو يعاتب مطعم بن عدي في القصيدة اللامية، فقال:

{من الطويل}

تُخَبِّرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ شَفِيقٌ وَتُخْفِي عَارِقَاتِ الدَّوَاخِلِ)

63)

أورد الشاعر عبارة «عارقات الدواخل» كناية عن نسبة النيات الخبيثات المضمرة في القلب، ليجعلها

دليلاً على حقد صاحبها الذي

لا مناص له من مفارقتها؛ لأن الحقد متأصل في صميم عرقة العظم، وهو يقوي خبر كذب مطعم في ادعائه النصح والرافة، والصورة توحى بسخرية الشاعر واستهزائه بالتناقض النفسي الذي يتحلّى به مطعم؛ لأن ظاهره غير باطنه، فحققت الصورة الكنائية للمتلقى متعة كشف المعنى المستتر، فشارك الشاعر في متعته بتجربته الشعرية.



الاستعارة:

وتعمل الاستعارة على تجسيم الأشياء وتشخيصها، وخلق صورة خيالية باستعارة شيء لشيء آخر ليس من طبعه؛ لتقرب المعنى إلى ذهن السامع وتثير خياله، فيأنس بها، والاستعارة «ما اكتفى فيها بالاسم المستعار في الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما اعراض عن الآخر»

(64) فتكتسب الاستعارة النص قوة وفاعلية من خلال السياق العام الذي ولدت فيه حيث تتأزر العلاقات اللغوية.

ويقوم التعبير الاستعاري على التشبيه؛ ولذلك عد التشبيه هو الأساس والاستعارة فرع له، فأنت «تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّيه عليه»

65).

والاستعارة قائمة على خرق النظام اللغوي المؤلف، فتخرج الألفاظ من دلالاتها الوضعية، أو المعجّمة إلى دلالات ايحانية تتسم بالجمال الفني، والابتكار الصوري، وتستوعب أفكار مبدعها ومشاعره وانفعاله، فتحدث أثرا في نفوس سامعيها بشتى المشاعر، وبمختلف الانفعالات، فتحرك وجدانهم بروعة ابداعها؛ لأنها تُنسيهم واقعية الأشياء ببراعة التصوير الذي يعتمد على قدرة المبدع في اظهار القيمة الجمالية لها، بخلق وجود جديد للعبارة يثمر دلالة جديدة تتجاوز المدلول اللغوي الوضعي الأول لها، ويتوسع مداليلها، وبسحر عالم الخيال فيها

وفي نظرة فاحصة في شعر أبي طالب

(66) نجدّه يرتقي بالصورة التي رسمها؛ ليمنحها الحياة والحركة المتجددة وهو يعبر عن المعنى الحسي المتخيل، أو المعنى الذهني، أو الحال النفسية، فيضحى المعنى الحسي مشهدا منظورا، والمعنى الذهني حياة وحركة، والحالة النفسية لوحة فنية متخيلة، تبعا لتجربته الشعرية، ولخصوبة خياله، وتمكنه من ملكاته اللغوية التي توحى مداليلها بطاقات ايحانية تشد المتلقى للصورة وتثير انفعاله في تجاوبه معها.

ومن انواع الصورة الاستعارية، الصورة الحسية التي يخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) (ويسكن

جأشه، ويطلب منه اظهار دعوته، فقال:

{من البسيط}

لايَمْنَعُكَ من حقّ تقوم به إِبْرَاقُ أَيْدٍ ولا إِرْعَادُ أصوات)

67)

حث أبو طالب في هذه الصورة الاستعارية ابن أخيه بان لا يتورع عن بذل الحق الذي يناصره، ولا يعبأ بمن يعارضه بيده وبقوله، فرسم خياله صورتين: الأولى، «إبراق أيدٍ»، والثانية، «إرعاد أصوات» وفي كلتا الصورتين حذف الشاعر صورة المشبه: الرعد، وصرح بلازمتين من لوازمه وهما: البرق وصوته، وكلاهما محقق تحقيقاً حسياً، اتحدتا فيهما دلالة جامعة، وهي عدم الفائدة لفراغهما؛ لأن البرق لا يعقبه المطر مثلما حركة اليد التي لا تعقبها صولة، وكذا الرعد الذي لا يعقبه صاعقة مثل الصوت الذي لا يعقبه عمل، فجميعهم لاطائل من ورائهم، والقرينة المانعة لإيراد المعنى الحقيقي في الصورة الأولى اليد، وفي الصورة الثانية القول، فالبرق لا يكون يداً كما ان الرعد لا يكون قولاً، وقد اجتاز اللفظان: (إبراق وإرعاد) الواقع الحقيقي وارتقيا إلى طباع الانسان في الحركة والهيئة، بصورة مؤثرة توحى بالغضب والضجيج من فعل انواء الجو وتمثلها الواضح لموقف المعارضين لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله). (

ونظير هذا النوع من الصور الاستعارية ما ورد في سياق الفخر فقال أبوطالب:

{من الطويل}

وَنَحْمِي جِماها كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجارِها مَنْ يَرُومُها)

68)

صَوَّرَ أبوطالب فخره الجماعي في الحرب بدفاعهم عن مكة بحصونها،

ومعاقلتها، واحجارها: أراد بيوتها ومساكنها، فقد طوى الشاعر صورة المشبه وهي البيوت وترك شيئا يدل عليها وهي الاحجار فصرح بها، وكلا الطرفين محقق تحقيقاً حسياً، اتحدتا فيهما دلالة جامعة وهي الحماية والدفاع، فأنتت الصورة الاستعارية متفاعلة مع زهو الشاعر في فخره الجماعي. وقد تشترك الصورة الحسية مع الصورة العقلية في أن معا، على نحو ما تتمثله الحكمة في احتمال

الانسان الصبر احتساباً لله، فيكون عمله هذا سبيلاً لفرج الله تعالى، فقال أبو طالب:

{من البسيط}

فما تجرّع كأسَ الصبرِ معتصمٌ باللهِ إلا أتاهُ اللهُ بالفَرَجِ)

69)

إنَّ صورة من يتجرّع الدواء انما تماثل صورة من يتجرّع الألم صبيرا حيث يجد المرء مرارة في قبول الاثنين، وقد اختزل الشاعر صورة المشبه وهو الانسان وترك أثرا من اثاره يدل عليه، وهو الكأس الذي يشرب به الدواء، والقريئة الجامعة حال من يشرب الدواء بالكاس بدلالة لفظ «تجرّع» الذي يحتقن في البلعوم وهلة، بحال الصابر الذي يتجرّع الألم ايا كان نوعه وهلة، وقد أخذ الشاعر المستعار منه إحدى أدواته و اضاف الصبر إليه رعاية لمزيد من البيان، وافراطا في تحصيل البلاغة، وجعل ما ليس محسوسا بمحسوس فشبّه المحسوس بشيء آخر معنوي حتى غدا المعنوي جزءا من عوالم الحس يذوقه اللسان ويحس طعمه ببراعة خيال الشاعر التي زين الصورة وقوى ايحانها. وتضارع هذه الصورة صورة وصف أبي طالب للأيام المجدية على الناس في سياق الفخر بكرم قومه،

فقال في القصيدة الميمية:

{من المتقارب}

نَشَانَا فَكُنَّا قَلِيلًا بِهَا نُجِيرُ وَكُنَّا بِهَا نَطْعُمُ
إِذَا عَضَّ أَرْؤُ السِّنِينَ الْأَنَامَ وَحَبَّ الْقَتَارِ بِهَا الْمُعْدِمُ

70)

استعار الشاعر لفظ «عض» وهو أمر محقق تحقيقا حسيا، من مستلزمات الانسان والحيوان إلى شدان السنين وهو أمر محقق تحقيقا عقليا، والقريئة الجامعة لهما تدل على الانقراض بالغم والفقر في تصوير بليغ يشد انتباه السامع بتخيل الصورة فيجعله يتعافل عما يتضمنه الكلام من تشبيه مستتر بقوة تأثيرها.

ومما تقدم يتبين: ان الصورة البيانية في شعر أبي طالب اقتضتها الموهبة الأدبية، والفكر العميق والخيال الواسع، والقدرة الابداعية على توليد المعاني وتوليفها واتساعها التي لها اثرها البليغ في التصوير.

فالتشبيه وسيلة الشاعر لتوضيح معالم الصورة، وتقريبها إلى الأذهان، وامتناع نفوس السامعين بارتقانها إلى الخيال.

والكناية لغة التعبير غير المباشرة التي تمنح الصورة التهذيب واللطافة والياقة في تصوير الاشياء. والاستعارة فرع على التشبيه بيد أنها أشد وقعا في النفس؛ لانارتها الخيال الجامح بما توحيه من قوة التمثيل المتأتية من اللفظ في اغفال المشبه، وتخيل صورة جديدة، وابتكار المعاني في القدرة على تجسيد الافكار، والمشاعر بصورة مألوفة حسية.

(

(1) ظ: الشعر الجاهلي: ٨٤ - ٨٦ .

(

(2) ظ: انساب الاشراف: ٥٨/١، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٣-٧٤، ٧٥، ٨٣، ٨٩ .

(

(3) ظ: ديوان امرئ القيس: ٢٠٠، استعمل امرؤ القيس هذه الصورة في رثاء جماعة من قومه قد اصابوا على يد اتباع الملك المنذر حسدا لهم، ظ: ديوان النابغة الذبياني: ٤٢ - ٤٣، استعمل النابغة هذه الصورة في مديح قوم عمرو بن الحارث بن الاعرج.

(

(4) الديوان: ١٢٧، الكهول: الرجال، القماقم: مفردتها القماقم وهو السيد.

(

(5) ظ: الديوان: ٢١٢ .

(

(6) م.ن: ٢١٢ .

(

(7) الديوان: ١١٢ .

(

(8) الديوان : ١٠٣ .

(

(9) م.ن: ١٢٤ .

(

(10) ظ: م.ن: ١٩٨، ٣٣١، ٣٣٣ .

(

(11) الديوان: ٩٧، كسوف القحط: شدته.

(

(12) خزانة الأدب: ٤ / ٢٤٥ .

(

(13) الانعام / ١٥٢ .

(

(14) ظ: الديوان: ٧٣ - ٧٥ .

(

(15) م.ن: ٨٠، يغيض: ينقص، الشاهد: اللسان.

(

(16) الانعام / ٧٠، يونس / ٤ .

(

(17) ظ: الديوان: ٢١٨ - ٢١٩ .

(

(18) م.ن ٣٤٣، البيت في المستدرك تابع للقصيد الميمية ظ: م.ن: ٢١٨ - ٢١٩ .

(

(19) ظ: الديوان: ١٨٦ .

(

(20) م.ن: ١٨٧ .

(

(21) مجمع الامثال: ٩٩/١ .

(

(22) ظ: الديوان: ٩٢ .

(

(23) الديوان : ٩٢، قال أبو هفان: «قالوا أراد الأسود بن عبد الغزى، وقالوا أراد الليل، وقالوا: أراد الحَجْر الأسود، أي لو تكلم لأنبأ بفضلنا»، م.ن: ٩٢، وقال السهيلي: «أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلاً»، الرّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٦/٢، لم نعثر على المثل في كتب الأمثال، ظ: جمهرة الأمثال، فصل المقال في شرح كتب الأمثال، مجمع الأمثال، المستقصى في أمثال العرب.

(

(24) لانعدم في الصورة الحقيقية من وجود تعابير فنية ذات قيمة جمالية بدرجة تقترب من جمال الصورة المجازية، في الوقت نفسه قد تفتقر الصور المجازية الى التأثير كما نلاحظ في الصور التشبيهية التقريرية في شعر أبي طالب، ظ: الديوان: ٧١، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨٣، ١٠٩، ١٠١، ١١١، ١٢٤، ٢٤٤، ٣٣١، ٣٣٣،

٣٣٤ .

(

(25) الايضاح في علوم البلاغة: ٢ / ٣٢٨ .

(

(26) ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، 98، 102، 104، 107، 108، 109، 101، 112، 115، 116، 119، 121، 124، 127، 130، 133، 150، 172، 184، 223، 235، 241، 244، 246، 259، 331، 333، 334، 335، 344، 336

(

(27)الديوان: ٧١ .

(

(28)م.ن. 130 :

(

(29)م.ن. : ١١٥ .

(

(30)الديوان: ٢٤٤ .

(

(31)ظ: اسرار البلاغة في علم البيان: ١٠٢ - ١٠٣ .

(

(32)الديوان: ١٠٤ .

(

(33)م.ن. : ١٢٧ .

(

(34)الديوان. 98 :

(

(35)الفرق بين التشبيه الخيالي والتشبيه الوهمي «هو ان الخيال أكثر ما يكون في الأمور المحسوسة فأما الأمور الوهمية فانما تكون في المحسوسة وغير المحسوسة مما يكون حاصلًا في التوهم وداخلًا فيه»،

الطراز: ٢٧٣/١ .

(

(36)ظ: التصوير البياني: ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(

(37)دلائل الاعجاز: ٦٦ .

(

(38)ظ:م.ن. : ٧١ .

(

(39)ظ: الديوان: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ٨١، ٨٣، ٨٩، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٥، ٩6،

97، 101، 102، 103، 104، 107، 114، 113، 115، 117، 116، 118، 122، 126، 124،

131، 134، 149، 164، 169، 177، 180، 184، 205، 106، 221، 231، 235، 240، 241،

246، 329، 330، 331 . 335

(

(40)م.ن. : ٩٠، وصدر البيت غير مستقيم.

(

(41)الديوان : ٢٠٦ .

(

(42م.ن. 139 :

(

(43)الرؤوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٥/٢ .

(

(44)خزانة الأدب: ٢٤٥/٤، الزواهق: مفرداها زاهقة وهي السمينة، زُهم: كثيرات الشحم، البهازر: مفرداها البُهْزرة، وهي الناقة العظيمة، سوق: مفرداها ساق.

(

(45)الديوان: ٩٠، صدر البيت غير مستقيم.

(

(46)ظ: الاصمعيات: (ديد بن الصمة): ١٠٨، ديوان الاعشى الكبير: ٧٥، ١٤٧، ديوان الخنساء: ٣٥١.

(

(47)الديوان: ٩١ .

(

(48)م.ن: ٨٥ .

(

(49)الديوان: ١١٥، أمرًا: أحكما وشدا، الكرب: حُبيل يصل رشاء الدلو بالخشبة المعترضة عليها.

(

(50)م.ن: ٩٧ .

(

(51)الديوان: ١٢٢ .

(

(52)ظ:م.ن : ٣٣١

(

(53)الديوان. 330 :

(

(54)الديوان: ٨٢، نظمت القصيدة في حصار الشَّعب، في السنة السادسة من البعثة ولابد من ان أباطالب تشرب بالتعاليم الإسلامية، إذ ورد مفهوم الغيبة على وفق تلك التعاليم.

(

(55)الديوان. 184 :

(

(56)م.ن: ٧٥ .

(

(57)الديوان: ٨١ .

(

(58) مجمع الامثال: ٥٧/١.

(

(59) الديوان: ٢٢٨

(

(60) الديوان: ٧٠.

(

(61) الديوان. 339 :

(

(62) الملك/ ٨ .

(

(63) الديوان: ٧٩ .

(

(64) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١، اخترنا هذا التعريف من كتاب الوساطة من دون غيره من كتب البلاغة، لانه جامع لتقنيات التعبير الاستعاري.

(

(65) دلائل الاعجاز: ٦٧ .

(

(66) ظ: الديوان: ٧٠، ٧٥، ٨٧، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٦، ١٣٦، ١٧٥، ١٧٧، ٢٠٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٣.

(

(67) الديوان: ٢٠٨ .

(

(68) الديوان. 114 :

(

(69) م.ن: ٣٣١ .

(

(70) الديوان: ٩٤، القطار: ربح الشواء والطبخ.

الخاتمة

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليها بما يأتي:

● كانت الدعوة الإسلامية ممثلة بنبوّة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) داعياً من دواعي قول الشعر عند أبي طالب، فقد شغلته الدعوة وصاحبها، فدافع عنها بشعره، وكان شعره في الإسلام يفوق شعره في الجاهلية في عدد القصائد والمقطعات، فبزوغ نور الإسلام أتاح لنجم أبي طالب الظهور بحكم الظروف الجديدة التي رافقت الجهر بالدعوة، التي تصدى لها المعارضون من مشركي قريش، فزودته بقوة شاعرية، وانفجرت قريحته الشعرية مع مجريات الحوادث اليومية الملازمة لنشر الدعوة.

● إنَّ اندماج مرحلتي قبل الإسلام وبعده جعلت ابن سلام يشعر بعدم وجود فوارق ملموسة بين المرحلتين، فصنّف ابن سلام أبا طالب مع شعراء مكة ضمن طبقة الشعراء الجاهليين، ولابن سلام عذره؛ لأن زمن البعثة كان مرحلة انتقالية لم تتبلور الظواهر الأدبية الإسلامية الجديدة فيها.

● كان شعر أبي طالب يمثل روح الإسلام حقاً على الرغم من حداثة الدعوة، وهذا ينم عن إيمان عميق تجسد في هذا الشعر في قصائد أسست على نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانبثت منها قيم أخلاقية من وعظ وارشاد وتوجيه ونصح إلى آخره، في ابداع فني حمل مبدأ الالتزام، وهدفه اصلاح افكار مشركي قريش من الدعوة الإسلامية، فحركة شعره لها وشيجة قوية بالمجتمع الإسلامي الجديد الذي ينشد فيه قيماً خيرة اكسبت شعره الإسلامي صفة الالتزام الذي يتبين في التمهيد.

● في توثيق شعره استدركت على الديوان بواحد وستين بيتاً ومشطوراً في اثناء بحثي وتنقيبي عن أشعاره من مصادر شعره التي حفلت بها المظان.

● في ظاهرة الوضع التي أثارها ابن هشام وابن سلام في اشارتهما لم تكن في شعره، وإنما في مطولته اللامية فحسب، اما في شأن ظاهرة الوضع والنحل فيما رده بلاشير وبروكلمان وشايعهما بعض الكتاب العرب أمثال: محمد كيلاني، والنجار، فقد كشف البحث النقاب عن ضعف ارائهم لاستنادهم الى افتراضات عقلية، وليس الى دليل نقلي.

● حفل شعر أبي طالب بالفنون الشعرية: الرثاء، والفخر، والمديح، فالرثاء من الفنون الشعرية التي طرقها أبو طالب قبل الإسلام، وتحمل معاني موروثة، ومعاني جديدة غير معهودة عند غيره من الشعراء التي هي من

نتاج البيئة الدينية للشاعر منها: معاني الاستسقاء بعبد المطلب، وبكاء بيت الله الحرام والحجر والمدار لأبي أمية بن المغيرة - خاله - إلى آخره مما أفصح عنه البحث.

شمل التطور في موضوعي: شعر الفخر والحماسة الدالين على تأثرهما في الدعوة الإسلامية وإن كان اصلاهما واضحين في الشعر العربي قبل الإسلام، فأشاد أبو طالب ببلائه وجهاده بنفسه وأولاده وأخوته وأبناء عشيرته من بني هاشم، وعبدالمطلب فداءً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولدعوته الدينية، فاكتمسى فخر أبي طالب صبغةً إسلامية تتجلى في فكرة الجهاد في سبيل رسول الله ودعوته التي تفترق عن فكرة الشاعر قبل الإسلام الذي يفخر بالثأر والانتقام للقبيلة، فنشوء فكرة الجهاد وجدت جذورها في شعر أبي طالب؛ لأنه أول ناصر لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

● المديح من الموضوعات التي أصابها التطور فاكسبها الإسلام معاني جديدة فمديح أبي طالب ملازم

لشخصية الرسول الكريم الممثل للدين الإسلامي، لا يتجزأ عن الدعوة التي جاء بها، وهو جزء من اعلام التزام الشاعر بالعقيدة الإسلامية، فيعد شعره في الرسول (صلى الله عليه وآله) اللبنة الأولى في

بناء المدائح النبوية التي ظهرت فيما بعد، فقد نظمها في زمن البعثة الشريفة، قبل الهجرة أي قبل

غيره من شعراء الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن ثمة يمثل مديحه في قصائد النصر الجذور

الأولى لنشوء المديح الإسلامي السياسي في مديح امام المسلمين بوصفه خليفة رسول الله والقائم

على تولي أمور المسلمين.

● يعد أبو طالب أول من نظم في شعر العقيدة الإسلامية، فكان شعره البداية الحقيقية لنشأته فيما بعد،

فاحتل هذا النمط الموضوعي مكانا كبيرا في شعره وقد برز فيه التأثير الإسلامي في الفاظه ومعانيه

وافكاره ومضامينه، فحفل بما هو جديد في ظل الحياة الدينية الإسلامية الجديدة، وكان إيمانه إضافة

معنوية جعلته رجلا حاميا ومؤازرا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) واعلاميا معبراً عن عقيدة الإسلام

في شعره؛ لاستقطاب عشيرته وأخوانه وأبنائه، ودعوتهم للوقوف إلى جانب صاحب الرسالة وتأييده

ونصرته، متوسلا أساليب الكلام في الدعوة إلى التوحيد والتصديق، وما يتبعه من التصديق إلى بيان

معاجز الرسول الكريم ونصرته، وما ينصرف من النصر إلى الحث على الصبر والنصيحة والوصية،

والموضوعات المتفرعة من شعر العقيدة جميعها تدل على عطاء أبي طالب الإيماني المتدفق في

رعاية الإسلام.

● وفي موضوعات العتاب والتحذير والتهديد والوعيد يمكن تأصيل ظاهرة العتاب الأخواني في شعر

أبي طالب لأخيه أبي لهب وللشخصيات المترعمة في المجتمع القرشي الذين هم اكفأوه، فقد استند

أبو طالب في عتابه إلى القيم الاجتماعية المتأزرة مع القيم الإسلامية في مخالفة المعارضين من

قريش وتطبيق قانون الحماية، واجهد أبو طالب نفسه وهو يسعى إلى ادامة الود وصلة الرحم بينه

وبين ابناء قبيلته ونبذ الخلاف والجنوح تحت راية الإسلام، وهذه الروابط التي تربط الشاعر بقبيلته

لم

تطف من خلال الصراع الفكري فحسب؛ بل في حالات العتب أيضاً.

●

ومن جديد موضوعي: التهديد والوعيد انهما يحملان قيماً اجتماعيةً إسلاميةً لحماية رسول الله والتصدي للمناهضين للدعوة الإسلامية من قبيلة أبي طالب في تهديدهم ووعيدهم، وهذا الأمر لم يكن يصدر من عربي يرى الولاء للقبيلة أهم شيء، لولا التحول الفكري الذي جعل ولاء الشاعر للإسلام يفيض بهذه المواقف في شعره.

● وكان أبو طالب يهجو قومه من دون ان يعبأ برابطة النسب، فكان مدفوعاً بإيمانه للإسلام، فتغلب

الإسلام في هجائه على وشيخة النسب، وهذا يتنافى مع قوانين القبيلة في الاتحاد والاخلاص

والتعاون، ولكن ما كان أبو طالب يشن هجومه في شعره على قومه إلا لإنتقام اتحاد القوم مع بني

عمومتهم من بني هاشم وعبد المطلب، فنعتهم بالخصال الذميمة، وفي هجائه يعيرهم ببعض المعاني

الإسلامية من كفر وضلال وعقوق وأثم وهذا ما أفرزته الدعوة من معاني الهجاء الإسلامي.

● من المحقق أن شعر أبي طالب أصابه التطوير والتغيير، فإذا انصرف جزء منه إلى معاني ومباني

قبل الإسلام فإن كثيراً من المعاني والمباني الإسلامية استطاعت أن تقفز بالقصيدة العربية إلى طور

جديد يمكن ان يعد ظاهرة أدبية في تأصيل فن شعري لاحق.

●

سعى أبو طالب في البناء الفني للقصيدة - بجانب التقليد - إلى التطوير، فقد كانت المقدمة ثمرة نتاج المضامين الإسلامية بزياداتها الفنية، ولاسيما في مقدمتي وصف الهموم والشكوى.

● التزم أبو طالب نمطاً فنياً جديداً في بناء القصائد ذات المقدمات والقصائد المباشرة لم يكن معهوداً

من قبله في قصيدة المديح المتزاوجة مع موضوع نصرته رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بناء

القصيدة الإسلامية، فقد تشكلت في موضوعات مركبة متفرعة من الموضوع الرئيس في بناء محكم

ومتلاحم، عالجت موضوعات إسلامية.

● أبو طالب من الرجاز الذين سعوا إلى تطويل أراجيزه التي بلغ فيها النضج الفني في اتقان الإداء،

وجمال الأسلوب، وجودة الصياغة، وبراعة الصور في محاولة فنية جادة لتطوير بنائها، وفي الأعمام

يعد بناء قصائد أبي طالب نهضة فنية في تطوير القصيدة من الجاهلية إلى الإسلام.

● كانت لغة أبي طالب الشعرية صافية خالية من حوشي الكلام وغريبه، شأنها شأن الشعر القرشي،

وقد كانت موضوعات الشعر الإسلامي سبباً في وضوح هذه اللغة.

● انمازت قصائده بنزعة خطابية في رسائل شعرية، شكّلت في سياقات فنية تسعى لإيصال فكرة موجزة هدفها الإقناع والقبول لتؤدي وظيفة أخلاقية اجتماعية في حماية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونصرته.

● برز أثر الإسلام في شعره في الاقتباس من آيات التنزيل، واستعماله سبلاً من المفردات الدينية التي جاء بها الإسلام والمواكبة لحركة تطور الحياة الجديدة، فأعطى اللغة سمة بارزة في البنية الشعرية، فأكسبها طابعاً إسلامياً.

● وفي الإيقاع تتكون عملية بناء هندسة القصيدة من الوزن والقافية اللذين يحتويها البيت الشعري، فقد سائر أبو طالب الشعراء السابقين له والمعاصرين في هذا الجانب، فلم يتميز عنهم في شيء.

● وفي الصورة الشعرية، تابع أبو طالب أسلافه في رسم صورة، واستمد بعضها من الحياة الدينية الجديدة التي رسمت صوراً حية لواقع حياة الإسلام المتشكلة في صور بيانية -التشبيه والكناية والاستعارة.

فانمازت الصورة التشبيهية بالوضوح والابانة في تصوير العوالم الحسية وقد تتزاج الصورة الحسية مع الصورة المعنوية فتمنح الصورة الكلية ثراءً إيحائياً.

● وتتمتع الصورة الكنائية بركة الفكرة المطروقة، وسمو العبارة المنظومة المتأتية من ترابط نسيجها في سياق النص.

● وتمنح الصورة الاستعارية عطاءً فنياً غنياً بالإيحاء والخيال ولا سيما الصورة العقلية، ففتوسع مداليلها في التعبير الموجز.

نسأل الحق تبارك وتعالى قبول صالح أعمالنا إنه غني عن العباد حميدٌ مجيدٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى

آله المنتجبين وأصحابه الميامين.

ملاحق

ملحق رقم (١١)

1

- إرشاد الهارب من صحة إيمان الأقارب، (إيمان آباء الرسول (صلى الله عليه وآله) وعمه أبي طالب) - الصنعاني (هاشم بن يحيى بن احمد الحسيني الشامي ت ١١٥٨هـ)، تحقيق: عباس حميد كريم الزبيدي، الغدير، ايران - قم، ٢٠٠٣م، (ص: ٢٥) - (30)

2

- أمالي الصدوق - (ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)، الحيدرية، النجف، 1389هـ - ١٩٧٠م، (ص: ٥٥٠) - (551)

3

- أوائل المقالات - الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري ت ٤١٣هـ)، دار المفيد، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٤)، ط٢، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - 1993م، (ص: ٤٥) - (46)

4

- إيمان أبي طالب (عليه السلام) من مصادر علماء السنة - عبد الحلیم حاتم مرزوة، محاضرة القيت في مجلس آل مرزوة الأدبي في النجف الأشرف بتاريخ: ٢٥ رمضان لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مطبوعة.

5

- بحار الأنوار - المجلسي (محمد باقر ت ١١١١هـ) تعليق: جواد العلوي ومحمد الأخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت)، (ج: ٣٥)، ص: ٧٢ - (182)

6

- بلوغ المآرب في نجات آبائه (صلى الله عليه وآله) وعمه أبي طالب - سلمان الأزهرى الشافعي (ت ١٢٠٤هـ) تحقيق: سامي الغريزي، زهراء اكادمي، مطبعة سيد الشهداء - ايران، ١٤٢١هـ.

7

- تذكرة الخواص - ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف شمس الدين ت ٦٥٤هـ) ط٢، العلمية، النجف، ١٣٦٩هـ، (ص: ١٠) - (11)

8

- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة - الحسيني (صدرالدين علي خان المدني ت ١١٢٠هـ)، الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، (ص: ٤١) - (69)

9

- سيد البطحاء أبو طالب - المجمع العلمي لأهل البيت، مكتبة الامام الشيرازي العالمية، بيروت - لبنان، (د.ت).

10

- سيد البطحاء أبو طالب كافل رسوله الله (صلى الله عليه وآله) وناصره - عبد الرحيم الموسوي، المجمع العلمي لاهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ - 2001م.

11

- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م، ج: ١٤، ص: ٥٢). - (84)
12

- شيخ الأبطح أبو طالب - محمد علي شرف الدين الموسوي، دار السلام، بغداد، ١٣٤٩هـ.
13

- أبو طالب الرجل المفترى عليه - عقيل الخطيب، التعارف، بيروت - لبنان، 1419هـ - 1999م.
14

- أبو طالب سيد المؤمنين - عبد الحليم مرزعة، الفياض، النجف، 1425هـ - ٢٠٠٤م.
15- أبو طالب شيخ البطحاء - حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ والارشاد، سرور، ايران

- قم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

16- أبو طالب بن عبد المطلب (عليه السلام) - حسين جواد الكديمي، اسعد، بغداد، (د.ت.).

17- أبو طالب في إيمانه وإخلاصه للرسالة (بحث) - عماد سرور، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق،

العدد: ٩٢، السنة التاسعة عشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (ص: ١٢٣ - ١٣٣).

18- أبو طالب مؤمن قريش - الشيخ حيدر محمود الكنعاني، (د.ت.).

19- أبو طالب مؤمن قريش (بحث) - المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية في مجلة

المعارج، المجلد الخامس، السنة السابعة

، (الاعداد: ٢٤ - ٢٧، ١٤١٧هـ - 1996م) (ص: ٣٢٣ - ٣٣٥).

20- أبو طالب مع الرسول - أ.م، مغنية، دار الكتاب اللبناني، الحوادث، بيروت، (د.ت.).

21- علي بين أمه وأبيه - مجيد الصايغ، الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ - 2001م

(ص: ٢٢٧ - ٣٨٢).

22- علي بن أبي طالب من المهد إلى اللحد - محمد كاظم القزويني، الاداب، النجف، 1387هـ -

١٩٦٧م، (ص: ٣٥).

39).

23- العمدة - ابن

البطريق) يحيى بن الحسن الحلبي ت ٦٠٠هـ، (طبعة حجرية، ايران، ١٣٠٩هـ، ص: ٢١٤ - ٢١٦).
24- الغدير في الكتاب والسنة والأدب - الأمين، (عبد الحسين

بن أحمد ت ١٣٩٠هـ)، الزهراء، النجف، ٣٦٩هـ (ج: ٧، ص: ٣٣٠ - ١٤٠، ج: ٨، ص: ٣ - ٢٩).
25- الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد - الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق:

علي مير شريف، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٢)، ط٢، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - 1993م

(ص: ٢٨٢ - ٢٨٨).

26- قيسات من حياة عبد مناف أبي طالب - جواد كاظم القزاز الموسوي، مكتبة الحسن، 1421هـ -

٢٠٠٠م

27- ليالي بيشاور - محمد

سلطان العلماء الشيرازي (ت1391هـ)، تعريب وتحقيق: حسين الموسوي، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ،
(ص: ٩٠١ - ٩١٥).
28- مظلومية أبي طالب - علاء المالكي، الضياء، النجف، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

29- معاني الاخ

بار - الصدوق، الحيدرية، النجف، 1391هـ - ١٩٧١م، (ص 271 :- ٢٧٢).
30- المواجهة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) - أحمد حسين يعقوب، فروردين، مركز الغدير

للدراستات الإسلامية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (ص: ١٥ - ٥٣).

31- نيل المطالب في مظلومية أبي طالب

- علي عفراوي الطرقي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

ملحق رقم)

2)

المستدرك على الديوان

« *التاء* »

(1)

التخريج:

مناقب آل أبي طالب: ٩١/٢ ، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١٣٢/١ ، مواهب الوهاب في فضائل
والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٨ .
انشد أبو طالب في مولد ابنه علي (عليه السلام):

{من الرجز}

١ - اطوف للاله حول البيت

٢ - ادعوك بالرغبة محي الميـت

٣ - ب

أن تريني السبـط قبل الموت

٤ - اغرُ نوراً يعظيم الصـوت

٥ - منصلتاً (١) بقتل أهل الجبـت

٦ - وكل من دان بـيوم السبـت (٢)

« *الراء* »

(2)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٩١/٢

- 92 دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١٣٢/١ - ١٣٣ ، مواهب الوهاب في فضائل والد أمير المؤمنين
أبي طالب: ٧٩
انشد أبو طالب عن صدق رؤياه بالبشارة بمولد ابنه علي (عليه السلام):

{من الرجز}

- ١ - قد صدقت رؤياك بالتعبير
 - ٢ - ولست بالمرتاب في الأمور
 - ٣ - أدعوك رب البيت والنذور
 - ٤ -
- دعاء عبد مخلص فقير
- ٥ - فأعطني ياخالقي سروري
 - ٦ - بالولد الحلال المذكور (٣)
 - ٧ - يكون للمبعوث كالوزير
 - ٨ - يا لهما يا لهما من نور
 - ٩ - قد طلعا من هاشم البدور
 - ١٠ - في فلك عال على البحور
 - ١١ - فيطحن الأرض على الكرور
 - ١٢ - طحن الرحي للحب بالتدوير
 - ١٣ - ان قريشا بات بالتكبير
 - ١٤ - منهوكة (٤) بالغي والثبور
 - ١٥ - وما لها من موندل (٥) مجير
 - ١٦ - من بسيفه المنتقم المبير (٦)
 - ١٧ - وصفوة الناموس في السفير
 - ١٨ - حسامه الخاطف للكفور (٧) (٨)

«*السين*»

(3)

التخريج: البدء والتاريخ : ١٣٤/٤

قال أبو طالب في علامات النبوة التي رآها الراهب بحيرا وتلميذة عُداس في ابن أخيه وهو صغير عندما كان بصحبته في رحلته إلى الشام :
{من البسيط}

١ - ألم يكن لقريش آية عجبٌ فيما يقولُ بحيراءُ وعُداس)

(٩
« *الفاء* »

(4)

التخريج:

مناقب آل أبي طالب: ٩١/٢ ، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١٣٢/١ ، مواهب الوهاب في فضائل
والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩
قال أبو طالب في مولد ابنه أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

{من الرجز }

١ - أدعوك ر

بِ البيتِ والطوافِ
٢ - والوالد المحبِّو (١٠) بالعفافِ

٣ - تعينني بالمنن اللطافِ

٤ - دعاء عبدِ بالذنوبِ وافي

٥ - وسيد الساداتِ والأشرافِ (١١)

« *القاف* »

(5)

التخريج:

مناقب آل أبي طالب: ٥٠/١ - ٥١ ، بحار الانوار: ٩١ / ٣٥ ، بلوغ المآرب في نجاته (صلى الله عليه
وآله) وعمه أبي طالب: ١٧٦ - ١٧٨ .
وصى أبو طالب ابنه طالبا

باتباع النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال:
{من الكامل }

١ - أُنْبِي طالب إن شيخك ناصحٌ فيما يقولُ مسدّدُ لك راتقُ)

(١٢
والرشد والإيمانِ جاءك صادقُ

٢ - إن ابن عمك بالنبوة والهدى
٣ - صبحُ ال

ربيعة لا يرام جنابهُ

٤ - نسقي السحاب بوجهه في محلنا

٥ - كهف اليتيم وللأرامل كافل

٦ - ملجا الضعيف وركن كل مؤمل

٧ - فاعضد قواه يا بني وكُنْ له

٨ - وافلق بسيفك من يدي له

٩ - وأذقه هيجا الموت في كأس الوغى

١٠ - لو كنت أبلغ عصره لنصرته

١١ - حتى يبلغ ما يقول إلى الورى

١٢ - أترى اعابن شخص أحمد بعدما

١٣ - نعق الغراب بأني مستهلك

١٤ - هيهيات لم اتبعه حين أوانه

١٥ - فعساه أن يشفع لي أمام مليكه

١٦ - أترى أراه فوق منبره علا

١٧ - وأرى علياً في المعاد وراءه

١٨ - وقريش يومئذ تؤمل أمنه

١٩ - يدعون أحمد لا يجيب ندام

٢٠ - ويفوز بالجنات من يبغى الهدى

٢١ - ومنابر ومارق مصفوفة

٢٢ - وفواكه ومأكول ومشارب

٢٣ - لكنني أخشى مقالة قائل

٢٤ - والله ما أخشى سوى عار ولو

٢٥ - قد عاقني ريب الزمان وطالما

٢٦ - لكن أحمد في المعاد وسيلتي

٢٧ - مني السلام على الحبيب محمد

من وجهه ينزح ليل غاسق

وبه جرى وبل علينا دافق

حلف الرشاد وللغواة مفارق

ورجا الغريب وبالاباعد رافق (١٣)

أنى بجدك لا محالة لاحق (١٤)

غشاً فسيفك للجمام فائق

وإلى السعير مصير ذاك الذائق

فانصره، فهو بكل خير ناطق

فسيسير غرباً دينه ومشارق

يعشى لجسمي بالمنية ساحق

وكذا الغراب على الخلائق

ناعق أسفاً، وإني في القيامة رامق

يوماً يشفعه الآله الخالق

يوماً ومنه يكون ذاك الناطق

في كفه اليمنى لواء خافق

عند العذاب إذا اعتراها راهق

أنى، وكيف إذا دعاه منافق

ولهُ قصور في الجنان شواهدق

ولباسهم فيها الحرير اللانق

وسعادة، والعيش فيها رانق

إني جزعت، كما يقول الفاسق

كان الجحيم وحرها لي سانق

قد كنت ارقى للعلا واسابق

وبجاهه عند المهيمن واثق

والموت للانسان حقاً طارق (١٥)

« *اللام* »

(6)

التخريج:

بحار الانوار : ٣٨٣/١٥ ، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (عليه السلام): ١٥٢ .
وقال أبو طالب في مدح ابن أخيه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) :

{من الخفيف}

نِ عَلَى نَوْرِ شَمْسِنَا وَالْهَلَالِ

١ - نَوْرٌ وَجْهَكَ الَّذِي

الَّذِي فَاقَ نَوْرَهُ الْمُتَعَالِي

(١٦) فَاقٌ فِي الْحُسَدِ

فَقَتَّ كَلَّ الْعُلَا وَكَلَّ الْكَمَالِ

٢ - أَنْتَ وَاللَّهِ يَا مَنَائِي وَسُوْلِي

٣ - أَنْتَ نَوْرُ الْإِنَامِ مِنْ هَاشِمِ الْغَرِّ

(١٧)
وَلَقَدْ فَقَّتْ أَهْلَ كَلِّ الْمَعَالِي (١٨)

٤ - وَعَلُو الْفَخَارِ وَالْمَجْدِ أَيْضَا



الهوامش:

(1) منصلت من الرجال: الشجاع الماضي في الحوائج.

(2) الأبيات من (١ - ٦) (في مناقب آل أبي طالب 2/91) : دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/

١٣٢ ، ومواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٨ .

(3) مواهب الواهب: ٧٩ ، باختلاف الرواية: «بالوالد الحلالح الذكور.»

(4) نهكه: غلبه.

(5) المونل: الملجأ، المبير: الهلك.

(6) المبير: الهلك.

(7) مواهب الواهب: ٧٩ ، باختلاف الرواية: «مصامه الخاطف للكفور.»

(8) الأبيات من (١ - ١٨) (في مناقب آل أبي طالب: ٩١/٢ ، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/

١٣٢ ، ومواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: 79 :

(9) البدء والتاريخ: ١٣٤/٤ .

(10) حباه بكذا: اعطاه اياه بلا جزاء.

(11) الأبيات (5-1) في مناقب آل أبي طالب: ٩١/٢، دار السلام فيما يتعلق بالرويا والمنام: ١/

١٣٢، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩.

(12) مناقب آل أبي طالب: ٥٠، بحار الانوار: ٩١ / ٣٥، بلوغ المآرب: ١٨٦، والابيات بعد هذا

البيت:

حتى تكون لدى المنية ذائقُ فاضربُ بسيفك من أراد مساءة
لا زلتُ فيك بكلّ رشيدٍ واثقُ هذا رجائي فيك بعد منيتي
إني بجدك لا محالة لاحقُ فاعضد قواه يابني وكُنْ له
إذ لم أراه قد تطاولَ باسقُ أها أردد حسرةً لفراقه
وعليُّ ابني للواء معانقُ أترى أراه واللواء أمامه
هيهات إنّي لا محالة راهقُ أتراه يشفع لي ويرحم عبرتي

ديوان أبي

طالب 340: مناقب آل أبي طالب: ٥٠/١ - ٥١، بحار الانوار: ٩١/٣٥، بلوغ المآرب في نجاة آباه (صلى الله عليه وآله) وعمه أبي طالب: ١٨٦، ويلحظ ان ضمَّ بعض القوافي مخالف لقواعد النحو، للضرورة الشعرية.

(

(13) الأبيات (6-2) بلوغ المآرب في نجاة آباه (صلى الله عليه وآله) وعمه أبي طالب: ١٧٦.

(

(14) ديوان أبي طالب : ٣٤٠، مناقب آل أبي طالب: ٥٠/١، بحار الانوار: ٩١/٣٥، بلوغ المآرب في نجاة آباه (صلى الله عليه وآله) وعمه أبي طالب: ١٨٦.

(

(15) البيت (٢٧) بلوغ المآرب: ١٨٧..

(

(16) في مواهب الواهب: ١٥٢، اختلاف الرواية: «بسنا وجهك الذي...»

(

(17) في مواهب الواهب: ١٥٢، اختلاف الرواية :

«أنت خير الأنام من هاشم الغرّ

بكل العلى وكلّ الكمال»

(

(18) الأبيات (4-1) في بحار الانوار: ٣٨٣ / ١٥، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمن أبي طالب (عليه السلام): ١٥٢.

